منهج الجدل والمناظرة

في تقرير مسائل الاعتقاد

الدكتور عثمان علي حسن

الجزء الثاني

دار إشبيليا
للنشر والتوزيع

منهج

الجدل والمناظرة

في تقرير مسائل الاعتقاد

بسم الله الرحمن الرحيم

ⓒ دار إشبيليا، ١٤٢٠ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

حسن، عثمان علي

منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد. ـ الرياض.

١٢٧٥ ص؛ ١٧×٢٤ سم.

ردمك: ٩ـ٧٦ـ٧٢٧ـ٩٩٦٠

١ ـ علم الكلام ٢ ـ المناظرات أ ـ العنوان

ديوي ٢٥١ ٢٠/٠٠٤٨

رقم الإيداع: ٢٠/٠٠٤٨

ردمك: ٩ـ٧٦ـ٧٢٧ـ٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م

دار إشبيليا للنشر والتوزيع المملكة العربية السعودية ـ ص.ب: ١٣٣٧١ ـ الرياض: ١١٤٩٣

هاتف: ٤٧٩٤٣٥٤ ـ ٤٧٤٢٤٥٨ ـ فاكس: ٤٧٧٣٩٥٩

الباب الثالث

قواعد الجدل والمناظرة وآدابها وأحكامها

وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول: قواعد الجدل والمناظرة

الفصل الثاني: آداب الجدل والمناظرة

الفصل الثالث: أحوال الجدل والمناظرة

الفصل الرابع: إقامة الحجة: مجالاتها وشروطها

الفصل الخامس: المباهلة: معناها وصورتها وحكمها وشروطها ومجالاتها

مـــدخل:

هذا الباب وضع للكلام عن قواعد المناظرة وبيان آدابهـا وأحكامهـا، وهو ما يسمَّى بآداب البحث، أو علم المناظرة، أو علم الجدل، ومقصوده العصمة من الخطـأ في المنـاظرات، وسـهولة الخـوض في منـاظرة الخصـوم، ومعرفة صحيحها من فاسدها، فالمناظرة بدون مراعاة قواعدهـا وقوانينهـا وآدابها وأحوالها تكون مجرد تصادم بـين الخصـوم لا يوصـل إلى صـواب، ولا يكون فيه مقنع[1].

قال ابن خلـدون[2]: «فإنـه لمـا كـان بـاب المنـاظرة في الـرد والقبـول متسعاً، وكل واحد من المناظرين في الاستدلال والجـواب يرسـل عنانـه في الاحتجاج، ومنه ما يكون صواباً، ومنه ما يكون خطأ، فاحتاج الأئمة إلى أن يضعوا آداباً وأحكاماً يقف المتناظران عند حدودهـا في الـرد والقبـول، وكيف يكون حال المستدل والمجيب، وحيث يسوغ له أن يكون مستدلاً، وكيف يكون مخصوصاً منقطعاً، ومحل اعتراضه أو معارضتـه، وأيـن يجـب عليه السكوت ولخصمه الكلام والاستدلال.

ولذلك قيل فيه ـ أي علم الجدل ــ إنـه معرفـة بـالقواعد مـن الحـدود والآداب في الاستدلال التي يتوصل بها إلى حفظ رأي أو هدمـه، كـــان ذلك الرأي من الفقه أو غيره».

---

(١) انظر : رسالة آداب البحث ـ أحمد مكي ص : ١٩ .

(٢) المقدمة ص : ٤٢٢

وقال أبو محمد بن الجوزي (٦٥٦هـ) في الإيضاح[1]: «اعلم (وفقنا الله وإياك) أن معرفة هذا العلم لا يستغني عنها ناظر، ولا يتمشى بدونها كلام مناظر؛ لأن به تتبين صحة الدليل من فساده، تحريراً وتقريراً، وتصح الأسئلة الواردة من المردودة إجمالاً وتفصيلاً، ولولاه لاشتبه التحقيق في المناظرة بالمكابرة، ولو خُلِّي كل مدعٍ ومدعىً ما يرومه على الوجه الذي يختار، ولو مكِّن كل مانع من ممانعة ما يسمعه متى شاء: لأدى إلى الخبط وعدم الضبط، وإنما المراسم الجدليه تفصل بين الحق والباطل، وتبين المستقيم من السقيم، فمن لم يحط بها علماً كان في مناظرته كحاطب ليل».

وقد اعتنى بهذا العلم كثير من العلماء والمصنفين؛ فمن المتقدمين: الإمام أبو محمد علي بن حزم في التقريب لحد المنطق، والخطيب البغدادي (٤٦٣هـ) في الفقيه والمتفقه، وأبو الوليد الباجي (٤٧٤هـ) في المنهاج في ترتيب الحجاج، والإمام أبو المعالي الجويني في الكفاية في الجدل، وغيرهم. ومن المحدثين: الشيخ طاش كبري زاده في آداب البحث والمناظرة، والشيخ محمد المرعشي في شرح الولدية، والشيخ محمد الأمين الشنقيطي في آداب البحث والمناظرة، وغيرهم[2].

لكن هؤلاء جميعاً وغيرهم - ممن وقفت على مصنفاتهم - وجدتهم قد

---

(١) انظر: شرح الكوكب المنير ص: ٣٧٠.

(٢) وقد تقدم ذكر قائمة بهذه المؤلفات وغيرها، انظر: ص: ١٣-١٤.

خلطوا بين ما يمكن أن نسميه قواعد لهذا الفن وبين آدابه وأحواله. ولهذا آليت على نفسي أن أُمَيِّزَ في هذا الباب بين هذه المسائل، لا سيما وقد وجدت من الباحثين المعاصرين[1] من أشار إلى شيء من هذا.

ثم أضفت إلى هذه المسائل مسائل أخرى أراها ذات صلة وثيقة بموضوع الباب، بل وموضوع البحث؛ وهي: إقامة الحجة، والمباهلة. وستتضح هذه الصلة أثناء تناول هذه الموضوعات بالتفصيل إن شاء الله.

(١) انظر مثلاً: آداب الحوار والمناظرة ـ د. علي جريشة ص : ٦٥ وما بعدها ، وضوابط المعرفة ـ حبنكة الميداني ص : ٣٧٣ وما بعدها .

الفصل الأول

قـــواعد الجـــدل والمناظـــرة

تنبيـــه:

هذه القواعد وقفتُ على بعضها في المصنفات التي عُنيت بآداب البحث والمناظرة، وهي التي مرَّ ذكر طائفة منها، والبعض الآخر استخرجتُه من ثنايا المصنفات العامة لبعض أهل العلم. ولا أدعي فيها الاستيعاب ولا الإحاطة، وإنما هو مبلغ طاقتي، وفوق كل ذي علم عليم.

القاعدة الأولى

إن كنت ناقلاً فالصحة، أو مدعياً فالدليل

النقل هو أن تذكر كلاماً لغيرك مع بيانك إسناده لمن نقلته عنه؛ كقولك: قال ﷺ ، أو قال أبوبكر ﷺ، أو مالك رحمه الله، أو نحو ذلك، فإن التزم الناقل صحة ما نقل، كأن يقول: وما نقلته صحيح، فهو مدَّعٍ، وهذا الذي قاله دعوى، تحتمل أن تكون صدقاً، وتحتمل أن تكون كذباً، وإن كان لم يلتزم صحة ما نقل؛ فإن كان بديهياً أو مسلَّماً عند الخصم أو معتبراً من ضروريات مذهبه لم يتوجه إليه شيء من الاعتراضات، ولزم خصمه القبول والتسليم، وإن كان ليس كذلك، فلا يتوجه إليه إلا المطالبة بتصحيح النقل بطريق يثبت بها صحة ذلك النقل، وقد يسمى طلب تصحيح النقل منع الدعوى. والصواب مطالبته بتصحيح النقل، خلافاً لمن زعم أن النقل ليس محلاً للمناظرة أصلاً. واختلف أهل هذا الفن في تصحيح النقل على القول به، هل هو واجب أو مستحسن؛ فقيل: يجب، وقيل: يستحسن، وقيل: إن كان السائل جاهلاً بصحة النقل

وجب طلب تصحيحه، وإن كان عالماً بأن النقل صحيح وأن الناقل صادق في نقله لم يجز له طلب التصحيح.(١) وتصحيح النقل هو بيان صدق نسبته إلى المنقول عنه.(٢) فيطالب الناقل بتصحيح النقل: لفظه أو معناه أو هما معاً، خاصة إذا لم تكن صحته بديهية ـ كما تقدم ـ أو معلومة أو مسلمة عند الخصم، أو من ضروريات مذهبه. ويمكن إثبات صحة النقل بإحضار الكتاب الذي نقل منه الناقل،(٣) إذا كانت الصحة تتوقف على إحضار الكتاب؛ كما في قوله (تعالى): ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة آل عمران: ٩٣].

فكل دعوى ـ يُنازع فيها ـ لا بد من إقامة الدليل عليها، وإلا كانت مجرد دعوى خلية عن البرهان، والدليل إما أن يكون نقلياً أو عقلياً، والمطلوب في النقلي تحرير صحته، وفي العقلي إظهار صراحته وبيان حجته:

قال (تعالى) :﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة البقرة: ١١١] فهذا عام في كل دعوى، لا بد من تصديقها بالدليل.

وقال (تعالى) :﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة

---

(١) انظر : آداب البحث والمناظرة الشنقيطي القسم الثاني ص : ٨٤ .
(٢) انظر : رسالة آداب البحث ـ مكي ص :٢٢.
(٣) انظر : شرح الولدية ـ المرعشي ص:١٤٣.

الأحقاف: ٤] فطالبهم أولاً بالطريق العقلي، وثانياً بالطريق السمعي[١]. قال ابن تيمية رحمه الله: «فالكتاب هو الكتاب ـ أي جنس الكتب المنزلة من عند الله ـ والأثارة كما قال من قال من السلف: هي الرواية والإسناد. وقالوا: هي الخط أيضاً، إذ الرواية والإسناد يكتب بالخط، وذلك لأن الأثارة من الأثر، فالعلم الذي يقوله من يُقبل قوله يُؤْثَر بالإسناد ويُقيِّد ذلك بالخط، فيكون ذلك كله من آثاره»[٢].

ومن هنا قال علماء أدب البحث والمناظرة: **إن كنت ناقلاً فالصحة، أو مدعياً فالدليل**[٣].

ولهذا تجد كثيراً من أهل البدع يستدل على بدعته بنقل ضعيف أو موضوع، أو دلالة ضعيفة، أو بعقل فاسد:

فالشيعة ــ مثلاً ــ يكثر عندهم الاستدلال بالنقول الموضوعة والضعيفة، وكذلك الدلالة الضعيفة، ويشاركهم في ذلك طوائف من المتصوفة.

أما أهل الفلسفة والكلام، فيكثر عندهم الاستدلال بالأقيسة العقلية الفاسدة، أو الاحتمالات والتجويزات[٤] في مقام القطعيات واليقينيات.

---

(١) انظر : درء تعارض العقل والنقل ٣٩٥/٧.
(٢) المرجع السابق ٥٧/١-٥٨ ، وانظر : تفسير ابن كثير ١٥٦/٤ .
(٣) انظر : ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة لعبد الرحمن حبنكة ص : ٣٧٩،٣٩١-٣٩٢ ، وشرح الولدية ص : ١٤٣ ، وعلم البحث والمناظرة ـ طاش زاده ـ بتحقيق أبي عبد الرحمن بن عقيل ص: ٣٣ .
(٤) انظر : درء تعارض العقل والنقل ١٢/١،٢٩ ، وتحريم النظر لابن قدامة ص :٣٠-٣١، وشرف أصحاب الحديث للبغدادي ص : ٥٥ رقم :١١٠، ص : ٧٨ رقم : ١٦٧.

القاعـدة الثانية

موافقة النصوص الشرعية لفظاً ومعنى أولى من موافقتها في المعنى دون اللفظ

وذلك أن متابعة الكتـاب والسـنة في اللفـظ والمعنـى أكمـل وأتم مـن متابعتهمـا في المعنـى دون اللفـظ؛ فالرسـول ﷺ علّـم الـبراء بـن عـازب كلمات يقولهن إذا أخذ مضجعه وفيها: «... آمنت بكتابك الذي أنزلـت وبنبيك الذي أرسلت» قال البراء: «فرددتهن لأستذكرهن، فقلت: آمنـت برسولك الذي أرسلت. قال ـ أي النبي ﷺ ـ قـل: آمنـت بنبيِّـك الـذي أرسلت»[1] تحقيقاً لكمال الموافقة في اللفظ والمعنى.

ولهذا منع جمع من العلمـاء نقـل حديـث الرسـول ﷺ بـالمعنى، ومـن أجازه اشترط أن يكون الناقل عالمـاً بمـا يحيـل المعنـى مـن اللفـظ، مدركـاً لأساليب العرب حتى يستبين الفروق[2].

فالناس في موافقة نصوص الكتاب والسنة أقسام:

أحدها: من يوافقها لفظاً ومعنى، وهذا أسعد الناس بالحق.

الثاني: من يوافقها في المعنى دون اللفظ، كمن يتكلم في المعـاني الشـرعية الصحيحة بألفاظ غير شرعية؛ وهذا كالألفاظ المجملة والتي تحتمل حقاً

---

(١) صحيح مسلم ٢٠٨١/٤-٢٠٨٢ كتـاب الذكر والدعـاء ـ بـاب مـا يقـول عنـد النوم...ح: ٢٧١٠.

(٢) نظر : الرسالة ـ الشافعي ص : ٣٧٠-٣٧١.

وباطلاً، كمن يتكلم في نفي الجهة عن الله (تعالى) قاصداً نفي الجهة المخلوقة، أو ينفي الحيز والمكان المخلوقين، وكبعض اصطلاحات المتصوفة؛ كالفناء والشهود والغيبة، وغير ذلك من الألفاظ التي لم ترد لا في الكتاب ولا في السنة ولا عن سلف الأمة، بل تحتمل معاني صحيحة وأخرى فاسدة، فإذا عرف مراد صاحبها وكان موافقاً للمعنى الصحيح قُبِلَ مراده، لكن يُمْنَع من التكلم باللفظ المجمل، لئلا يُوقع في الإيهام، ويُعلَّم الألفاظ الشرعية في ذلك. وكذلك يدخل فيهم من نفى ظاهر نصوص الصفات قاصداً نفي المعنى الظاهر المختص بالمخلوق، فنفيه صحيح، لكن ظاهر النصوص لم يدل على باطل، حتى يحوجنا إلى هذا النفي، وإنما نفى هذا ما توهمه أنه ظاهر النص، وإن لم يكن كذلك في نفس الأمر.

الثالث: من يوافق نصوص الكتاب والسنة في اللفظ دون المعنى، وهؤلاء كطوائف الباطنية وغيرهم ممن يعبرون عن عقائدهم الفاسدة بألفاظ شرعية؛ فالصلاة عندهم كشف أسرارهم، والصيام كتمانها، والحج القصد إلى شيوخهم، ونحو ذلك[١].

الرابع: من يخالف نصوص الكتاب والسنة لفظاً ومعنى، وهؤلاء أشقى الطوائف، وهم من الكفرة والملاحدة ونحوهم.

القاعدة الثالثة

لا ينبغي بتر الدليل والاستدلال بجزئه

وهذا شأن أهل الابتداع حتى يجدوا من الكلمات الشرعية ما يسوِّغ

---

(١) انظر : الإفحام لأفئدة الباطنية الطغام ـ العلوي ص:٧١ وما بعدها.

لهم بدعتهم ويجعلها تروج عند ضعفاء المسلمين:

قال محمد بن كعب القرظي رحمه الله في الرد على القدرية: «...والذي نفس محمد بيده، لوددت أن يميني هذه تقطع على كبر سني، وأنهم أتموا آية من كتاب الله عز وجل، ولكنهم يأخذون بأولها ويتركون آخرها، ويأخذون بآخرها ويتركون أولها، والذي نفسي بيده لإبليس أعلم بالله عز وجل منهم، يعلم من أغواه[(١)]، وهم يزعمون أنهم يُغوون أنفسهم ويُرشدونها»[(٢)].

ولما احتج غيلان الدمشقي أمام عمر بن عبد العزيز على مقالته في القدر بقوله (تعالى): ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا * إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [سورة الإنسان: ٢-٣] قال له عمر: « اقرأ آخر السورة: ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا * يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [سورة الإنسان: ٣٠-٣١] ثم قال عمر: ما تقول يا غيلان، قال: أقول: قد كنتُ أعمى فبصرتني، وأصم فأسمعتني، وضالاً فهديتني...» فأظهر توبته، ثم رجع إلى مقالته في عهد هشام بن عبد الملك؛ فصلبه[(٣)].

---

(١) إشارة إلى قوله (تعالى) : ﴿قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم﴾ [سورة الحجر: ٣٩].

(٢) الشريعة ـ الآجري ص : ٢٢٢.

(٣) الشريعة ص : ٢٢٨.

القاعـدة الرابعة

الحـق يُقبل من أي جهة جـاء

الحق يقبل لكونـه موافقـاً للدليـل، فـلا أثـر للمتكلـم بـه في قبولـه أو رفضه؛ ولهذا كان أهل السنة يقبلون مـا عنـد جميـع الطوائـف مـن الحـق، ويردون ما عندها من الباطل، بغض النظر عن الموالي منها أو المعادي:

قال (تعالى): ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [سورة البقرة: ٢١٣] وفي دعاء النبي ﷺ: «... اهدني لما اختُلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»[(١)].

قال ابن القيم رحمه الله: «فمن هداه الله سبحانه إلى الأخذ بـالحق حيـث كان ومع من كان، ولو كان مع من يبغضه ويعاديه، ورد الباطل مـع مـن كان ولو كان مع من يحبه ويواليه، فهو ممن هدى الله لما اُختُلِف فيـه مـن الحق»[(٢)].

وقال (تعالى): ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [سورة المائدة: ٨]. ومن العدل فيهم قبول ما عندهم من الحق.

وهكذا أدبنا القرآن الكريم حين ساق كلام بلقيس ـ وقت كفرها ـ ثم وافقها عليه؛ قال (تعالى) ـ حكاية عنها ـ :﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً

---

(١) صحيح مسلم ٥٣٤/١ كتاب صلاة المسافرين ـ باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ح: ٧٧٠.

(٢) الصواعق المرسلة ٥١٦/٢.

أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾ قال الله (تعالى): ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾[سورة النمل:٣٤].

ولما دلَّ الشيطان أبا هريرة ﷺ إلى آية الكرسي لتكون له حرزاً من الشيطان، وذلك مقابل فكِّه من الأسر، قال له النبي ﷺ: «أما إنه قد صدقك وهو كذوب»[١].

وكان معاذ بن جبل ﷺ يقول: «اقبلوا الحق من كل من جاء به، وإن كان كافراً ـ أو قال فاجراً ـ واحذروا زيغة الحكيم، قالوا: كيف نعلم أن الكافر يقول كلمة الحق؟ قال: إن على الحق نوراً»[٢].

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ـ مبيناً منهجه في التعامل مع مخالفيه من أهل الكلام وغيرهم ـ: «وليس كل من ذكرنا شيئاً من قوله ـ من المتكلمين وغيرهم ـ يقول بجميع ما نقوله في هذا الباب وغيره، ولكن الحق يقبل من كل من تكلَّم به»[٣].

القاعدة الخامسة

الحق لا يعرف بالرجال، اعرف الحق تعرف رجاله

(١) صحيح البخاري ٤/٤٨٧ (فتح الباري) كتاب الوكالة ــ باب وكالة المرأة الإمام في النكاح ح :٢٣١١.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ٥/١٠١-١٠٢ ، وانظر : سنن أبي داود ٥/١٧-١٨ كتاب السنة ـ باب لزوم السنة ح : ٤٦١١ .

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ٥/١٠١.

الحق ما وافق الدليل من غير التفات إلى كثرة المقبلين، أو قلتهم، فالحق لا يوزن بالرجال، وإنما يوزن الرجال بالحق، ومجرد نفور النافرين، أو محبة الموافقين لا يدل على صحة قول أو فساده، بل كل قول يحتج له، خلا قول النبي ﷺ فإنه يحتج به.[(١)]

ومن المعلوم أنه لا يوجد أحد من الأئمة المقبولين عند الأمة قبولاً عاماً، يعتمد مخالفة النبي ﷺ في شيء من سنته، لا دقيق ولا جليل، بل هم متفقون اتفاقاً يقينياً على وجوب متابعته، وعلى أن كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويرد، إلا الرسول ﷺ[(٢)]. وذلك لأجل ثبوت العصمة للرسول ﷺ، وحاجة غيره للإجازة والتزكية.

يقول ابن حزم[(٣)] رحمه الله: «ولا تستوحش مع الحق إلى أحد، فمن كان معه الحق فالخالق (تعالى) معه، ولا تبال بكثرة خصومك، ولا بقدم أزمانهم، ولا بتعظيم الناس إياهم، ولا بعدتهم، فالحق أكثر منهم، وأقدم وأعز وأعظم عند كل أحد، وأولى بالتعظيم.

وإذا شئت أن تتيقن فساد مراعاة ما ذكرنا، فتأمل أهل كل ملة، وكل أمة، فإنك تجدهم مطبقين على تعظيم أسلافهم وصفتهم بكل فضيلة وبكل خير، وذم أسلاف من خالفهم. وتأمل كل قول يقال، فقد كان القائلون به في أول أمره قليلاً، وأكثر ذلك يرجع إلى واحد ثم كثر

---

(١) انظر : نقض المنطق ص : ١٥٤ ، والقواعد المثلى ـ العثيمين ص:٨٦.

(٢) انظر : رفع الملام ص : ٤.

(٣) التقريب لحد المنطق ص : ١٩٣-١٩٥.

أتباعه. وفتّش كل قول قديم تجده قد كان ابن ساعة بعد أن لم يكن، ثم مرّت عليه الأيام والشهور والسنون والدهور.

واعلم أن مراعاة هذه الأمور من ضعف العقل أو قلة العلم، ولا تبال أيضاً وإن كانوا فضلاء على الحقيقة، فقد يخطئ الفاضل ما لم يكن معصوماً. ولو أن ذلك الفاضل لاح له ما لاح لك لرجع إليك، ولو لم يفعل لكان غير فاضل...».

إلى أن قال: «وإياك والالتفات إلى من يتبجح بقدرته في الجدل، فيبلغ به الجهل إلى أن يقول: إني قادر على أن أجعل الحق باطلاً، والباطل حقاً. فلا تصدق مثل هؤلاء الكذابين، فإنهم سفلة أراذل أهل كذب وشر ومَخْرَقة...».

إلى أن قال: «وإياك والاغترار بكثرة صواب الواحد فتقبل له قولة واحدة بلا برهان، فقد تخطر في خلال صوابه بما هو أبين وأوضح من كثير مما أصاب فيه».

القاعدة السادسة

الحق واحد لا يختلف

الحق عند الله (تعالى) وفي نفس الأمر واحد لا يختلف ولا يتعارض، لكنه قد يتنوع، فيكون جنساً واحداً له أنواع، كلها ترجع إلى جنس واحد، كما قيل في صيغ التشهدات والأذان والإقامة ونحو ذلك مما قد شرع جميعه.

أما أن يُثبت أحد المتناظرين شيئاً وينفيه الآخر، أو يوجبه ويمنعه خصمه، ويكون كلاهما محقاً، فهذا لا يكون أبداً.

ولهذا لا يمكن أن يكون دليلان قطعيان متعارضين، سواء كانا من المنقول أو من المعقول، أوكان أحدهما نقلياً والآخر عقلياً. فالله (تعالى) أنزل الكتاب وأنزل الميزان ـ وقياس العقل منه ـ فهما في الإنزال أخوان، وفي معرفة الأحكام شقيقان، فالنقل الصحيح لا يتعارض في نفسه لقوله (تعالى): ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [سورة النساء: ٨٢] وكذلك العقل الصريح لا يتعارض في نفسه، وأيضاً لا يتعارض الشرع الصحيح مع العقل الصريح، فلا تجد نصاً شرعياً صحيحاً في ثبوته صريحاً في دلالته معارضاً لدليل عقلي صحيح صريح، هذا لا يمكن بحال، بل الشرع الصحيح والعقل الصريح متصادقان، متعاضدان، متناصران، يصدق أحدهما الآخر، ويشهد أحدهما بصحة الآخر[(١)].

لكن قد يحار العقل في بعض ما جاءت به الشريعة، وهذا من العقل حيرة لا إحالة، وإنما ذلك لكمال الشريعة وتفوقها، فهي تأتي بمحارات العقول لا بمحالاتها، فتأتي بما لا يعلمه العقل، وبما يعجز العقل عن معرفته، أما أن تأتي بما يُعلم بصريح العقل انتفاؤه وامتناعه، فلا[(٢)].

ولهذا فإن كل ما قد يسمى تعارضاً بين بعض الأدلة الشرعية والعقلية فهو بسبب أن أحد الدليلين غير صحيح أو غير صريح، أما مع الصحة والصراحة فلا تعارض. ثم قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ومتى تعارض في ظنِّ الظان الكتاب والميزان ـ النص والقياس الشرعي أو العقلي

(١) انظر : إعلام الموقعين ١/٣٣١-٣٣٢.

(٢) انظر : درء تعارض العقل والنقل ٢/٣١٤.

ـ فأحد الأمرين لازم: إما فساد دلالة ما احتج به من النص: بأن لا يكون ثابتاً عن المعصوم، أو لا يكون دالاً على ما ظنه، أو فساد دلالة ما احتج به من القياس ـ سواءً كان شرعياً أو عقلياً ـ بفساد بعض مقدماته أو كلها، لما يقع في الأقيسة من الألفاظ المجملة المشتبهة»(١).

وعليه فلا تعارض بين الأدلة الصحيحة الصريحة سواء كانت شرعية أو عقلية، وعليه فالأمور التي تدور بين الإثبات والنفي، والتحريم والتحليل لا بد وأن يكون الحق فيها عند أحد جانبي المناظرة، لا الاثنين معا. ولهذا قال أبو محمد بن حزم رحمه الله: «لا يتعارض البرهان، وإذا أقمناه فقد أمنا أن يقيمه خصمنا»(٢).

القاعدة السابعة

التقديم حق الدليل القطعي

هذه القاعدة هي نقيض ما أسسه المتكلمون فيما أسموه بقانون التأويل، وملخصه: أنه إذا تعارض النقل والعقل فإما أن يجمع بينهما وهو محال؛ لأنه جمع بين النقيضين، وإما أن يردا جميعاً وهو ـ أيضاً ـ محال؛ لأنه رفع للنقيضين، وإما أن يقدم السمع وهو محال؛ لأن العقل أصل النقل، فلو قدمناه عليه كان ذلك قدحاً في العقل الذي هو أصل النقل، والقدح

(١) الرد على المنطقيين ص: ٣٧٣. وانظر: أعلام الموقعين ٢/٣-٤.
(٢) التقريب لحد المنطق ص : ١٩٣.

في أصل الشيء قدح فيه، فكان تقديم النقل قدحاً في النقل والعقل جميعاً، فوجب تقديم العقل، ثم النقل إما أن يُتأول وإما أن يُفوض[(١)] .

وهذا المذهب مبني على أن الأدلة الشرعية لا تفيد ـ عندهم ـ اليقين؛ لأن الاستدلال بها موقوف على مقدمات كلها ظنية[(٢)] .

فقانون التأويل مبني على مقدمات ثلاث:

أحدها: ثبوت تعارض الدليلين النقلي والعقلي.

الثانية: انحصار التقسيم فيما ذكروه من الأقسام الأربعة.

الثالثة: بطلان الأقسام الثلاثة، وتعيُّن القسم الرابع، وهو تقديم الدليل العقلي.

والمقدمات الثلاث باطلة، وبيان ذلك أن يقال: إذا تعارض دليلان؛ سواء كانا سمعيين أو عقليين، أو أحدهما سمعياً والآخر عقلياً، فالواجب أن يقال: لا يخلو إما أن يكونا قطعيين، أو ظنيين، أو يكون أحدهما قطعياً والآخر ظنياً.

أما القطعيان فلا يجوز تعارضهما ـ كما تقدم ـ سواء كانا عقليين أو سمعيين أو أحدهما عقلياً والآخر سمعياً، وهذا متفق عليه بين العقلاء؛ لأن الدليل القطعي هو الذي يجب ثبوت مدلوله، فلا يمكن أن تكون دلالته باطلة.

---

(١) انظر : أساس التقديس ـ الرازي ص : ٢١٠-٢١١ ، ودرء تعارض العقل والنقل ١/٤.

(٢) انظر : الرد على هذه الفرية في الصواعق المرسلة ـ ابن القيم ٢/٦٣٤ وما بعدها.

وعليه، فلو تعارض دليلان قطعيان، وكان أحدهما يناقض مدلول الآخر، للزم الجمع بين النقيضين وهو محال. بل كل ما يعتقد فيه التعارض من الدلائل التي يعتقد أنها قطعية، فلا بد من أن يكون الدليلان أو أحدهما غير قطعي، أو أن لا يكون مدلولاهما متناقضين، فأما مع عدم تناقض المدلولين المعلومين فيمتنع تعارض الدليلين.

أما إن كان أحد الدليلين المتعارضين قطعياً، والآخر ظنياً؛ فإنه يجب تقديم القطعي باتفاق العقلاء، سواء كان هو النقلي أو العقلي.

وأما إن كانا جميعاً ظنيين: فإنه يصار إلى طلب الترجيح، فأيهما ترجح كان هو المقدَّم، سواء كان عقلياً أو نقلياً.

ولا جواب لهم على هذا، إلا أن يقال: الدليل النقلي لا يكون قطعياً، وحينئذ يقال لهم: هذا ـ مع كونه باطلاً ـ لا يفيد؛ لأنه على هذا التقدير يجب تقديم القطعي لكونه قطعياً، لا لكونه عقلياً، ولا لكونه أصلاً للنقل.

أما حصرهم القسمة في أربعة أقسام، ثم إبطال ثلاثة منها وتعيين الرابع، فلا يُسَلَّم لهم ذلك، إذ من الممكن أن يقال: يقدم العقلي تارة والسمعي أخرى، فأيهما كان قطعيا قُدِّم، وإن كانا جميعاً قطعيين امتنع التعارض، وإن كانا ظنيين فالراجح هو المقدَّم، فهذا القسم لم يذكروه، وهو الحق الذي لا ريب فيه.[1]

وعلى هذا يتبين أن التقديم حق القطعي، سواء كان نقلياً أو عقلياً.

---

(١) انظر : درء تعارض العقل والنقل ١/٧٨ وما بعدها.

القاعـدة الثامنة

وجوب عرض أقوال الناس على الشرع

ما يقوله سائر الناس من الكلام في المطالب الشرعية لا بد من عرضه على الكتاب والسنة، فإن وافق الكتاب والسنة فهو حق يُقبل، وإن خالفها فهو باطل يُرد، وإن احتمل الجهتين:

فإما أن يُعرف مراد المتكلِّم، فيُحكم له أو عليه بحسب المراد، وإما أن لا يُعرف مراده، فينظر في سيرته ـ سيرة المتكلم ـ فإن كانت حسنة حُمِل كلامه على الوجه الحسن، وإن كانت سيرته سيئة حمل كلامه على الوجه السيِّئ : ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ [سورة الأعراف: ٥٨].

أما إذا عرف مراده لكن لم يعرف: هل جاء الشرع بتصديقه أو تكذيبه؛ فإنه يُمسك عنه ولا يُتكلم إلا بعلم، والعلم ما قام عليه الدليل، والنافع منه ما جاء به الرسول ﷺ(١).

واعتصاماً بهذه القاعدة شرح ابن القيم رحمه الله كتاب منازل السائرين للشيخ الهروي في كتابه القيم: مدارج السالكين، فقبل من كلام الشيخ ما أسنده الدليل، ورد منه ما خالفه الدليل، وحمل على أحسن المحامل ما احتمل وجوهاً، إحساناً للظن بشيخ الإسلام الهروي رحمه الله(٢).

---

(١) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ١٣/١٤٥-١٤٦، ١٧/٣٥٥ ، وشرح الطحاوية ١/٢٣٠

(٢) انظر : مقدمة مدارج السالكين ـ محمد حامد الفقي ص : ت-ث .

القاعـدة التاسعة

السكوت عما سكت الله عنه ورسوله

كل مسألة من مسائل الشريعة ـ ولا سيما مسائل الاعتقاد ـ لا يحكم فيها نفياً أو إثباتاً إلا بدليل، فما ورد الدليل بإثباته أثبتناه، وما ورد بنفيه نفيناه، وما لم يرد بإثباته ولا بنفيه دليل توقفنا، ولم نحكم فيه بشيء؛ لا إثباتاً ولا نفياً، ولا يعني هذا أن المسألة خلية عن الدليل، بل قد يكون عليها دليل، لكن لا نعلمه، فالواجب علينا التوقف: إما مطلقاً أو لحين وجدان الدليل:

قال (تعالى): ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [سورة الإسراء: ٣٦]. قال قتادة: «لا تقل: رأيتُ ولم تر، وسمعتُ ولم تسمع، وعلمتُ ولم تعلم، فإن الله (تعالى) سائلك عن ذلك كله»[(١)]. وقال ﷺ: «إن الله عز وجل فرض فرائض فلا تضيعوها، وحرَّم حرمات فلا تنتهكوها، وحد حدوداً فلا تعتدوها، وسكت عن أشياء من غير نسيان، فلا تبحثوا عنها»[(٢)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «الأقسام ثلاثة: ما عُلم ثبوته أُثبت، وما علم انتفاؤه نُفي، وما لم يعلم نفيه ولا إثباته سُكت عنه، هذا هو الواجب، والسكوت عن الشيء غيرُ الجزم بنفيه أو ثبوته»[(٣)].

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/٣٩ .

(٢) رواه الدارقطني في سننه ٤/١٨٤ كتاب الرضاع ح : ٤٢، وذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره ٢/١٠٠ وصححه .

(٣) مجموعة تفسير ابن تيمية ص : ٣٥١-٣٥٢.

وقال ابن حزم رحمه الله: «وإنما يجب على العاقل أن يثبت ما أثبت البرهان، ويبطل ما أبطل البرهان، ويقف فيما لم يثبته ولا يبطله برهان، حتى يلوح له الحق»(١).

القاعدة العاشرة

الامتناع عن مناظرة أهل السفسطة

إذا وضح الحق وبان لم يبق للمعارضة العلمية ولا العملية محل، فإن الأمم كلهم متفقون على أن المناظرة إذا انتهت إلى مقدمات معروفة، بينة بنفسها ضرورية، وجحدها الخصم كان سوفسطائياً؛ فلا ينبغي مناظرته بعد ذلك، قال (تعالى) :﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [سورة الكهف: ٢٩]. وقال (تعالى) :﴿ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ﴾ [سورة الأنفال: ٦]. فكل من جادل في الحق بعد وضوحه وبيانه، فقد غالط شرعاً وعقلاً(٢). قال المزني (٢٦٤هـ) رحمه الله: «وحق المناظرة أن يراد بها الله عز وجل، وأن يقبل منها ما يتبين»(٣).

ولهذا كان من الأسئلة ما ليس له جواب غير السكوت والانتهاء، كما قال النبي ﷺ: «يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا؟ من

(١) التقريب لحد المنطق ص : ١٩٣.

(٢) انظر : درء تعارض العقل والنقل ١٧٤/٧ ، والقواعد الحسان ـ السعدي ص : ١٥٨-١٥٩.

(٣) جامع بيان العلم ١٣٢/٢ .

خلق كذا؟ حتى يقول من خلق ربَّك؟ فإذا بلغه فليستعذ با لله ولينتـه»[(١)].

فإنَّ كل نظر لا بد له من ضرورة يستند إليها، فإذا احتاجت الضرورة إلى استدلال ونظر، أدى ذلك إلى التسلسل وهو باطل.

القاعـدة الحادية عشرة

الباطل لا يرد بالباطل، بل بالحق

السلف والأئمة يذمون ما كـان مـن الكـلام والعقليـات بـاطلاً، وإن قصد به نصر الكتاب والسـنة، فيذمـون مـن قـابل بدعـة ببدعـة، وفاسـداً بفاسد.[(٢)] فالباطل يرد بالحق المحض، والبدعة ترد بالسنة الصحيحة:

قال الخلال[(٣)]: «أخبرنا أبوبكر المروذي: قال: كتب إلي عبد الوهـاب في أمر حسين بن خلف البختري العكبري، وقال: إنه قد تنزَّه عن مـيراث أبيه، فقال رجل قدري: إن ا لله لم يجـبر العبـاد على المعـاصي، فـرد عليـه أحمد بن رجاء، فقال: إن ا لله جبر العباد، أراد بذلك إثبات القدر. فوضع أحمد بن علي كتاباً يحتج فيه. فأدخلته على أبي عبدا لله، فأخبرته بالقصـة، فقال: ويضع كتاباً؟ وأنكر أبو عبـد ا لله عليهمـا جميعـاً: على ابـن رجـاء حين قال: جبر العباد، وعلى القدري الـذي قـال: لم يجـبر العبـاد، وأنكـر

---

(١) صحيح البخاري ٣٣٦/٦ كتاب بدء الخلق ـ باب صفة إبليس وجنوده ح : ٣٢٧٦.

(٢) انظر : درء تعارض العقل والنقل ١٦٥/٧.

(٣) السنة ص :٥٥٢ برقم : ٩٢٥ .

على أحمد بن علي وضعه الكتاب واحتجاجه، وأمر بهجرانه لوضعه الكتاب، وقال لي: يجب على ابن رجاء أن يستغفر ربه لما قال: جبر العباد، فقلت لأبي عبدالله: فما الجواب في هذه المسألة؟ قال: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [سورة فاطر: ٨]».

وهذا الفخر الرازي يرد على النصارى قولهم في إلهية عيسى بأن الإله لا يكون جسماً ولا متحيزاً ولا عرضاً(١). ومعلوم أن هذه الألفاظ لم ترد لا في الكتاب ولا في السنة، ولا في كلام سلف الأمة وأئمتها، بل هي ألفاظ محدثة مبتدعة، فيكون قد رد باطلهم بباطل آخر.

وفي باب الصفات رقى المعتزلة ونحوهم ـ للرد على المشبهة ـ سُلَّم النفي والتعطيل. قال ابن قتيبة (٢٧٦هـ) رحمه الله: «وتعمَّق آخرون في النظر، وزعموا أنهم يريدون تصحيح التوحيد بنفي التشبيه عن الخالق، فأبطلوا الصفات مثل: الحلم والقدرة والجلال والعفو وأشباه ذلك...»(٢).

وأراد بعض مثبتة القدر الرد على نفاته، فأنكروا فعل العبد واختياره. والشيعة أرادوا الإنكار على الخوارج الذين كفروا علياً رضي الله عنه فوقعوا في سائر الصحابة ـ عدا آل البيت ـ تكفيراً وتفسيقاً، وقالوا: لا ولاء إلا ببراء.

(١) انظر: مناظرة في الرد على النصارى للرازي ص: ٢٢.

(٢) اختلاف اللفظ ص: ٢٣.

وهكذا، فمن لم يعتصم بالكتاب والسنة في مناظراته لم يسلم من مثل هذه البدع.

القاعدة الثانية عشرة

الإنكار لا يعارض بالإنكار

فمن الخطأ معارضة الإنكار بالإنكار في المناظرة؛ مثل أن يقول السائل للمسئول: أنت تقول كذا، أو لِـمَ تقول كذا ؟ فيقول المسئول: وأنت أيضاً تقول كذا، أو لأنك أنت ـ أيضاً ـ تقول كذا، فيأتيه بمثل ما أنكره عليه، أو أشنع. فهذا كله خطأ فاحش وعار عظيم، واقتداء بالخطأ، وهروب من الإقرار بالحق .

لكن قد يجوز ذلك في موضعين:

أحدهما: أن يكون القول الذي اعترض به المجيب قولاً صحيحاً ينتج ما يقوله هو، فهذا وجه فاضل، وقطع للسائل؛ وذلك كمعتزلي قال لآخر: لم قلت: إن الله (تعالى) خالق الشر؟ فقال: لأنك تقول معي إنه (تعالى) خالق كل شيء، فخلق جميع العالم من جواهره وأعراضه، والشر عرض، فالله (تعالى) خالق الشر، فهذه معارضة صحيحة، إلا أن ظاهر لفظها غير محكم؛ لأنّه في الظاهر إنما جعل علةَ قوله ما يقولُهُ خصمُهُ، فلزمه أنه لولا قول خصمه بذلك لم يقل هو بما قال وهذا خطأ. وإنما الصواب أن يقول: لقيام البرهان على أن الله (تعالى) خالق كل شيء، ومن ذلك الجوهر والعرض، ثم يمضي في مسألته.

والوجه الثاني: هو أن يكون السائل مشغباً يقصد التشنيع والإغراء والتوبيخ، ولا يقصد طلب حقيقة، فهذا واجب أن يكسر غربه، ويردع عيبه بمثل هذا فقط، ولا يناظر بأكثر من ذلك، إذ الغرض كف ضرره فقط، ولا يُكفُّ ضرره بمناظرة صحيحة أصلاً، فلا شيء أكف لضرره مما ذُكر[١].

القاعدة الثالثة عشرة

عدم العلم بالدليل ليس علماً بالعدم

كثير من المتناظرين قد يجعل عمدته في نفي وجود أمر ما، عدم علمه بالدليل على وجوده، والأصل أن عدم العلم ليس علماً بالعدم، وعدم الوجدان ليس نفياً للوجود؛ فكما أن الإثبات يحتاج إلى دليل، فكذلك النفي يحتاج إلى دليل، وإلا فما لم يعلم وجوده بدليل معين، قد يكون معلوماً بأدلة أخرى.

فمثلاً: عدم الدليل العقلي على وجود أمر ما لا يعني عدم وجوده؛ لأنه قد يكون ثابتاً بالدليل السمعي، أو غيره.

فالدليل يجب فيه الطرد لا العكس، بمعنى أنه يلزم من وجوده الوجود، ولا يلزم من عدمه العدم، أي عدم المدلول عليه، قال (تعالى):

---

(١) انظر : التقريب لحد المنطق ـ ابن حزم ص :١٩٠-١٩١.

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ [سورة يونس: ٣٩] فهذا نعي على كل من كذَّب بما قَصُرَ عنه علمه.

فلو قال المجيب : لا أجد فرقاً بين هاتين المسألتين، يمكن للسائل أن يقول: ليس كل ما لم تجده يكون باطلاً.(١)

فمن نفى كثيراً من الغيبيات كالصفات والقدر والملائكة والجن وأحوال البرزخ والمعاد؛ لعدم قيام دليل الحس والمشاهدة، أو دليل العقل ـ كما يزعم النفاة ـ كان غالطاً؛ لأنه أخبر عن نفسه، وعن مبلغه من العلم، ولا يمنع أن يكون غيره قد قام عنده دليل العقل، أو دليل السمع، أو دليل المشاهدة؛ كما وقع ذلك للرسول ﷺ في مشاهدة الملائكة والجن وأحوال البرزخ والمعاد(٢).

وقد رد الفخر الرازي على النصارى دعواهم إلهية عيسى عليه السلام لظهور الخوارق على يديه، بأن ذلك يقتضي تجويز إلهية غيره؛ لأن عدم ظهور هذه الخوارق في حق غيره لا يلزم منه عدم إلهية ذلك الغير، بل غاية ما هناك أنه لم يوجد هذا الدليل المعين، وعليه، فيجوز ـ كما هو لازم قولهم ـ حلول الله (تعالى) في كل مخلوق من مخلوقاته، إذ لا دليل

---

(١) شرح الكوكب المنير ص : ٣٧٤.

(٢) انظر : مجموعة تفسير ابن تيمية ص : ٣٥٠-٣٥١، والرد على المنطقيين ص : ١٠٠ ورفع الملام ص : ٧٣.

على اختصاص عيسى ﷺ بذلك؛ لأنه لا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول[١].

ويستثنى من هذا القاعدة ما إذا كان وجود المدلول عليه مستلزماً لوجود الدليل، وقد علم عدم الدليل، فيقع العلم بعدم المدلول عليه المستلزم لدليله؛ لأن عدم اللازم دليل على عدم الملزوم؛ **مثاله:**

قد ثبت توافر الدواعي على نقل كتاب الله (تعالى) ودينه، فإنه لا يجوز على الأمة كتمان ما يحتاج الناس إلى نقله، فلما لم يُنْقل ما يحتاجون إليه في أمر دينهم نقلاً عاماً، علمنا يقيناً عدم ذلك، نحو سورة زائدة، أو صلاة سادسة ونحو ذلك[٢].

وكذلك ما تتوافر الهمم على نقله، يدل عدم نقله على عدم وقوعه كالأمور العظام؛ كموت مَلِك، وتبدل مُلك، وبناء مدينة ظاهرة، وحدوث حادث عظيم في المسجد أو البلد أو نحو ذلك مما يشترك الناس فيه وفي نقله إذا وقع، فإذا لم ينقل نقلاً عاماً بل نقله واحد عُلِم أنه كذب[٣].

القاعدة الرابعة عشرة

ليس من شرط الدليل الاستدلال به

فالدليل الدال على المدلول عليه ليس من شرط دلالته استدلال أحد

(١) انظر : مناظرة في الرد على النصارى ص : ٢٦-٢٧.

(٢) انظر : رفع الملام ص : ٧٣-٧٤.

(٣) انظر : النبوات ـ ابن تيمية ص : ١٧٥-١٧٦.

به، بل ما كان النظر الصحيح فيه موصلاً إلى علم فهو دليل، وإن لم يستدل به أحد. فالآيات التي يجريها الله (تعالى) على يد النبي أدلة وبراهين تدل على الحق؛ سواء استدل بها النبي أو لم يستدل، وما لا يدل إذا لم يُستدل به لا يدل إذا اُستُدِل به، ولا ينقلب ما ليس بدليل دليلاً إذا اسْتَدَلَّ به مدعٍ لدلالته، مثال ذلك:

ما وقع للنبي ﷺ من آيات كتكثير الطعام، ونبع الماء، فهذا دليل، وإن لم يستدل به، أو لم يتحدَّ به فلم يكن يظهرها للاستدلال بها، ولا يتحدى بالإتيان بمثلها، بل لحاجة المسلمين إليها. وكذلك إخبار من تقدم بنبوته فإنه دليل على صدقه ﷺ، وإن كان هو لم يعلم بما أخبروا به، ولا يستدل به.

فآيات الأنبياء ليس من شرطها استدلال النبي بها، ولا تحديه بالإتيان بمثلها، بل هي دليل على نبوته وإن خلت عن هذين القيدين.

وفي المقابل: ما استدل به الكذابون كمسيلمة، والأسود العنسي وغيرهما لا يكون دليلاً وإن استدلوا به، فما لا يكون دليلاً لا ينقلب إلى دليل باستدلال مستدل به.[(١)]

القاعدة الخامسة عشرة

في لازم المذهب

أولاً: ينبغي أن يعلم أن اللازم من قول الله (تعالى) وقول رسوله ﷺ إذا صح أن يكون لازماً فهو حق، يُثبت ويُحكم به؛ لأن كلام الله

---

(١) انظر : النبوات ـ ابن تيمية ص : ١٠٦.

ورسوله حق، ولازم الحق حق؛ ولأن الله (تعالى) عالم بما يكون لازماً من كلامه وكلام رسوله، فيكون مراداً[١].

وكذلك قول الإنسان إما أن يكون موافقاً للكتاب والسنة، فيكون حقاً، ولازمه حقاً، وإما أن يكون مخالفاً للكتاب والسنة، فيكون باطلاً ولازمه باطلا[٢].

ثانياً: اللازم من قول العالم له ثلاث حالات:[٣]

الحالة الأولى: أن يذكر له لازم قوله فيلتزمه، مثل: أن يقال لمن يثبت وزن الأعمال في الآخرة: يلزمك القول بجواز وزن الأعراض. فيقول المثبت: نعم ألتزم به، لأن أحوال الآخرة تختلف عن أحوال الدنيا، والله (تعالى) على كل شيء قدير، ثم إنه قد وجد في زماننا هذا موازين للحرارة والبرودة والرطوبة والإضاءة والضغط ونحو ذلك من الأعراض.

وهذا اللازم يجوز إضافته إليه إذا عُلم منه أنه لا يمنعه.

---

(١) انظر : القواعد المثلى ـ العثيمين ص:١١-١٢.

(٢) انظر : القواعد النورانية ـ ابن تيمية ص : ١٢٨ .

(٣) انظر : القواعد النورانية ص : ١٢٨-١٢٩، ومجموع فتاوى ابن تيمية ٢١٧/٢٠، ٢٨٨/٣٥، وطريق الهجرتين ـ ابن القيم ص : ٢٣٧-٢٣٨ ، والقواعد المثلى ص : ١٢-١٣.

الحالة الثانية: أن يُذكر له لازم قوله، فيمنع التلازم بينه وبين قوله، مثل أن يقول نافي الصفات لمن يثبتها: يلزمك أن يكون ا لله (تعالى) مشابهاً للخلق في صفاته، فيقول المثبت: لا يلزم ذلك؛ لأننا عندما أضفنا الصفات إلى الخالق سبحانه قطعنا توهم الاشتراك والمشابهة، كما أنك أيها النافي للصفات، تثبت ذاتاً لله (تعالى) وتمنع أن يكون ا لله مشابهاً للخلق في ذاته، فقل ذلك ـ أيضاً ـ في الصفات إذ لا فرق بينهما.

وهذا اللازم لا يجوز إضافته إليه بعد أن بين هو وجه امتناع التلازم بين قوله وبين ما أضيف إليه.

الحالة الثالثة : أن يكون اللازم مسكوتاً عنه فلا يُذكر بالتزام ولا منع، فهذا حكمه أن لا ينسب إليه؛ لأنه إذا ذُكر له اللازم: فقد يلتزمه، وقد يمنع التلازم، وقد يتبين له وجه الحق فيرجع عن اللازم والملزوم جميعاً.

ولأجل هذه الاحتمالات، فلا ينبغي إضافة اللازم إليه، ولا سيما أن الإنسان بشر وتعتريه حالات نفسية وخارجية توجب له الذهول عن اللازم، فقد يغفل، أو يسهو، أو ينغلق فكره، أو يقول القول في مضايق المناظرات من غير تدبر في لوازمه، ونحو ذلك.

قال ابن تيمية رحمه ا لله: «ولو كان لازم المذهب مذهباً، للزم تكفير كل من قال عن الاستواء أو غيره من الصفات إنه مجاز ليس

بحقيقة؛ فإن لازم هذا القول يقتضي أن لا يكون شيء من أسمائه أو صفاته حقيقة»[1].

لكن قد تذكر اللوازم الباطلة ـ لا سيما عند المناظرة ـ لإظهار شناعة المذهب الباطل (الملزوم)؛ لأن العاقل إذا نبه إلى ما يلزم قوله من اللوازم الفاسدة قد ينتبه ويرجع عن قوله الباطل.

وهناك فائدة أخرى وهي: حماية السامع من تطرق المذاهب الباطلة إلى نفسه حينما يقف على لوازمها الفاسدة.

لكن أهل البدع ـ لاضطرابهم وتناقضهم ـ قد يفر الواحد منهم من اللازم الحق ليقع في اللازم الباطل، وهو يظن في ذلك السلامة: كالقدري يفر من لازم كون الله يضل من يشاء، فيقع في لازم كونه يقع في ملكه ما لا يشاء. وكذلك منكر الصفات يفر من التشبيه ـ بزعمه ـ فيقع في التعطيل، بل قد يقع في التعطيل التام فلا يعرف إلهاً موجوداً معبوداً !!

القاعدة السادسة عشرة

الاستدلال على المسألة المتنازع فيها إنما يكون بالدليل المتفق عليه

الخصمان إما أن يتفقا على أصل يرجعان إليه أم لا، فإن لم يتفقا على شيء لم تقع بمناظرتهما فائدة، وإذا كانت الدعوى لا بد لها من دليل، وكان الدليل عند أحد الخصمين متنازعاً فيه، ليس عنده بدليل، صار الإتيان به عبثاً لا يفيد فائدة ولا يحصل مقصوداً، إذ المقصود من المناظرة

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٠/٢١٧.

ردُّ الخصم إلى الصواب بطريق يعرفه، فلا بد من الرجوع إلى دليل يعرفه الخصم السائل معرفة الخصم المستدل:

ولهذا كان الرجوع عند المسلمين إلى الكتاب والسنة، لاتفاقهم عليهما، فقد طلب عبد العزيز المكي ـ عند مناظرته لبشر المريسي ـ من المأمون أن يؤصل هو ومناظره أصلاً يرجعان إليه عند التنازع والاختلاف في شيء من الفروع، إذ التناظر من غير أصل يُرْجَعُ إليه كالسائر على غير الطريق، وصاحبه لا يعرف الطريق فيتبعها، ولا يعرف الموضع الذي يريده فيقصده، وهو لا يدري من أين جاء فيرجع؛ فيطلب الطريق، فهو على ضلال أبداً. قال عبدالعزيز المكي: «فإذا اختلفنا في شيء من الفروع رددناه إلى الأصل إن وجدناه فيه، وإلا رميناه، ولم نلتفت إليه». والأصل الذي يرجع إليه هو ما علَّمه الله (تعالى) لعباده المؤمنين وأدبهم به، واختاره لهم، وهو الرجوع إلى الكتاب والسنة؛ قال (تعالى): ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ الرسول﴾ [سورة النساء: ٥٩][(١)].

أما المرجوع إليه عند التنازع مع غير المسلمين فهو ما يسلم به الكفار من الحق، كما قال (تعالى) ـ في محاجة الكفار ـ: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا

---

(١) انظر الحيدة ص: ٢٤-٢٥.

يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ * بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [سورة المؤمنون: ٨٤-٩٠][1].

القاعـدة السابعة عشرة

الجمع بين المتماثلات والتفريق بين المختلفات

وهي خاصة العقل الصحيح وصفة الفطرة السليمة، وعليها قامت أحكام الشرع، فالشيء يعطى حكم نظيره، وينفى عنه حكم مخالفه، ولا يجوز العكس بحال: وهو أن يفرق بين متماثلين، أو يجمع بين مختلفين:

قال الله (تعالى) في ذم اليهود: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [سورة البقرة: ٨٥] وذلك أنهم أغفلوا حكم التوراة في سفك الدماء وإخراج أنفسهم من ديارهم، وأقاموه ـ أي حكم التوراة ـ في مفاداة الأسرى[2] وكان الواجب عليهم إقامته في شأنهم كله.

وقال (تعالى) في شأنهم ـ أيضاً ـ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ﴾ [سورة البقرة: ٩١] فكفروا برسالة محمد ﷺ مع ما فيها من التصديق لما معهم من التوراة والإنجيل، والجميع يخرج من مشكاة واحدة؛ فكان الكفر ببعض ذلك كفراً بالجميع وجحداً له[3].

---

(١) انظر : الموافقات ٤/٣٣٥.

(٢) انظر : بدائع الفوائد ـ ابن القيم ٤/١٤٣-١٤٤، وتفسير ابن كثير ١/١١٦ .

(٣) انظر : تفسير ابن كثير ١/١٢٠ .

هذا في جانب التفريق بين المتماثلات، أما في جانب الجمع بين المختلفات، فقد قاس اليهود الرب جل جلاله على المخلوق الضعيف القاصر، فوصفوه (تعالى) بصفات المخلوقين، فقالوا:﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [سورة المائدة: ٦٤] وقالوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [سورة آل عمران: ١٨١] وقالوا:﴿عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ [سورة التوبة: ٣٠] وفيه إضافة الولد، بل والصاحبة، إلى الله (تعالى)، وذلك من صفات المخلوقات، ويشركهم في ذلك النصارى القائلون: ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [سورة التوبة: ٣٠].

فكل من فرَّق بين متماثلين أو جمع بين مختلفين من مبتدعة المسلمين يكون فيه شبه من اليهود والنصارى، وهم إمامه وسلفه في ذلك:

فنفاة الصفات: بعضها أو جميعها، أو الصفات دون الأسماء، أو الصفات والأسماء جميعاً، فرَّقوا بين المتماثلات؛ إذ القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر نفياً وإثباتاً، وكذلك القول في الصفات كالقول في الأسماء، وكذلك القول في الصفات والأسماء فرع عن القول في الذات[1].

وهم - أيضاً - قد جمعوا بين المختلفات؛ لأنهم لم يعتقدوا التعطيل إلا بعد أن قامت عندهم شبهة التشبيه؛ ولهذا كان كل معطل مشبهاً.

ونفاة القدر فرَّقوا بين المتشابهات والمتماثلات من وجه؛ حيث اعتمدوا النصوص التي تثبت قدرة العبد ومشيئته، وأنكروا النصوص التي

(١) انظر في ذلك : الرسالة التدمرية ص : ٢١ وما بعدها.

تثبت قدرة الخالق ومشيئته وخلقه وسابق علمه، وجمعوا بين المختلفات من وجه؛ حيث قاسوا الخالق على المخلوق، وجعلوهما سواء فيما يجوز ويجب ويمتنع. قال ابن قتيبة[(١)] رحمه الله: «ألا ترى أن أهل القدر حين نظروا في قدر الله الذي هو سره بآرائهم وحملوه على مقاييسهم؛ أرتهم أنفسهم قياساً على ما جُعل في تركيب المخلوق من معرفة العدل من الخلق على الخلق، أن يجعلوا ذلك حَكَمَاً بين الله وبين العبد، فقالوا بالتخلية والإهمال، وجعلوا العباد فاعلين لما لا يشاء وقادرين على ما لا يريد، كأنهم لم يسمعوا بإجماع الناس على: ما يشاء الله كان وما لا يشاء لا يكون».

والوعيدية من الخوارج والمعتزلة فرَّقوا بين نصوص الوعد والوعيد، فآمنوا بنصوص الوعيد دون نصوص الوعد، والجميع يخرج من مشكاة واحدة، وفي المقابل المرجئة آمنوا بنصوص الوعد دون نصوص الوعيد.

والشيعة فرَّقوا بين الصحابة ﷺ، فتولوا آل البيت منهم وعادوا غيرهم، والواجب موالاتهم جميعاً. وجمعوا بين الرسول ﷺ وبين غيره في إثبات العصمة، حيث ساقوها في أئمتهم، والواجب التفريق في ذلك بين الرسل وغيرهم من الناس.

وممن خالف هذه القاعدة ـ أيضاً ـ مَنْ فرَّق بين الكتاب والسنة، فاعتمد الكتاب دون السنة، وكذلك مَنْ فرَّق بين نصوص الأحكام فاعتمدها، وبين نصوص العقائد فأعرض عنها بتأويل أو تفويض، أو

---

(١) اختلاف اللفظ ص :١٢-١٣.

تكذيب إن كانت أحاديث آحاد، وكذلك منْ فـرَّق بـين السنة المتواتـرة وسنة الآحاد في باب العقائد أو الأحكام.

فكل هؤلاء واقعون في التناقض والاضطراب، والواجب عليهم الجمع بين المتماثلات، والتفريق بين المختلفات حتى يسلموا مما هم فيه.

القاعـدة الثامنة عشرة

المعارضة الصحيحة هي التي يمكن طردها

قال (تعالى) : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٨].

فلمّا سوَّى الملحد نفسـه بـا لله (تعـالى) في ادعائـه الإحيـاء والإماتـة، طالبه إبراهيم الخليل بطرد المساواة، وهي أن من حقوق الربوبية التصـرف في الكون، وفي كواكبه وأجرامه، ومن ذلك أن ا لله (تعالى) يُسيِّر الشمس من المشرق إلى المغرب، فإن كنت صادقاً في ادعاء المساواة لله (تعـالى) في الإحياء والإماتة، فاعكس حركة هذه الشمس، واجعلها تسير من المغـرب إلى المشرق : ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٨][(١)].

وكذلك يقال ـ مثلاً ـ لنفاة بعـض الصفـات بقصـد التنزيـه: اطـردوا حجتكم وانفوا سائر الصفات، بل وسـائر الأسمـاء، حتـى صفـة الوجـود؛ لأن المخلوق يتصف بها، فمن طرد منهم لم يبق عنـد إلـه يعبـد، ولا رب

(١) انظر : تفسير ابن كثير ١/٢٩٦ ، ومختصر الصواعق المرسلة ١/١٠٩.

يصلي له ويسجد، ومن فرق بقي في التناقض، والسعيد من أثبت الصفات جميعاً مع نفي التشبيه والمماثلة بين الخالق والمخلوق في شيء منها.

القاعـدة التاسعة عشرة

في مخاطبة أهل الاصطلاح باصطلاحهم الخاص

قد يتكلَّم المخالف باصطلاحه الخاص الـذي اصطلحـه مخالفاً بـه مـا عليه الشرع من الألفاظ؛ فقد يعبر عن المعاني التي أثبتها الشـرع بعبـارات أخرى ليست فيه، أو أنها فيه لكن جاءت بمعان أخر، بل قد يكون معناها المعروف في لغة العرب الـتي نـزل بهـا القـرآن منتفيـاً بـاطلاً نفـاه الشـرع والعقل.[1] كلفظ التوحيد عند الطوائف المنحرفة:

فالتوحيد عند الفلاسفة يعنون به إثبـات الوجـود المطلـق، مجـرداً عـن الماهية والصفة.

وعنـد الاتحاديـة وأصحـاب وحـدة الوجـود: التوحيـد هـو أن الـرب (تعالى) عين كل موجود.

وعند الجهمية: التوحيد هو إنكـار صفـة العلـو لله (تعـالى) والكـلام والسمع والبصر وغير ذلك من الصفات الـتي ثبتـت بالسـمع، ودل عليهـا العقل.

وعنـد القدريـة: التوحيـد هـو إنكـار قـدرة الله وعمـوم مشـيئته في الكائنات وقدرته عليها.

(١) انظر : درء تعارض العقل والنقل ٢٢٣/١.

ويدخل في ذلك ـ أيضاً ـ نحو التكلُّم بالألفاظ المجملة كلفظ الجهة، والحيز والمكان والجسم وغير ذلك.

فيبقى المخاطِب لهم والراد عليهم متردداً بين أمور:

الأول : أن يخاطبهم بغير اصطلاحهم، بل بالألفاظ والمعاني الشرعية، فحينئذ قد يقولون: إنا لا نفهم ما قيل لنا، أو أن المخاطِب لنا والراد علينا لم يفهم قولنا ومرادنا، ويلبسون على الناس ، بأن الذي عنيناه بكلامنا حق معلوم بالعقل أو بالذوق، وأنه موافق للشرع.

الثاني : أن يخاطبهم بلغتهم واصطلاحهم ـ وقد يكون ذلك مخالفاً لألفاظ القرآن في الظاهر ـ فحينئذ قد ينسبون المخاطب لهم إلى أنه أطلق تلك الألفاظ التي تحتمل حقاً وباطلاً، وأوهموا الجهال باصطلاحهم الخاص.

الثالث : أن يمتنع عن موافقتهم في التكلم بها نفياً وإثباتاً، بل يستفصل عن مرادهم: فإن أرادوا بهذه الألفاظ حقاً قبل، وإن أرادوا باطلاً رد، وهنا قد ينسبونه إلى العجز والانقطاع.[1]

فحينئذ تختلف المصلحة؛ فيختار المخاطب لهم الأسلوب الأمثل في مخاطبتهم والرد عليهم، وذلك بحسب ما يقتضيه المقام.[2]

فإن كانوا في مقام دعوة الناس إلى قولهم وإلزامهم به، أمكن أن يقال لهم: لا يجب على أحد أن يجيب داعياً إلا إلى ما دعا إليه رسول الله

(١) انظر : درء تعارض العقل والنقل ٢٢٣/١، ٢٢٩.

(٢) انظر : المرجع السابق ٢٢٩/١ وما بعدها .

ﷺ فما لم يثبت أن الرسول دعا الخلق إليه، لم يكن على الناس إجابة من دعا إليه، ولا له دعوة الناس إلى ذلك.

ومثل هذا فعله شيوخ السنة بين يدي ولاة الأمور في مناظراتهم لرؤوس المعتزلة والجهمية[١].

أما إن كان المخالف معارضاً للشرع بما يذكره، أو كان غير ملتزم بالشريعة: فهؤلاء لا بد في مخاطبتهم من الكلام على المعاني التي يدعونها: إما بألفاظهم، وإما بألفاظ يوافقون على أنها تقوم مقام ألفاظهم ، وإن أمكن نقل معانيهم إلى العبارة الشرعية كان حسناً، وإن لم يمكن مخاطبتهم إلا بلغتهم، فبيان ضلالهم، ودفع صيالهم عن الإسلام بلغتهم، أولى من الإمساك عن ذلك لأجل مجرد اللفظ:

قال الخطيب البغدادي[٢] رحمه الله: «قد يعبر السائل عن المسألة بالاسم الذي تعرف به المسألة، ولا يكون ذلك تسليماً منه للاسم فيها... وقد ورد القرآن بذلك؛ قال (تعالى) مخبراً عن فرعون أنه قال: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [سورة الشعراء: ٢٧] فلم يقل له موسى: قد اعترفت بأني رسول إليهم وادعيت أني مجنون، فلا يقبل ذلك

---

(١) انظر مثلا : كتاب الحيدة ، والشريعة للآجري ص : ٦٢-٦٤ ، ومناظرة الإمام أحمد. وقد مرَّ ذكرها

(٢) الفقيه والمتفقه ٥٢/٢.

منك، وقد سقط عني قيام الدلالة على رسالتي [بتسليمك][١] أني رسول إليهم».

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وأما مخاطبة أهل الاصطلاح باصطلاحهم ولغتهم فليس بمكروه إذا احتيج إلى ذلك، وكانت المعاني صحيحة، كمخاطبة العجم من الروم والفرس والترك بلغتهم وعرفهم، فإن هذا جائز حسن للحاجة...»[٢].

فمخاطبة أهل الاصطلاح بلغتهم واصطلاحهم يفيد من وجوه:

الأول: أنهم يفهمون الحجة.

الثاني: أن ذلك يكون أبلغ في الرد عليهم، وكسرهم.

الثالث: بيان تمكن أهل الحق من معاني مسائلهم وعرضها بأي أسلوب يقتضيه الموقف.

وقد استعمل شيخ الإسلام ابن تيمية هذا الأسلوب في كثير من مصنفاته التي فيها الرد على أهل الكلام والفلسفة، مثل كتاب درء تعارض العقل والنقل، والرد على المنطقيين، وكذلك رأيتُ الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله يصنع ذلك حين يستخدم المنطق في الرد على من يؤمنون به[٣].

---

(١) في الأصل : [بتسميتك] ، ولعل ما أثبته هو الصواب، كما نبه إليه محقق الكتاب .
(٢) درء تعارض العقل والنقل ٤٣/١ .
(٣) انظر : أضواء البيان ١٤٨/٤-١٥٠.

القاعدة العشرون

التوقف عند الإيهام والاستفصال عند الإجمال

إذا أورد المنازع لفظاً مجملاً يحتمل حقاً وباطلاً، لم يكن لنا إثبات اللفظ أو نفيه، بل الواجب التوقف، وليس ذلك لخلوِّ النقيضين عن الحق، ولا لقصور أو تقصير في بيان الحق، ولكن لأن اللفظ مجمل، والعبارة موهمة مشتملة على الحق والباطل، ففي إثباتها إثبات الحق والباطل، وفي نفيها نفي الحق والباطل، فالواجب الامتناع عن كلا الإطلاقين، ثم الاستفسار عن مراد صاحبها بها، فإن أراد بها حقا قُبِل، وإن أراد بها باطلاً رُدَّ[1].

وبعد اختيار المعنى الصحيح المراد من العبارة الموهمة، يمتنع من إطلاقها، ويركب للمعنى لفظه الشرعي، حتى ينتفي عنه الإيهام والإجمال. مثال ذلك:

لفظ الجهة لله (تعالى)[2]: فلو سأل سائل: هل تثبتون لله (تعالى) الجهة؟

الجواب: لفظ الجهة لم يرد في الكتاب ولا في السنة، لا إثباتاً ولا نفياً، وهو مجمل محتمل، ويغني عنه ما ثبت في الكتاب والسنة من أن الله (تعالى) في السماء. أما الجهة، فقد يراد بها جهة سفل، أو جهة علو تحيط بالله (تعالى) ، أو جهة علو لا تحيط به:

---

(١) انظر : درء تعارض العقل والنقل ٧٦/١ ومجموعة تفسير ابن تيمية ص : ٣٥٢

(٢) انظر : القواعد المثلى ـ العثيمين ص : ٣١.

أما المعنى الأول فباطل؛ لمنافاته العلو لله (تعالى) الثابت بالكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطرة.

وأما الثاني فباطل ـ أيضاً ـ لأن الله (تعالى) أعظم من أن يحيط به شيء من خلقه.

وأما المعنى الثالث: فحق يجب إثباته وقبوله؛ لأن الله (تعالى) هو العلي الأعلى، ولا يحيط به شيء من مخلوقاته.

يقول طاش كبرى زاده في أصول المناظرة:[1]

وليُجْتَنَب فيها عن الإطناب ثم عن الإيجاز والخطاب
إلى رفيع القدر والمهابة وعن كلام شابه الغرابة
ومجمل من غير أن يُفصَّلا كذا تعرضٌ لما لا مدخلا

ولهذا يوجد كثيراً في كلام السلف النهي عن إطلاق النفي أو الإثبات في مثل هذه المواطن:

قال الإمام أحمد[2] رحمه الله: «... فالجواب للجهمي إذا سأل فقال: أخبرونا عن القرآن، هو الله أو غير الله؟ قيل له: وإن الله جل ثناؤه لم يقل في القرآن: إن القرآن أنا ولم يقل: غيري، وقال: هو كلامي، فسميناه باسم سماه الله به، فقلنا: كلام الله، فمن سمى القرآن باسم سماه الله به كان من المهتدين، ومن سماه باسم غيره كان من الضالين».

---

(١) منظومة آداب البحث والمناظرة ضمن مجموع المتون ص : ٤٤٦ .

(٢) الرد على الجهمية ص : ٧٢.

وفي كتاب السنة[١] للخلال: سئل الزبيدي(١٤٦هـ) والأوزاعي (١٥٧هـ) عن الجبر، فقال الزبيدي: «أمر الله أعظم، وقدرته أعظم من أن يجبر أو يعضل، ولكن يقضي ويقدر ويخلق عبده على ما أحبه».

وقال الأوزاعي: «ما أعرف للجبر أصلاً من القرآن ولا السنة، فأهاب أن أقول ذلك، ولكن القضاء والقدر والخلْق والجبْل، فهذا يعرف في القرآن والحديث عن رسول الله ﷺ».

قال ابن تيمية[٢]: «فهذان الجوابان اللذان ذكرهما هذان الإمامان في عصر تابعي التابعين من أحسن الأجوبة... وجواب الأوزاعي أقوم من جواب الزبيدي، لأن الزبيدي نفى الجبر، والأوزاعي منع إطلاقه، إذ هذا اللفظ قد يحتمل معنى صحيحاً، فنفيه قد يقتضي نفي الحق والباطل». وكذلك إثباته يقتضي إثبات الحق والباطل، والصواب الإعراض عنه، أو التفصيل في الجواب.

وأورد الذهبي رحمه الله في كتابه: العلو[٣] من كلام أبي بكر محمد ابن الحسن الحصري القيرواني والذي ساق أقوال جماعة من العلماء في مسألة الاستواء، ثم قال: «وهذا هو الصحيح الذي أقول به من غير تحديد

---

(١) ص : ٥٥٥ برقم : ٩٣٢ ، ونقل هذا النص ابن تيمية في درء التعارض ٦٦/١ ، ومجموع الفتاوى ٤٣٠/٥-٤٣١، ١٠٤/٨-١٠٥.

(٢) درء تعارض العقل والنقل ٦٧/١،٦٩.

(٣) ص : ١٥٨.

ولا تمكن في مكان ولا كون فيه ولا مماسة». قال الذهبي معلقاً: «سلب هذه الأشياء وإثباتها مداره على النقل، فلو ورد شيء بذلك لنطقنا به، وإلا فالسكوت والكف أشبه بشمائل السلف».

«فإن المناظرة بالألفاظ المحدثة المجملة المبتدعة المحتملة للحق والباطل إذا أثبتها أحد المتناظرين ونفاها الآخر، كان كلاهما مخطئاً، وأكثر اختلاف العقلاء من جهة اشتراك الأسماء، وفي ذلك من فساد العقل والدين ما لا يعلمه إلا الله، فإذا ردَّ الناس ما تنازعوا فيه إلى الكتاب والسنة، فالمعاني الصحيحة ثابتة فيهما، والمحق يمكنه بيان ما يقوله من الحق بالكتاب والسنة ولو كان الناس محتاجين في أصول دينهم إلى ما لم يبينه الله ورسوله لم يكن الله قد أكمل للأمة دينهم، ولا أتم عليهم نعمته»[(١)].

القاعدة الحادية والعشرون

القطع والظن من الأمور النسبية الإضافية

كون العلم ـ أو الدليل ـ بديهياً أو نظرياً، قطعياً أو ظنياً، هو من الأمور النسبية الإضافية التي تختلف باختلاف المدرك المستدل؛ فقد يكون قطعياً عند زيد، ما لا يعرفه غيره إلا بالنظر، ومن اعتقد أن القطع والظن صفة لازمة للدليل بحيث يشترك في ذلك جميع الناس فقد غلط وخالف

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ١/٢٣٣.

الواقع والحس[١].

وعليه، فمن أنكر بعض الأحاديث بحجة أنها ظنية، فهذا إخبار منه عن حاله، إذ لم يحصل له من الطرق ما يفيده العلم والقطع، ولا يلزم من ذلك النفي النفي العام، حتى يكون غيره من أهل الحديث والسنة لم يحصل له العلم والقطع بمدلول تلك الأحاديث:

فيقال للمنكر: اصرف عنايتك إلى ما جاء به الرسول، واحرص عليه وتتبعه واجمعه، واجعل ذلك غاية طلبك ونهاية قصدك، حتى يحصل لك من العلم اليقيني ما حصل لغيرك، أما مع إعراضك عنه وعن طلبه، فلو قلت: إنه لا يفيدك ظناً فضلاً عن اليقين، كنت صادقاً في الإخبار عن نفسك، وعن حظك ونصيبك منها[٢].

وما يذكره كثير من أهل الكلام من وجوب القطع في المسائل الخبرية والتي قد يسمونها مسائل الأصول، وقد يوجبون القطع فيها على كل أحد، فهذا الإطلاق والتعميم ليس بصحيح، بل هو خطأ مخالف للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وأئمتها، بل ما أوجب الله فيه العلم واليقين وجب فيه ذلك، كما في قوله (تعالى) : ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة المائدة: ٩٨] وقوله (تعالى) : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [سورة محمد: ١٩] وأما ما تنازع فيه الناس من المسائل الدقيقة والتي قد

(١) انظر : الرد على المنطقيين ص : ١٣ ، ومختصر الصواعق ٤٣٢/٢

(٢) انظر : مختصر الصواعق المرسلة ٤٣٢/٢-٤٣٣.

تكون عند كثير منهم، لا يقدر الواحد منهم فيها على دليل يفيد اليقين، لا شرعي ولا غيره، لم يجب على مثل هذا في ذلك ما لا يقدر عليه، وليس عليه أن يترك ما يقدر عليه من اعتقاد قول غالب على ظنه، لعجزه عن تمام اليقين، بل ذلك هو الذي يقدر عليه، ولا سيما إذا كان موافقاً للحق، فالاعتقاد المطابق للحق ينفع صاحبه ويثاب عليه، ويسقط به الفرض، إذا لم يقدر على أكثر منه.

ثم إن هؤلاء المتكلمين من أبعد الناس عما أوجبوه، بل تجدهم يحتجون بما هو أقرب إلى الأغلوطات منه إلى الظنيات فضلاً عن القطعيات، بل تجد الواحد منهم كثيراً ما يقطع بصحة حجة في موضع، ويقطع ببطلانها في موضع آخر، بل منهم من عامة كلامه كذلك(١).

القاعدة الثانية والعشرون

هل على النافي دليل؟(٢)

إذا سأل المناظر خصمه عن شيء فأجابه ثم سأله عن دليله، فقال: لا دليل على خلاف ما قلت، فمن ادعى خلافه فعليه الدليل. أو قال: خلاف ما قلت لا يصح، وأنا ناف، وليس على النافي دليل. أو لم يقم دليل على خلاف ما قلت، فمن ادعاه فعليه الدليل.

فهل يكون مَنْ هذا وصفه مقيماً للحجة، يلزم الخصم الكلام عليه؟

(١) انظر : درء تعارض العقل والنقل ١/٥٢-٥٣.

(٢) انظر : الكافية في الجدل ص : ٣٨٦ وما بعدها ، وشرح الكوكب المنير ص : ٤٠٨.

جمهور العلماء على أنه لا يكون مقيماً للحجة، فإن أصرَّ عليه أُعْرِض عن مناظرته. وخالف قوم فقالوا: يكون مقيماً للحجة.

ومن أدلة صحة مذهب الجمهور، وضعف مذهب مخالفيهم:

١- أن يقال للنافي: أنفيت ما نفيت بحجة؟ أم لا بحجة؟ فإن قال: لا بحجة. أُمسك عنه. وإن قال: بحجةٍ نفيتُ، طُولب بإيرادها. ووقع فيما أنكر وناقض نفسه، وخالف مذهبه.

٢- يصح ـ على مذهبهم ـ أن يقول مدعي الرسالة: خلاف ما ادعيت لا يصح، وأنا ناف، وليس علي البرهان. فلا يطالب به. وهو ظاهر الفساد.

٣- أن النافي ينفي ما ينفي ليثبت نقيضه وعكسه، فقد ادعى الإثبات بنفي الحجة، وذلك نقض قوله.

٤- يلزم على مذهبهم أن يكون نافي الخالق والصفات والرسل وتحريم الفواحش غير مطالب بإقامة الدليل، بل يصوَّب في جميعها؛ لأنه أقام الدليل بقوله: أن لا دليل.

٥-قول النافي: لا دليل علي، إما أن يريد به على المسألة دليل، لكن لا يجب عليه إيراده. فإن قال: لا دليل على النفي أصلاً، ولا هو معلوم ضرورة، استحال النفي ووجب الإثبات. وإن قال عليه دليل ولا يلزمني إيراده؛ لأني ناف. قيل له: وعلى إثبات ما نفيت دليل، وليس

يجب إيراده. فلا يجد عنه فصلاً، وسقط في الحال في مناظرته، ومؤونة كلامه بأول وهلة.

القاعدة الثالثة والعشرون

الحجة الصحيحة لا يقدح فيها عجز صاحبها عن تقريرها

قال أبو محمد بن حزم[1] رحمه الله: «والفلج في المناظرة هو ظهور البرهان الحقيقي فقط، وليس انقطاع الخصم فلجاً، فقد ينقطع جهلاً أو خوفاً أو لشغل بال طرقه، وكل ذلك ليس قطعاً للحق إن كان بيده، وليست شهادة الحاضرين بالغلبة لأحدهما شيئاً، إذ قد يكونون موافقين في رأيهم لرأيه الذي شهدوا له، فسبيلهم وسبيله واحد، والإنصاف في الناس قليل. وقد يكونون غير محصلين ما يقولون ولا فهماء بما يسمعون وهذا كثير جداً. وأما من انقطع عن معارضة خصمه عجزاً عن الجواب لا لخوف مانع فهو المغلوب لا قوله، وإن كان ذلك عن حقيقة برهان فهو مغلوب وقوله معاً، ولا يضر ما صح من البرهان عجز معتقده عن نصره، ولا يقوى ما لم يصح ببرهان لتمويه من مموه في نصره بالسفسطة. والبرهان لا يتعارض أبداً، فما صحَّ ببرهان فلا يبطله برهان آخر أبداً، إلا أن يكون مما يستحيل، كبرهان صحَّ بحياة زيد أمس ثم صحَّ آخر بموته اليوم. وهكذا كل ما يمكن تنقله لا ينتقل بشيء مما ذكرنا مما صحَّ ببرهان إلا ببرهان آخر، وإلا فحكم البرهان الأول باق. ولا ينتقل الشيء عن

(١) التقريب لحد المنطق ص : ١٨٨ (بتصرف) .

الإمكان إلى الوجوب إلا ببرهان، ولا ينتقل بعد الوجوب إلى الإمكان إلا ببرهان، والمعاندة والمكابرة عار وإثم وسخف».

وقال رحمه الله [(١)] في موضع آخر: «إن قصَّر مقصِّر عن إقامة البرهان على حق يعتقده، فذلك لا يضر الحق شيئاً. ولا يفرح بهذا من خصمه إلا الذي يفرح بالأماني، وهو الأحمق المضروب به المثل... ».

القاعدة الرابعة والعشرون

لا يقدح في البرهان العجز عن الإتيان بما لا يكون في المُكنة البشرية

ليس على المرء أكثر من نصر الحق وتبيينه، ثم ليس عليه أن يصور للحواس أو في النفوس ما لا سبيل إلى تصويره، ولا ما لا صورة له أصلاً [(٢)]، ومن ذلك عناد الكفار حين يطالبون رسلهم بخرق العادة، وإتيانهم بما لا يكون في مقدور البشر، وقد حكى الله (تعالى) ذلك عن مشركي قريش، كما في قوله: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ [سورة الإسراء: ٩٠-٩٣].

---

(١) التقريب لحد المنطق ص : ١٩٣.

(٢) انظر : المرجع السابق ص : ١٩٢.

قال أبو محمد بن حزم[(١)] رحمه الله: «ولقد امتحنت مرة ببعض أصدقائنا، فإنه سامنا أن نريه العرض منخزلاً عن الجوهر قائماً بنفسه، وقال لي: إن لم تُرني ذلك، فإني لا أصدق بالعرض. فلست أحصي كم مثَّلْتُ له تربيع الطين ثم تدويره، وذهاب التربيع وبقاء الطين بحسبه، وحركات المرء من قيامه وقعوده، وحمرة الثوب بعد بياضه، فأبى كل ذلك إلا أن أريه العرض مُزالاً عن الجوهر باقياً بحسبه يراه في غير جوهر، فلا أحصي كم قلت له: إن العرض لو قام بنفسه، وكان كما تريد مني لم يكن عرضاً، وإنما هو عرض لأنه بخلاف ما تريد، فَلَجَّ. فعدت إلى أن قلت له مهازلاً: لو أمكنك إخراجي عن كرة العالم، فربما كان يمكن حينئذ لو أمكن انخزال العرض عن الجوهر، ولا سبيل إلى كل ذلك أن تراه في غير جوهر؛ فأما والعالم كله كرة مصمتة وجوهرة متصلة، متجاورة الأجزاء، لا تخلخل فيها ولا خلل، فحتى لو انفصل العرض من جوهر ما، وجاز أن يبقى بعد انفصاله عنه، لما صار إلا في جوهر آخر. فما ردعه هذا الهزء عما هجس في نفسه، وفارقته آبياً، فما أدري أوفق بعدي لرفض هذا المراء الهائج أم لا».

ثم قال رحمه الله: «فليس مثل هذا التكليف الفاسد وكون المرء لا تتشكل له الحقائق بقادح في البرهان، ولا بمُلتَفَتٍ إليه. وكفى من ذلك وحسبنا قيام صحة ذلك في النفس بدلالة العقل على أنه حق فقط، ولو

---

(١) التقريب لحد المنطق ص : ١٩٢-١٩٣.

جاز لكل من لا يتشكل في نفسه شيء أن ينكره لجاز للأخشم أن ينكر الروائح، والذي وُلد أعمى أن ينكر الألوان، ولنا أن ننكر الفيل والزرافة وكل هذا باطل».

القاعدة الخامسة والعشرون

هل الحلف على المسألة يُعَدُّ حجة مستقلة ؟

قد يحتاج المناظر ـ في حال الكلام واشتداد الخاطر إذا وثق بما يقول ـ أن يقول: والله إنه لصحيح. فيقول له الخصم: ليس في يدك حجة، وهذا شيء لا يجيء بالأيمان، وخصمك ـ أيضاً ـ يحلف على ضد ما تقول.

وهذا صحيح. إلا أنه يستطيع أن يعتذر عن ذلك بقوله: ما حلفت ليلزمك يميني حجة، ولا أردت ذلك، ولكن أردت أن أعلمك ثقتي بما أقوله، وسكون نفسي إليه، وتصوري له على حد التصديق. وليس ذلك بمنكر؛ قال (تعالى) :﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ [سورة الذاريات: ٢٣] وقال:﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [سورة الحجر: ٩٢] ولا يجوز أن يقال: هذا القَسَم من الله لا فائدة فيه؛ لأن اليمين في ذلك ـ وإن كان لا يُخصم بها الملحد ـ فإنها تضعف نفسه، وتقوي نفس الموافق. وقد جاء مثله عن علي ابن أبي طالب ﷺ حيث قال: «والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي

الأمي ﷺ إلي أنه لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق».(١)

يقول ابن القيم رحمه الله: «يجوز للمفتي والمناظر أن يحلف على ثبوت الحكم عنده، وإن لم يكن حلفه موجباً لثبوته عند السائل والمنازع؛ ليُشعر السائلَ والمنازعَ له أنه على ثقة ويقين مما قال له، وأنه غير شاك فيه، فقد تناظر رجلان في مسألة فحلف أحدهما على ما يعتقده، فقال له منازعه: لا يثبت الحكم بحلفك. فقال: إني لم أحلف ليثبت الحكم عندك، ولكن لأعلمك أني على يقين وبصيرة من قولي، وأن شبهتك لا تغير عندي في وجه يقيني بما أنا جازم به.

وقد أمر الله نبيه ﷺ أن يحلف على ثبوت الحق الذي جاء به في ثلاثة مواضع من كتابه:

أحدهما : قوله (تعالى): ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ [سورة يونس: ٥٣].

والثاني : قوله (تعالى) :﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ﴾ [سورة سبإ: ٣].

والثالث : قوله (تعالى) :﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ [سورة التغابن: ٧].

---

(١) انظر : الفقيه والمتفقه ٢/٥٤ ، والحديث رواه مسلم في صحيحه ١/٨٦ كتاب الإيمان ـ باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي ﷺ من الإيمان ... ح : ٨٧ ، وانظر : الرياض النضرة في مناقب العشرة مج٢ ص ١٦٦ .

وقد أقسم النبي ﷺ على ما أخبر به من الحق في أكثر من ثمانين موضعاً، وهي موجودة في الصحاح والمسانيد»[١].

القاعدة السادسة والعشرون

الاصطلاحات الحادثة لا تُغيِّر من الحقائق شيئاً

قد يستخدم المبتدعة بعض الألفاظ الحسنة يصفون بها ما هم عليه من العقائد الفاسدة، رجاء قبولها عند ضعفاء الناس وشيوعها بينهم، ويستخدمون في حق منازعيهم من أهل السنة الألفاظ الذميمة والألقاب الشنيعة تنفيراً منهم، وتحقيراً لعلومهم:[٢]

فأهل الكلام يسمون ما عندهم من الكلام عقليات وقطعيات ويقينيات، ويسمون ما عند غيرهم من العلوم: ظواهر وظنيات.

ومحرفوا الكلم عن مواضعه يسمون تحريفهم تأويلاً ليروج ويقبل، ومن المعلوم أن التأويل في استعمال القرآن هو العاقبة التي يؤول إليها الأمر، وفي عرف السلف: تفسير الكلام وشرح معناه.

والمعطلة للصفات يسمون نفي الصفات تنزيهاً وتقديساً وتوحيداً، ويسمون إثباتها: تجسيماً وتشبيهاً وحشواً، ويلقبون مثبتيها بالمجسمة والمشبهة والحشوية.

---

(١) إعلام الموقعين ١٦٥/٤.

(٢) انظر : مختصر الصواعق ٨٧/١-٨٩ ، والغنية لعبد القادر الجيلاني ٧١/١.

والمتصوفة يسمون خيالاتهم الشيطانية: حقائق ومعارف يقينية، وقد يسمونها توحيداً، ويسمون ما عند أهل السنة: ظواهر ورسوماً وعوائق وحجباً. **وكل هذه الاصطلاحات لا ينبغي أن تغيّر من الحقائق شيئاً.**

القاعدة السابعة والعشرون

في من يبدأ بالكلام؟

إذا تنازع الخصمان الكلام أو التكليم، مثل أن يقول كل واحد منهما : أنا أسأل، أو يقول كل واحد منهما للآخر: أنت السائل. فهذا عجز من كليهما وقلة ثقة، إما بالقدرة على نصر القول الذي يريد بيانه، وإما بصحة القول نفسه، فإن كان من قلة ثقته بقدرته على نصر قوله فليتسع في العلم، ولا يتعرض للمناظرة، حتى يقوى، وهو كالجبان لا يحضر القتال فيوهن طائفته، وأما إن كان من قلة ثقته بصحة قوله، فهذا ملوم جداً في الإقامة على قول لا يثق بصحته. وواجب عليهما بالجملة الاتفاق على أمر يفتتحان به الكلام[1].

طريقة ابن حزم في ابتداء الكلام :

قال أبو محمد رحمه الله: «وأما نحن فطريقنا في ذلك تخيير الخصم أن يكون سائلاً أو مسئولاً، فأيهما تخير أجبناه، فإن رد الخيار إلينا، اخترنا بأن يكون هو السائل؛ لأن هذا العمل هو أكثر قصد الضعفاء، وعمدة

---

(١) انظر : التقريب لحد المنطق ص : ١٨٧.

مرغوبهم، وهم يضعفون إذا سئلوا، فنختار حسم أعذارهم، وتوفيتهم أقصى مطالبهم التي يظنون أنهم فيها أقوى، ليكون ذلك أقوى في قطع معالقهم، ثم إنه إن بدا له في ذلك واختار أن يسأل أجبناه إلى ذلك أيضاً، إذا أننا لا نقضي بذلك على غيرنا؛ لأنه ليس واجباً. فمن تخير أن يكون سائلاً وأذن له خصمه من ذلك فله أن يسأل، وليس له أن يتحكم فيترك ذلك وينتقل إلى أن يكون مسئولاً، فإن فعل فهذا عجز وخرق في حكم المناظرة، ونحن نختار للفاضل أن لا يضايق في ذلك رغبة منا في إظهار الحق، وقلة سرور بالغلبة...

ومن أَذِنَ لخصمه في أن يكون السائل، فواجب عليه في حكم المناظرة أن يجيب، فإن لم يفعل فعن ظلم أو جهل، إلا أن يكون هناك أمير مخوف، يمنع من البوح بالجواب، فلسنا نتكلم مع المخاوف، وإنما المناظرة مع الأمن، إلا من بذل نفسه لله (تعالى) وعرف ما يَطْلُبُ وما يَبْذُلُ من ذلك، فله الفوز إن أراد نصر الإسلام أو الحق...»[1].

القاعدة الثامنة والعشرون

في السؤال والجواب

السؤال على أربعة أضرب، يقابل كل ضرب منها ضرب من الجواب من جهة المسئول:[2]

(١) التقريب لحد المنطق ص : ١٨٧.

(٢) انظر : الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي ٢/٤٠ وما بعدها. وهي خمسة في شرح الكوكب المنير ص : ٣٧٤ .

١- السؤال عن المذهب. صورته: ما تقول في كذا. وجوابه من جهة المسئول أن يقول: قولي أو مذهبي كذا.

فإذا سأل سائل عن حكم مطلق، نظر المسئول فيما سأله عنه، فإن كان مذهبه موافقاً لما سأله عنه من غير تفصيل أطلق الجواب عنه. وإن كان عنده فيه تفصيل، كان الخيار بين أن يفصله في جوابه وبين أن يقول للسائل هذا مختلف عندي فمنه كذا، ومنه كذا، فعن أيهما تسأل؟ فإذا ذكر أحدهما أجاب عنه، وإن أطلق الجواب عنه كان مخطئاً. فإذا قال النصراني للمسلم: هل عيسى روح الله؟ قال المسلم: عيسى روح من الله، والروح هنا مخلوقة، خلقها الله بالكلمة، وإضافتها إلى الله إضافة تشريف، لا إضافة الصفة إلى موصوفها، بل إضافتها إليه كإضافة البيت والناقة والرسول، في قولنا: بيت الله، وناقة الله، ورسول الله.

٢- السؤال عن الدليل، وصورته: ما دليلك على هذه المسألة؟ ويكون الجواب من المسئول: دليلي كذا.

فإذا ذكر المسئول الدليل، وكان السائل يعتقد أن ما ذكره ليس بدليل، مثل أن يكون قد احتج بالقياس، والسائل ظاهري لا يقول بالقياس. فقال للمسئول: هذا ليس بدليل. فإن المسئول يقول له: هذا دليل عندي، وأنت بالخيار بين أن تسلمه وبين أن تنقل الكلام إليه فأدل على صحته. فإن قال السائل: لا أسلم لك ما احتججت به ولا أنقل الكلام إلى الأصل، كان متعنتاً مطالباً للمسئول بما لا يجب عليه،

وإنما كان كذلك لأن المسئول لا يلزمه أن يثبت مذهبه إلا بما هو دليل عنده، ومن نازعه في دليله دله على صحته، وقام بنصرته، فإذا فعل ذلك فقد قام بما يجب عليه فيه، وإن عَدَلَ إلى دليل غيره لم يكن منقطعاً؛ لأن ذلك لعجز السائل عن الاعتراض على ما احتج به وقصوره عن القدح فيه.

٣- السؤال عن وجه الدليل، فيبينه المسئول. فإن كان الدليل غامضاً يحتاج إلى بيان طولب بذلك، فإن تجاوزه إلى غيره كان مخطئاً؛ لأنه لا يجوز تسليمه إلا بعد أن ينكشف وجه الدليل من جهة المسئول على ما سأله عنه، وإن كان الدليل ظاهراً جلياً لم يجز هذا السؤال، وكان السائل عنه متعنتاً أو جاهلاً.

٤- السؤال على سبيل الاعتراض عليه والطعن فيه. فيجيب المسئول عنه ويبين بطلان اعتراضه وصحة ماذكره من وجه دليله. والاعتراض يكون بحسب نوع الدليل.

فمن الاعتراضات التي توجه على الدليل من القرآن: المنازعة في كونه محكماً، وفي دلالته على المعنى المطلوب تقريره، وأن يعارضه بغيره سواء من القرآن أو من غيره كالسنة.

ومن الاعتراضات التي توجه على الدليل من السنة: المطالبة بالإسناد، والقدح في صحة الإسناد، والقدح في صحة المتن، وادعاء النسخ، والمعارضة بخبر آخر.

ومن الاعتراضات على الدليل من الإجماع: ادعاء عدم الاتفاق على المسألة.

ومن الاعتراضات على الدليل من المعقول: كونه غير صريح، وكونه ظنياً.

القاعدة التاسعة والعشرون
في أنواع الجواب من قِبَل المسئول

إذا قال السائل لخصمه: ما قولك في كذا؟ فالجواب مفوَّض إلى المسئول يجيب بما يشاء.

أما إذا قال له: أمر كذا، أحق هو؟ فلا بد بأن يجيب: إما بنعم أو لا، كسائل يسأل فقال: ما تقول في الأرض: كرية أم لا؟ فلا بد له من نعم أو لا، وإن كان لا يعلم، فإنه يقول: لا أدري، فلا يُطالب بما لا علم له به.

وكذلك إذا سأل السائل بتقسيم فقال: ما قولك في كذا وكذا: أكذا وكذا، مثل قوله: ما تقول في الجنة أموجودة هي الآن أم لا؟ فإن كانت الأقسام مستوفاة، فلا بد للمسئول من التزام أحد تلك الأقسام، فإن لم يفعل فهو منقطع بالحقيقة، وإن كانت الأقسام غير مستوفاة فالسائل جاهل أو معاند كأن يقول: ما قولك في الإيمان أهو قول وعمل أم قول واعتقاد؛ لأن ثمة أقسام أخرى، لم تذكر في السؤال.

أما إذا استوفى الخصم الأقسام لكن زاد فيها قسماً فاسداً فليس على صاحبه أن يدع ما هما فيه من المناظرة، ويأخذ في الاحتجاج في بيان

القسم الزائد الذي زاده خصمه، لكن يقول له: زدت قسماً فاسداً وهو كذا، وإنما ذكرته لك لئلا تجور علي، فيكون سكوتي عنه ـ عند من لا ينصف ـ مثل إقراري به، فأستضر بذلك[1].

(١) التقريب لحد المنطق ص : ١٨٨-١٨٩.

الفصل الثاني

آداب الجدل والمناظرة

مـــدخـــل:

هذا الفصل يجمع بعض ما تيسر الوقوف عليه من آداب الجدل والمناظرة، وهي آداب معتبرة شرعاً وعقلاً. والالتزام بها يوفر حالة من الطمأنينة تضمن استمرار المناظرة، وتقود إلى الوصول إلى الحق والقبول له، وانشراح الصدر به.

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله بعد أن أورد طرفاً من آداب المناظرة: «ومتى أخذ المناظر نفسه بما وصفناه، وتأدب بما ذكرناه، انتفع بجدله، وبورك له في نظره إن شاء الله عز وجل»[(١)].

الأدب الأول

إخلاص النية لله (تعالى)

يقول أبو الوليد الباجي رحمه الله: «ينبغي للمناظر أن يقدم على جدله تقوى الله عز وجل، ليزكوَ نظره، ويحمد الله عز وجل، ويصلي على رسوله ﷺ كثيراً؛ لتكثر بركاته وتعظم فوائده، ثم يسأله المعونة والتوفيق لنفسه على طلب الحق وتوفيقه لإدراكه، ويقصد بنظره طلب الحق والوكالة عليه؛ ليدرك مقصوده، ويحوز أجره، ولا يقصد به المباهاة والمفاخرة؛ فيذهب مقصوده، ويكتسب إثمه ووزره»[(٢)].

فالمناظرة لإقامة الحق عبادة، والعبادة لا تقبل إن خلت من الإخلاص،

---

(١) المنهاج في ترتيب الحجاج ص : ١٠.

(٢) المنهاج في ترتيب الحجاج ص : ٩ ، وانظر : الكافية في الجدل للجويني ص : ٥٢٩

وهو إرادة الله (تعالى) بها وطلب ثوابه ومرضاته. قال المزني: «وحق المناظرة أن يراد بها الله عز وجل»[١]. ذكر الخطيب البغدادي[٢] رحمه الله: أنه ينبغي للمجادل أن يقدم على جداله تقوى الله (تعالى) ... ويخلص النية في جداله بأن يبتغي به وجه الله (تعالى) ... وليكن قصده في نظره إيضاح الحق وتثبيته دون المغالبة للخصم، وذكر عن أبي يوسف أنه قال: يا قوم، أريدوا بعلمكم الله عز وجل، فإني لم أجلس مجلساً قط أنوي فيه أن أتواضع إلا لم أقم حتى أعلوهم، ولم أجلس مجلساً قط أنوي فيه أن أعلوهم إلا لم أقم حتى أفتضح.

وجاء في شرح الكوكب المنير[٣] : «ول ما تجب البداءة به : حسن القصد في إظهار الحق طلباً لما عند الله، فإن آنس من نفسه الحيْد عن الغرض الصحيح، فليكفها بجهده فإن ملكها، وإلا فليترك المناظرة في ذلك المجلس».

ومن علامات الإخلاص أن لا يقنع بغفلة خصمه عن دلالة صحيحة لدليل أورده، وقد تنبه هو لها، بل ينبغي أن ينقاد لها، وإن غفل عنها خصمه[٤]. فكل جدل لم يكن الغرض فيه نصرة الحق، فإنه وبال على

---

(١) جامع بيان العلم ١٣٢/٢.

(٢) انظر : الفقيه والمتفقه ٢٥/٢-٢٦ .

(٣) ص: ٣٧٠.

(٤) انظر: التقريب لحد المنطق ص :١٩٣.

صاحبه، والمضرة فيه أكثر من المنفعة[١].

ومن إخلاص النية لله (تعالى) أن لا يعجب بكلامه، ويفتتن بجداله، فإن الإعجاب ضد الصواب، ومنه تقع العصبية، وهو رأس كل بلية. قال مسروق: بحسب امرئ من العلم أن يخشى الله، وبحسب امرئ من الجهل أن يعجب بعلمه[٢].

الأدب الثاني

البدء بذكر الله (تعالى)

تقدم كلام أبي الوليد الباجي رحمه الله فيما ينبغي للمناظر أن يبدأ به من حمد الله (تعالى) والصلاة على رسول الله ﷺ. وجاء في شرح الكوكب المنير[٣]: «ويبدأ كل منهما ـ أي من المتجادلين ـ قبل الشروع في الجدال بحمد الله (تعالى) والثناء عليه ...» وقال ابن عقيل رحمه الله[٤]: «ومن أدب الجدال أن يجعل السائل والمسئول مبدأ كلامهما حمد الله (تعالى)، والثناء عليه، فإن كل أمر ذي بال لم يبدأ فيه ببسم الله فهو أبتر»[٥].

---

(١) انظر: شرح الكوكب المنير ص :٣٧٢ .

(٢) انظر: الفقيه والمتفقه ٢/٣٠.

(٣) ص : ٣٧٢-٣٧٣.

(٤) المرجع السابق .

(٥) رواه أحمد في المسند ٢/٣٥٩ من حديث أبي هريرة ولفظه : كل كلام أو أمر ذي بال لا يفتح بذكر الله تعالى فهو أبتر، أو قال: أقطع ، وصحَّح إسناده أحمد شاكر انظر: =

وقال الجويني رحمه الله: «وإن كان لا يتفق له ذكره باللسان، فيقوله في نفسه سراً »[١].

الأدب الثالث

التأدُّب في الجلوس

ينبغي للمناظر أن يستشعر في مجلسه الوقار، ويستعمل الهدي وحسن السمت، وطول الصمت إلا عند الحاجة إلى الكلام. قال عبدالله بن المعتز: «إذا تم العقل نقص الكلام»[٢].

وقال أبوالوليد الباجي رحمه الله: «ويتوقر في جلوسه، ولا ينزعج من مكانه فينسب إلى الركة والخرق، ولا يعبث بيده ولحيته، فإن ذلك يَذْهَبُ بالوقار... ويُقبل على خصمه فإنه أحسن في الأدب، ويحسن الاستماع إلى كلامه فإنه ربما بان له في كلامه، ما [دلّه][٣] على فساده فيكون له عوناً على نظره...»[٤].

=المسند ٢٩٠/١٦ ح : ٨٦٩٧ ، وأورده السيوطي في الجامع الصغير ٢٧٧/٢ بلفظ: "كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله أقطع " ح: ٦٢٨٣ ، وحسّنه، وبلفظ " كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم أقطع " ح : ٦٢٨٤ وضعّفه . وبلفظ "كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله والصلاة علي فهو أقطع، أبتر، ممحوق من كل بركة " ح : ٦٢٨٥ وسكت عنه . أما الألباني فقد ضعف جميع روايات السيوطي المتقدمة. انظر: ضعيف الجامع الصغير ١٤٧/٤-١٤٨ ح : ٤٢٢١-٤٢٢٣ .

(١) الكافيه في الجدل ص : ٥٢٩.

(٢) الفقيه والمتفقه ٢٧/٢.

(٣) في الأصل : [ما رآه] ولعل الأصح والأوضح ما أثبته .

(٤) ترتيب الحجاج ص : ٩ .

وعلى كل واحد منهما أن يُقبِل على خصمه الذي يكلمه بوجهه، فإن التفت أو أعرض عنه في الاستماع أو الخطاب وعظه، فإن لم يقبل قطع مناظرته معه؛ لأن ترك الإقبال وحسن الاستماع يشغل قلب المتكلم والمستمع، فتنقطع عليه مادة الفهم والخاطر[1].

الأدب الرابع

اجتناب الهوى

وهو التجرد من حظ النفس، فينبغي للمجادل أن يُغلِّب متابعة الحق على حظ النفس والانتصار لها ولكبريائها، ومن علامات ذلك:[2]

١- عدم التفريق بين أن ينكشف الحق على لسانه أو على لسان خصمه.

٢- أن يكون البحث في الخلوة أحب إليه من أن يكون في الملأ.

يقول الشيخ عبدالرحمن المعلمي (١٣٨٦هـ) رحمه الله مبيناً ما يعانيه المرء من مدافعة الهوى: «فمسالك الهوى أكثر من أن تحصى، وقد جربتُ نفسي أنني ربما أنظر في القضية زاعماً أنه لا هوى لي، فيلوح لي فيها معنى، فأقرره تقريراً يعجبني، ثم يلوح لي ما يخدش في ذاك المعنى، فأجدني أتبرم بذلك الخادش، وتنازعني نفسي إلى تكلف الجواب عنه، وغض النظر عن مناقشة ذاك الجواب، وإنما هذا لأني لما قررت ذاك المعنى

(١) انظر : الكافية في الجدل ص : ٥٣٤ .

(٢) انظر : إحياء علوم الدين ـ الغزالي ٤٤/١ ، وأيها الولد ـ الغزالي ص :١٣٦ ، وآداب البحث ـ الشنقيطي ـ القسم الثاني ص : ٩١.

أولاً تقريراً أعجبني صرت أهوى صحته، هذا مع أنه لم يعلم بذلك أحد من الناس، فكيف إذا كنت قد أذعته في الناس ثم لاح لي الخدش؟ فكيف لو لم يلح لي الخدش، ولكنَّ رجلاً آخر اعترض عليَّ به؟ فكيف لو كان المعترض ممن أكرهه؟»[١].

ولهذا كان من الهوى عدم الرجوع إلى الحق الذي مع الخصم، أو الضجر من ظهور الحق على لسانه، وربما اجتهد في رده مع علمه أنه الحق، وهذا من أقبح القبيح لأن المناظرة إنما وضعت لبيان الحق. قال الشافعي رحمه الله: «ما ناظرت أحداً فأنكر الحجة، إلا سقط من عيني، ولا قبلها إلا هبته»[٢].

ومن الهوى ـ أيضاً ـ أنه إذا رأى المناظر في كلامه ضعفاً يوجب قهر خصمه له خرج إلى المكابرة، فإن رأى خصمه قد ظهر عليه، صار إلى السب والطعن والفخر ونحو ذلك[٣].

ومن الهوى ما ذكره ابن قتيبة[٤] رحمه الله وهو يصنّف الناس تجاه قبول الحق بقوله: «وسيوافق قولي هذا من الناس ثلاثة: رجلاً منقاداً سمع قوماً يقولون، فقال كما قالوا فهو لا يرعوي، ولا يرجع؛ لأنه لم يعتقد

(١) التنكليل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل ٢/١٩٧-١٩٨.

(٢) انظر : تلبيس إبليس ص : ١٤٧.

(٣) انظر : المرجع السابق ص : ١٤٧.

(٤) اختلاف اللفظ ص : ١٢.

الأمر بنظر فيرجع عنه بنظر، ورجلاً تطمح به عزة الرياسة، وطاعة الإخوان، وحب الشهرة، فليس يرد عزته ولا يثني عنانه إلا الذي خلقه إن شاء؛ لأن في رجوعه إقراره بالغلط، واعترافه بالجهل، وتأبى عليه الأنفة، وفي ذلك ـ أيضاً ـ تشتت جمع، وانقطاع نظام، واختلاف إخوان عقدتهم له النحلة، والنفوس لا تطيب بذلك، إلا من عصمه الله ونجاه. ورجلاً مسترشداً يريد الله بعلمه لا تأخذه فيه لومه لائم، ولا تدخله من مفارق وحشة، ولا تلفته عن الحق أنفة، فإلى هذا بالقول قصدنا، وإياه أردنا».

ولقد ضرب لنا سلفنا الصالح أمثلة مشرقة في مدافعة الهوى، والتجرد من حظ النفس، فمن ذلك:

١- ما ساقه أبو عمر بن عبد البر بسنده إلى محمد بن كعب القرظي قال: سأل رجل علياً عن مسألة، فقال فيها، فقال الرجل: ليس كذلك يا أمير المؤمنين، ولكن كذا وكذا فقال ﷺ: أصبتَ وأخطأتُ: ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة يوسف: ٧٦][(١)].

٢- وروى سفيان بن عيينة عن ابن أبي حسين قال: «اختلف ابن عباس وزيد في الحائض تنفر، فقال زيد: لا تنفر حتى يكون آخر عهدها الطواف بالبيت. فقال ابن عباس لزيد: سل نُسَيَّاتك؛ أم سليمان وصويحباتها، فذهب زيد فسألهن، ثم جاء وهو يضحك. فقال: القول ما قلت»[(٢)].

---

(١) جامع بيان العلم ١/١٥٩.

(٢) جامع بيان العلم ١/١٥٩-١٦٠.

٣- وروي أن أبا حنيفة نهى ابنه حماداً عن الكلام، فقال: «رأيتك وأنت تتكلم، فما بالك تنهاني؟ فقال: يا بني، كنا نتكلم وكل واحد منا كأن الطير على رأسه؛ مخافة أن يزل صاحبه، وأنتم اليوم تتكلمون؛ كل واحد يريد أن يزل صاحبه، ومن أراد أن يزل صاحبه فكأنه أراد أن يكفر، ومن أراد أن يكفر صاحبه، فقد كفر قبل أن يكفر صاحبه»(١).

٤- واشتهر عن الإمام الشافعي رحمه الله قوله: «ما ناظرت أحداً قط إلا على النصيحة، وما ناظرت أحداً ما فأحببت أن يخطئ».(٢) وقال ـ أيضاً ـ: «وددت أن كل علم أعلمه تعلّمه الناس، أُؤجر عليه ولا يحمدوني»(٣).

الأدب الخامس
الرجوع إلى الحق متى ما تبيَّن

واجب على كل مسلم أن يرجع إلى الحق، وينقاد له، ويلتزم به، ويفرح به، بل هذا من لوازم الإيمان؛ قال (تعالى): ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[سورة النساء: ٦٥].

---

(١) مفتاح السعادة ٢/١٥٣-١٥٤.

(٢) مناقب الشافعي ـ لابن أبي حاتم ص : ٩٢-٩٣ ، والإبانة ــ ابن بطة ٢/٥٤٧-٥٤٨ برقم : ٦٩٠، والفقيه والمتفقه ٢/٢٦-٢٧.

(٣) مناقب الشافعي ـ ابن أبي حاتم ص :٩١-٩٢ ، والإبانة ٢/٥٤٧ برقم: ٦٨٩.

وقد ذم الله (تعالى) الذين يجادلون في الحق بعدما تبين ووضح؛ قال (تعالى): ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ [سورة الأنفال: ٦]. قال الحافظ أبوبكر الخطيب البغدادي رحمه الله: «فينبغي لمن لزمته الحجة، ووضحت له الدلالة أن ينقاد لها، ويصير إلى موجَباتها؛ لأن المقصود من النظر والجدل طلب الحق واتباع تكاليف الشرع؛ قال الله (تعالى): ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [سورة الزمر: ١٨] »[١].

وأمثلة هذا الأدب من حياة سلفنا الصالح أكثر من أن تحصى، وهي معروفة مشهورة ـ فهو من لوازم مجانبة الهوى المتقدم ذكره ـ وقد مرت طائفة منها في المبحث المتعلق بنشأة الجدل عند المسلمين، وكيف أن الخلاف كان يرتفع عن الصحابة بمجرد سوق الدليل وظهوره وبيان الحق فيه. وروى الخطيب البغدادي بسنده عن عبد الواحد بن زياد (١٧٧ أو ١٧٩هـ) قال: قلت لزفر (١٥٨هـ): صرتم حديثاً في الناس وضُحْكَة. قال: وما ذاك؟ قلت: تقولون في الأشياء كلها: ادرؤوا الحدود بالشبهات، ادرؤوا الحدود بالشبهات، فصرتم إلى أعظم الحدود، فقلتم: يقام بالشبهات. قال: وما ذاك؟ قلت: قال رسول الله ﷺ: لا يقتل مؤمن بكافر[٢]، وقلتم يقتل به، قال: إني أشهدك أني قد رجعت عنه الساعة. قال الحافظ البغدادي: كان زفر بن الهذيل من أفاضل أصحاب أبي

(١) الفقيه والمتفقه ٢/٥٧.

(٢) رواه البخاري في صحيحه ١٢/٢٦٠ (فتح الباري) كتاب الديات ـ باب لا يقتل المسلم بالكافر ح : ٦٩١٥ .

حنيفة، فلما حاجَّه عبدالواحد في مناظرته، وفَتَّ في عَضُدِه بحجته، أشهده على رجعته، خيفة من مدع يدعي ثباته على قوله الذي سبق منه بعد أن تبين له أنه زلة وخطأ، فكذلك يجب على كل من احْتُج عليه بالحق أن يقبله، ويُسلِّم له، ولا يحمله اللجاج والمراء على التقحم في الباطل مع علمه به، ثم ذكر عن المأمون قوله: إذا وضحت الحجة ثقل على الأسماع استماع المنازعة فيها[1].

الأدب السادس
التحلي بالحلم والصبر

إذ المجادلة مظنة المشاحنة، وتحريك النفوس بالبغضاء، فتتفلت الألفاظ بالأذى والإيذاء، قال (تعالى): ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [سورة البقرة: ٨٣]، وقال ﷺ: «ليس الشديد بالصُّرعة، إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب»[2].

وقال عطاء بن يسار (١٠٣هـ): «لم يأو شيء إلى شيء أزين من حِلْم إلى عِلْم»[3].

وقال محمد بن عجلان (١٤٨هـ) وإبراهيم بن أدهم (١٦٢هـ): «ما من شيء أشد على الشيطان من عالم حليم، إن تكلم تكلم بعلم، وإن سكت سكت بحلم، يقول الشيطان: انظروا إليه، كلامه أشدُّ عليَّ من

(١) انظر: الفقيه والمتفقه ٢/٥٧-٥٨.
(٢) تقدم تخريجه
(٣) جامع بيان العلم ١/١٥٢.

سكوته»[١].

وفي شرح الكوكب المنير[٢]: «وقدِّر في نفسك الصبر و[الحلم][٣] لئلا تستفزك لفتات الإغضاب، فلو لم يكن في الحلم خاصة تجتلب، لكانت معونة على المناظرة توجب إضافته إليها».

ومن الحلم أنه إذا أخطأ أحدهما وأراد الإقالة، فعلى خصمه أن يقيله، لأن المرء ليس قوله جزءاً منه، لكنه واجب عليه ترك الخطأ إذا عرف أنه خطأ فالمانع من الإقالة ظالم مشغب جاهل[٤].

ومن الحلم أنه إذا بدرت من خصمه في جداله كلمة كرهها أغضى عليها، ولم يقابله بمثلها؛ فإن الله (تعالى) يقول: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ [سورة المؤمنون: ٩٦].[٥]

الأدب السابع

التريث

وهو أن يمهل المناظر خصمه، ويفسح له حتى يُتمَّ كلامه، ويُبيِّن حجته، ويورد أدلته، ولا يقطع عليه شيئاً من ذلك[٦].

---

(١) جامع بيان العلم ١/١٥٢.

(٢) ص: ٣٧٨.

(٣) في الأصل: [الحكم]، ولعل الصواب ما أثبته.

(٤) انظر: التقريب لحد المنطق ص: ١٨٦.

(٥) انظر: الفقيه والمتفقه ٢/٢٧.

(٦) انظر: التقريب لحد المنطق ص: ١٨٦، والكافية في الجدل ص: ٥٣٣، وآداب البحث ـ الشنقيطي القسم الثاني ص: ٩١.

يقول الجويني رحمه الله: «وعليهما جميعاً أن يصبر كل واحد منهما لصاحبه في نوبته، وإن كان ما يسمعه منه شبه الوساوس؛ لأنهما متساويان في حق المناوبة، فمن لم يصبر منهما لصاحبه، فقد قطع عليه حقه.

ولأن ما يظنه السامع وسواساً ربما يكون هو موضع الالتباس والشبهة عنده، فلا بد من الصبر على سماعه ليصير عنده معلوم الأول والآخر، ثم يتكلم فيه بعده على حقه ...»[(١)].

فإذا وقع له في أول كلام خصمه، فلا يعجل بالحكم به، فربما كان في آخره ما يبين أن الغرض بخلاف الواقع له، فينبغي له أن يتريث إلى أن ينقضي الكلام، وبهذا أدَّب الله (تعالى) نبيه ﷺ في قوله: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [سورة طه: ١١٤]... فلا يعجل إلى جواب، ولا يهجم على سؤال، ويحفظ لسانه من إطلاقه بما لا يعلم، ومن مناظرته فيما لا يفهمه، فربما أخرجه ذلك إلى الخجل والانقطاع، فكان فيه نقصه وسقوط منزلته عند من كان ينظر إليه بعين العلم والفضل، ويجدره بالمعرفة والعقل، والعرب تقول: عيي صامت خير من غبي ناطق[(٢)].

---

(١) الكافية في الجدل ص: ٥٣٣ .

(٢) انظر: الفقيه والمتفقه ٢/٣١.

وفي التريث فائدة للسائل والمجيب على السواء[1]: أما السائل: فربما يخطئ بالاستعجال فيظهر جهله، وقد يذكر المجيب بعد إقامة دليله ما يظهر به ما خفي على السائل، فيكفيه مؤونة البحث.

وأما المجيب: فربما غيَّر دليله الذي استدل به، أو زاد عليه بما يدفع به الاعتراض، أو يحذف منه ما يوجب الخلل، أو يستدل على مقدمة نظرية، أو ينبه على مسألة خفية فيسلم من مناقشة خصمه والاعتراض عليه.

الأدب الثامن

التزام الصدق

فلا تحملنه شدة المقام والرغبة في الغلبة، والظهور على خصمه على الكذب؛ فإن الكذب مذموم في كل حال ـ إلا ما استثناه الشارع كما في الحرب والإصلاح بين الناس ـ فإذا كان الكذب مطية لضياع الحق، ونصرة الباطل فهو أشد؛ لأن فساده يتعدى إلى أديان الناس وعقائدهم.

ولهذا إذا سئل المناظر عن شيء لا يعلمه، فليقل: لا أعلم. وليتأدب بالهدي القرآني حيث يقول الله (تعالى): ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [سورة الإسراء: ٣٦]، وليكن له في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة؛ فكم من مرة يُسأل فيها رسول الله ﷺ عن شيء لا يعرفه، فلا يتقدم بالجواب حتى يأتيه به الوحي من ربه، وقد مرَّ بنا شيء من هذا في الفصل الخاص بالجدل في السنة.

---

(١) انظر: رسالة في آداب البحث ـ مكي ص: ١٧٠.

وقال أبو الوليد الباجي رحمه الله: «ولا يتكلم على ما لم يقع له العلم به من جهته...»[(١)].

ومن الصدق أن يتجنب التقوُّل على خصمه بما لم يقله[(٢)].

الأدب التاسع

الترفق بالخصم

وذلك بمساعدته على الوصول إلى الحق، وذلك بتجنب ما ينفره ويصده عن قبول الحق متى ما تبيَّن له؛ يقول سيد قطب رحمه الله عند تفسير قوله (تعالى): ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [سورة النحل: ١٢٥]: «...وبالجدل بالتي هي أحسن بلا تحامل على المخالف، ولا ترذيل له، وتقبيح. حتى يطمئن إلى الداعي، ويشعر أن ليس هدفه هو الغلبة في الجدل، ولكن الإقناع والوصول إلى الحق. فالنفس البشرية لها كبرياؤها وعنادها، وهي لا تنزل عن الرأي الذي تدافع عنه إلا بالرفق، حتى لا تشعر بالهزيمة، وسرعان ما تختلط على النفس قيمة الرأي وقيمتها هي عند الناس، فتعتبر التنازل عن الرأي تنازلاً عن هيبتها واحترامها وكيانها. والجدل بالحسنى هو الذي يطامن من هذه الكبرياء الحساسة، ويشعر المجادل أن ذاته مصونة، وقيمته كريمة، وأن الداعي لا يقصد إلا كشف

---

(١) المنهاج في ترتيب الحجاج ص : ١٠.

(٢) انظر : التقريب لحد المنطق ص : ١٩٦.

الحقيقة في ذاتها، والاهتداء إليها في سبيل الله، لا في سبيل ذاته، ونصرة رأيه، وهزيمة الرأي الآخر»[١].

وجاء في شرح الكوكب المنير[٢]: «وإن زل خصمه فليوقفه على زلله، غير مخجل له بالتشنيع عليه، فإن أصر أمسك، إلا أن يكون ذلك الزلل مما يحاذر استقراره عند السامعين، فينبهه على الصواب فيه بألطف الوجوه جمعاً بين المصلحتين».

وهذا الإمام الجويني يطلب من المناظر الترفق بخصمه كما في قوله: «تُعاملُ المبتدئَ المسترشدَ الذي قصده التبيين، والتعرف للحق، حتى لا تدع من التلطف والتساهل والكشف والبيان والتقريب شيئاً إلا وتأتي به؛ لأنه كلما بالغت في المساهلة معه ازداد طمعاً في تفهم الحق، وازداد حرصاً ومواظبة عليه، إلى أن يوفقه الله سبحانه للهداية»[٣].

ومن الترفق بالخصم أنه إذا أخطأ وأراد الإقالة وجب على صاحبه أن يقيله؛ لأن المرء ليس قوله جزءاً منه، لكنه واجب عليه ترك الخطأ إذا عرف أنه خطأ، فالمانع من الإقالة ظالم مشغب جاهل، وكذلك إذا رأى أن حجته فاسدة أو ضعيفة فأراد تركها وأخذ غيرها، فذلك له، وهو محسن في ذلك كله، وليس ذلك انقطاعاً منه، والمانع من ذلك جاهل ضيق الباع من العلم، وذلك قبيح منه جداً[٤].

---

(١) في ظلال القرآن ٤/١٤/٢٢٠٢.

(٢) ص: ٣٧٠.

(٣) الكافية في الجدل ص: ٥٣٢.

(٤) انظر: التقريب لحد المنطق ص: ١٨٦-١٨٧.

الأدب العاشر

حسن الاستماع لكلام الخصم

ينبغي أن يكون كل واحد من المتناظرين مقبلاً على صاحبه بوجهه في حال مناظرته، مستمعاً كلامه إلى أن ينهيه؛ فإن ذلك طريق معرفته، والوقوف على حقيقته، وربما كان في كلامه ما يدلُّه على فساده وينبهه على عواره، فيكون ذلك معونة له على جوابه[١].

قال إبراهيم بن الجنيد: قال حكيم من الحكماء لابنه: «يا بُنيَّ تعلَّم حسن الاستماع كما تعلَّم حسن الكلام؛ فإن حسن الاستماع إمهالك المتكلم حتى يفضي إليك بحديثه، والإقبال بالوجه، والنظر، وترك المشاركة في حديث أنت تعرفه»[٢].

ولو لم يكن لحسن الاستماع فائدة إلا الوقوف على فهم حجة صاحبه لكفت، كيف وقد يدلُّه سماع كلامه على بطلانه كما قال عبد الله بن المعتز (٢٩٦هـ): «ربما دلت الدعوى على بطلانها، والتزيد فيها قبل امتحانها، وكذبت نفسها بلسانها»[٣] فيكفى المناظر مؤونة الرد وتكلف الجواب.

---

(١) انظر : الفقيه والمتفقه ٣٢/٢.

(٢) المرجع السابق ٣٣/٢.

(٣) الفقيه والمتفقه ٣٣/٢.

الأدب الحادي عشر

الإنصـــــاف

فمن آداب الجدل والمناظرة إنصــاف الخصـم، وممارسـة العـدل معـه، والآيات القرآنية التي تأمر بذلك، أو تشير إليه كثيرة؛ منها:

قوله (تعالى): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تعلمون﴾[سورة المائدة: ٨]. قـال الحـافظ ابـن كثـير رحمـه الله عنـد تفسـير هــذه الآيـة: «أي لا يحملنكم بغض قوم على ترك العـدل فيهـم، بـل اسـتعملوا العـدل في كـل أحد؛ صديقاً كان أو عدواً»[(١)].

ومنها قوله (تعالى): ﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة القصص: ٤٩-٥٠]. قال أبو محمد بن حـزم رحمه الله: «ولم يأمر الله عز وجـل رسـوله ﷺ أن يقـول ذلـك شـكاً في صدق ما يدعو إليه، ولكن قطعاً لحجتهم، وحسماً لدعواهم، وإلزاماً لهم، مثل ما التزم لهم من رجوعه إلى الأهدى، واتباعه الأمر الأصوب، وإعلاماً لنا أن من لم يأت بحجة على قوله يصير بها أهدى من قول خصمه، ويبين أن الذي يأتي به هو من عند الله عز وجل، فليس صادقاً، وإنما هـو متبـع لهواه...» إلى أن قال رحمــه الله: «ووجدنـاه (تعـالى) قـد علمنـا في هـذه

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/٣٠.

الآيات وجوه الإنصاف الذي هو غاية العدل في المناظرة، وهو أنه من أتى ببرهان ظاهر وجب الانصراف إلى قوله»(١).

وروى أبو عمر بن عبدالبر رحمه الله عن مالك بن أنس رحمه الله قال: لما حجَّ أبو جعفر المنصور دعاني فدخلت عليه، فحدثني، وسألني فأجبته، فقال: إني عزمت أن آمر بكتبك هذه التي وضعتها ـ يعني الموطأ ـ فتنسخ نسخاً، ثم أبعث إلى كل مصر من أمصار المسلمين منها نسخة، وآمرهم أن يعملوا بما فيها، لا يتعدوها إلى غيرها، ويدعوا ما سوى ذلك من هذا العلم المحدث، فإني رأيت أصل هذا العلم رواية أهل المدينة وعلمهم، قال: فقلت: يا أمير المؤمنين، لا تفعل، فإن الناس قد سبقت إليهم أقاويل، وسمعوا أحاديث، ورووا روايات، وأخذ كل قوم بما سبق إليهم، وعملوا به، ودانوا به، من اختلاف الناس أصحاب رسول الله ﷺ وغيرهم، وإن ردَّهم عما اعتقدوه شديد، فدع الناس وما هم عليه، وما اختار كل بلد لأنفسهم، فقال: لعمري، لو طاوعني على ذلك لأمرت به. قال أبو عمر: هذا غاية في الإنصاف لمن فهم(٢).

أي أن مالكاً رحمه الله أقر لمن خالفه من أهل العلم بما وصل إليهم وأفتوا به، و لم يحمله الخلاف على جحد ما عندهم من العلم والفتيا.

ومن علامات الإنصاف قبول ما يظهره الخصم من الحق والفرح به، وإذاعة ذلك، وإشاعته. قال عبد الرحمن بن مهدي (٢٩٨هـ) رحمه الله: «ذاكرت عبيد الله بن الحسن القاضي بحديث، وهو يومئذ قاض فخالفني

---

(١) الإحكام ١/٢٠.

(٢) انظر: جامع بيان العلم ١/١٦٠.

فيه، فدخلت عليه وعنده الناس سماطَيْن[١]، فقال لي: ذلك الحديث كما قلتَ أنتَ، وأرجعُ أنا صاغراً»[٢] وفي رواية قال: «لأن أكون ذنباً في الحق أحب إلي من أن أكون رأساً في الباطل»[٣].

وذكر أبو محمد بن حزم رحمه الله قصة في ذلك وقعت له، فقال: «إني ناظرت رجلاً من أصحابنا في مسألة فعلوته فيها لبكوء[٤] كان في لسانه، وانفض المجلس على أني ظاهر، فلما أتيت منزلي حاك في نفسي منها شيء، فتطلبتها في بعض الكتب، فوجدت برهاناً صحيحاً يبين بطلان قولي وصحة قول خصمي، وكان معي أحد أصحابنا ممن شهد ذلك المجلس فعرفته بذلك، ثم إني قد علَّمتُ على المكان من الكتاب، فقال لي ما تريد؟ فقلت: حملَ هذا الكتاب وعرضَه على فلان، وإعلامه بأنه المحق، وأني كنت المبطل، وأني راجع إلى قوله، فهجم عليه من ذلك أمر مبهت، وقال لي: وتسمح نفسك بهذا؟ فقلت له نعم، ولو أمكنني ذلك في وقتي هذا ما أخرته إلى غد»[٥].

وذكر ابن تيمية رحمه الله جماعة من المتكلمين منهم: الباقلاني وابن العربي والجويني وغيرهم ثم قال: «ثم ما من هؤلاء إلا من له في الإسلام

---

(١) سماطَيْن: أي صفين، فكل صف من الرجال سماط . انظر : لسان العرب ٣٢٥/٧ مادة سمط.

(٢) جامع بيان العلم ١٦١/١.

(٣) تهذيب الكمال ٣٥/١٩ .

(٤) البكوء: الانقطاع، وقلة الكلام خِلقةً. انظر: لسان العرب ٣٤/١-٣٥ مادة بكأ .

(٥) التقريب لحد المنطق ص: ١٩٤.

مساع مشكورة، وحسنات مبرورة، وله في الرد على كثير من أهل الإلحاد والبدع، والانتصار لكثير من أهل السنة والدين ما لا يخفى على من عَرَفَ أحوالهم، وتكلم فيهم بعلم وصدق وعدل وإنصاف، لكن لما التبس عليهم هذا الأصل المأخوذ ابتداء عن المعتزلة، وهم فضلاء عقلاء احتاجوا إلى طرده والتزام لوازمه، فلزمهم بسبب ذلك من الأقوال ما أنكره المسلمون من أهل العلم والدين، وصار الناس بسبب ذلك: منهم من يعظمهم؛ لما لهم من المحاسن والفضائل، ومنهم من يذمهم؛ لما وقع في كلامهم من البدع والباطل، وخيار الأمور أوساطها.

وهذا ليس مخصوصاً بهؤلاء، بل مثل هذا وقع لطوائف من أهل العلم والدين، والله (تعالى) يتقبل من جميع عباده المؤمنين الحسنات ويتجاوز لهم عن السيئات: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة الحشر: ١٠].

ولا ريب أن من اجتهد في طلب الحق والدين من جهة الرسول ﷺ، وأخطأ في بعض ذلك فالله يغفر له خطأه، تحقيقاً للدعاء الذي استجابه الله لنبيه وللمؤمنين حيث قالوا: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٦].

ومن اتبع ظنّه وهواه، فأخذ يُشنّع على من خالفه بما وقع فيه من خطأ ظنه صواباً بعد اجتهاده، وهو من البدع المخالفة للسنة، فإنه يلزمه

نظير ذلك أو أعظم أو أصغر فيمن يعظمه هو من أصحابه، فَقَلَّ مَنْ يسلم من مثل ذلك في المتأخرين، لكثرة الاشتباه والاضطراب، وبُعْد الناس عن نور النبوة وشمس الرسالة الذي به يحصل الهدى والصواب، ويزول عن القلوب الشك والارتياب...»(١).

وقال ابن القيم رحمه الله في النونية(٢) ينصح المجادل بالتزام الإنصاف:

وتحلَّ بالإنصاف أفخر حلة زُينت بها الأعطاف والكتفان

الأدب الثاني عشر

إصلاح المنطق وتهذيبه

وذلك بأن يكون كلامه يسيراً جامعاً بليغاً، ففيه التحفظ من الزلل مع الإقلال دون الإكثار، مع ما قد يكون في الإكثار من خفاء الفائدة، وضياع المقصود، ثم إنه يورث الحاضرين الملل(٣).

فلا يطول الكلام بينهما بما لا فائدة فيه، وأن يفضيا إلى الاختصار الذي لا يقصر عن البيان الموعب(٤).

ومن إصلاح المنطق تجنب اللحن في كلامه، والإفصاح عن بيانه، فإن ذلك عون له في مناظرته، ألا ترى إلى استعانة موسى كليم الله بأخيه

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ٢/١٠٢-١٠٣.

(٢) ص : ١٩ .

(٣) انظر : الفقيه والمتفقه ٢/٢٨.

(٤) انظر : التقريب - ابن حزم ص :١٨٦.

هارون عليه السلام حيث قال: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي﴾[سورة طه: ٢٧-٣٠] وقال: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾[1] [سورة القصص: ٣٤].

وكذلك لا يرفع صوته عالياً حتى يشق حلقه، ويحمي صدره، فذلك من دواعي الغضب[2]، ولا يضيف إلى الحجة قوة، بل يورث البلادة، وإن كان يتوهمه جلادة، ويقطع مادة الفهم والخاطر[3] : يُحكى أن رجلاً من بني هاشم اسمه عبد الصمد تكلم عند المأمون فرفع صوته، فقال له المأمون: لا ترفع صوتك يا عبد الصمد، إن الصواب في الأسدِّ لا الأشدِّ. ولا يخفي صوته إخفاء لا يسمعه الحاضرون، فلا يفيدهم بشيء، بل يكون بين ذلك قواماً[4].

وينبغي له أن يواظب على مطالعة كتبه عند وحدته، ورياضة نفسه في خلوته، بذكر السؤال والجواب، وحكاية الخطأ والصواب؛ لئلا ينحصر في مجالس النظر إذا رمقته الأبصار. قيل للشافعي: من أقدر الناس على المناظرة؟ فقال: من عوَّد لسانه الركض في ميدان الألفاظ، ولم يتلعثم إذا رمقته العيون بالألحاظ[5].

ومن إصلاح المنطق ـ أيضاً ـ: أن لا يستدل إلا بدليل قد وقف عليه،

---

(١) انظر : الفقيه والمتفقه ٢٨/٢.
(٢) انظر: الكافية في الجدل ص: ٥٢٩.
(٣) انظر: الكافية في الجدل ص: ٥٢٩ .
(٤) انظر: الفقيه والمتفقه ٢٨/٢، والمنهاج في ترتيب الحجاج ص :٩.
(٥) انظر: الفقيه والمتفقه ٢٩/٢.

وخبره، وامتحنه قبل ذلك، وعرف صحته وسلامته؛ لأنه ربما يستدل بما لم يمعن في تأمله ولا تصحيحه، فيظفر به خصمه وَيَبين انقطاعه[١].

ومن إصلاح المنطق: الإيجاز في السؤال والجواب، فيختصر الكلام ما استطاع من غير تقصير، ويبين - إذا احتاج - من غير هذر ولا تكدير[٢].

وسئل الأحنف[٣] عن البلاغة، فقال: ما البلاغة؟ فقال: صواب الكلام واستحكام الحجة، والاستغناء عن الإكثار[٤].

ومن لوازم ذلك أن يتجنب التقعير في الكلام، والوحشي من الألفاظ؛ فإنه مناف للبلاغة، بعيد من الحلاوة[٥].

الأدب الثالث عشر
تجنُّب المماراة

وقد تقدم تعريفها وحكمها، وبينت أنها مذمومة في كل حال إلا ما كان مراء ظاهراً. فالمماري لا يطلب الحق، بل المغالبة ومعارضة الخصم وكسره أبداً وهذا ليس من شيم أهل الحق. ومن صور ذلك: أن كل واحد من الخصمين الممارين لا يريد الرجوع عن مذهبه واعتقاده، بل

---

(١) انظر: المنهاج في ترتيب الحجاج ص: ١٠.

(٢) انظر : الفقيه والمتفقه ٢/٣٣، ٣٤.

(٣) هكذا أورده الخطيب في كتابه الفقيه، والسائل هو المبرِّد، ولم أعثر ــ بعد البحث والسؤال ــ على رجل بهذا الاسم في معاصري المبرد، ولعله تصحيف في الاسم ، كالأخفش مثلاً . والله أعلم .

(٤) انظر: الفقيه والمتفقه ٢/٣٤.

(٥) انظر: المرجع السابق ٢/٣٧.

يريد أن يخطئ صاحبه، ويظهر عليه. ولا يُؤْمَن أن يحتج المناظر بحديث رسول الله ﷺ فيقول له خصمه: هذا حديث ضعيف، أو موضوع يريد المغالبة، ورد قول خصمه واحتجاجه[١]، فهذا من المراء الذي نهينا عنه.

قال ميمون بن مهران(١١٧هـ): لا تمار من هو أعلم منك، فإذا فعلت ذلك خزن عنك علمه، ولا تضره شيئاً[٢].

وقال الزهري: كان أبو سلمة (٩٤هـ) يماري ابن عباس فحُرم بذلك علماً كثيراً[٣]. ولهذا قال أبو سلمة: لو رفقت بابن عباس لاستخرجت منه علماً كثيراً[٤].

وقال ابن جريج (١٥٠هـ): لم أستخرج الذي استخرجت من عطاء إلا برفقي به[٥].

وفي شرح الكوكب المنير[٦]: في المراء غلق باب الفائدة وفي المجادلة للمناصحة فتحه.

ولهذا فالخروج من المراء إنما يكون بالمناصحة، ومن صورها: أن يقول المناظر لخصمه: هذه المسألة قد اختلف فيها من تقدم من الشيوخ،

---

(١) انظر: الشريعة ص: ٦٦، وشرح الكوكب المنير ص: ٣٧١.

(٢) جامع بيان العلم ١/١٥٦.

(٣) جامع بيان العلم ١/١٥٦، وانظر: سير أعلام النبلاء ٤/٢٨٩ .

(٤) جامع بيان العلم ١/١٥٧، وانظر: سير أعلام النبلاء ٤/٢٨٨.

(٥) جامع بيان العلم ١/١٥٦.

(٦) ص: ٣٧١.

فتعال حتى نتناظر فيها مناصحةً لا مغالبةً، فإن يكن الحق فيها معك اتبعتك وتركت قولي، وإن يكن الحق معي اتبعتني وتركت قولك، لا أريد أن تخطئ ولا أغالبك، ولا تريد أن أخطئ ولا تغالبني، فإن جرى الأمر على هذا فهو حسن جميل، وما أعزَّه في الناس[1].

الأدب الرابع عشر

المناظرة المفيدة إنما تكون بين النظراء في العلم

ولهذا قالوا: لا تصح المناظرة ويظهر الحق بين المتناظرين حتى يكونا متقاربين، أو متساويين في مرتبة واحدة من الدين والفهم والعقل والإنصاف، وإلا فهو مراء ومكابرة[2].

ومن فوائد ذلك تدريب الـمَلَكَة في النظر والمناظرة؛ قال عمر بن عبد العزيز ومالك (رحمهما الله): ما رأيت أحداً لاحى الرجال إلا أخذ بجوامع الكلم. وقال عمر بن عبد العزيز: رأيت ملاحاة الرجال تلقيحاً لألبابهم. قال يحيى بن مزين: يريد بالملاحاة هنا المخاوضة والمراجعة على وجه التعليم والتفهم والمدارسة[3].

وذكر صاحب عيون المناظرات[4]: أنه ينبغي ألا يُناظر إلا أهلَ التقدم في العلوم؛ إذ أن من ناظر من ليس بشيء كان خاسراً على كل تقدير: لأنه إن ظهر لم يظهر على شيء، وإن ظُهِرَ عليه فقد ظُهِرَ عليه لا بشيء.

(١) انظر: الشريعة ص:٦٦.
(٢) انظر : جامع بيان العلم ١٣٢/٢.
(٣) انظر : المرجع السابق ١٣٢/٢.
(٤) ص : ٢٧٩.

وذُكر أن إمام الحرمين أبا المعالي الجويني رحمه الله لما أُسْتُدعي إلى بغداد وقدم عليها للتدريس، خرج أهل العلم إلى لقائه، فابتدروه بالامتحان بمسائل أعدوها له، فلما استشعر منهم ذلك، قال لهم: ما الفرق بين الضحى والضحاء؟(١) فلم يكن فيهم من يعرف ذلك. فقال لهم: إذا كان مقامكم في هذه المسألة هذا فما ظنكم بدقائق العلوم.

وقال الجويني رحمه الله: «وعليك بالمحافظة على قدرك وقدر خصمك، وإنزال كل أحد في وجه كلامك معه: درجته ومنزلته، فتميز بين النظير وبين المسترشد، وبين الأستاذ ومن يصلح لك. ولا تناظر النظير مناظرة المبتدئ والمسترشد، ولا تناظر أستاذينك مناظرة الأكفاء والنظراء، بل تناظر كلاً على حقه، وتحفظ كلاً على رتبته»(٢).

الأدب الخامس عشر

اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية

المفترض في كل متناظرين أنهما طالبا حق، لكن قد يخفى الحق عليهما أو على أحدهما، والخفاء قد يكون سببه خفاء الدليل أو الدلالة، فيختلفان فتقع بينهما المناظرة، وقد تنكشف المناظرة ولا يتفقان على قول واحد، لكنهما مستصحبان للنية الأولى وهي طلب الحق. فهذا الاختلاف لا يقطع حبل المودة بينهما، ولا يعكر على القلوب صفاءها، فضلاً عن التنابذ والتدابر ونحو ذلك.

---

(١) قال السكوني : والضحى فويق ارتفاع النهار، والضحاء إذا امتد النهار وابتدأت شدة حر الشمس. عيون المناظرات ص: ٢٧٩.

(٢) الكافية في الجدل ص : ٥٣١.

ولقد ضرب لنا سلفنا الصالح أمثلة شامخة في هذا الباب، من ذلك:

١- ما قاله يونس الصدفي (٢٦٤هـ) قال: ما رأيت أعقل من الشافعي؛ ناظرته يوماً في مسألة ثم افترقنا، ولقيني فأخذ بيدي، ثم قال: يا أبا موسى، ألا يستقيم أن نكون إخواناً، وإن لم نتفق في مسألة؟!.[1]

٢- ما رواه ابن عبد البر[2] عن العباس بن عبد العظيم العنبري قال: كنت عند أحمد بن حنبل وجاءه علي بن المديني راكباً على دابة، قال: فتناظرا في الشهادة، وارتفعت أصواتهما حتى خفت أن يقع بينهما جفاء، وكان أحمد يرى الشهادة، وعلي يأبى ويدفع، فلما أراد علي الانصراف، قام أحمد فأخذ بركابه.

٣- وقال الإمام أحمد بن حنبل عن إسحاق بن راهويه: «لم يعبر الجسر إلى خراسان مثل إسحاق، وإن كان يخالفنا في أشياء، فإن الناس لم يزل يخالف بعضهم بعضاً»[3].

الأدب السادس عشر

تجنب الإساءة إلى الخصم

وذلك بترك مقاطعته، والصياح في وجهه، والحدة عليه ودفعه للضجر، والإحراج له عما هو عليه، واستصغاره واحتقاره، والتشغيب عليه. ونحو ذلك مما يسيء إلى خصمه[4].

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء ١٠/١٦ .

(٢) جامع بيان العلم: ٢/١٣٠.

(٣) سير أعلام النبلاء ١١/٣٧٠-٣٧١ .

(٤) انظر : شرح الكوكب المنير ص : ٣٧٧.

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله: «ولا يداخله في نوبته، ويصبر له حتى يفرغ من كلامه، فإن المداخلة تذهب بالفائدة، وتدعو إلى الوحشة، ويجتنب إظهار العجب من كلام خصمه، والتشنيع عليه في جداله، فإن ذلك يفعله الضعفاء ومن لا إنصاف عنده»(١).

وفي استصغار الخصم مفسدتان: إحداهما: الإساءة إليه. والثانية: اغترار المناظر له، وعدم تحرزه فيكون ذلك سبباً في ظهور خصمه عليه. يقول أبو محمد بن حزم رحمه الله: «ولا تحقر أحداً حتى تعرف ما عنده، فربما فجأك منه ما لم تحتسب، وليس ذلك إلا من فعل أهل النُّوك(٢) الذين لا يحصِّلون»(٣).

وذكر الخطيب البغدادي أن استصغار الخصم يؤدي إلى ضعف المستصغِر وانقطاعه(٤). وقال الجويني رحمه الله: «وإياك واستصغار من تناظره والاستهزاء به كائناً ما كان؛ لأن خصمك إن كان ممن المفترض عليك في الدين مناظرتُه فهو نظيرك، ولا يجمل بك إلا مناظرة النظير للنظير، وإن يك من تكلمه غير أهل لأن تناظره كان الواجب ألا تفاتحه بالكلام، فإذا فاتحته ثم استصغرته، واستخففت به لم يجتمع ذهنك، ولا

---

(١) المنهاج في ترتيب الحجاج ص : ١٠.
(٢) النُّوك : بالضم والفتح، الحُمْق . انظر : القاموس المحيط ص : ١٢٣٤ باب الكاف ــ فصل النون
(٣) التقريب لحد المنطق ص : ١٩٦.
(٤) انظر: الفقيه والمتفقه ٢/٣٠، وانظر: أدب البحث ـ الشنقيطي القسم الثاني ص: ٩١

صفاء قريحتك، ولا اشتد خاطرك، فربما يتفق له لشؤم حالك عليك ما لا ِقبَل لك به»[١].

ويتحدث ابن بطة رحمه الله عن أهل زمانه في المناظرة، فيقول: «إنهم يناظرون مغالبة لا مناظرة، ومكايدة لا مناصحة، ولربما ظهر من أفعالهم ما قد كثر وانتشر في كثير من البلدان، فمما يظهر من قبيح أفعالهم، وما يبلغ بهم حب الغلبة ونصرة الخطأ أن تحمر وجوههم، وتدر عروقهم، وتنتفخ أوداجهم، ويسيل لعابهم، ويزحف بعضهم إلى بعض، حتى ربما لعن بعضهم بعضاً، وربما بزق بعضهم على بعضهم، وربما مد أحدهم يده إلى لحية صاحبه، ولقد شهدت حلقة بعض المتصدرين في جامع المنصور فتناظر أهل مجلسه بحضرته فأخرجهم غيظ المناظرة، وحمية المخالفة إلى أن قذف بعضهم زوجة صاحبه ووالدته، فحسبك بهذه الحال بشاعة وشناعة على [سفلة][٢] الناس وجهالهم»[٣].

الأدب السابع عشر

تجنب ما يُذْهل العقل ويُشَوِّش الفكر

من ذلك تجنب مجالس الخوف، أو التي لا إنصاف فيها، أو أن يكون المناظر في حال جوع أو عطش ونحو ذلك، مما يذهب العقل ويشغل الخاطر.

---

(١) الكافية في الجدل ص: ٥٣١.

(٢) في الأصل: [سفه] ولعل ما أثبته هو الصواب .

(٣) الإبانة ٢/٥٤٨.

قال ابن عقيل[1] : «فصل: قال العلماء: احذر الكلام في مجالس الخوف؛ فإن الخوف يذهل العقل الذي منه يستمد المناظر حجته، ويستقي منه الرأي في دفع شبهات الخصم، وإنما يذهله ويشغله بطلبه حراسة نفسه، التي هي أهم من مذهبه، ودليل مذهبه، فاجتنب مكالمة من تخاف، فإنها مميتة للخواطر، مانعة من التثبيت، واحذر مكالمة من اشتد بغضك إياه، فإنها داعية إلى الضجر والغضب من قلة ما يكون منه الضجر، والغضب مضيق للصدر، ومضعف لقوى العقل، واحذر المحافل التي لا إنصاف فيها في التسوية بينك وبين خصمك في الإقبال والاستماع، ولا أدب لهم يمنعهم من الشرع إلى الحكم عليك، ومن إظهار العصبية لخصمك».

وقال الجويني رحمه الله: «وإياك والكلام في مجالس الخوف والهيبة؛ فإنك عند ذلك في حراسة الروح على شغل من حراسة المذهب ونصرة الدين»[2].

ومما يشوش الفكر: مكالمة أهل الهيبة والمهابة؛ قال الشنقيطي رحمه الله: «ومنها أن يجتنب المناظرة مع من هو من أهل المهابة العظيمة والاحترام العظيم؛ كيلا تدهشه وتذهله جلالة خصمه عن القيام بحجته كما ينبغي»[3].

---

(١) شرح الكوكب المنير ص : ٣٧٨.

(٢) الكافية في الجدل ص : ٥٣٠.

(٣) آدب البحث القسم الثاني ص : ٩١.

وقال ابن حزم رحمه الله: «فلسنا نتكلم مع المخاوف، وإنما المناظرة مع الأمن، إلا من بذل نفسه لله (تعالى) وعرف ما يَطْلُبُ وما يَبْذُل من ذلك، فله الفوز إن أراد نصر الإسلام أو الحق فيما اختلف فيه المسلمون فقط، ولا أرى أن ينزل المسلم العاقل عن نفسه، فلا شيء موجود في وقته من الخلق أعز عليه منها، ولا أوجب حرمة إلا فيما فيه فوزها الأبدي فقط، فالعاقل لا يرى لنفسه ثمناً إلا الجنة»[1].

ومما يشوش الفكر ـ أيضاً ـ مكابدة الجوع والعطش ونحوهما؛ قال أبو الوليد الباجي رحمه الله: «ولا يناظر في حال الجوع والعطش، ولا في حال الخوف والغضب، ولا في حال يتغير فيها عن طبعه، ولا يتكلم في مجلس تأخذه فيه هيبة ... لأن ذلك كله يشغل الخاطر ويقطع المادة...»[2].

ومن الأسباب الجالبة للغضب المشوشة للفكر: مجادلة قليل الفهم ضعيف الرأي؛ فمجادلة مثل هذا تبعث على الضجر ـ غالباً ـ إلا أن يكون المجادل له صاحب نفس ثابتة، أو يستطيع كبح جماحها، أو أن يكون مراد خصمه الاسترشاد لا المغالبة والمدافعة، فهذا حري بأن يُعَلَّم ويُرشد، وليس بخصم يجادل وينازع[3].

(١) التقريب لحد المنطق ص : ١٨٧.

(٢) المنهاج في ترتيب الحجاج ص: ١٠.

(٣) انظر: شرح الكوكب المنير ص: ٣٧٨.

وعموماً ينبغي للمجادل أن يقدر في نفسه الصبر والثبات، ويروضها على ذلك لئلا تستفزها لفتات الإغضاب[١]. وقال عبد الله بن المعتز: «شدة الغضب تعثر المنطق، وتقطع مادة الحجة، وتفرق الهم»[٢].

الأدب الثامن عشر

تجنُّب الحيل في المناظرة[٣]

استعمال الحيل لأجل قطع الخصم محظور، يجب اجتنابه، فهو من دأب أهل الفسوق في المناظرة، ومِنْ عَمَل مَنْ قصده بالمناظرة المماراة، وهو مجانب لطريق أهل الديانة والنصيحة، بعيد عن سلوك سبيل الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومن عرف من خصمه الاعتماد على الحيل، قطع مكالمته، إلا إذا لم يكن له بد من مناظرته، فعندئذ عليه بالحذر والاحتراز عن السقوط من حيث لا يعلم.

وأذكر هنا مثالاً من أمثلة الحيل وكيفية دفعها:

أن يحتال الخصم على مناظره بالتعمق في العبارات حتى لا يفهم عنه؛ لكثرة ما يكون في كلامه من الغموض والإجمال وغريب اللغة، فإذا أراد المناظر له أن يتكلم على كلامه، أو يحكم شيئاً منه لنقده وبيان فساده، قال الخصم: لم أقله هكذا، ولم أرد ما تحكيه. أو يقول: لم تفهم ما قلت.

---

(١) انظر: شرح الكوكب المنير ص: ٣٧٨.

(٢) الفقيه والمتفقه ٢/٣٦.

(٣) انظر: الكافية في الجدل ص: ٥٤٢-٥٤٣ .

فإذا استعاده أعاده بمثل الأول من الغموض والإجمال حتى أنـه يقـول في نوبتـه: لم يفهـم كلامـي، يـري الحـاضرين حذاقتـه وبراعتـه، وتقصـير مناظره في الفهم والتحصيل.

فالوجه في دفـع هـذه الحيلـة، أن لا يُمَكِّنـه مـن التعمـق، فـإن تعمـق استكشفه حرفاً حرفاً، وكلمة كلمة.

الأدب التاسع عشر
نصب الحاكم بين المتخاصمين

قد يحتاج المتخاصمان إلى نصـب حـاكم متفـق عليه بينهمـا، يقطـع الشجار، غير متهم بشيء من الجهل والهوى والاستكبار، مع أنه قد يقـوم الوُدُّ والعدل والتناصف والعقل إذا صفت مواردها عن الأكدار، وأُشـرب الخصمان حب هذه الأوصاف، مقام الحاكم العادل الجامع الكامل[1].

وقد كان الولاة والأمراء يحكمـون بـين المتنـاظرين ويحفظـون عليهـم كلامهـم، ويرجحـون مـا تسـنده الحجـة والبرهـان، ويمنعـون تشـغيب العاجزين عن إقامة الدليل.

الأدب العشرون
استعمال الأمثال والحكم في المناظرة

قد يضطر المناظر ـ أحيانـاً ـ إلى ضـرب الأمثـال وسـوق الحكـم، لا سيما إذا رأى من خصمه عناداً وتشغيباً؛ كـأن لا يقصـد بالمنـاظرة طلـب الحق، وابتغاء الرشد، أو يقصد التلهي والمباهاة، فإذا أورد المناظر شيئاً مـن

---

(١) انظر: ترجيح أساليب القرآن ص: ٦٥-٦٦.

الأمثال والحكم، ربما كان أنفع في قطعه أو تهذيبه، وللمناظر أن لا يقابل خصمه بشيء من ذلك، بل يختار السكوت والإعراض عن مناظرته، فكل ذلك خير إن شاء الله (تعالى)[١].

نماذج من الأمثال والحكم[٢]:

١- أن يقول المناظر عند إرعاد الخصم وإبراقه، ومدح مذهبه واستحسانه في تعظيم ما يورده من دلائل؛ مثل ما قال الله (تعالى): ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [سورة الأنبياء: ١٨].

ومثل قول الراجز[٣]:

عند الرهان يُعرف المضمار ويعرف السابق والخوّار

٢- أن يقول عند وهاء ما ادعاه الخصم حجة، مثل قوله (تعالى): ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة العنكبوت: ٤١].

أو مثل قوله (تعالى): ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [سورة النور: ٣٩].

---

(١) انظر: الكافية في الجدل ص: ٥٦٠،٥٦٥.

(٢) انظر: المرجع السابق ص: ٥٦٠ وما بعدها.

(٣) لم أقف على اسم الراجز في المظان المتوفرة لدي .

٣- إذا رأى خصمه لا يمكنه الإفصاح عما يختلج في صدره من المعاني، قال ما قال الله (تعالى): ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ [سورة الأعراف: ٥٨].

٤- وإذا رأى نفسه منفرداً بين خصوم كثيرين كلهم يخالفونه، ويريدون كسره، والظهور عليه بكثرتهم، استظهر عليهم بقوله (تعالى): ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [سورة البقرة: ٢٤٩].

٥- وإذا رأى خصمه يتعاظم بسَمْتِه وحسن لباسه، تمثل بقوله (تعالى): ﴿أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [سورة الزخرف: ١٨].

٦- وإذا رأى من يعيب كلامه تمثل بقول المتنبي[(١)]:

وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الجهل السقيم

٧- وإذا رآه لا ينقاد للحق على الرغم من ظهوره دعاه بقول الله (تعالى): ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ﴾[سورة الزمر: ١٧-١٨].

---

(١) من قصيدة مطلعها:

إذا غامرت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم

شرح ديوان المتنبي ٤/٢٤٦

٨- وإذا رآه يغالب بعد ظهور الحق، أو يستهزئ تمثل بقول الله (تعالى): ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ [سورة الأنفال: ٦].

إلى غير ذلك من الأمثال التي تناسب كل مقام بحسبه.

الأدب الواحد والعشرون

أصناف ينبغي تجنب مناظرتهم

١- جاهل لا يقر بجهله.

٢- مسفسط متعنت.

٣- معتد لا يحب النصفة.

٤- من عادته التسفه في الكلام.

٥- ولا يناظر بحضرة من يشهد لخصمه بالزور، أو عند من إذا وضحت لديه الحجة دفنها، ولم يتمكن من إقامتها، فإنه لا يقدر على نصرة الحق إلا مع الإنصاف، وترك العنت والإجحاف[١].

فإذا بان للمناظر من خصمه شيء من ذلك نهاه عنه بلطف ورفق، فإن التلطف أنفع، والرفق أنجع، فإن لم ينته عن ذلك أعرض عن كلامه، ولم يقابله في أفعاله[٢]. وقال (تعالى) في وصف عباد الرحمن: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [سورة الفرقان: ٦٣].

---

(١) انظر: الفقيه والمتفقه ٢/٢٧-٢٨.

(٢) انظر: المنهاج في ترتيب الحجاج ص: ١٠.

وقال ابن حزم(١) رحمه الله: «واحذر مكالمة من ليس مذهبه إلا المضادة والمخالفة أو الصياح والمغالبة، فلا تتعنَّ به، ولو أمكنك صرفه عن ضلاله بالوعظ لكان حسناً، فإن لم يكن فبالزجر والقدع(٢)؛ فإن كان ممتنع الجانب فليجتنب كما يجتنب المجنون، فأذاه أكثر من أذى المجانين».

وقال الجويني رحمه الله: «وعليك أن لا تفاتح بالمناظرة من تعلمه متعنتاً؛ لأن كلام المتعنت ومن لا يقصد مرضاة الله في تعرُّف الحق والحقيقة بما تقوله، يورث المباهاة، والضجر، وحزن القلب، وتعدي حدود الله سبحانه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإن لم تعلمه كذلك حتى فاتحته بالكلام ثم علمته عليه: وجب عليك الإمساك عن مناظرته، فإن رأيت نصرة دين الله سبحانه في الإمساك عنه، زدت في الحد وبالغت في التحرُّز عنه».(٣)

تذييـــــل:

نظم بعض علماء(٤) البحث والمناظرة ما تقدم ذكره من القواعد والآداب في قصائد لهم، ولعله يكون مناسباً أن أورد في ختام هذه القواعد

---

(١) التقريب لحد المنطق ص : ١٩٦.

(٢) القدع : الكفُّ والمنع . انظر : القاموس المحيط ص : ٩٦٧ باب العين ـ فصل القاف.

(٣) الكافية في الجدل ص : ٥٣٢.

(٤) مثل: الشيخ زين الدين المرصفي في منظومته: آداب البحث والمناظرة، وطاش كبري زاده في منظومته: آداب البحث والمناظرة. انظر: مجموع المتون ص: ٤٤٣-٤٤٦ .

والآداب شيئاً من ذلك، وأجدُ أن ما ضمنه القحطاني[1] نونيتَه[2] من ذلك أحلى وأعذب، فهو يقول:

لا تُفن عمرك في الجدال مخاصماً ... إن الجدال يُخِلُّ بالأديان
واحذر مجادلة الرجال فإنها ... تدعو إلى الشحناء والشنآن
وإذا اضطررت إلى الجدال و لم تجد ... لك مهرباً وتلاقتِ الصَّفّان
فاجعل كتاب الله دِرْعاً سابغاً ... والشرعَ سيفك وابدُ في الميدان
والسنة البيضاء دونك جُنَّةً ... واركب جواد العزم في الجولان
واثبت بصبرك تحت ألوية الهُدى ... فالصبر أوثق عُدَّةِ الإنسان
واطعن برمح الحقِّ كل معاند ... لله درُّ الفارس الطعان
واحمل بسيف الصدق حملة مخلص ... متجرد لله غير جبان
واحذر بجهدك مكر خصمك إنه ... كالثعلب البرِّيِّ في الرَّوغان
أصل الجدال من السؤال وفرعُهُ ... حسنُ الجواب بأحسن التبيان
لا تلتفت عند السؤال ولا تُعِد ... لفظ السؤال كلاهما عيبان
وإذا غلبت الخصم لا تهزأ به ... فالعُجب يُخمد جمرة الإحسان
فلربما انهزم المحارب عامداً ... ثم انثنى قسطاً على الفرسان
واستكت إذا وقع الخصوم وقعقعوا ... فلربما ألقوْك في بحران
ولربما ضحك الخصوم لدهشة ... فاثبت ولا تنكل عن البرهان
فإذا أطالوا في الكلام فقل لهم ... إن البلاغة لجمت ببيان

---

(١) هو : أبو محمد عبد الله بن محمد الأندلسي القحطاني، و لم أجد له ترجمة. ونسب بعضهم القصيدة إلى أبي عبد الله، محمد بن صالح القحطاني المعافري الأندلسي المالكي.
انظر : هامش نونية القحطاني ص: ٧-٨.

(٢) نونية القحطاني ص : ٣٩-٤٠ .

لا تغضبن إذا سئلت ولا تصـــح فكلاهمـــا خُلُقـــان مذمومـــان
واحـذر مناظـــرة بمجلس خِيفةٍ حتـــى تبـــدل خيفـة بأمـــان
ناظـــر أديبـــاً منصفاً لك عاقـــلاً وانصفـــه أنت بحسْب ما تريـــان
ويكون بينكمـــا حكيم حاكمـــاً عـــدلاً إذا جئتـــاه تحتكمـــان

الفصل الثالث

أحوال الجدل والمناظرة وأحكامها

تنبيـــــــه:

في هـذا الفصـل أذكـر بعـض مـا وقفـت عليـه مـن أحـوال المنـــاظرة وأحكامها، وهي ما يعترض المناظرة من أوضاع أو تنتهي إليـه مـن نتـائج تُعبِّر عن قوة أحد المناظرين أو ضعفه.

الحالة الأولى

الإفحـــــام

الإفحام هو علـو المنـاظر للمعلـل (المسئول ـ المجيـب) بالحجـة حتـى يعجـزه فيسـكت، فهـو عجـز المعلِّـل، وانقطاعـه كمـا إذا ناقضـه السـائل فكبت[1].

وقال طاش زادة: « أن يعجز المعلل عن إقامة الدليل على [مُدَّعـاه][2] ويسكت، وذلك هو الإفحام »[3].

الحالة الثانية

الإلـــــزام

والإلزام هو عجز السائل؛ كأن يمنع السـائل دليـل المعلـل، فيجيبـه المعلل، فيسكت السائل. فذلك إلزام للسائل وهو عجز منه[4].

---

(١) انظر : رسالة آداب البحث ـ مكي ص : ٤٢.

(٢) في الأصل : [المدعاة] ولعل الصحيح ما أثبته، كما نبه إليه المحقق .

(٣) علم البحث والمناظرة ص : ٣٣.

(٤) انظر : رسالة آداب البحث ـ مكي ص : ٤٢.

وقال طاش زاده : « أو يعجز السائل عن التعرض له: بأن ينتهي دليل المعلل إلى مقدمة ضرورية القبول، أو مسلمة عند السائل... وذلك هو الألزام»[(١)] .

الحالة الثالثة

المصادرة

والمصادرة وهي في الأصل مأخوذة من الصدر، وهي : أن يجعل نتيجة الدليل هي إحدى مقدمات الدليل، بتغيير في اللفظ يكون سبباً لتوهم المغايرة بين النتيجة والمقدمة.

مثالها: أن يقال: هذا أسد وكل أسد ليث، ينتج هذا ليث. فهذه النتيجة هي المقدمة الصغرى نفسها التي هي: هذا أسد، إذ لا فرق بين: هذا أسد وهذا ليث؛ لترادف الليث والأسد.

وهذا المصادرة ينبغي تجنبها في المناظرة لما فيها من الإيهام[(٢)] .

الحالة الرابعة

الغصب

جاء في شرح الولدية[(٣)] : «الغصب في عرفهم: استدلال السائل على بطلان ما صح منعه». ومعنى ذلك أن كل ما صح للسائل أن يمنعه ـ أي

(١) علم البحث والمناظرة ص : ٣٣.

(٢) انظر : آداب البحث والمناظرة ـ الشنقيطي ـ القسم الثاني ص : ٨٨ ، ورسالة آداب البحث ـ مكي ص : ٣٨-٣٩.

(٣) ص: ١٠٠.

يطلب مـن المعلل إقامة الدليل عليه ـ فإن استدلاله على بطلانه من الغصب، فإذا ذكر المعلل دعوى لم يُقم عليها دليلاً، أو مقدمة لم يُقم عليها دليلاً جاز للسائل أن يمنع ذلك، ويطلب الدليل على صحتهما، فإن أقام السائل دليلاً على بطلان واحد منهما قبل أن يقيم المعلل عليه دليلاً فهو غاصب.

فالاستدلال منصب المعلل لا السائل، فإذا أخذه السائل كان غاصباً[1].

والغصب وظيفة غير مقبولة عند جماهير أهل هذا الفن[2]. وهذا يقتضي أن المقدمة التي أقام المعلل عليها دليلاً، أو تنبيهاً إن كانت خفية، أو ادعى ظهورها، إذا استدل السائل على بطلانها لا يعد غصباً[3].

ومع ذلك، فهل يجب على المعلل أن يتعرض لدليل السائل، أو يقتصر على إثبات مقدمته أي مسألته؟ قيل: إنه يخير بين إثبات مقدمته مع التعرض لدليل السائل، وبين الاقتصار على إثبات المقدمة بدون التفات إلى دليل السائل، وهو مقتضى عرف النظار في أن الغصب غير مسموع، أي غير مقبول.

---

(١) انظر: شرح الولدية ص :٩٧ ، وآداب البحث ـ الشنقيطي ـ القسم الثاني ص : ٦٣ ، وضوابط المعرفة ـ حبنكة ص : ٤٦٧ .

(٢) انظر: آداب البحث والمناظرة ـ الشنقيطي ـ القسم الثاني ص : ٦٣.

(٣) انظر: رسالة أدب البحث ـ مكي ص : ١٣٦.

وقيل: بل يلزم المعلل التعرض لدليل السائل مع إثبات مقدمة دليل نفسه، ورجح ذلك الشيخ أحمد مكي بأنه هو الذي ينقدح ويستضيء له الذهن لأنه معارضة لدليل إثبات المقدمة [1].

الحالة الخامسة

المكـــابـرة

المكابرة هي منازعة الخصم لصاحبه مع علمه بفساد كلامه وصحة كلام خصمه [2]. وغرضه من ذلك إظهار الغلبة والفضل لا الصواب والحق: ولهذا قال أحمد مكي في تعريف المكابرة: وهي المنازعة لا لإظهار الصواب، ولا لإلزام الخصم، بل لإسكاته [3].

ومن أمثلة المكابرة: [4]

١- منع البدهيات من الأمور الحسية والضرورات العقلية؛ كقولنا: السماء فوقنا والأرض تحتنا، والواحد نصف الاثنين؛ ونحو ذلك.

٢- منع الأمور المعلومة من الدين بالضرورة كالتوحيد، ووجوب الصلوات، وتحريم الزنا والخمر، ونحو ذلك.

---

(١) انظر: رسالة أدب البحث ـ مكي ص :١٦٠-١٦١.

(٢) انظر: الكليات لأبي البقاء ص :٦٢١.

(٣) انظر: رسالة في أدب البحث ـ مكي ص :٣٩.

(٤) انظر: رسالة آدب البحث ـ مكي ص :٣٩-٤٠ ، وآداب البحث ـ الشنقيطي ـ القسم الثاني ص: ٦٣-٦٤.

٣- منع الدليل الصحيح الذي يستدل به الخصم بغير حجة من المانع.

والمكابرة وظيفة مردودة غير مسموعة، فهي غير مقبولة كما لا يخفى[١]. وهي سبيل أهل العجز والإفلاس.

الحالة السادسة

السفسطة

السفسطة هي «اسم المهنة التي بها يقدر الإنسان على المغالطة والتمويه والتلبيس بالقول والإيهام، إما في نفسه أنه ذو حكمة وعلم وفضل، أو في غيره أنه ذو نقص، من غير أن يكون كذلك في الحقيقة، وإما في رأي حق أنه ليس بحق، وفيما ليس بحق أنه حق... وكل من له قدرة على التمويه والمغالطة بالقول في أي شيء كان، سمي بهذا الاسم، وقيل: إنه سوفسطائي»[٢].

فالحق إذا وضح وبان لم يبق للمناظرة العلمية ولا العملية محل؛ فإن الأمم كلهم متفقون على أن المناظرة إذا انتهت إلى مقدمات معروفة، بينة بنفسها، ضرورية وجحدها الخصم كان سوفسطائياً، فلا ينبغي أن يناظر بعد ذلك. قال (تعالى) : ﴿الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [سورة الكهف: ٢٩]، وقال (تعالى) : ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ﴾ [سورة الأنفال: ٦]. فكل من جادل في الحق بعد وضوحه وبيانه فقد غالط شرعاً وعقلاً[٣].

---

(١) انظر : آداب البحث ـ الشنقيطي ـ القسم الثاني ص : ٦٣.

(٢) إحصاء العلوم ص : ٨١ .

(٣) انظر: درء تعارض العقل والنقل ٧/١٧٤ ، والقواعد الحسان للسعدي ص :١٥٨-١٥٩.

ولهذا كان من الأسئلة ما ليس له جواب غير السكوت والانتهاء والكف عن الاسترسال في الكلام أو النظر؛ كما قال النبي ﷺ: «يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعذ با لله ولينته»(١). فإن كل نظر لا بد له من ضرورة يستند إليها، فإذا احتاجت الضرورة إلى استدلال ونظر، أدى ذلك إلى التسلسل الباطل.

والسفسطة تكون عادة في الأمور العقلية، وقد تكون في الحسية ـ أيضاً ـ ونظيرها القرمطة، وهي في الأمور السمعية التي مستندها الشرع، ومعناها: تحريف نصوص الشرع على نحو ما يفعله القرامطة الباطنية، وكلاهما منكر شرعاً وعقلاً، ومصير كل من خالف نصوص الكتاب والسنة أن يسفسط في العقليات، ويقرمط في السمعيات(٢).

الحالة السابعة

الحيـــــدة

الحيدة هي جواب السائل بغير ما سأل عنه؛ كأن يقول لك قائل: من أين جئت؟ فتقول له: حضرت الآن. فهذا ليس جوابه.

وسبب الحيدة أن يجد الخصم نفسه بين جوابين لا يرتضيهما خوفاً من لوازمهما، فيذكر جواباً آخر لا تعلق له بالسؤال.

---

(١) صحيح البخاري ٦/٣٣٦ (فتح الباري) كتاب بدء الخلق ـ باب صفة إبليس وجنوده ح: ٣٢٧٦.

(٢) انظر : درء تعارض العقل والنقل ٢/١٥.

قال ابن عقيل[(١)] : « ينبغي للسائل أن ينظر إلى المعنى المطلوب في السؤال، فإن عدل المجيب لم يرض منه إلا بالرجوع إلى جواب ما سأل عنه. مثاله: أن يقول السائل: هل يحرم النبيذ؟ فيقول المجيب: قد حرمه قوم من العلماء، هذا عند أهل الجدل ليس بجواب، وللسائل أن يضايقه في ذلك بأن يقول : لم أسألك عن هذا، ولا بان من سؤالي إياك جهلي بأن قوماً حرموه، ولا سألتك عن مذهب الناس فيه، بل سألتك أحرام هو؟ فجوابي أن تقول: حرام هو، أو ليس بحرام، أو لا أعلم، فإذا ضايقه ألجأه إلى الجواب، أو بان جهله بتحقيق الجواب، وليس له الجواب إلا بالإفصاح» .

ومن أمثلة الحيدة ما صنعه بشر المريسي مع عبد العزيز المكي رحمه الله حين سأله المكي: هل لله علم؟ فقال بشر: الله لا يجهل[(٢)] . وذلك أن بشراً قد أدرك أنه إن أجاب بالإثبات، فقد أبطل مذهبه في كون القرآن مخلوقاً؛ لأنه لا يستطيع أن يقول: علم الله مخلوق والقرآن من علم الله. وإن أجاب بالنفي، كان ذلك منه تكذيباً صريحاً لنصوص التنزيل المثبتة لعلم الله (تعالى) ، وذلك كفر وعناد؛ فلهذا حاد عن الجواب، فشهد عليه المأمون بالانقطاع.

وقد سأل المأمون عبد العزيز: هل تجد الحيدة في كتاب الله؟ فقال عبدالعزيز: قلت: نعم يا أمير المؤمنين، وفي سنة المسلمين، وفي لغة العرب.

---

(١) انظر : شرح الكوكب المنير ص : ٣٧٣.

(٢) انظر : الحيدة ص : ٥٢.

فقال: وأين هي من كتاب الله؟ فقلت: قال الله عز وجل في قصة إبراهيم حين قال لقومه: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾ [سورة الشعراء: ٧٢-٧٣] وإنما قال لهم إبراهيم هذا ليكذبهم ويعيب آلهتهم، ويسفه أحلامهم، فعرفوا ما أراد، وأنهم بين أمرين: إما أن يقولوا: نعم يسمعوننا حين ندعو، وينفعوننا ويضروننا، فيشهد عليهم بلغة قومهم أنهم قد كذبوا، وإما أن يقولوا: لا يسمعوننا حين ندعوا ولا يضروننا، فينفوا عن آلهتهم القدرة، وعلموا أن الحجة لإبراهيم في أي القولين عليهم قائمة، فحادوا عن جوابه، واجتلبوا كلاماً غير الذي سألهم عنه، فقالوا: ﴿بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [سورة الشعراء: ٧٤]. ولم يكن هذا جواباً لمسألة إبراهيم.

وأما الحيدة في سنة المسلمين فمثالها: ذكر نومة الضحى: يُروى عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما وقد قدم عليه فرآه يكاد يتفقأ شحماً، فقال: يا معاوية ما هذه الشحمة؟ لعلها من نومة الضحى، ورد الخصوم. فقال له معاوية: يا أمير المؤمنين رحمك الله، علمني وفهمني.[1] ولم يكن هذا جواباً لقول عمر. وإنما حاد عن جوابه، لعلمه بما فيه، واجتلب كلاماً غيره، فأجاب به.

فأما الحيدة في اللغة فقول امرئ القيس:[2]

(١) انظر خبره في البداية والنهاية ١٢٤/٨ .

(٢) ديوان امرئ القيس ص : ٣٤-٣٥ .

تقول وقد مال الغبيط[1] بنا معا   عقرتَ بعيري يا امرأ القيس فانزلِ
فقلتُ لها سيري وأرخي زمامــه   ولا تُبعديني من جنـــاك المعـللِ

ولم يكن هذا جواباً لقولها، وإنما حاد عن جوابها، واجتلب كلاماً غيره[2].

الحالة الثامنة

النقض والمناقضة

النقض هو دعوى السائل بطلان دليل المعلل[3].

والنقض أنواع: فهو بحسب ما يضاف إليه؛ فإن أضيف إلى التعريف، كأن يقال: هذا تعريف منقوض، فمعناه إبطاله بكونه غير جامع، أو غير مانع، أو مستلزماً للمحال.

وأما إن أُضيف إلى مقدمة معينة من مقدمات دليل المعلل قُيِّد بالتفصيلي، فيقال: النقض التفصيلي، وقد يسمَّى منعاً أو ممانعة أو مناقضة، وهو طلب الدليل على مقدمة دليل المعلل، فكأن السائل يمنع هذه المقدمة المعينة من مقدمات الدليل: إما قبل تمامه أو بعده.

وإن أضيف النقض إلى الدليل فمعناه إبطاله؛ وذلك إما بتخلف المدلول عن الدليل، بمعنى أن الدليل يكون جارياً في غير الدعوى التي

---

(١) الغبيط: ضرب من الرحال، وقيل: بل ضرب من الهوادج. انظر: ديوان امرئ القيس ص: ٣٤ هـ: ٢

(٢) الحيدة ص: ٥٢-٥٤.

(٣) انظر: شرح الولدية ص: ١٢٦، وكليات أبي البقاء ص: ٦٢١-٦٢٢، ورسالة آداب البحث ـ مكي ص: ٣٠ ، وآداب البحث ـ الشنقيطي ـ القسم الثاني ص: ٦٥-٦٦.

أرادها المعلل، أو باستلزامه محالاً كاجتماع النقيضين، أو الدور، أو التسلسل، ويسمى هذا النوع بالنقض الإجمالي.

والنقض لا يُقبل إلا مقترناً بالشاهد، والمراد بالشاهد المذكور: هو الدليل على صحة النقض، فإن لم يذكر السائل مع النقض شاهداً، لم يقبل منه، وقد عرفت مما سبق أن الشاهد نوعان: أحدهما : تخلف المدلول عن الدليل. الثاني : استلزام الدليل المحال.

ومثال الأول: أن يقول المعلل المعتقد مذهب الفلاسفة في قدم العالم: العالم قديم، ودليله ـ كما يزعم ـ لأنه أثر القديم، وكل ما هو أثر القديم فهو قديم، ينتج العالم قديم.

فيقول السائل: هذا الدليل باطل؛ لأنه يوجد مع عدم وجود مدلوله، وقد يوجد مع مدعى آخر مقطوع به. لكنه هنا لا يستقيم؛ وذلك لأنه منقوض بهذه الحوادث اليومية المتجددة، إذ يلزم من دليلك أنها ـ أيضاً ـ قديمة، وهذا باطل، إذ تجددها ينفي قدمها، وهي مع ذلك أثر القديم، لكنها ليست بقديمة. ولا يكون تخلف المدلول عن دليله إلا لفساد فيه.

ومثال الثاني: وهو استلزام الدليل المحال؛ كأن يستدل نافي الأسماء والصفات عن الله (تعالى) بقوله (تعالى):﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[سورة الشورى: ١١] فيقال له هذا الاستدلال يلزم منه أن يكون موجود مجرداً عن الصفات حتى صفة الوجود، وهذا لا يتصور وجوده في العيان، بل هو من الممتنعات. أما الدليل الذي أوردته، فهو يدل على نفي المماثلة بين الخالق

والمخلوق فيما هو من خصائصهما، لا يدل على نفي الصفات التي هي من خصائص الرب سبحانه.

أقسام النقض:[(١)]

النقض ينقسم إلى قسمين: حقيقي وشبيهي، والأول الذي هو النقض الحقيقي ينقسم إلى قسمين: مشهور ومكسور، فتكون أقسام النقض ثلاثة:

أحدهما: النقض الحقيقي المشهور.

الثاني: النقض الحقيقي المكسور.

الثالث: النقض الشبيهي.

أما النقض الحقيقي المشهور، فضابطه أن السائل إذا أراد الاعتراض على دليل المعلل بالنقض جاء بدليل المعلل على نفس الهيئة التي أوردها عليها صاحبه و لم يحذف منه شيئاً.

فإن حذف بعض الأوصاف وأجرى النقض على دليل المعلل في حال كونه حاذفاً بعض أوصافه، فهو النقض المكسور.

فإذا كان الوصف المحذوف له فائدة، بحيث إنه لو لم يحذفه لما صح له النقض ولا استقام، كان هذا النقض مردوداً غير مقبول، فلا يجوز ارتكابه في المناظرة، لكن السائل إذا ارتكبه أجاب عنه المعلل ببيان ما تركه

---

(١) انظر: شرح الولدية ص: ١٣١-١٣٣، ورسالة آداب البحث ـ مكي ص: ١١١-١١٤، وآداب البحث ـ الشنقيطي ـ القسم الثاني ص: ٦٧-٦٨.

السائل، وأنه لو لم يتركه لما صح توجه نقضه إلى المعلل، أما إذا كان الوصف المحذوف لا فائدة فيه ووجوده كعدمه بالنسبة إلى صحة النقض وعدمها، فحذفه لا بأس به، ولا يؤثر في توجه النقض.

وأما النقض الشبيهي فضابطه إبطال الدعوى بشهادة فساد مخصوص؛ ككونها مخالفة لإجماع العلماء، أو منافية لمذهب المعلل كاستدلال منكر السنة بالحديث، أو استدلال المتكلم بخبر الواحد في مسائل العقيدة.

الحالة التاسعة

المعارضة

المعارضة هي إقامة الدليل على خلاف ما أقام الخصم عليه الدليل، والمقصود بـ "خلاف": نقيضه، أو ما يستلزم نقيضه[1].

فالمناظر بين أمور ثلاثة لإبطال دعوى خصمه:[2]

١- إما أن يثبت نقيض دعواه.

٢- أو ما يساوي نقيضها.

٣- أو أخص من نقيضها.

كل ذلك بدليل يستدل به، فتبطل الدعوى لاستحالة اجتماع النقيضين، واستحالة اجتماع الشيء ومساوي نقيضه، واستحالة اجتماع الشيء والأخص من نقيضه.

---

(١) انظر: رسالة آداب البحث ـ مكي ص : ٣١.

(٢) انظر: آداب البحث ـ الشنقيطي ـ القسم الثاني ص : ٧١-٧٢.

مثال المعارضة بإثبات النقيض:[(١)]

أن يقول معتقد مذهب الفلاسفة الباطل في قدم العالم: العالم قديم، ثم يقيم الدليل ـ في زعمه الباطل ـ على دعواه، فيقول: لأنه أثر القديم، وكل ما هو أثر القديم فهو قديم، فهذا دليله على دعواه الباطلة.

فيقول الراد عليه: العالم غير قديم، ثم يقيم الدليل على ذلك، فيقول: لأنه متغير بالانعدام ونحوه من أنواع التغير، وكل ما هو كذلك فليس بقديم، فينتج أن العالم ليس بقديم، وهذه النتيجة عين نقيض دعوى المستدل على قدم العالم؛ لأن نقيض القديم: ليس بقديم.

مثال المعارضة بإثبات ما يساوي نقيض الدعوى:[(٢)]

أن يقول نافي القدم عن العالم ــ في المثال المتقدم ــ: العالم متغير بالانعدام ونحوه من أنواع التغير، وكل ما هو كذلك فهو حادث، ينتج أن العالم حادث، والحادث مساو لنقيض القديم؛ لأن نقيض القديم ليس بقديم، والحادث مساو لليس بقديم كما لا يخفى.

مثال المعارضة بإثبات ما هو أخص من نقيض الدعوى:[(٣)]

أن يقول المعتزلي النافي لرؤية الله (تعالى) بالأبصار يوم القيامة: رؤية الله (تعالى) بالأبصار يلزمها كثير من أنواع مشابهة الخلق، وكل ما هو

---

(١) انظر : آداب البحث ـ الشنقيطي ـ القسم الثاني ص : ٧٢.

(٢) انظر : المرجع السابق.

(٣) انظر : المرجع السابق.

كذلك فهو مستحيل في حقه (تعالى) ، فينتج هـذا الدليـل البـاطل بـاطلاً، وهو قوله: رؤية الله بالأبصار مستحيلة، يعني لا تمكن عقلاً.

فيقول الراد عليه، وهو المثبت للرؤية: رؤية الله (تعالى) بالأبصار ثابتة بنصوص الكتاب والسنة، فهي واقعة فعـلاً؛ لأن كـل مـا يثبـت بالكتـاب والسنة حق صحيح يجب اعتقـاد وقوعـه، فهـذه النتيجـة الـتي هـي وقـوع الرؤية بالفعل أخص من إمكانهـا الـذي هـو نقيـض دعـوى الخصـم وهـو استحالتها.

الحالة العاشرة

الانتقـــــال

الانتقال هو أن ينتقل المستدل إلى استدلال غير الذي كان آخذاً فيـه، إما لكون الخصم لم يفهم وجه الدلالة من الأول أو لعناده ومكابرته[(١)].

والانتقال نوعان[(٢)]: محمود ومذموم. والمحمود لا يعد انقطاعـاً، بينمـا يعد المذموم انقطاعاً.

أما الانتقال المحمود الذي ليس بانقطاع فهو على وجوه، منها:

١- أن يُطالب المستدل بتصحيح شيء تعلق به، فبناه على ما يصح بنـاؤه عليه، وانتقل إلى تصحيحه ليبني عليه ما وقعت فيـه المطالبـة، فهـذا في

---

(١) انظر : الإتقان ـ السيوطي ١٣٧/٢، ومقال بعنوان: علوم القرآن ـ علم الجدل ـ حسن حسين ـ مجلة الأزهر ص : ٢٦٧ العدد : ٦ بتأريخ جمادى الآخرة ١٣٦٤هـ .

(٢) انظر : الكافية في الجدل ص : ٥٥١ وما بعدها.

الصورة انتقال، ولا يعد في الحقيقة كذلك؛ لأنه لم يترك ما ابتدأ بنصرته، بل هو في صميم ذلك غير خارج عنه.

٢- إذا عجز الخصم عن إدراك دليل المستدل، وعلم المستدل أنه يشكل عليه الإصرار على هذا الدليل، ويطول الكلام، جاز له الانتقال إلى دليل أوضح من الأول، وذلك لقصور في الخصم لا في المستدل، فلا يعد انتقالاً مذموماً، وقد مثلوا له بقصة إبراهيم عليه السلام مع النمرود، وسيأتي الكلام عليها مفصلاً.

وأما الانتقال المذموم فلا يكون إلا انقطاعاً، ومثاله:

هل كان إبراهيم الخليل في مناظرته مع النمرود منتقلاً من دليل إلى دليل؟

وذلك في قوله (تعالى): ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٨].

فإن الكافر قد اعترض على دليل الخليل: ربي الذي يحيي ويميت بقوله: أنا أحيي وأميت. فأورد الخليل دليلاً آخر أعجز به الكافر وظهر انقطاعه. فهل هذا يعد من الخليل انتقالاً أم لا؟.

هذه مسألة تنازع العلماء في توجيهها، فمنهم من يعده انتقالاً من الخليل، لكنه من النوع المحمود، وذلك مشروط بكون الخصم لم يفهم

الحجة، فينتقل المستدل إلى دليل أوضح من الأول بالنسبة للخصم، لا بالنسبة للدليل، أو أن يكون الخصم معانداً مكابراً فينتقل المستدل إلى دليل يقطع به معاندة الخصم ومكابرته، وعلى الاحتمالين وجهوا صنيع الخليل عليه السلام .

ومنهم من يرى أن صنيع الخليل ليس من الانتقال في شيء، وذلك لأن أساس الانتقال أن تكون الحجة الأولى غير ملزمة، فيتركها المستدل إلى حجة أخرى ملزمة، وهذا لا يليق بمعصوم يدعو الناس إلى التوحيد، ويعزز دعوته بالمعجزة والحجة القاطعة.

وقرر الحافظ ابن كثير (١) رحمه الله بأن إبراهيم الخليل قال للملك : إذا كنت كما تدعي من أنك تحيي وتميت، فالذي يحيي ويميت هو الذي يتصرف في الوجود؛ في خلق ذراته، وخلق كواكبه وحركاته، فهذه الشمس تبدو كل يوم من المشرق، فإن كنت إلهاً كما تدعي : تحيي وتميت، فأت بها من المغرب، فلما علم عجزه وانقطاعه، وأنه لا يقدر على المكابرة في هذا لمقام، بُهت أي أُخرس، فلا يتكلم، وقامت عليه الحجة، ثم قال رحمه الله: «وهذا التنزيل على هذا المعنى أحسن مما ذكره كثير من المصنفين أن عدول إبراهيم عن المقام الأول إلى المقام الثاني انتقال من دليل إلى أوضح منه، ومنهم من قد يطلق عبارةً تُرْديه، وليس

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير ١/٢٩٦ .

كما قالوه، بل المقام الأول يكون كالمقدمة للثاني، ويبين بطلان ما ادعاه نمرود في الأول والثاني».

ومنهم من يرى أن الآية كلها حجة واحدة، وإنما الانتقال في المثال، لا في الدليل كأنه قال: ربي الذي يوجد الممكنات ويعدمها، وأتى بالإحياء والإماتة مثالاً، فلما اعترض عليه، جاء بمثال أجلى دفعاً للمشاغبة[(١)].

وعلى كل فرض، إذا كان صنيع الخليل انتقالاً فهو ــ بدون شك ــ من باب الانتقال المحمود، سواء كان في الدليل أو في المثال، فلم يكن انتقاله ﷺ عن عجز وضعف، بل أراد أن يقطع على خصمه عناده وتشغيبه من أقرب طريق وأيسره.

الحالة الحادية عشرة

الانقطاع

قال ابن عقيل رحمه الله[(٢)]: «اعلم أن الانقطاع هو العجز عن إقامة الحجة من الوجه الذي ابتدأ منه المقالة. والانقطاع في الأصل: هو الانتفاء للشيء عن الشيء، وذلك أنه لا بد من أن يكون انقطاع شيء عن شيء، وهو على ضربين:

---

(١) انظر : روح المعاني للألوسي ١٧/٣-١٩، والإتقان للسيوطي ١٣٧/٢ ، ومقال : علوم القرآن ـ علم الجدل ـ حسن حسين بمجلة الأزهر ص : ٢٧٦-٢٦٩ ـ العدد ٦ تأريخ جمادى الآخرة ١٣٦٤هـ والعدد ٩ ص : ٣٩٣-٣٩٥ بتأريخ رمضان ١٣٦٤هـ .

(٢) شرح الكوكب المنير ص :٣٧٥.

أحدهما: تباعد شيء عن شيء؛ كانقطاع طرف الحبل عن جملته، وانقطاع الماء عن مجراه.

والآخر: عدم شيء عن شيء؛ كانقطاع ثاني الكلام عن ماضيه.

وتقدير الانقطاع في الجدل على أنه انقطاع عن النصرة للمذهب الذي شرع في نصرته».

وسمي الانقطاع في الجدل انقطاعاً؛ لأنه عجز عن بلوغ المقصود، كما يقال للمسافر منقطع، إذا صار عاجزاً عن بلوغ مقصوده بسفره، كذلك إذا صار عاجزاً عن إقامة دلالة أو حجة سمي منقطعاً، وحاله: انقطاعاً.[١]

وترجع أسباب الانقطاع إلى أمور منها:[٢]

نقصان علم المنقطع برسوم الجدل وأصوله؛ بأن لا يعرف كيفية وضع الأدلة مواضعها، وكيفية حفظها، أو كيفية ترتيبها، أو كيفية ما يرد عليه من وجوه الإلزامات.

وقد يكون المنقطع بارعاً في رسوم الجدل، غير أنه يكون ناقص العلم بوجوه الأدلة وأقيستها، فينقطع لقلة علمه بالأدلة.

وقد يكون كاملاً في رسوم الجدل والأدلة، فينقطع لفساد يرجع إلى نفس المقالة التي يريد نصرتها.

---

(١) انظر: الكافية في الجدل ص:٥٥٦.

(٢) انظر: الكافية في الجدل ص: ٥٥٦-٥٥٧.

بعض صور الانقطاع:[1]

١- ينقطع السائل بعجزه عن بيان السؤال وبيان الدليل، وبيان وجهه، وبعجزه عن الطعن في دليل المستدل، أومعارضته له، وبانتقاله إلى دليل آخر أو إلى مسألة قبل تمام الأولى.

٢- وينقطع المعلل (المسئول) بعجزه عن الجواب، ومنه أن يُسأل عن الشيء فيجيب عن غيره، وهو الحيدة. وينقطع ـ أيضاً ـ بعجزه عن إقامة الدليل، وعن تقوية وجهه، وبعجزه عن دفع الاعتراض الوارد عليه.

٣- وينقطع كل من السائل والمسئول بجحد ما عرف أنه من مذهبه، أو ما ثبت بالنص أو بالإجماع. وبعجزه عن إتمام ما شرع فيه، وإذا خلط كلامه على وجه لا يفهم، أو سكت على وجه الحيرة، ولم يكن له عذر في ذلك، وإذا تشاغل بما لا تعلق له بالموضوع، وبالغضب الشديد المخرج عن حد الاتزان، وبقيامه من مكانه، وسفهه على خصمه، وبالمكابرة، أو المناقضة، أو الانتقال، أو المشاغبة، أو الرجوع إلى التسليم، أو جحد المذهب، أو قال قولاً ولايلتزم بلوازمه ولا يأتي بالفصل.

---

(١) انظر: الكافية في الجدل ص: ٥٥١ وما بعدها، والفقيه والمتفقه ٥٧/٢، وشرح الكوكب المنير ص: ٣٧٥-٣٧٦

٤- ومن صور الانقطاع: أن يطالب أحد المتناظرين خصمه بما لا سبيل إليه؛ كأن يصيّر الحكم معلوماً على الاضطرار في موضع يكون طريقه الاستدلال، أو يطالبه بالدليل في موضع لا يلزمه فيه الدليل، أو يطالبه بجواب: بلا أو نعم، ولا يكون ذلك موضعه، أو ينتهي الكلام إلى حد يلزمه فيه دفع المعلوم ضرورة، أو إثبات ما يستحيل كونه.

قال ابن عقيل[(١)]: «اعلم أن الانقطاع بالمشاغبة عجز عن الاستتمام لما تضمن من نصرة المقال إلى الممانعة بالإيهام من غير حجة ولا شبهة، وحق مثل هذا إذا وقع: أن يفصح فيه بأنه شغب، وأن المشغب لا يستحق زيادة؛ فإن كان المشغب مسئولاً قيل له: إن أجبت عن المسألة وإلا زدنا عليك، وإن لم تجب عنها أمسكنا عنك، وإن كان سائلاً قيل له: إن حصلت سؤالاً سمعت جواباً، وإلا فلا. فإن المشغب لا يستحق جواباً. فإن لج وتمادى في غيه أعرض عنه؛ لأن أهل العلم إنما يتكلمون على ما فيه حجة أو شبهة، فإذا عري الجدل عن الأمرين إلى الشغب لم يكن فيه فائدة، وكان الأولى بذي الرأي الأصيل والعقل الرصين: أن يصون نفسه، ويرغب بوقته عن التضييع معه، ولا سيما إذا كان الاشتغال به مما يوهم الحاضرين أن صاحبه سالك لطريق الحجة، وربما كان ذلك بما يرى منه من حسن العبارة، والاغترار باتكال خصمه عليه [في المناظرة][(٢)]، فحق مثل هذا أن يبين له: أنه على جهة المشاغبة على طريق الحجة أو الشبهة».

---

(١) شرح الكوكب المنير ص : ٣٧٦ .

(٢) في الأصل : [بالمناظرة] ولعل الصحيح ما أثبته .

هل على المناظر بيان الحق بعد انقطاع خصمه ؟:

إذا ظهر انقطاع أحد المتناظرين وبان عجزه، فهل على خصمه بيان الحق في المسألة التي وقع فيها الجدال؟ ذكر أبو محمد بن حزم رحمه الله أن المتقدمين[(١)] يقولون ليس عليه بيان الحقيقة. ثم قال رحمه الله: «وأما نحن فنقول: إن ذلك عليه، ومن أبطل حكماً ما، فعليه أن يبين قوله، فإما أن يدخل في مثل ما أبطل، وإما أن يجلي الحيرة، وبيان الحقائق فرض، وقد أخذ الله (تعالى) ميثاق العلماء أن يبينوا ما علموه، ولا يكتمونه»[(٢)].

(١) لعلهم المناطقة والفلاسفة ومن على شاكلتهم فهو الأشبه بهم، إذ قصدهم الغلبة والفلج وكسر الخصم، لا إصابة الحق وإذاعته بين الناس.

(٢) التقريب لحد المنطق ص : ١٨٩.

الفصل الرابع

إقامة الحجة: مجالاتها وشروطها

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مجالات إقامة الحجة

المبحث الثاني: شروط إقامة الحجة

المبحث الأول

مجالات إقامة الحجة

حجة الله (تعالى) على خلقه قامت بإرساله الرسل وإنزاله الكتب، وهي حجة قاطعة لكل عذر، ومزيحة لكل علة كما قال (تعالى): ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [سورة النساء: ١٦٥]. هذا من حيث الجملة، أما من حيث آحاد الناس فتكون قيام الحجة بحسب أحوالهم ومقاماتهم؛ ولهذا ينبغي التفريق في إقامة الحجة بين المسلم الذي خفيت عليه بعض أمور الشريعة؛ إما لخفائها في أنفسها أو لقصور علمه هو أو فهمه، وبين الكافر الذي قد يعلم بأدلة الرسالة وقد لا يعلمها.

وفي المسلمين من هو مسالم منقاد للشرع وللإمام، ومنهم من هو خارج على الإمام، وناد عن بعض الشرع، وغير ذلك من اختلاف الأحوال.

والحجة إذا قامت على الشخص لم يعذر بعدها، لا في الدنيا ولا في الآخرة، إلا إذا كان فعله مما يدخل تحت المشيئة، لكنه على كل حال معرض للوعيد.

ولقيام الحجة مجالات شتى، من أهمها:

أولاً: تكفير المعيَّن أو تبديعه أو تفسيقه:

فالشخص المعين لا ينبغي تكفيره أو تبديعه أو تفسيقه حتى تقام عليه الحجة، فلعل له شبهة تحتاج إلى تعرية وكشف، أو اعتراضاً يحتاج إلى

جواب، أو نحو ذلك. يقول ابن تيمية رحمه الله: «ولا يكفر الشخص المعين حتى تقوم عليه الحجة... كمن جحد وجوب الصلاة والزكاة واستحل الزنا والخمر وتأول»[(١)]. وقال رحمه الله في مناظرة العقيدة الواسطية[(٢)]: «... مع أني دائماً ومن جالسني يعلم ذلك مني: أني من أعظم الناس نهياً عن أن ينسب معين إلى تكفير وتفسيق ومعصية إلا إذا عُلم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافراً تارة، وفاسقاً أخرى، وعاصياً أخرى، وإني أقرر أن الله قد غفر لهذه الأمة خطأها: وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية والمسائل العملية».

قاعــــدة:

يجب التفريق بين الإطلاق والتعيين في التكفير؛ لأنه قد يشكل ما نقل عن بعض السلف والأئمة من إطلاق القول بتكفير من يقول كذا وكذا، أو يفعل كذا وكذا، فهذا القول منهم يقع على الإطلاق لا على التعيين، وهو كنصوص الوعيد التي وردت في القرآن مطلقة كقوله (تعالى): ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [سورة النساء: ١٠] وكذلك ما ورد فيمن فعل كذا فله كذا، فإن هذه مطلقة عامة. وهي بمنزلة من قال من السلف: من قال كذا فهو كذا، ثم الشخص المعين قد ينتفي حكم الوعيد في حقه، بتوبة أو حسنات ماحيات أو مصائب

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٧/٦١٩.

(٢) المرجع السابق ٣/٢٢٩ .

مكفرة أو شفاعة مقبولة ونحو ذلك من مسقطات العقوبة الأخروية، والتكفير هو من الوعيد، فإنه وإن كان القول تكذيباً لما قاله الرسول ﷺ لكن قد يكون الرجل حديث عهد بإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة، ومثل هذا لا يكفر بجحد ما يجحده حتى تقوم عليه الحجة، وقد يكون الرجل لم يسمع النصوص، أو سمعها و لم تثبت عنده، أو عارضها عنده معارض آخر أوجب تأويلها، وإن كان مخطئاً»[(١)].

قال الإمام الشافعي رحمه الله: «لله تعالى أسماء وصفات لا يسع أحداً قامت عليه الحجة ردها، فإن خالف بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر، فأما قبل ثبوت الحجة عليه فمعذور بالجهل؛ لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل، ولا بالروية والفكر ... »[(٢)].

ومع أن الإمام أحمد رحمه الله اشتهر عنه قوله: من قال بخلق القرآن فقد كفر، لكنه لم يكفر أعيان الجهمية، ولا كل من قال إنه جهمي، ولا كل من وافق الجهمية في بعض بدعهم، بل صلّى خلف الجهمية الذين دعوا إلى قولهم وامتحنوا الناس وعاقبوا من لم يوافقهم بالعقوبات الغليظة، و لم يكفرهم أحمد وأمثاله من الأئمة، بل كان يعتقد إيمانهم وإمامتهم ويدعو لهم، ويرى الائتمام بهم في الصلوات خلفهم، والحج الغزو معهم، والمنع من الخروج عليهم، ما يراه لأمثالهم من الأئمة، وينكر ما أحدثوا

---

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ٣/٢٣٠-٢٣١.

(٢) مختصر العلو ـ للذهبي ص: ١٧٧ رقم: ٢٠٢ .

من القول الباطل الذي هو كفر عظيم، وإن لم يعلموا هم أنه كفر، وكان ينكره ويجاهدهم على رده بحسب الإمكان؛ فيجمع بين طاعة الله ورسوله في إظهار السنة والدين، وإنكار بدع الجهمية الملحدين، وبين رعاية حقوق المؤمنين من الأئمة والأمة وإن كانوا جهالاً مبتدعين وظلمة فاسقين[(١)].

ولهذا فالمعين لا يكفر إلا بعد تحقق شروط وانتفاء موانع:

فمن الشروط:[(٢)]

١- أن يكون القول أو الفعل في نفسه كفراً، ويأتيه عن اختيار وتسليم.

٢- أن يكون لازم قوله الكفر، وعُرِض عليه فالتزمه، أما إذا لم يلتزمه بل رده وأنكره فليس بكافر.

٣- أن تقوم عليه الحجة الرسالية؛ لقوله (تعالى): ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [سورة الإسراء: ١٥].

وأما الموانع؛ فمنها:[(٣)]

١- أن يكون حديث عهد بالإسلام.

٢- أن يكون قد نشأ ببادية بعيدة، ويدخل في حكمه من لم يجد إلا علماء الابتداع والضلال يستفتيهم ويقتدي بهم.

---

(١) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٥٠٨/٧.

(٢) انظر : فتح المغيث ـ السخاوي ٣٣٤/١ ، ومجموع فتاوى ابن تيمية ٥٠٠/١٢-٥٠١.

(٣) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ١٧٩/٣، ٢٣١، ٣٤٥/٢٣-٣٤٦، ٢١٧/٧-٢١٨، وطريق الهجرتين ـ ابن القيم ص : ٤١٢-٤١٣.

٣- أن يكون مغيَّب العقل بجنون وما في حكمه.

٤- أن لا تبلغه النصوص، أو بلغته ولم تثبت عنده، أو لم يتمكن من فهمها.

٥- بلغته النصوص، وثبتت عنده، وفهمها لكن قام عنده معارض من رأي ونحوه أوجب تأويلها، وإن كان في ذلك مخطئاً.

ثانياً: استتابة المرتد والزنديق ونحوهما:

وهذا النوع قد يكون له نوع تعلق بما قبله، لكن المراد بالنوع الأول من كان مسلماً في الأصل، ثم قال قولاً أو فعلاً يحتمل وجوها من الكفر، فلا يكفر حتى تقام عليه الحجة، أما المرتد فهو من اختار الخروج عن الإسلام وأعلن ذلك، وكذلك الزنديق خرج عن الإسلام بباطنه، وإن كان يتعلق في ظاهره ببعض الإسلام.

١- استتابة المرتد:

المرتد هو من قطع الإسلام بنية كفر أو قول كفر أو فعل كفر، سواء قال ذلك استهزاءً أو عناداً أو اعتقاداً.[(١)] واستتابته تعني: طلب التوبة منه، وذلك قد يكون بمناظرته، وإزالة ما قد يتعلق به من الشبه.

وهناك أمور تتعلق باستتابة المرتد، منها:

---

(١) انظر: منهاج الطالبين - النووي ص: ١٢٠.

أ- ثبوت الردة:

والردة تثبت إما بإقرار المرتد، أو بشهادة اثنين من العدول في قول أكثر أهل العلم، وهو قول مالك والأوزاعي والشافعي وأصحاب الرأي. وقال ابن المنذر: ولا نعلم أحداً خالفهم إلا الحسن قال: لا يقبل في القتل إلا أربعة؛ لأنها شهادة بما يوجب القتل، فلم يُقبل فيها إلا أربعة، قياساً على الزنا[(١)].

ب- تفسير الشهادة:

أي لا تقبل الشهادة المجملة حتى تفصّل وتفسّر، جاء في منح الجليل[(٢)]: «... الشهادة فيه ـ أي كفر المسلم ـ ؛ لأنه يترتب عليه سفك دم، وقطع عصمة، وحجر مال، ومنع وارث وغيرها، فلا يكتفي القاضي بقول العدل: أشهد أنه كفر أو ارتد، حتى يبين وجهه؛ لاختلاف الناس فيما يكفر به، وقد يرى الشاهد تكفيره فيما ليس كفراً، وظاهر كلامه التفصيل ونحوه في التوضيح: ابن شاس: لا ينبغي أن تُقبل الشهادة على الردة دون تفصيل؛ لاختلاف المذاهب في التكفير، ابن عرفة : هذا حسن...».

ج- حكم إنكار المتهم بالردة:

إذا أنكر المتهم بالردة ما شُهِد به عليه من الردة، فالقول قوله وهو مسلم، نص عليه شيخ الإسلام ابن تيمية، وعزاه إلى أبي حنيفة والشافعي وأحمد[(٣)].

---

(١) انظر: المغني ـ ابن قدامة ٢٨٧/١٢ .

(٢) شرح منح الجليل ـ عليش ٤٦٥/٤، وانظر: الخرشي على مختصر خليل ٦٥/٨.

(٣) الاختيارات الفقهية ص: ٣٠٧، وانظر: الفروع لابن مفلح ١٧٢/٦-١٧٣.

حكم استتابة المرتد :

اختلفوا في حكم استتابة المرتد على مذهبين:

الأول: أنه يستتاب إما وجوباً أو استحباباً، وهو قول الجمهور.

الثاني: أنه لا يستتاب، وإليه ذهب الحسن وطاوس وأهل الظاهر، لكن هؤلاء قالوا: يجب أن يفرق بين من خرج عن الإسلام عن بصيرة فلا يستتاب، وبين من خرج لا عن بصيرة فإنه يستتاب، وقالوا: لكن إن جاء مبادراً بالتوبة خلي سبيله، ووكل أمره إلى الله (تعالى).

واستدل القائلون بمشروعية الاستتابة برواية أبي داود[(١)] عن طلحة بن يحيى وبريد بن عبد الله بن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري حين بعثه النبي ﷺ إلى اليمن ثم أتبعه بمعاذ، فقدم عليه معاذ وإذا رجل كان يهودياً فأسلم فارتد عن الإسلام، فقال معاذ: لا أنزل عن دابتي حتى يقتل، فقتل. قال أحدهما: وكان قد استتيب قبل ذلك. وفي رواية: فأتي أبو موسى برجل قد ارتد عن الإسلام، فدعاه عشرين ليلة أو قريباً منها، فجاء معاذ فدعاه فأبى، فضرب عنقه[(٢)].

وأصل القصة في الصحيحين، ولم تذكر فيها الاستتابة[(٣)]. قال الحافظ

(١) سنن أبي داود ٥٢٥/٤ كتاب الحدود - باب الحكم فيمن ارتد ح: ٤٣٥٥.

(٢) المرجع السابق ٥٢٦/٤ كتاب الحدود - باب الحكم فيمن ارتد ح: ٤٣٥٦.

(٣) انظر: صحيح البخاري ٢٦٨/١٢ (فتح الباري) كتاب استتابة المرتدين - باب حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم... ح:٦٩٢٣، وصحيح مسلم ١٤٥٧/٣ - كتاب الإمارة - باب النهي عن طلب الإمارة... ح: ١٧٣٣.

ابن حجر رحمه الله: «وقال أبو داود: رواه عبد الملك بن عميرة عن أبي بردة فلم يذكر الاستتابة، وكذا ابن فضيل عن الشيباني. وقال المسعودي عن القاسم -يعني ابن عبد الرحمن- في هذا القصة: فلم ينزل حتى ضرب عنقه، وما استتابه. قال الحافظ: وهذا يعارضه الرواية المثْبِتة؛ لأن معاذاً استتابه، وهي أقوى من الروايات الساكتة عنه لا تعارضها، وعلى تقدير ترجيح رواية المسعودي، فلا حجة فيه لمن قال بقتل المرتد بلا استتابة؛ لأن معاذاً يكون اكتفى بما تقدم من استتابة أبي موسى، وقد ذكرت قريباً أن معاذاً روى الأمر باستتابة المرتد والمرتدة». (١) ومقصوده قول النبي ﷺ لمعاذ: «أيما رجل ارتد عن الإسلام فادعه، فإن عاد وإلا ضربت عنقه، وأيما امرأة ارتدت عن الإسلام فادعها، فإن عادت وإلا فاضرب عنقها» (٢).

وقال الحافظ (٣): «واستدل ابن القصَّار (٣٩٨هـ) لقول الجمهور بالإجماع، يعني: السكوتي، لأن عمر كتب في أمر المرتد: "هلا حبستموه ثلاثة أيام، وأطعمتموه في كل يوم رغيفاً، لعله يتوب، فيتوب الله عليه" قال: ولم ينكر ذلك أحد من الصحابة، كأنهم فهموا من قوله ﷺ: "من بدل دينه فاقتلوه" (٤): أي إن لم يرجع، وقد قال (تعالى): ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا

(١) فتح الباري ٢٧٥/١٢.
(٢) فتح الباري ٢٧٢/١٢ وقال الحافظ: وسنده حسن.
(٣) فتح الباري ٢٦٩/١٢.
(٤) رواه البخاري في صحيحه عن ابن عباس ٢٦٧/١٢ (فتح الباري) كتاب استتابة المرتدين ... - باب حكم المرتد والمرتدة. ح: ٦٩٢٢.

الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ [سورة التوبة: ٥]».

واستدل المانعون بحديث: "من بدل دينه فاقتلوه"[١]. وقد تقدم قريباً توجيهه. وعلى المنع يدل صنيع البخاري كما قال الحافظ ابن حجر: «فإنه استظهر بالآيات التي لا ذكر فيها للاستتابة، والتي فيها أن التوبة لا تنفع، وبعموم قوله: من بدل دينه فاقتلوه، وبقصة معاذ التي بعدها، و لم يذكر غير ذلك»[٢].

ثم اختلف القائلون بالاستتابة: هل يكتفى بالمرة الواحدة، أم لا بد من ثلاث،وهل الثلاث في مجلس، أو في يوم، أو في ثلاثة أيام.

وعن علي بن أبي طالب ﷺ: يستتاب شهراً، وتقدم أن أبا موسى استتاب المرتد عشرين ليلة، وعن النخعي يستتاب أبداً. قال الحافظ ابن حجر: «كذا نقل عنه مطلقاً، والتحقيق أنه في من تكررت منه الردة»[٣]. لأنه يلزم منه أنه لا يقتل، وأنه يستمر في ردته، وهو فاسد، ويحتمل أن يكون مراده: أنه يستتاب قولاً واحداً، كأنه لم يعبأ بالمخالف. ويحمل ابن تيمية رحمه الله هذا القول على من رجيت توبته، فإنه يؤجل ما رجيت توبته، وهو مذهب الثوري رحمه الله[٤].

وقال السرخسي (٤٨٣هـ): «إذا طلب التأجيل أُجِّل ثلاثة أيام؛ لأن

---

(١) انظر : سبل السلام ٥٣٥/٣.

(٢) فتح الباري ٢٦٩/١٢ .

(٣) فتح الباري٢٦٩/١٢-٢٧٠.

(٤) انظر : الصارم المسلول ص : ٣٢١.

الظاهر أنه دخل عليه شبهة ارتد لأجلها، فعلينا إزالة تلك الشبهة، أو هو يحتاج إلى التفكر ليتبين له الحق، فلا يكون ذلك إلا بمهلة، فإن استمهل، كان على الإمام أن يمهله»[(١)].

الترجيح: والذي يبدو لي أن القول بالاستتابة الذي هو قول الجمهور أرجح، وكذا تكرارها بحيث لا تقل عن ثلاث، وأن ذلك منوط بمصلحة الإسلام وأهله؛ فإن كان في رجوع المرتد عن ردته إلى الإسلام إبقاء على دمه ودينه، وقوة للمسلمين، كان هذا هو الأفضل، وإن كان في قبول توبته بعد استتابته إضعاف للإسلام بحيث لا يطمئن إلى رجوعه، أو يكون ذلك فتحاً لباب الاستهتار بالدين وحرمته، كان الأفضل قتله من غير استتابة.

وكذلك إن تأكد لدى الإمام أن ردته إنما كانت بسبب شبهة طرأت عليه، سعى في إزالتها بكل سبيل، وعلى هذا يتنزل قول من قال: يستتاب أبداً.

٢- استتابة الزنديق:

والزنديق هو من أظهر الإسلام وأبطن الكفر، شبيه بالمنافق، وإن كان أصل الزندقة: القول بقدم النور والظلمة، وأصحابه هم الثنوية، وقيل هو: القول بدوام الدهر، وأصحابه هم الدهرية، وقيل: غير ذلك[(٢)].

---

(١) المبسوط ١٠/٩٨-٩٩.

(٢) انظر: فتح الباري ١٢/٢٧٠-٢٧١.

وقال مالك رحمه الله: الزندقة ما كان عليه المنافقون، قال الحافظ ابن حجر: «وكذا أطلق جماعة من الفقهاء الشافعية وغيرهم أن الزنديق هو الذي يظهر الإسلام، ويخفي الكفر»[١]. ولا يلزم منه اتحاد الزنديق والمنافق، بل كل زنديق منافق من غير عكس[٢].

ومن الزنادقة في الإسلام الباطنية والقرامطة، وأمثال جهم والجعد والحلاج، ونحوهم ممن قتل على الزندقة.

حكم استتابة الزنديق:

فيها مذاهب:[٣]

الأول: استتابته مطلقاً، قال الشافعي: يستتاب الزنديق كما يستتاب المرتد، وهو المشهور عند المالكية .

الثاني: عدم استتابته، وهو رواية عند أحمد وأبي حنيفة.

الثالث: لا تقبل توبته مع التكرار، أي: إذا تكرر منه لم تقبل توبته، وهو رواية عن أبي حنيفة وأحمد.

الرابع: وحكي عن مالك: إن جاء تائباً يقبل منه، وإلا فلا. وبه قال أبو يوسف، واختاره أبو إسحاق الإسفرائيني، وأبو منصور البغدادي.

---

(١) انظر : فتح الباري ٢٧١/١٢.

(٢) انظر : المرجع السابق ٢٧١/١٢.

(٣) انظر : الرد على الجهمية ـ الدارمي ص : ١١٢ وما بعدها، وفتح الباري ٢٧٢/١٢-٢٧٣.

الخـامس: يفرق بين الداعية فلا يقبل منه، وتقبل توبة غير الداعية.

السادس: وأفتى ابن الصلاح بأن الزنديق إذا تاب تقبل توبته، ويُعزَّر، فإن عاد، بادرناه بضرب عنقه و لم يمهل.

واستدل من منع استتابة الزنديق بقوله (تعالى): ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا﴾ [سورة البقرة: ١٦٠] فقال: الزنديق لا يطلع على صلاحه؛ لأن الفساد إنما أتى مما أسره، فإذا اطلع عليه وأظهر الإقلاع عنه لم يزد على ما كان عليه، وبقوله (تعالى): ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾ [سورة النساء: ١٣٧] وأجيب بأن المراد من مات منهم على ذلك كما فسَّره ابن عباس فيما أخرجه ابن أبي حاتم[(١)] وغيره، واستدل لمالك بأن توبة الزنديق لا تعرف، قال: وإنما لم يقتل النبي ﷺ المنافقين للتألف؛ ولأنه لو قتلهم لقتلهم بعلمه، فلا يُؤْمَن أن يقول قائل: إنما قتلهم لمعنى آخر.

واستدل بعضهم بخبر علي في قتل الزنادقة من غير استتابة، وتُعُقِّبَ بأنه وقع في بعض طرقه أنه استتابهم، كما في رواية ابن شريك العامري عن أبيه، وحسَّن إسناده الحافظ ابن حجر[(٢)].

ومن أدلة من جوَّز الاستتابة، قوله (تعالى): ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ [سورة المنافقين: ٢] فدلَّ على أن إظهار الإيمان يحصن من القتل، وكلهم أجمعوا على

(١) انظر: الدر المنثور ـ السيوطي ٢/٢٣٥ .

(٢) انظر: فتح الباري ١٢/٢٧٠.

أن أحكام الدنيا تجري على الظاهر والله يتولى السرائر، وقد قال ﷺ لأسامة: هلا شققت عن قلبه، وذلك حين قتل رجلاً بعد أن قال: لا إله إلا الله، ثم تعلّل أسامة بأنه إنما قالها خوفاً من السيف[(١)]. وقال للذي سارَّه في قتل رجل: أليس يصلي؟ قال: نعم. قال: أولئك الذين نهيت عن قتلهم[(٢)]. وفي حديث خالد بن الوليد[(٣)] لما استأذن النبي ﷺ في قتل من أنكر قسمته، وقوله: كم من مصلٍّ يقول بلسانه ما ليس في قلبه! فقال النبي ﷺ: إني لم أومر أن أُنْقُبَ عن قلوب الناس[(٤)].

وعقد الحافظ أبو سعيد الدارمي رحمه الله في كتابه الرد على الجهمية[(٥)] باباً بعنوان: **قتل الزنادقة والجهمية واستتابتهم من كفرهم**، ثم استدل على ذلك بفعل علي ﷺ مع السبئية، ثم قال: «فالجهمية عندنا زنادقة من أخبث الزنادقة، نرى أن يستتابوا من كفرهم، فإن أظهروا التوبة تركوا، وإن لم يظهروها [لم يتركوا][(٦)]، وإن شهدت عليهم بذلك شهود فأنكروا ولم يتوبوا قتلوا، كذلك بلغنا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه سنَّ في الزنادقة» ثم ذكر بسنده ما وقع لعلي مع الزنادقة، وذكر صنيع خالد القسري مع الجعد. ثم قال:

---

(١) انظر: صحيح مسلم ٩٦/١ كتاب الإيمان ـ تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله ح: ٩٦

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد ٤٣٢/٥-٤٣٣ .

(٣) تقدم تخريجه

(٤) انظر: فتح الباري ٢٧٣/١٢.

(٥) ص: ١١٢-١١٥.

(٦) في الأصل: [تركوا]، من غير أداة النفي، ولعل الصحيح ما أثبته .

حدثنا موسى بن إسماعيل قال: قلت لإبراهيم بن سعد: ما تقول في الزنادقة ترى أن نستتيبهم؟ قال: لا، قلت: فبم تقول ذلك؟ قال: كان علينا والٍ بالمدينة، فقتل منهم رجلاً و لم يستتبه، فسقط في يده، فبعث إلى أبي، فقال له أبي: لا يهدينك، فإنه قول الله عز وجل: ﴿فلمّا رأوا بأسنا﴾ قال: السيف: ﴿قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ * فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ [سورة غافر: ٨٤- ٨٥] قال: السيف. فقال: سنته القتل. وسمعت الربيع بن نافع أبا توبة الحلبي (٢٤١هـ) يقول: ناظرت أحمد بن حنبل رحمه الله في قتل هؤلاء الجهمية، فقال: يستتابون. فقلت له: أما خطباؤهم فلا يستتابون، وتضرب أعناقهم.

قال أبو سعيد الدارمي : لأن الخطباء اعتقدوه ديناً في أنفسهم على بصر منهم بسوء مذاهبهم، وأظهروا الإسلام تعوذاً وجنة من القتل، ولا تكاد ترى البصير منهم بمذهبه يرجع عن رأيه.

ثم قال أبو سعيد : حدثنا يحيى بن بكير المصري ثنا مالك بن أنس عن زيد بن أسلم أن النبي ﷺ قال: من غير دينه فاضربوا عنقه، قال مالك معنى حديث النبي ﷺ فيما نرى ـ والله أعلم ـ أنه من خرج من الإسلام إلى غيره؛ مثل الزنادقة وأشباههم، فإن أولئك يقتلون ولا يستتابون؛ لأنه لا تعرف توبتهم، وأنهم قد كانوا يسرون الكفر ويعلنون بالإسلام، فلا أرى أن يستتاب هؤلاء، ولا يقبل قولهم، وأما من خرج من الإسلام إلى غيره، وأظهر ذلك، فإنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل...

وقال الجويني رحمه الله: «وقد ذهبت طوائف من سلف هذه الأمة إلى أنه لا تقبل توبته بعدما ظهرت زندقته...» ثم قال: «وهذا خارج عندي عن قاعدة الشريعة؛ فإني لا أعرف خلافاً أن عسكراً من عساكر الإسلام إذا أناخوا بساحة الكفار، فلما أظلتهم السيوف وعاينوا مخايل الحتوف نطقوا بكلمتي الشهادة فيحكم بإسلامهم، وإن تحققنا أنهم لم يلهموا الهداية لدين الحق الآن. وكان رسول الله ﷺ يداري المنافقين مع القطع وتواتر الوحي بنفاقهم وشقاقهم وهو القدوة والأسوة»[(١)].

وكذلك يستتاب من جحد شيئاً من أركان الإسلام، أو تحريم شيء من محرماته، فإن تاب وإلا قتل؛ لأنه قد تكون عنده شبهة دفعته إلى جحود ما جحده. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وأما الفرائض الأربع، فإذا جحد وجوب شيء منها بعد بلوغ الحجة فهو كافر، وكذلك من جحد تحريم شيء من المحرمات الظاهرة المتواتر تحريمها؛ كالفواحش والظلم والكذب والخمر ونحو ذلك، وأما من لم تقم عليه الحجة مثل أن يكون حديث عهد بالإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة لم تبلغه فيها شرائع الإسلام ونحو ذلك، أو غلط فظن أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يستثنون من تحريم الخمر، كما غلط في ذلك الذين استتابهم عمر. وأمثال ذلك، فإنهم يستتابون وتقام الحجة عليهم، فإن أصروا

---

(١) غياث الأمم في التياث الظلم ص: ٢٣٠-٢٣١.

كفروا حينئذ ولا يحكم بكفرهم قبل ذلك، كما لم يحكم الصحابة بكفر قدامة ابن مظعون وأصحابه لما غلطوا فيما غلطوا فيه من التأويل»[(١)].

وذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله أن الإجماع استقر في حق من جحد شيئاً من الفرائض بشبهة أن يطالب بالرجوع، فإن نصب القتال قوتل وأقيمت عليه الحجة، فإن رجع وإلا عومل معاملة الكافر حينئذ[(٢)].

ثالثاً: عند قتال الإمام المخالفين:

المخالفون لأهل الإسلام أصناف:

١- أهل الكفر والشرك، فهؤلاء يدعوهم الإمام إلى الدخول في الإسلام، ويقيم عليهم الحجة قبل نصب القتال معهم، فقد تكون لهم شبهات وإشكالات تحتاج إلى كشف وتبيين، وقد تعرَّض القرآن الكريم لشبهات المشركين ونحوهم، وكشفها بالرد والإيضاح؛ قال (تعالى): ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [سورة الفرقان: ٣٣]. قال العماد ابن كثير: «﴿لا يأتونك بمثل﴾ أي: ولا يقولون قولاً يعارضون به الحق إلا أجبناهم بما هو الحق في نفس الأمر وأبين وأوضح وأفصح من مقالتهم»[(٣)].

٢- أهل الكتاب، وهؤلاء - أيضاً - يخيرهم الإمام بين الدخول في الإسلام وبين البقاء على مللهم مع دفع الجزية فإن أبوا فالسيف. وذكر ابن

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٦٠٩/٧-٦١٠.

(٢) فتح الباري ٢٨٠/١٢.

(٣) تفسير ابن كثير ٣٠٧/٣ .

تيمية رحمه الله أن كثيراً من أهل الكتاب يبلغهم الإسلام، ولكن يمنعهم من الإيمان شبهات يحتاجون إلى أجوبة عليها.[(١)]

٣- أهل البغي من الخوارج ونحوهم، يدعوهم الإمام إلى الدخول في الطاعة، والالتزام بالجماعة، فإن أجابوا وإلا دفعهم بالسيف. عقد البخاري رحمه الله في صحيحه[(٢)] **باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم**، ثم استدل بقوله (تعالى): ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ [سورة التوبة: ١١٥] وببعض الأخبار الواردة في قتال الخوارج. يقول العيني رحمه الله عند شرحه لهذا الباب: «يشير البخاري بذلك إلى أنه لا يجب قتال خارجي ولا غيره إلا بعد الإعذار عليه، ودعوته إلى الحق، وتبيين ما التبس عليه، فإن أبى عن الرجوع إلى الحق وجب قتاله بدليل الآية التي ذكرها »[(٣)].

ونسب ابن حجر رحمه الله إلى الطبري قوله إنه: «لا يجوز قتال الخوارج وقتلهم إلا بعد إقامة الحجة عليهم بدعائهم إلى الرجوع إلى الحق، والإعذار إليهم»[(٤)].

وقال الصنعاني رحمه الله: «واعلم أنه يتعين أولاً قبل قتالهم ـ يعني أهل البغي ـ دعاؤهم إلى الرجوع، وتكرير الدعاء، كما فعل علي رضي الله عنه

(١) انظر : الجواب الصحيح ١/٢٣٩-٢٤٠.

(٢) ١٢/٢٨٢.

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ـ العيني ٢٤/٨٤.

(٤) فتح الباري ١٢/٢٩٩.

في الخوارج، فإنهم لما فارقوه أرسل إليهم ابن عباس فناظرهم فرجع منهم أربعة آلاف وكانوا ثمانية آلاف، وبقي أربعة آلاف أَبَوْا أن يرجعوا وأصروا على فراقه فأرسل إليهم: كونوا حيث شئتم وبيننا وبينكم أن لا تسفكوا دماً حراماً، ولا تقطعوا سبيلاً، ولا تظلموا أحداً، فقتلوا عبد الله بن خباب صاحب رسول الله ﷺ ثم بقروا بطن سُرِّيته وهي حبلى، وأخرجوا ما في بطنها، فبلغ علياً كرم الله وجهه، فكتب إليهم: أقيدونا بقاتل عبد الله بن خباب، فقالوا: كلنا قتله، فأذن حينئذ في قتالهم وهي روايات ثابتة ساقها المصنِّف[1] في فتح الباري»[2].

وكذلك أهل البدع إذا كثروا ونصبوا قتالاً يدعوهم الإمام أولاً، ويقيم عليهم الحجة، فإن أبوا آذنهم بحرب. قال الجويني رحمه الله: «القول في أهل البدع إذا كثروا، فيدعوهم الإمام إلى الحق فإن أَبَوْا زجرهم ونهاهم عن إظهار البدع، فإن أصروا، سطا بهم عند امتناعهم عن قبول الطاعة، وقاتلهم مقاتلة البغاة، وهذا يطرد في كل جمع يعتزون إلى أهل الإسلام إذا سلوا أيديهم عن ربقة الطاعة»[3].

---

(١) يعني الحافظ ابن حجر رحمه الله.

(٢) سبل السلام ٣/٥٢٥، وانظر غياث الأمم ص: ٢١٤.

(٣) غياث الأمم ص: ٢١٥.

المبحث الثاني
شروط إقامة الحجة

لقيام الحجة شروط لا تعتبر إلا مع تحققها، وهي:

الشرط الأول: العلم بالحجة:

أي علم المكلَّف بالحجة؛ لأن الجاهل بها لا يؤاخذ، بل هو معذور على تفصيل سيأتي بيانه، وهذا يقتضي البلاغ من المخاطِب. ولهذا قطع الله (تعالى) الأعذار وأزاح العلل، بإرسال الرسل، وإنزال الكتب:

قال (تعالى): ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [سورة النساء: ١٦٥].

وقال (تعالى): ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى﴾ [سورة طه: ١٣٤].

وقال (تعالى): ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾ [سورة المائدة: ١٩].

وفي الحديث: «لا أحد أحب إليه العذر من الله»(١).

ولهذا لا يعذب الله (تعالى) أحداً في الدنيا ولا في الآخرة إلا بعد قيام الحجة الرسالية عليه؛ قال (تعالى): ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [سورة

---

(١) انظر: صحيح البخاري ٣٩٩/١٣ (فتح الباري) كتاب التوحيد ـ باب قول النبي ﷺ لا شخص أغير من الله ح: ٧٤١٦، وصحيح مسلم ٢١١٤/٤ كتاب التوبة ـ باب غيرة الله تعالى... ح: يلي ٢٧٦٠.

[الإسراء: ١٥] يقول أبو جعفر الطبري رحمه الله: «يقول (تعالى ذكره): وما كنا مهلكي قوم إلا بعد الإعذار إليهم بالرسل، وإقامة الحجة عليهم بالآيات التي تقطع عذرهم». ثم روى عن قتادة قوله في تفسيرها: «إن الله تبارك وتعالى ليس يعذب أحداً حتى يسبق إليه من الله خبر، أو يأتيه من الله بينة، وليس معذبا أحداً إلا بذنبه»[1].

وقال ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت و لم يؤمن بالذي أرسلتُ به، إلا كان من أصحاب النار»[2]. قال النووي رحمه الله في شرحه: «... وفي مفهومه دلالة على أن من لم تبلغه دعوة الإسلام فهو معذور، وهذا جار على ما تقدم في الأصول أنه لا حكم قبل ورود الشرع على الصحيح»[3]. أي فيه رد على القائلين بالوجوب العقلي من المعتزلة.

وقال (تعالى): ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ [سورة التوبة: ١١٥] روي أنه لما نزل تحريم الخمر وشُدِّد فيها، سألوا النبي ﷺ عمن مات وهو يشربها فأنزل الله الآية[4]. وقال الطبري رحمه الله: «يقول تعالى ذكره: وما كان الله ليقضي عليكم في استغفاركم لموتاكم المشركين بالضلال بعد إذ رزقكم الهداية، ووفقكم للإيمان به وبرسوله،

(١) تفيسر الطبري ٤١/١٥. ط. دار المعرفة.
(٢) صحيح مسلم ١٣٤/١ كتاب الإيمان ـ باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس... ح : ١٥٣.
(٣) شرح صحيح مسلم ١٨٨/٢.
(٤) انظر : تفسير القرطبي ٢٧٧/٨.

حتى يتقدم إليكم بالنهي عنه، فتتركوا الانتهاء عنه، فأما قبل أن يبين لكم كراهية ذلك بالنهي عنه، ثم تتعدوا نهيه إلى ما نهاكم عنه، فإنه لا يحكم عليكم بالضلال؛ لأن الطاعة والمعصية إنما يكونان من المأمور والمنهي، فأما من لم يؤمر و لم ينه فغير كائن مطيعاً أو عاصياً فيما لم يُؤْمر به و لم يُنه عنه»(١).

وعليه فكل من لم تبلغه حجة الله (تعالى) الرسالية لا يؤاخذ إلا بعد قيامها عليه؛ ولهذا كان حكم من مات في الفترة والمعتوه والأصم وأطفال المشركين ومن في حكم هؤلاء أنهم يمتحنون يوم القيامة على الصحيح من أقوال أهل العلم، واستدلوا على ذلك بقوله ﷺ : «أربعة يوم القيامة: رجل أصم لا يسمع شيئاً، ورجل أحمق، ورجل هرم، ورجل مات في فترة، فأما الأصم فيقول: رب لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئاً، وأما الأحمق فيقول: رب لقد جاء الإسلام والصبيان يحذفوني بالبعر، وأما الهرم فيقول: رب لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئاً، وأما الذي مات في الفترة، فيقول: رب ما أتاني لك رسول، فيأخذ مواثيقهم ليطيعنّه، فيرسل إليهم أن ادخلوا النار، قال: فوالذي نفس محمد بيده، لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاماً»(٢).

(١) تفسير الطبري ٥٣٦/١٤ ط. شاكر.

(٢) رواه أحمد في مسنده ٢٤/٤ من حديث الأسود بن سريع ، والبيهقي في كتاب الاعتقاد ص: ١٦٩ وصحح إسناده، وأورده ابن كثير في تفسيره ٢٩/٣ ، والهيثمي في مجمع الزوائد ٢١٦/٧ ، وعزاه إلى أحمد والبزار، وقال عن رجالهما : إنهم رجال الصحيح، وانظر : طريق الهجرتين - ابن القيم ص: ٣٩٧.

وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بأربعة يوم القيامة: بالمولود والمعتوه ومن مات في الفترة والشيخ الفاني، ألهم كلهم بحجته؛ فيقول الرب (تبارك وتعالى) لعنق من النار: أبرز، ويقول لهم: إني كنت أبعث إلى عبادي رسلاً من أنفسهم، وإني رسول نفسي إليكم. ادخلوا هذه. قال: فيقول: من كتب عليه الشقاء: يارب، أنّى ندخلها، ومنها كنا نفر؟ قال: ومن كتب عليه السعادة يمضي فيقتحم فيها مسرعاً، قال: فيقول الله (تعالى): أنتم لرسلي أشد تكذيباً ومعصية، فيدخل هؤلاء الجنة وهؤلاء النار»[(١)].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله بعد حكاية المذاهب في هذه المسألة، وترجيحه المذهب الذي ذكرته آنفاً: «وهذا القول يجمع بين الأدلة كلها وقد صرحت به الأحاديث المتقدمة المتعاضدة الشاهد بعضها لبعض، وهذا القول هو الذي حكاه الشيخ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري عن أهل السنة والجماعة[(٢)]، وهو الذي نصره الحافظ أبوبكر البيهقي في كتاب الاعتقاد[(٣)] وكذلك غيره من محققي العلماء، والحفاظ النقاد.

---

(١) رواه البيهقي في كتاب الاعتقاد ص: ١٦٩-١٧٠، وأبو يعلى في مسنده ٤/١٩٢-١٩٣ ح: ٤٢٠٩ من حديث أنس بن مالك، والطبراني في المعجم الكبير ٢٠/٨٣-٨٤ ح: ١٥٨ عن معاذ بن جبل، وفي مجمع الزوائد ٧/٢١٦ عن أبي سعيد الخدري بنحوه، وقال: رواه البزار، وفيه عطية وهو ضعيف، وبنحوه عن معاذ بن جبل قال رواه الطبراني في الأوسط والكبير وفيه عمرو بن واقد، وهو متروك عند البخاري وغيره، ورمي بالكذب، وقال محمد بن المبارك الصوري: كان يتبع السلطان، وكان صدوقاً، وبقية رجال الكبير رجال الصحيح.

(٢) لم أقف عليه في مظانه من كتب أبي الحسن الأشعري المتوفرة لدي .

(٣) انظر : ص : ١٦٨-١٧٠ .

وقد ذكر الشيخ أبو عمر بن عبد البر النمري[(١)] بعض ما تقدم من أحاديث الامتحان، ثم قال: وأحاديث هذا الباب ليست قوية ولا تقوم بها حجة، وأهل العلم ينكرونها؛ لأن الآخرة دار جزاء وليست بدار عمل ولا ابتلاء، فكيف يُكَلَّفون دخول النار وليس ذلك في وسع المخلوقين، والله لا يكلف نفساً إلا وسعها.

والجواب عما قال: أن أحاديث هذا الباب منها ما هو صحيح كما قد نص على ذلك كثير من أئمة العلماء، ومنها ما هو حسن، ومنها ما هو ضعيف يتقوى بالصحيح والحسن، وإذا كانت أحاديث الباب الواحد متصلة متعاضدة على هذا النمط أفادت الحجة عند الناظر فيها، وأما قوله إن الدار الآخرة دار جزاء فلا شك أنها دار جزاء، ولا ينافي التكليف في عرصاتها قبل دخول الجنة أو النار، كما حكاه الشيخ أبو الحسن الأشعري عن مذهب أهل السنة والجماعة من امتحان الأطفال، وقد قال (تعالى): ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ﴾ [سورة القلم: ٤٢] الآية، وقد ثبت في الصحاح[(٢)] وغيرها أن المؤمنين يسجدون لله يوم القيامة، وأن المنافق لا يستطيع ذلك، ويعود ظهره كالصفيحة الواحدة طبقاً واحداً، كلما أراد السجود خر لقفاه...» ثم قال رحمه الله: «وأما قوله: فكيف

(١) انظر نحوه في تجريد التمهيد له ص: ٣٢٦.

(٢) انظر: صحيح البخاري ٦٦٤/٨ (فتح الباري) كتاب التفسير - باب ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ ح: ٤٩١٩.

يكلفهم الله دخول النار وليس ذلك في وسعهم، فليس هذا بمانع من صحة الحديث، فإن الله يأمر عباده يوم القيامة بالجواز على الصراط، وهو جسر على جهنم أحدُّ من السيف، وأدق من الشَّعْر، ويمر المؤمنون عليه بحسب أعمالهم كالبرق وكالريح، وكأجاويد الخيل والركاب، ومنهم الساعي ومنهم الماشي ومنهم من يحبو حبواً، ومنهم المكدوش على وجهه في النار [(١)]، وليس ما ورد في أولئك بأعظم من هذا بل هذا أطم وأعظم ـ وأيضاً ـ فقد ثبتت السنة بأن الدجال يكون معه جنة ونار [(٢)]، وقد أمر الشارع المؤمنين الذين يدركونه أن يشرب أحدهم من الذي يرى أنه نار، فإنه يكون عليه برداً وسلاماً، فهذا نظير ذلك...» [(٣)].

وهذا الذي عليه أهل السنة من أن الحجة تقوم على المكلف بعد العلم بها، خلاف ما عليه المعتزلة القائلون بالتحسين والتقبيح العقليين، وأن العقل يوجب ويحظر ويبيح قبل ورود الشرع؛ فهذا مخالف لنصوص الكتاب والسنة المتقدمة وغيرها.

---

(١) انظر: صحيح البخاري ٤٢١/١٣ (فتح الباري) كتاب التوحيد ـ باب قول الله تعالى:﴿وجوه يومئذ ناظرة إلى ربها ناظرة﴾[القيامة:٢٢-٢٣] ح: ٧٤٣٩، ومسند أحمد ٢٥/٣ من حديث أبي سعيد الخدري.

(٢) انظر: صحيح البخاري ٤٩٤/٦ كتاب الأنبياء ـ باب ما ذكر عن بني إسرائيل ح: ٣٤٥٠، وصحيح مسلم ٢٢٤٩/٤-٢٢٥٠ كتاب الفتن ـ باب ذكر الدجال وصفته... ح: ٢٩٣٤-٢٩٣٦.

(٣) تفسير ابن كثير ٣٠/٣-٣١، وانظر: طريق الهجرتين ـ ابن القيم ص :٣٩٦ وما بعدها.

تنبيـــه:[1]

تقدمت الإشارة إلى أن الجهل عذر، أي أنه يحول دون لحوق العذاب بصاحبه، وهذا الأمر ليس على إطلاقه، بل فيه تفصيل. وبيانه: أنه يقال: لا بد من التفريق بين جاهل تمكَّن من العلم ومعرفة الحق ثم أعرض عنه، وجاهل لم يتمكَّن من ذلك بوجه:

فالمتمكِّن المعرض مفرِّط تارك للواجب عليه، لا عذر له عند الله، وأما العاجز عن السؤال والعلم ولا يتمكن منه بوجه، فهو قسمان:

الأول: مريد للهدى، مؤثر له، محب له، لكنه غير قادر عليه وعلى طلبه، وذلك لعدم وجود من يرشده، فهذا حكمه حكم أرباب الفترات ومن لم تبلغه الدعوة، وقد تقدم بيان حالهم وحكمهم.

الثاني : معرض لا إرادة له، لكنه لا يحدث نفسه بغير ما هو عليه.

فالأول: يقول: يارب لو أعلم لك ديناً خيراً مما أنا عليه لدنتُ به، وتركت ما أنا عليه، ولكن لا أعرف سوى ما أنا عليه، ولا أقدر على غيره، فهو غاية جهدي ونهاية معرفتي.

والثاني: راض بما هو عليه، لا يؤثر عليه، ولا تطلب نفسه سواه، ولا فرق عنده بين حال عجزه وقدرته، فهذا لا يجب أن يلحق بالأول لما بينهما من الفرق:

---

(١) انظر : طريق الهجرتين ص:٤١٢-٤١٣، ومجموع فتاوى ابن تيمية ١٦/٢٢، واقتضاء الصراط المستقيم ٢/٥٨٠.

فالأول: كمن طلب الدين في الفترة و لم يظفر به، فعدل عنه ــ بعد استفراغ الوسع في طلبه ـ عجزاً وجهلاً.

والثاني: كمن لم يطلبه، بل مات على شركه وإن كان لو طلبه لعجز عنه، ففرق بين عجز الطالب وعجز المعرض.

الشرط الثاني: فهم الحجة:

فقد تبلغ المكلف الحجة، ويعلم بها، لكنه لا يفهمها فهماً تقوم به الحجة عليه، كأن لا يفهم معنى ما خوطب به، أو كانت المسألة من دقائق العلم وخفاياه، التي لا يقف عليه إلا أهل العلم المتعمقون فيه، أو قد يقوم عنده معارض يمنعه من فهم مراد الشارع كالشبه التي ترد على بعض الناس، أو الأدلة المتعارضة ونحو ذلك. فهذا ينبغي أن يفهم الحجة، وأن يزال عنه ما يمنعه من فهمها وإدراكها، وهذا يقتضي البيان والإيضاح من المخاطِب؛ ولهذا أرسل الله (تعالى) كل رسول بلسان قومه، كما قال (تعالى) : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [سورة إبراهيم: ٤]، قال ابن كثير رحمه الله[(١)] : «هذا من لطفه (تعالى) بخلقه أنه يرسل إليهم رسلاً منهم بلغاتهم، ليفهموا عنهم ما يريدون وما أرسلوا به إليهم» ثم استدل بحديث أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ : «لم يبعث الله نبياً إلا بلغة قومه»[(٢)] .

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/٥٠٤.

(٢) انظر مسند أحمد ٥/١٥٨

ولهذا قال (تعالى) بعدها: ﴿فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [سورة إبراهيم: ٤] قال ابن كثير: «أي: بعد البيان وإقامة الحجة عليهم، يضل الله من يشاء عن وجه الهدى، ويهدي من يشاء إلى الحق»[١].

وقال القرطبي رحمه الله عند تفسير هذه الآية: «ولا حجة للعجم وغيرهم في هذه الآية؛ لأن كل من تُرجم له ما جاء به النبي ﷺ ترجمة يفهمها لزمته الحجة»[٢].

فحجة الله لا تقوم على خلقه إلا بالبيان من الرسول والفهم من المكلف؛ ولهذا قال موسى عليه السلام في تعليل سؤاله الله (تعالى) أن يرسل معه أخاه هارون وزيراً: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ [سورة القصص: ٣٤].

فلو أن الله (تعالى) خاطب أمة بغير لسانها لما فهمت خطابه لها، فلا تقوم عليها الحجة بذلك الخطاب؛ قال أبو جعفر الطبري رحمه الله: «...كان معلوماً أنه غير جائز أن يخاطب الله (جل ذكره) أحداً من خلقه إلا بما يفهمه المخاطَب، ولا يرسل إلى أحد منهم رسولاً برسالة إلا بلسان وبيان يفهمه المرسَل إليه؛ لأن المخاطَب والمرسَل إليه إن لم يفهم ما خوطب به وأُرسل به إليه فحاله قبل الخطاب وقبل مجيء الرسالة وبعده سواء، إذ لم يُفِدْه الخطابُ والرسالةُ شيئاً كان به قبل ذلك جاهلاً»[٣].

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/٥٠٤.

(٢) تفسير القرطبي ٩/٣٤٠.

(٣) تفسير الطبري ١/١١ (المقدمة) ط. شاكر.

وقال (تعالى): ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [سورة التوبة: ٦] قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «قد علم أن المراد أنه يسمعه سمعاً يتمكن معه من فهم معناه، إذ المقصود لا يقوم بمجرد سمع لفظ لا يتمكن معه من فهم المعنى، فلو كان غير عربي وجب أن يترجم له ما يقوم به عليه الحجة، ولو كان عربياً وفي القرآن ألفاظ غريبة ليست من لغته وجب أن يُبيَّن له معناها، ولو سمع اللفظ كما يسمعه كثير من الناس، و لم يفقه المعنى وطلب منا أن نفسره له ونبين له معناه فعلينا ذلك، وإن سألنا عن سؤال يقدح في القرآن أجبناه عنه كما كان النبي ﷺ إذا أورد عليه بعض المشركين أو أهل الكتاب أو المسلمين سؤالاً يوردونه على القرآن، فإنه كان يجيبهم عنه...»[(١)].

ومما يبين أن فهم الحجة أمر مهم في إقامتها ما وقع في عهد عمر بن الخطاب ﷺ من شرب الخمر من بعض الناس على سبيل التأويل، فقد روى ابن أبي شيبة (٢٣٥هـ) في مصنفه[(٢)] عن علي ﷺ قال: «شرب قوم من أهل الشام الخمر وعليهم يزيد بن أبي سفيان، وقالوا: هي لنا حلال، وتأوّلوا هذا الآية: ﴿ لَيسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ [سورة المائدة: ٩٣] قال : وكتب فيهم إلى عمر، فكتب أن ابعث بهم إلي قبل أن يُفسدوا مَنْ قِبَلك، فلما قدموا على عمر استشار فيهم الناس

(١) الجواب الصحيح ١/٢٢٢ .

(٢) ٩/٥٤٦ برقم : ٨٤٥٨ ، وانظر مصنف عبد الرزاق ٩/٢٤٠-٢٤٢ كتاب الأشربة ـ باب من حد من أصحاب النبي ﷺ ح : ١٧٠٧٥، وانظر : فتح الباري ١٢/٧٠ .

فقالوا: يا أمير المؤمنين، نرى أنهم قد كذبوا على الله، وشرعوا في دينهم مالم يأذن به الله فاضرب رقابهم، وعلي ساكت، فقال: ما تقول يا أبا الحسن فيهم؟ قال: أرى أن تستتيبهم، فإن تابوا جلدتهم ثمانين لشرب الخمر، وإن لم يتوبوا ضربت رقابهم، قد كذبوا على الله وشرعوا في دينهم مالم يأذن به الله. فاستتابهم فتابوا، فضربهم ثمانين ثمانين».

وعند البيهقي أن الشارب هو قدامة بن مظعون، وأنه احتج بهذه الآية، فقال له عمر ﷺ: أخطأت التأويل، إن اتقيت الله اجتنبت ما حرم الله عليك[(١)].

وفي رواية عن ابن عباس أن عمر أُتي برجل من المهاجرين الأولين وقد شرب الخمر، فأمر به أن يجلد، فقال: لم تجلدني، بيني وبينك كتاب الله، قال: وفي أي كتاب الله تجد أن لا أجلدك؟ قال: إن الله (تعالى) يقول في كتابه: ﴿لَيسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ [سورة المائدة: ٩٣] شهدتُ مع رسول الله ﷺ بدراً وأحداً والخندق والمشاهد، فقال عمر ﷺ: ألا تردون عليه ما يقول؟ فقال ابن عباس: إن هؤلاء الآيات نزلت عذراً للماضين وحجة على الباقين، فعذر الماضين لأنهم لقوا الله عز وجل قبل أن تحرم عليهم الخمر[(٢)]، وحجة على الباقين لأن الله (تعالى)

(١) انظر: السنن الكبرى للبيهقي ٨/٣١٥-٣١٦ كتاب الأشربة - باب ما جاء في عدد حد الخمر.

(٢) في مناسبة نزول الآية انظر: صحيح البخاري ٥/١١٢ كتاب المظالم - باب صب الخمر في الطريق ح: ٢٤٦٤ و٨/٢٧٨ كتاب التفسير - باب ﴿ليس على الذين ءامنوا وعملوا الصالحات جناح ...﴾ الآية ح: ٤٦٢٠، وسنن الترمذي ٨/٢١٨-٢١٩ أبواب التفسير - سورة المائدة ح: ٣٠٥٤-٣٠٥٥ وقال في كلٍ منهما: هذا حديث حسن صحيح ومسند الإمام أحمد ١/٢٩٥، ٣/٢٢٧.

يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ الْأَزْلَامُ﴾ [سورة المائدة: ٩٠] الآية، فإن كان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وأحسنوا، فإن الله قد نهى أن تُشْرَبَ الخمر. قال عمر ﷺ: فماذا ترون؟ قال علي بن أبي طالب ﷺ: نرى أنه إذا شرب سكر، وإذا سكر هذى، وإذا هذى افترى، وعلى المفتري ثمانون جلدة، فأمر عمر فجلد ثمانين»(١).

هذا يعني أنه لم يستحل الخمر إلا تأوّلاً، فلما انتفت عنه الشبهة التي بنى عليها الاستحلال، ووضح له الحق رجع عن اعتقاده؛ ولهذا أقيم عليه حد الخمر، لا حد الردة.

وهذا من أعظم فوائد الاستتابة؛ لأنه قد يسيء الرجل فهم بعض النصوص، فيبني على ذلك أحكاماً فاسدة، وباستتابته ومناظرته تظهر الحجة وتتضح المحجة، فإما أن يقيم على اعتقاده الأول فتنزل عليه العقوبة المناسبة، أو يرجع فيذرأ عن نفسه ما كان قد يحل به.

ولهذا ندم أولئك النفر الذين استحلوا شرب الخمر، وعلموا أنهم قد أخطأوا، حتى أيسوا من التوبة لعظم ما وقعوا فيه، فكتب عمر ﷺ لقُدامة، يقول له: ﴿حم * تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ [سورة غافر: ١-٣] ما أدري أي ذنبيك أعظم؟ استحلالك المحرم أولاً، أم يأسك من رحمة الله ثانياً؟!(٢).

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي ٨/٣٢٠-٣٢١ كتاب الأشربة ـ باب ما جاء في عدد حد الخمر.

(٢) شرح الطحاوية ٢/٤٤٨.

وعدم فهم الحجة نوعان:[(١)]

أحدهما: أن لا يفهمها مطلقاً، أي لا يدرك المقصود منها أصلاً، ودليله حديث[(٢)]: «رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن المبتلى حتى يبرأ، وعن الصبي حتى يكبر» وفي رواية: «وعن المجنون حتى يعقل أو يفيق»[(٣)]. وهؤلاء فاقدون لعقل التكليف، فلا يفهمون ما خوطبوا به أصلاً.

الثاني: أن يفهم الحجة على خلاف المقصود منها، ودليل ذلك حديث قدامة بن مظعون المتقدم، وأيضاً ـ حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه حيث قال: «لما نزلت: ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾ [سورة البقرة: ١٨٧] عمدتُ إلى عقال أسود وإلى عقال أبيض، فجعلتهما تحت وسادتي، فجعلت أنظر في الليل فلا يستبين لي، فغدوت على رسول الله ﷺ فذكرت له ذلك، فقال: إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار»[(٤)].

---

(١) انظر: موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع ـ د. إبراهيم بن عامر الرحيلي ٢٠٨/١-٢٠٩

(٢) سنن أبي داود ٥٥٨/٤ كتاب الحدود ـ باب في المجنون يسرق أو يصيب حداً ح: ٤٣٩٨.

(٣) سنن ابن ماجه ٦٥٨/١ كتاب الطلاق ـ باب طلاق المعتوه والصغير والنائم ح: ٢٠٤١، والحاكم في مستدركه ٥٩/٢ كتاب البيوع، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه ٣٤٧/١ ح: ١٦٦٠، وانظر: صحيح ابن حبان ١٧٨/١ ح: ١٤٢.

(٤) صحيح البخاري ١٣٢/٤ كتاب الصوم ـ باب قول الله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ...﴾[البقرة:١٨٧] الآية ح: ١٩١٦، وصحيح مسلم ٧٦١/٢-٧٦١ كتاب الصيام ـ باب بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر ... ح: ١٠٩٠.

وإذا قيل: فهم الحجة شرط في إقامتها، فليس المقصود أن يفهمها كما كان يفهمها أبوبكر وعمر وخيار الصحابة رضي الله عنهم، بل المقصود أن يفهمها فهماً يصير به عاقلاً لمعناه، مدركاً لمقتضياتها، قال الشيخ محمد ابن عبد الوهاب رحمه الله: «... فإذا كان المعين يكفر إذا قامت عليه الحجة، فمن المعلوم أن قيامها ليس معناه أن يفهم كلام الله ورسوله مثل فهم أبي بكر ﷺ، بل إذا بلغه كلام الله ورسوله وخلا من شيء يعذر به فهو كافر، كما كان الكفار كلهم تقوم عليهم الحجة بالقرآن مع قول الله: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ [سورة الأنعام: ٢٥] وقوله: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [سورة الأنفال: ٢٢].[(١)]

فالآيات التي استدل بها الشيخ رحمه الله تدل على أن الله نفى عن المشركين سمع وعقل الهداية والتوفيق، لا عقل التكليف؛ لأنه (تعالى) لا يؤاخذ من كان فاقداً لعقل التكليف، بل لا فائدة في خطابه أصلاً. يقول الإمام الشوكاني رحمه الله عند تفسير قوله (تعالى): ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾ [سورة الفرقان: ٤٤]: «أي: ما هم في الانتفاع بما يسمعونه إلا كالبهائم التي هي مسلوبة الفهم والعقل، فلا تطمع فيهم، فإن فائدة السمع والعقل مفقودة، وإن كانوا يسمعون ما يقال لهم، ويعقلون ما يتلى عليهم، ولكنهم لما لم ينتفعوا بذلك كانوا كالفاقد له»[(٢)].

---

(١) رسالة جوابية للشيخ محمد بن عبد الوهاب أرسلها إلى رجل من أهل الحسا، وهي ضمن مؤلفات الشيخ ـ القسم الخامس ـ الرسائل الشخصية ص : ٢٢٠-٢٢١ .

(٢) فتح القدير ٤/٧٨.

ومما يدل على أن الكفار يفهمون معنى ما خوطبوا به: قوله (تعالى) في أهل الكتاب: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [سورة البقرة: ١٤٦] وقوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ [سورة البقرة: ٨٩] مع قوله في اليهود: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ [سورة الجمعة: ٥].

فتبين أن المقصود هنا نفي فهم الهداية والتوفيق والانتفاع، لا فهم مجرد الخطاب.

وأختم هذه المسألة ببعض النصوص لشيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم (رحمهما الله).

أولاً: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وهكذا الأقوال التي يكفر قائلها قد يكون الرجل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق، وقد تكون بلغته ولم تثبت عنده، أو لم يتمكن من فهمها، وقد يكون قد عرضت له شبهات يعذره الله بها. فمن كان من المؤمنين مجتهداً في طلب الحق، وأخطأ، فإن الله تعالى يغفر له خطأه، كائناً ما كان، سواء كان في المسائل النظرية، أو العملية، هذا الذي عليه أصحاب النبي ﷺ وجماهير أئمة الإسلام»[1].

وقال ـ أيضاً ـ رحمه الله: « ... ولهذا كنتُ أقول للجهمية من الحلولية والنفاة، الذين نفوا أن الله (تعالى) فوق العرش، لما وقعت محنتهم: أنا لو وافقتكم كنتُ كافراً؛ لأني أعلم أن قولكم

(١) فتح القدير ٤/٧٨.

كفر، وأنتم عندي لا تكفرون؛ لأنكم جهال. وكان هذا خطاباً لعلمائهم، وقضاتهم، وشيوخهم، وأمرائهم ...»[(١)].

ثانياً: قال الإمام ابن القيم: «إن قيام الحجة يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأشخاص؛ فقد تقوم حجة الله على الكفار في زمان دون زمان، وفي بقعة وناحية دون أخرى، كما أنها تقوم على شخص دون آخر، إما لعدم عقله وتمييزه كالصغير والمجنون، وإما لعدم فهمه؛ كالذي لا يفهم الخطاب، ولم يحضر ترجمان يترجم له، فهذا بمنزلة الأصم الذي لايسمع شيئاً، ولا يتمكن من الفهم، وهو أحد الأربعة الذين يدلون بالحجة يوم القيامة»[(٢)].

الشرط الثالث: التمكن من التزام الحجة، والقيام بمقتضياتها:

لا يعاقب كل من لم يلتزم بما علمه واعتقده حتى يتمكن من فعل ما أمر به، أو ترك ما نهي عنه؛ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «...الأصل الذي عليه السلف والجمهور أن الله (تعالى) لا يكلف نفساً إلا وسعها، فالوجوب مشروط بالقدرة، والعقوبة لا تكون إلا على ترك مأمور أو فعل محظور بعد قيام الحجة »[(٣)].

ويقول رحمه الله في موضع آخر[(٤)] مبيناً هذا الأصل: «... وكذلك الكفار: من بلغته دعوة النبي ﷺ في دار الكفر، وعلم أنه رسول الله فآمن

(١) الرد على البكري - لابن تيمية ص : ٢٦٠ .
(٢) طريق الهجرتين ص :٤١٤.
(٣) منهاج السنة ١٢٥/٥.
(٤) منهاج السنة ١١١/٥-١١٤.

به، وآمن بما أنزل عليه، واتقى الله ما استطاع، كما فعل النجاشي وغيره، ولم يمكنه الهجرة إلى دار الإسلام، ولا التزام جميع شرائع الإسلام؛ لكونه ممنوعاً من الهجرة، وممنوعاً من إظهار دينه، وليس عنده من يُعلّمه جميع شرائع الإسلام، فهذا مؤمن من أهل الجنة، كما كان مؤمن آل فرعون مع قوم فرعون، وكما كانت امرأة فرعون، بل وكما كان يوسف الصديق عليه السلام مع أهل مصر، فإنهم كانوا كفاراً، ولم يكن يمكنه أن يفعل معهم كل ما يعرفه من دين الإسلام، فإنه دعاهم إلى التوحيد والإيمان فلم يجيبوه، قال (تعالى) عن مؤمن آل فرعون: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾ [سورة غافر: ٣٤] وكذلك النجاشي هو وإن كان ملك النصارى، فلم يطعه قومه في الدخول في الإسلام، بل إنما دخل معه نفر منهم، ولهذا لما مات لم يكن هناك من يصلي عليه، فصلّى عليه النبي ﷺ بالمدينة: خرج بالمسلمين إلى المصلّى فصفهم صفوفاً وصلّى عليه، وأخبرهم بموته يوم مات، وقال: إن أخاً لكم صالحاً من أهل الحبشة مات[1].

وكثير من شرائع الإسلام ـ أو أكثرها ـ لم يكن دخل فيها لعجزه عن ذلك، فلم يهاجر ولم يجاهد ولا حج البيت، بل قد روي أنه لم يكن يصلي الصلوات الخمس، ولا يصوم شهر رمضان، ولا يؤدي الزكاة

(١) الحديث في صحيح البخاري ١٩١/٧ كتاب مناقب الأنصار ـ باب موت النجاشي ح: ٣٨٧٧-٣٨٨١، وانظر صحيح مسلم ٦٥٦/٢-٦٥٨ كتاب الجنائز ـ باب في التكبير على الجنازة ح: ٩٥١-٩٥٣.

الشرعية؛ لأن ذلك كان يظهر عند قومه فينكرونه عليه، وهو لا يمكنه مخالفتهم. ونحن نعلم قطعاً أنه لم يكن يمكنه أن يحكم بينهم بحكم القرآن... ».

ثم قال رحمه الله: «والنجاشي ما كان يمكنه أن يحكم بحكم القرآن، فإن قومه لا يقرونه على ذلك، وكثيراً ما يتولّى الرجل بين المسلمين والتتار قاضياً - بل وإماماً - وفي نفسه أمور من العدل يريد أن يعمل بها، فلا يمكنه ذلك، بل هناك من يمنعه ذلك، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

وعمر بن عبد العزيز عودي وأوذي على بعض ما أقامه من العدل، وقيل: إنه سُمَّ على ذلك.

فالنجاشي وأمثاله سعداء في الجنة، وإن كانوا لم يلتزموا من شرائع الإسلام ما لا يقدرون على التزامه، بل كانوا يحكمون بالأحكام التي يمكنهم الحكم بها...».

ثم قال رحمه الله في موضع آخر: «وبالجملة لا خلاف بين المسلمين أن من كان في دار الكفر، وقد آمن وهو عاجز عن الهجرة، لا يجب عليه من الشرائع ما يعجز عنها، بل الوجوب بحسب الإمكان»[1].

---

(١) منهاج السنة ١٢٢/٥.

الفصل الخامس
المباهلة: معناها، وصورتها، وحكمها، وشروطها، ومجالاتها، ونماذج منها

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: معنى المباهلة وصورتها

المبحث الثاني: حكم المباهلة

المبحث الثالث: شروط المباهلة وآدابها

المبحث الرابع: مجالات المباهلة

المبحث الخامس: نماذج من المباهلة

المبحث الأول

معنى المباهلة وصورتها

قال ابن فارس: البـاء والهـاء والـلام أصـول ثلاثـة: أحدهـا: التخليـة، والثاني: جنس من الدعاء، والثالث: قلة في الماء[(١)].

والذي يهمنا في هذا الباب المعنى الثاني، وهو الدعاء.

والبَهْل معناه: اللعن، بهله الله بهـلاً: أي لعنـه، وعليـه بهلـة الله، أي لعنته. وباهل القوم بعضهم بعضاً، وتباهلوا إذا تلاعنوا. والمباهلة: الملاعنة. ومـن ذلـك قولـه (تعـالى): ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [سورة آل عمران: ٦١]. أي نخلص في الدعاء، ويجتهد كـل منـا في الدعـاء واللعـن علـى الكاذب منا. ولهذا قال أبو عبيدة والكسائي في قوله (تعـالى): ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾ [سورة آل عمران: ٦١]: أي نلتعن[(٢)].

وقال ابن هشام: قال أبو عبيدة: نبتهل: ندعو باللعنة، قال أعشى بـني قيس بن ثعلبة:

لا تَقْعُدَنَّ وقد أَكَّلْتَها حَطَبَاً ... نعوذ من شرها يوماً ونَبْتَهِل[(٣)]

يقول: ندعو باللعنة[(٤)].

---

(١) معجم مقاييس اللغة ١/٣١٠ .

(٢) انظر : تفسير القرطبي ٤/١٠٤.

(٣) ديوان الأعشى ص : ١٤٨ من قصيدة مطلعها :

ودِّع هريرة إن الركب مرتحل ... وهل تطيق وداعا أيها الرجل

(٤) سيرة ابن هشام ٢/٢٦٥.

وصورة المباهلة : أن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء، فيقولوا: لعنة الله على الظالم منا[1].

وعلاقتها بالجدل والمناظرة أنها مرحلة متأخرة، ينتهي عندها أحد الخصمين إلى العناد، والمكابرة وشدة الخصومة، على الرغم من ظهور الحق له ولكل من حضر، وظهور باطله، وبيان عواره، وانقطاعه، لكنه يرضى لنفسه بالتأبي عن قبول الحق، والتمنع للانقياد للحجة الظاهرة، فيدعوه خصمه إلى المباهلة قطعاً لعناده، وكسراً لباطله، فتحصل بينهما المباهلة إن استجاب المبطل، أو يمتنع فله بعد ذلك حالان:

إما أن يدخل في دين المحق، ومذهبه ويسلم له، وإما أن يبقى في عناده واستكباره ولجحه، فيظهر انقطاعه، ويتضح أنه ليس على شيء.

(١) انظر : لسان العرب ٧٢/١١.

المبحث الثاني

حكم المباهلة

حكم المباهلة الجواز وذلك عند ظهور الحجة على الخصم، وبطلان دعواه، فإذا لم يقر ويتابع، جاز دعاؤه إلى المباهلة.

ومما يبين مشروعية المباهلة دعوة النبي ﷺ مخالفيه من اليهود والنصارى لها، كما سيأتي، وأيضاً دعوة بعض الصحابة، وبعض أهل العلم مخالفيهم لها. من ذلك ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ليتق الله زيد! أيجعل ولد الولد بمنزلة الولد؟، لا يجعل أب الأب بمنزلة الأب، إن شاء باهلته عند الحجر الأسود.

وعنه ـ أيضاً ـ قال: من شاء باهلته أن الظهار ليس من الأمَة، إنما قال الله: ﴿مِن نِّسَآئِهِمْ﴾[1] [سورة المجادلة: ٢].

وروى الخطيب البغدادي بسنده إلى ابن عباس قال: وددت أن هؤلاء الذين يخالفوني في الفريضة نجتمع فنضع أيدينا على الركن، ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين[2].

وفي رواية: قال: فإن شاءوا فلندع أبناءنا وأبناءهم، ونساءنا ونساءهم، وأنفسنا وأنفسهم، ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين[3].

---

(١) انظر : جامع بيان العلم ١٣١/٢

(٢) الفقيه والمتفقه ٦٣/٢.

(٣) المرجع السابق ٦٤/٢.

وطلب الأوزاعي من الثوري الملاعنة عند الركن: أينا على الحق، في شأن الاستدلال على بعض مسائل الفروع، كرفع اليدين في الركوع والرفع منه، وذلك في مسجد الخيف[(١)].

وقال ابن القيم رحمه الله وهو يعدد فوائد قصة وفد نجران: «ومنها أن السنة في مجادلة أهل الباطل إذا قامت عليهم حجة الله، ولم يرجعوا، بل أصروا على العناد أن يدعوهم إلى المباهلة، وقد أمر الله سبحانه بذلك رسوله، ولم يقل: إن ذلك ليس لأمتك من بعدك، ودعا إليه ابن عمه عبد الله بن عباس لمن أنكر عليه بعض مسائل الفروع، ولم يُنكر عليه الصحابة، ودعا إليه الأوزاعي سفيان الثوري في مسألة رفع اليدين، ولم يُنكر عليه ذلك، وهذا من تمام الحجة»[(٢)].

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله في فوائد القصة نفسها: «وفيها مشروعية مباهلة المخالف إذا أصر بعد ظهور الحجة، وقد دعا ابن عباس إلى ذلك، ثم الأوزاعي، ووقع ذلك لجماعة من العلماء، ومما عرف بالتجربة أن من باهل وكان مبطلاً لا تمضي عليه سنة من يوم المباهلة، ووقع لي ذلك مع شخص كان يتعصب لبعض الملاحدة، فلم يقم بعدها غير شهرين»[(٣)].

---

(١) انظر: محاسن المساعي في مناقب الأوزاعي ص: ٦٩-٧٢.

(٢) زاد المعاد ٦٤٣/٣.

(٣) فتح الباري ٩٥/٨.

المبحث الثالث

شروط المباهلة وآدابها

للمباهلة شروط وآداب وقفت عليها بالاستقراء والتأمل، منها:

١- لا تصح المباهلة إلا بعد ظهور الحجة من المحق، وظهور العناد واللجاج من الخصم المبطل، فالمباهلة تظهر ما يبطنه المبطل، وتقطع عليه عناده وتلاعبه، وتختصر الطريق إلى بيان الحق وظهوره.

٢- أن يكون صاحب الحق على يقين من حجته، وصحة أمره، وعلى يقين من فساد قول خصمه، وبطلان أمره، وإلا فلا يعرض نفسه للتلف، ودينه للطعن.

٣- أن يشترط المحق على المبطل متابعته على الحق، متى ظهر ذلك بالمباهلة، لا سيما إذا لم تكن المباهلة بالموت؛ لأنه إذا مات المبطل، فلا معنى لاشتراط دخوله في دين المحق، لكن قد يشترط ذلك على أتباعه وقومه ونحوهم.

٤- يجوز أن يشترط المحق ما يفسد الحيل التي قد يستعملها المبطل، على نحو ما فعل شيخ الإسلام مع طائفة البطائحية، كما سيأتي ذكرها.

المبحث الرابع
مجالات المباهلة

الذي يبدو لي أن المباهلة يجوز أن تكون في كل المسائل المختلف فيها، سواء كان منها ما يتعلق بالعقائد صغيرها وكبيرها، أو ما يتعلق بالأحكام الفقهية، والذي يدل على ذلك ما تقدم من صنيع ابن عباس والأوزاعي رضي الله عنهما.

أما هل تكون المباهلة مع الكفار الملحدين أو مع أصحاب الأديان سواء كانوا من أهل الكتاب أو من مبتدعة أهل الإسلام؟ الذي يظهر جوازها في الكل؛ لأن مشركي مكة أبدوا استعدادهم للمباهلة كما في قوله (تعالى): ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [سورة الأنفال: ٣٢] (١).

لكن قد يقال: إنها تكون أنفع وأجدى مع أهل الأديان، لأن صاحب الدين يقر بجنس النبوة والمعاد مما يجعله لا يخاطر في هذا الأمر، فيعرض نفسه للهلكة، ويفوت عليه حظ الدنيا والآخرة، فالعاقل منهم يمسك عن المباهلة، وبعد ذلك إما أن يدخل في الدين الحق، أو يكتفي بالعناد والمكابرة.

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٢/٢٩١-٢٩٢ .

ولهذا جرت المباهلة مع اليهود والنصارى ومبتدعة أهل الإسلام، وكان لها أثرها الطيب في غالب الأحوال، حيث رجع كثير منهم عن غيه وضلاله.

ولا يخاطر مبطل بالدخول في المباهلة إلا أن يكون مغروراً، أو جاهلاً بعواقب الأمور، كما وقع ذلك من بعض الجهمية المعتزلة على ما ذكره عبد القاهر البغدادي في كتابه: الفرق[(١)] أن ثمامة بن أشرس سعى إلى الواثق بأحمد بن نصر المروزي (٢٣١هـ)، وذكر له أنه يكفّر من ينكر رؤية الله (تعالى)، ومن يقول بخلق القرآن، فقتله المعتصم، ثم ندم على قتله، وعاتب ثمامة وابن أبي دؤاد وابن الزيات (٢٣٣هـ) في ذلك، وكانوا أشاروا عليه بقتله، فقال له ابن الزيات: وإن لم يكن قتله صواباً فقتلني الله (تعالى) بين الماء والنار، وقال ابن أبي دؤاد: حبسني الله في جلدي إن لم يكن قتله صواباً، وقال ثمامة: سلّط الله علي السيوف إن لم يكن قتله صواباً، فاستجاب الله (تعالى) دعاء كل واحد منهم في نفسه: أما ابن الزيات، فإنه دخل في الحمّام وسقط في أتونه فمات بين الماء والنار، وأما ابن أبي دؤاد فإن المتوكل رحمه الله حبسه فأصابه في حبسه الفالج[(٢)]، فبقي كذلك إلى أن مات، وأما ثمامة فإنه خرج إلى مكة فرآه الخزاعيون

---

(١) انظر: ص:١٧٤-١٧٥.

(٢) الفالج: قال في لسان العرب ٣٤٦/٢ مادة "فلج": " ريح يأخذ الإنسان فيذهب بشقه ". ولعله الشلل .

بين الصفا والمروة فنادى رجل منهم فقال: ياآل خزاعة، هذا الـذي سـعى بصـاحبكم أحمـد بـن نصـر، وسـعى في دمـه، فـاجتمع عليـه بنـو خزاعـة بسيوفهم حتى قتلوه، ثم أخرجوا جيفته من الحرم، فأكلته السباع خارجـاً من الحرم».

وهذا من علامات إكرام الله (تعالى) لأهل السنة أحياء وبعد ممـاتهم، ومما يؤيدهم به من الحجج والآيات.

المبحث الخامس

نماذج مــن المباهلة

أولاً: مباهلة الرسول ﷺ لليهود:

وذلك كما في قوله (تعالى): ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [سورة البقرة: ٩٤-٩٥].

وقوله (تعالى): ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [سورة الجمعة: ٦-٧].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة البقرة: ٩٤] « أي ادعوا بالموت على أي الفريقين أكذب، فأبوْا ذلك على رسول الله ﷺ يقول الله لنبيه ﷺ: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [سورة البقرة: ٩٥] أي بعلمهم بما عندهم من العلم بك، والكفر بذلك». وقال ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً: «ولو تمنّوه يوم قال ذلك لهم ما بقي على ظهر الأرض يهودي إلا مات»[(١)]. وعنه أيضاً قال: «لو تمنّوا الموت لشرق أحدهم بريقه»[(٢)].

---

(١) تفسير الطبري ٣٦٢/٢ برقم: ١٥٧، وصحح إسناده أحمد شاكر.

(٢) انظر: تفسير الطبري ٣٦٣/٢ ط. شاكر، وقد تقدم تخريجه.

وقال ابن جرير الطبري في تفسيره[(١)]: « فبلغنا أن رسول الله ﷺ قال: لو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ولرأوا مقاعدهم من النار، ولو خرج الذين يباهلون رسول الله ﷺ لرجعوا لا يجدون أهلاً ولا مالاً».

قال ابن كثير رحمه الله: « هذا الذي فسر به ابن عباس الآية هو المتعين، وهو الدعاء على أي الفريقين أكذب، منهم أو من المسلمين على وجه المباهلة »[(٢)].

فاليهود ـ عليهم لعائن الله المتتابعة ـ لما زعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه وأولياؤه، وقالوا: لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى، دُعوا إلى المباهلة، والدعاء على أكذب الطائفتين، منهم أو من المسلمين، فلما نكلوا عن ذلك، علم كل أحد أنهم ظالمون؛ لأنهم لو كانوا جازمين بما هم فيه لكانوا أقدموا على ذلك، فلما تقاعسوا عُلِم كذبهم[(٣)].

وذهب بعض العلماء إلى وجه آخر في تفسير هذه الآيات، وهو أن الله تحدى اليهود إن كانوا صادقين في دعواهم بتمني الموت، لا على وجه المباهلة بينهم وبين المسلمين، وقد نسب هذا الوجه ابن كثير إلى طائفة من المتكلمين، وقال: ومال إليه ابن جرير بعدما قارب القول الأول[(٤)]. يقول

---

(١) ٣٦٢/٢ ط. شاكر . وقد تقدم تخريجه.

(٢) تفسير ابن كثير ١٢٢/١.

(٣) المرجع السابق ١٢٢/١.

(٤) المرجع السابق ١٢٢/١. وانظر : التفسير الكبير ـ للرازي ١٨٩/٣ وما بعدها .

ابن جرير رحمه الله: «وهذه الآية مما احتج الله بها لنبيه محمد ﷺ على اليهود الذين كانوا بين ظهراني مُهاجَره، وفضح بها أحبارهم وعلماءهم، وذلك أن الله جل ثناؤه أمر نبيه ﷺ أن يدعوهم إلى قضية عادلة بينه وبينهم، فيما كان بينه وبينهم من الخلاف، كما أمره الله أن يدعو الفريق الآخر من النصارى ـ إذ خالفوه في عيسى صلوات الله عليه وجادلوا فيه ـ إلى فاصلة بينه وبينهم من المباهلة، وقال لفريق اليهود: إن كنتم محقين فتمنوا الموت، فإن ذلك غير ضاركم، إن كنتم محقين فيما تدَّعون من الإيمان وقرب المنزلة من الله، بل إن أُعطيتم أمنيتكم من الموت إذا تمنيتم، فإنما تصيرون إلى الراحة من تعب الدنيا ونصبها وكدر عيشها، والفوز بجوار الله في جناته إن كان الأمر كما تزعمون: من أن الدار الآخرة لكم خالصة دوننا، وإن لم تُعطوها علم الناس أنكم المبطلون ونحن المحقون في دعوانا، وانكشف أمرنا وأمركم لهم، فامتنعت اليهود من إجابة النبي ﷺ إلى ذلك، لعلمها أنها إن تمنت الموت هلكت فذهبت دنياها، وصارت إلى خزي الأبد في آخرتها... »[(١)].

قال ابن كثير رحمه الله : «فهذا الكلام منه أوله حسن وآخره فيه نظر، وذلك أنه لا تظهر الحجة عليهم على هذا التأويل، إذ يقال إنه لا يلزم من كونهم يعتقدون أنهم صادقون في دعواهم أنهم يتمنون الموت، فإنه لا ملازمة بين وجود الصلاح وتمني الموت، وكم من صالح لا يتمنى

(١) تفسير الطبري ٢/٣٦١-٣٦٢ ط. شاكر .

الموت، بل يود أن يعمر ليزداد خيراً، وترتفع درجته في الجنة كما جاء في الحديث: "خيركم من طال عمره وحسن عمله"[(١)] ، ولهم مع ذلك أن يقولوا: على هذا فها أنتم تعتقدون أيها المسلمون أنكم أصحاب الجنة، وأنتم لا تتمنون في حال الصحة الموت، فكيف تلزموننا بما لا يلزمكم؟ وهذا كله إنما نشأ من تفسير الآية على هذا المعنى، فأما على تفسير ابن عباس فلا يلزم عليه شيء من ذلك... »[(٢)] .

وإنما سميت هذه المباهلة تمنيا؛ لأن كل محق يود لو أهلك الله المبطل المناظر له، ولا سيما إذا كان في ذلك حجة له في بيان حقه وظهوره[(٣)] .

وقال صاحب عيون المناظرات[(٤)] : «فلولا أنهم كانوا موقنين بصدق رسول الله ﷺ لتمنوا الموت، ولكنهم علموا أنهم لو تمنوا لماتوا من ساعتهم ولحقهم الوعيد، فما تمالك أحد منهم أن يتمنى ذلك وكانت هذه إحدى معجزات نبينا ﷺ ».

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة بلفظ : " خياركم أطولكم أعماراً وأحسنكم أعمالاً " ٢٣٥/٢ ط. المكتب الإسلامي، وصحح إسناده أحمد شاكر في المسند ١٩٩/١٢ ط. شاكر. وفي رواية: " أحسنكم أخلاقاً " ٤٠٣/٢ط. المكتب الإسلامي، وانظر : ٢٦٧/٥ من مسند أحمد ط. المكتب الإسلامي، من حديث أبي أمامة، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٠٣/١٠ وعزاه إلى أحمد، وقال : رجاله رجال الصحيح. وروى نحوه أبو يعلى في مسنده عن أنس بن مالك ٤٠٨/٣ ح: ٣٤٨٣، وحسَّن إسناده الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٠٣/١٠.

(٢) تفسير ابن كثير ١٢٢/١.

(٣) انظر : المرجع السابق ١٢٢/١.

(٤) ص : ١٢٩.

ثانياً: مباهلة الرسول ﷺ للنصارى:

وذلك عند قدوم وفد نصارى نجران على النبي ﷺ ، وقد ساءلهم وساءلوه، فلم تزل بهم المسألة حتى قالوا: ما تقول في عيسى؟ فإنا نرجع إلى قومنا ونحن نصارى، يسرنا إن كنت نبياً أن نسمع ما تقول فيه.

فقال رسول الله ﷺ : ما عندي فيه شيء يومي هذا، فأقيموا حتى أخبركم بما يقول الله في عيسى.

فأصبح الغد وقد أنزل الله عز وجل هذه الآية: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ * الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ * فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [سورة آل عمران: ٥٩-٦١] فأبوا أن يقروا بذلك.

فلما أصبح رسول الله ﷺ الغد بعد ما أخبرهم الخبر، أقبل مشتملاً على الحسن والحسين في خميل له، وفاطمة تمشي عند ظهره للملاعنة، وله يومئذ عدة نسوة، فقال شرحبيل لصاحبيه ـ وهم من رؤوس الوفد ـ: قد علمتما أن الوادي إذا اجتمع أعلاه وأسفله لم يردوا ولم يَصْدروا إلا عن رأيي، وإني والله، أرى أمراً ثقيلاً، والله لئن كان هذا الرجل ملكاً متقوياً، فكنا أول العرب طَعَنَ في عينه ورَدَّ عليه أمره، لا يذهب لنا من صدره ولا من صدور أصحابه حتى يصيبونا بجائحة، وإنا أدنى العرب منهم جوارا، ولئن كان هذا الرجل نبياً مرسلاً فلاعناه، لا يبقى على وجه الأرض منا شعر ولا ظفر إلا هلك.

فقال له صاحباه: فما الرأي يا أبا مريم؟ فقال: رأيي أن أحكمه، فإني أرى رجلاً لا يحكم شططاً أبداً، فقالا له: أنت وذاك.

فتلقى شرحبيل رسول الله ﷺ فقال: إني قد رأيت خيراً من ملاعنتك، فقال: وما هو؟ قال: حكْمك اليوم إلى الليل، وليلتك إلى الصباح، فمهما حكمت فينا فهو جائز. فقال رسول الله ﷺ : لعل وراءك أحداً يثّرب عليك! فقال شرحبيل: سل صاحبي. فقالا: ما يرد الوادي ولا يَصْدر إلا عن رأي شرحبيل.

فرجع رسول الله ﷺ فلم يلاعنهم، حتى إذا كان الغد أتوه فكتب لهم الكتاب. وقد تقدم ذكر القصة [(١)].

وفي صحيح البخاري [(٢)] عن حذيفة قال: «جاء العاقب والسيد صاحبا نجران إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعناه، قال: فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل، فوالله لئن كان نبيا فلاعناه لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا، قالا: إنا نعطيك ما سألتنا، وابعث معنا رجلاً أميناً، ولا تبعث معنا إلا أمينا، فقال: لأبعثن معكم رجلاً أميناً حق أمين، فاستشرف له أصحاب رسول الله ﷺ فقال: قم يا أبا عبيدة بن الجراح، فلما قام قال رسول الله ﷺ: هذا أمين هذه الأمة».

---

(١) وانظر: السيرة النبوية ـ ابن كثير ٤/١٠٣-١٠٤، وانظر: وزاد المعاد ٣/٦٣٣ وما بعدها، والسيرة النبوية ـ ابن هشام ٢/٢٦٥-٢٦٦.

(٢) ٨/٩٣ كتاب المغازي ح: ٤٣٨.

وجاء في قصة هذا الوفد أنه ﷺ قال: «لقد أتاني البشير بهلكة أهل نجران لو تموا على الملاعنة، حتى الطير على الشجر، أو العصفور على الشجر، ولما غدا إليهم رسول الله ﷺ أخذ بيد حسن وحسين وكانت فاطمة تمشي خلفه» وعلي خلفها، وهو يقول: إذا أنا دعوت فأمنوا، فقال أسقفهم: إني لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيلوا جبلاً من جباله لأزاله، فلا تباهلوا فَتُهْلَكُوا، ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة، والله لقد عرفتم نبوته، ولقد جاءكم بالفصل في أمر صاحبكم ـ أي عيسى عليه السلام ـ فوالله ما باهل قوم نبياً إلا هلكوا، فإن أبيتم إلا دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا، فقالوا: يا أبا القاسم، لا نلاعنك. فقال: فأسلموا يكن لكم ما للمسلمين، وعليكم ما عليهم. فأبوا. قال: فإني أنذركم. قالوا: ما لنا بحرب العرب من طاقة، ولكنا نصالحك، فصالحهم، وقال: والذي نفسي بيده أن العذاب تدلى على أهل نجران، ولو تلاعنوا لمسخوا قردة وخنازير، ولاضطرم عليهم الوادي ناراً، ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على الشجر...(١)

واستدل الفخر الرازي رحمه الله بهذه المباهلة على صحة نبوته ﷺ من وجهين:

---

(١) انظر : دلائل النبوة للبيهقي ٣٨٨/٥ وما بعدها، وأخبار المدينة لابن شبة (ضمن مجموعة عبد الله الدويش) ١٦١/٢/٦-١٦٣، وفتح الباري ٩٤/٨ وعزاه إلى الشعبي ، ووفود الإسلام لأبي تراب ص : ٥٧-٥٨.

أحدهما: وهو أنه عليه السلام خوفهم بنزول العذاب عليهم، ولو لم يكن واثقاً بذلك لكان ذلك منه سعيا في إظهار كذب نفسه؛ لأنه بتقدير أن يرغبوا في مباهلته، ثم لا ينزل العذاب فحينئذ كان يظهر كذبه فيما أخبر، ومعلوم أن محمداً ﷺ كان من أعقل الناس، فلا يليق أن يعمل عملاً يفضي إلى ظهور كذبه، فلما أصر على ذلك، علمنا إنما صر عليه لكونه واثقاً بنزول العذاب عليهم.

وثانيهما: أن القوم لما تركوا المباهلة فلولا أنهم عرفوا من التوراة والإنجيل ما يدل على نبوته، وإلا لما أحجموا عن مباهلته.[(١)] بل ودفعوا إليه المال الوفير وصرحوا بتصديقه.

ثالثًا: مباهلة بين سني ومعتزلي:

قال الفقيه أبو بكر الأبهري (٣٧٥هـ): «تناظر رجل جَلْد من أهل السنة مع رجل جلد من المعتزلة حتى غابت الشمس من غير ظفر من أحدهما بصاحبه، فقال أحدهما: هذا مجلس لا يغتاض منه، ومجلس قد جمع قوماً صالحين، فهلُـمّ فلنخلص الدعاء إلى الله (تعالى) على أن من كان منا على حق أن يثبت الله القرآن في صدره، ومن كان منا مبطلاً أن ينسيه القرآن [بدعوة][(٢)] الله، فأُنسي الله المعتزلي القرآن.

قال أبوبكر الأبهري: فكنت ألقاه في أيام فأسأله، فيقول: كأني ما قرأت القرآن قط».

---

(١) التفسير الكبير ـ الرازي ٨/٨٢-٨٣ .

(٢) في الأصل : [بدعوى] ولعل الصحيح ما أثبته .

قال صاحب عيون المناظرات بعد إيراده لهذه الحكاية: «فتحصل من هذه المناظرة الشهادة بخرق العادة لصحة ما عليه أهل السنة رضي الله عنهم، وذلك من جنس كرامات الأولياء رضي الله عنهم»[(١)].

رابعاً: مباهلة ابن تيمية رحمه الله لدجاجلة البطائحية (الرفاعية):

تدعي طائفة البطائحية (الرفاعية)[(٢)] جواز مخالفة الشرع بما تأتيه من بعض الخوارق ـ على زعمهم ـ فتطالب من رأى منهم مخالفة للشرع أن يُسلِّم لهم حالهم.

وهذه المباهلة جرت بين شيخ الإسلام ابن تيمية وهذه الطائفة بقصر الإمارة وبحضرة خلق من الأمراء والكتاب والعلماء والعامة، وكان ذلك في يوم السبت تاسع من جمادى الأولى سنة خمس وسبعمائة، حيث أظهر الله (تعالى) من عز الدين، وظهور الحق وعلو كلمته، وقهر الناس على متابعة الكتاب والسنة، وظهور زيف مَنْ خرج عن ذلك من أهل البدع المضلَّة، والأحوال الفاسدة، والتلبيس على المسلمين، ما كان نصراً للإسلام، وأهله على يد شيخ الإسلام رحمه الله.

---

(١) عيون المناظرات ص : ٢٩١ .

(٢) البطائحية (الرفاعية) : فرقة صوفية أسسها أبو العباس، أحمد بن علي الرفاعي الحسيني (٥١٢-٥٧٨هـ) الذي نشأ في البصرة، وكان يسكن في قرية أم عبيد بالبطائح بين واسط والبصرة، وأسس هذه الطريقة في العراق، واشتهرت بالقبض على الثعابين، ومن عقائدهم عدم إيذاء الحيوان أو قتله. انظر : الأعلام ١/١٧٤.

قال شيخ الإسلام وهو يصف حاله مع هذه الطائفة: «وقد تقدمت لي معهم وقائع متعددة، بينت فيها لمن خاطبته منهم ومن غيرهم بعض ما فيهم من حق وباطل، وأحوالهم التي يسمونها الإشارات وتاب منهم جماعة، وأُدِّب منهم جماعة من شيوخهم.

وبينتُ صورة ما يظهرونه من المخاريق، مثل ملابسة النار والحيات وإظهار الدم واللاذن[(١)] ، والزعفران، وماء الورد، والعسل، والسكر، وغير ذلك، وأن عامة ذلك عن حيل معروفة وأسباب مصنوعة.

وأراد غير مرة منهم قوم إظهار ذلك، فلما رأوا معارضتي لهم رجعوا ودخلوا، على أن أسترهم، فأجبتهم إلى ذلك بشرط التوبة». ثم ذكر رحمه الله أنه اجتمع بهم في مجلس عام، وفي جماعة كثيرة ببعض البساتين، وأنه عارضهم بأنه يدخل معهم النار بعد أن يغتسل الجميع بما يُذهب الحيلة، ومن احترق كان مغلوباً، فلما رأوا الصدق في كلامه أمسكوا عن ذلك.

وكان شيخ الإسلام يتعهدهم بالنصح والوعظ، ويطالبهم بترك الابتداع وملازمة الاتباع، ويقيم عليهم الحجة في ذلك، ولكنهم لا يدومون على الالتزام حتى شكوه إلى الأمير، وادعوا أنه يعتدي عليهم، فقال لهم الأمير: فهذا الذي يقوله: يعني الشيخ ـ من عنده؟ أو يقوله عن الله ورسوله ﷺ ؟

---

(١) اللاذن: واللاذنة: من العلوك، وقيل: هو دواء بالفارسية. انظر : لسان العرب ١٣/٣٨٥ مادة لذن.

فقالوا: بل يقوله عن الله ورسوله ﷺ . قال: فأي شيء يقال له؟ قالوا: نحن لنا أحوال، وطريق يُسلَّم إلينا. قال: فنسمع كلامه، فمن كان الحق معه نصرناه. قالوا: نريد أن تشد منا. قال: لا، ولكن أشد من الحق، سواء كان معكم أو معه. قالوا: ولا بد من حضوره. قال: نعم. فكرروا ذلك فأمر بإخراجهم، وأرسل إلى الشيخ.

قال الشيخ رحمه الله: « فلما علمت ذلك ألقي في قلبي أن ذلك لأمر يريده الله من إظهار الدين وكشف حال أهل النفاق المبتدعين؛ لانتشارهم في أقطار الأرضين».

ثم قال رحمه الله: « فاستخرت الله (تعالى) في تلك الليلة، واستعنته واستنصرته، واستهديته، وسلكت سبيل عباد الله في مثل هذه المسالك حتى ألقي في قلبي أن أدخل النار عند الحاجة إلى ذلك، وأنها تكون برداً وسلاماً على من اتبع ملة الخليل، وأنها تحرق أشباه الصابئة أهل الخروج عن السبيل».

ثم إن البطائحية قد طافوا على عدد من أكابر الأمراء يستحثونهم على الوقوف بجانبهم، زاعمين أن لهم أحوالاً لا يقاومهم فيها أحد من الأولياء، ولهم طريقاً لا يعرفها أحد من العلماء، وأن شيخهم هو في المشايخ كالخليفة، وأن المنكر عليهم هو آخذ بالشرع الظاهر، غير واصل للحقائق والسرائر، إلى غير ذلك من الأوهام التي غرروا بها الأمراء الأكابر، فضلاً عن العوام والدهماء، حتى غدا أولئك الأمراء الأكابر وخاطبوا فيهم نائب السلطان لتعظيم أمرهم.

ثم عقد المجلس وجمع الأمير بين الشيخ وشيوخ البطائحية، وكان مما قاله الشيخ في ذلك المجلس مخاطباً الأمير في شأنهم: «... هم يزعمون أن لهم أحوالاً يدخلون بها النار، وأن أهل الشريعة لا يقدرون على ذلك، ويقولون: لنا هذه الأحوال التي يعجز عنها أهل الشرع ليس لهم أن يعترضوا علينا، بل يُسلم إلينا ما نحن عليه ـ سواء وافق الشرع أو خالفه ـ وأنا قد استخرت الله سبحانه أنهم إن دخلوا النار أدخل أنا وهم، ومن احترق منا ومنهم فعليه لعنة الله، وكان مغلوباً، وذلك بعد أن نغسل جسومنا بالخل والماء الحار.

فقال الأمير: ولم ذاك؟ قلت: لأنهم يطلون جسومهم بأدوية يصنعونها من دهن الضفادع، وباطن قشر النارنج [(١)] وحجر الطلق [(٢)]، وغير ذلك من الحيل المعروفة لهم، وأنا لا أطلي جلدي بشيء، فإذا اغتسلت أنا وهم بالخل والماء الحار بطلت الحيلة وظهر الحق، فاستعظم الأمير هجومي على النار، وقال: أتفعل؟ فقلت: له: نعم! قد استخرت الله في ذلك، وألقى في قلبي أن أفعله، ونحن لا نرى هذا وأمثاله ابتداء، فإن خوارق العادات إنما تكون لأمة محمد ﷺ المتبعين له باطناً وظاهراً لحجة أو حاجة، فالحجة: لإقامة دين الله، والحاجة لما لا بد منه من النصر

---

(١) النارنج : شجر مثمر، تستعمل ثماره وقشورها في التداوي. انظر : الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ١٧٤/٤، وقاموس الغذاء والتداوي بالنبات ص: ٧٢٥ .

(٢) حجر الطلق: حجر معروف، قال الرازي: ويطلى بالطلق المواضع التي تُدنى من النار؛ كي لا تعمل النار فيها. انظر: الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ١٠٣/٣ .

والرزق الذي به يقوم دين الله، وهؤلاء إذا أظهروا ما يسمونه إشاراتهم وبراهينهم التي يزعمون أنها تبطل دين الله وشرعه وجب علينا أن ننصر الله ورسوله ﷺ ،ونقوم في نصر دين الله وشريعته بما نقدر عليه من أرواحنا وجسومنا وأموالنا، فلنا حينئذ أن نعارض ما يظهرونه من هذه المخاريق بما يؤيدنا الله به من الآيات. وليُعلم أن هذا مثل معارضة موسى للسحرة لما أظهروا سحرهم، أيَّد الله موسى بالعصا التي ابتلعت سحرهم، فجعل الأمير يخاطب من حضره من الأمراء على السماط بذلك وفرح بذلك».

وذكر الشيخ رحمه الله أن الأمير أمر ببساط يبسط في الميدان، وقدم البطائحية وهم جماعة كثيرون، وقد أظهروا أحوالهم الشيطانية من الإزباد والإرغاء، وحركة الرؤوس والأعضاء، والطفر والحبو والتقلُّب، ونحو ذلك من الأصوات المنكرات والحركات الخارجة عن العادات المخالفة لما أمر به لقمان ابنه كما في قوله: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [سورة لقمان: ١٩].

ثم بدأت مناظرة بينهم وبين الشيخ في شأن أطواق الحديد التي يلبسونها، وبيَّن الشيخ أن هذا بدعة ومنكر لا يجوز فعله، فتعللوا بأحوالهم الشيطانية، وطلبوا أن تسلم لهم هذه الأحوال وإن خالفت الشرع، فرد عليهم الشيخ أن الأحوال يجب أن تحتكم إلى الشرع، وأنه ليس لأحد الخروج عن الكتاب والسنة، لا من المشايخ والفقراء، ولا من الملوك والأمراء، ولا من العلماء والقضاة وغيرهم.

فقال شيخهم ـ الذي كان يخاطب ابن تيمية ـ رافعاً صوتـه: نحن لنا الأحوال، وكذا، وكذا، وادعى الأحوال الخارقة كالنار وغيرها، واختصاصهم بها، وأنهم يستحقون تسليم الحال إليهم لأجلها.

فقال ابن تيمية رحمه الله: « فقلت ـ ورفعت صوتي وغضبت ـ أنا أخاطب كل أحمدي من مشرق الأرض إلى مغربها، أي شيء فعلوه في النار فأنا أصنع مثل ما تصنعون، ومن احترق فهو مغلوب، وربما قلت: فعليه لعنة الله، ولكن بعد أن نغسل جسومنا بالخل والماء الحار ».

فضج الناس بذلك، فأخذ شيخهم يظهر القدرة على ذلك، فقال لابن تيمية: أنا وأنت نلف في بارية بعد أن تُطلى جسومنا بالكبريت. قال ابن تيمية: فقلت: فقم، وأخذت أكرر عليه في القيام إلى ذلك، فمد يده يظهر خلع القميص. فقلت: لا، حتى تغتسل في الماء الحار والخل، فأظهر الوهم على عادتهم. فقال: من كان يحب الأمير فليحضر خشباً، أو قال: حزمة حطب. فقلت: هذا تطويل وتفريق للجمع، ولا يحصل به مقصود، بل قنديل يوقد، وأدخل إصبعي وإصبعك فيه بعد الغسل، ومن احترقت إصبعه فعليه لعنة الله، أو قلت: فهو مغلوب، فلما قلت ذلك تغيَّر وذلَّ، وذُكر لي أن وجهه اصفر. ثم قلت لهم: ومع هذا فلو دخلتم النار، وخرجتم منها سالمين حقيقة، ولو طرتم في الهواء، ومشيتم على الماء، ولو فعلتم ما فعلتم لم يكن في ذلك ما يدل على صحة ما تدعونه من مخالفة الشرع، ولا على إبطال الشرع، فإن الدجال الأكبر يقول للسماء أمطري فتمطر، وللأرض: أنبتي فتنبت، وللخربة: أخرجي كنوزك فتخرج كنوزها تتبعه، ويقتل رجلاً ثم يمشي بين شقيه، ثم يقول له قم فيقوم، ومع هذا

فهو دجال كذاب ملعون لعنه الله، ورفعت صوتي بذلك، فكان لذلك وقع عظيم في القلوب.

ثم ذكر ابن تيمية رحمه الله أن مشايخهم الكبار أخذوا يتضرعون عند الأمير في طلب الصلح، وجعل هو يلح عليهم في إظهار ما ادعوه من النار، مرة بعد مرة، وهم لا يجيبون. حتى انقطعوا وتبين للناس وللأمراء والأكابر عجزهم، وبطلان أحوالهم الشيطانية، وكان فيما قال الشيخ أن قال لهم: « أنا كافر بكم وبأحوالكم».

ثم طلبوا التوبة عما مضى، وأبدوا التزامهم بالكتاب والسنة، ورفع جميع البدع والمنكرات، وأجاب الشيخ على ما يتعلقون به من الشبه والأباطيل، حتى اتفق الجميع على أن من خرج عن الكتاب والسنة ضربت عنقه، والحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده[(١)].

خامسا : مباهلة الحافظ ابن حجر لبعض المحبين لابن عربي:

ذكر العلامة البقاعي رحمه الله حكاية عن الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله قال فيها: «كان في أيام الظاهر برقوق (٨٠١هـ) شخص يقال له: ابن الأمين، شديد التعصب لابن عربي (٦٣٨هـ) صاحب الفصوص، وكنت أنا كثير البيان لعواره، والإظهار لعاره وعثاره، وكان بمصر شيخ يقال له : الشيخ صفا، وكان مقرّبا عند الظاهر، فهددني المذكور بأنه يعرِّفه بي، ليذكر للسلطان أن بمصر جماعة ـ أنا منهم

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ١١/٤٤٥-٤٧٥ وقد طبعت هذه المباهلة مستقلة بعنوان: مناظرة ابن تيمية لطائفة الرفاعية ـ تقديم وتعليق عبد الرحمن دمشقية ـ دار طيبة ـ الرياض.

ـ يذكرون الصالحين بالسوء، ونحو ذلك. وكانت تلك الأيام شديدة المظالم والمصائب والمغارم، وكنت ذا [مال][١] فخفت عاقبته، وخشيت غائلته، فقلت : إن هنا ما هو أقرب مما تريد، وهو أن بعض الحفاظ قال: إنه وقع الاستقراء بأنه ما تباهل اثنان على شيء، فحال الحول على المُبْطِل منهما، فهلُمَّ، فلنتباهل، ليُعلم المحق منا من المبطل، فتباهلتُ أنا وهو، فقلت له: قل: اللهم إن كان ابن عربي على ضلال، فالعني بلعنتك، فقاله، فقلت أنا: اللهم إن كان ابن عربي على هدى فالعني بلعنتك، وافترقنا، وكان يسكن الروضة، فاستضافه شخص من أبناء الجند جميل الصورة، ثم بدا له أن يتركهم، فخرج في أول الليل، فخرجوا يشيعونه، فأحس بشيء مرّ على رجله، فقال لأصحابه : مرّ على [رجلي][٢] شيء ناعم، فانظروا ما هو ؟ فنظروا فلم يجدوا شيئاً، فذهب، فما وصل إلى منزله إلا وقد عمي، ولم يصبح إلا وهو ميت، وكان ذلك في ذي القعدة سنة سبع وتسعين وسبعمائة، وكانت المباهلة في رمضان منها، قال: وكنت عند وقوع المباهلة عرّفت من حضر أن من كان مُبْطِلاً في المباهلة لا تمضي عليه السنة، فكان ولله الحمد ذلك، واسترحت من شره، وأَمِنْتُ من عاقبة مكره».[٣] وقد أشار الحافظ إلى هذه المباهلة في فتح الباري[٤] كما تقدم.

---

(١) في الأصل: [مأل] ولعل الصحيح ما أثبته، كما نبه إليه المحقق .
(٢) في الأصل : [رجله] ولعل الصحيح ما أثبته، كما نبه إليه المحقق .
(٣) مصرع التصوف ـ للبقاعي ص : ١٤٩-١٥٠ ، وذكرها الألوسي في غاية الأماني ٣٧٤/٢
(٤) ٩٥/٨.

الباب الرابع
تقرير مسائل الاعتقاد عن طريق الجدل والمناظرة عند أهل السنة

وفيه مقدمة وثلاثة فصول:

الفصل الأول: الجدل والمناظرة في باب الإلهيات

الفصل الثاني: الجدل والمناظرة في باب النبوات

الفصل الثالث: الجدل والمناظرة في باب السمعيات

مدخـــل:

أحب في هذا الموضع أن أنبه إلى أربعة أمور:

الأول: أن هذا الباب مسـوق لذكـر وبيـان المحـادلات والمنـاظرات الـتي وردت على ألسنة الناس مما كان فيـه نصـر للسـنة والإيمـان، مـن غير التزام بأن يكون صاحب المناظرة من أهل السنة المحضة، وإنما التزم أن تكون مناظرته فيها تقريـر للسـنة المحضـة، وانتصـار لهـا، ولأهلها، فإن الحق يقبل من كل من تكلم به .

الثاني: اعتمادي في هذا البـاب اصطـلاحَ المتكلمـين في تقسـيم مسـائل التوحيد والأصول إلى : إلهيات ونبوات وسمعيات، هو موافقـة في الناحية الشكلية والفنية فحسب، اقتضتهـا طبيعـة المـادة العلميـة، ولست ملتزماً ولا مقراً بما يترتب على هذا التقسيم الكلامـي ممـا هو معروف في موضوع علم الكلام .

الثالث: المجادلات والمنـاظرات في هـذا البـاب علـى نوعـين : نـوع وقـع حقيقة بين المتناظرين، وآخر سيق حكاية على سـبيل افـتراض أن الخصم يقول كذا وكذا، أويعترض بكذا وكذا، وفي كلا النوعين تعليم ودُربة على ممارسة الجدل والمناظرة؛ لإحقاق الحق، وإبطال الباطل.

الرابع: قد يُلفت نظرَ القـارئ الكريـم عـدمُ تضمـن هـذه البـاب لبعـض المناظرات المعاصرة والمشهورة مـن نـوع مـا قـام ــ ويقـوم ــ بـه

الأستاذ/ أحمد ديدات (حفظه الله) في مواجهاته الجادة والمثيرة للنصرانية في معاقلها، وكذلك ما قام به بعض العلماء من أمثال الشيخ/ محمد الغزالي رحمه الله، والدكتور/ يوسف القرضاوي في مواجهة الفكر العلماني والإلحادي، إلى غير ذلك من جهود علمائنا الأفذاذ.

وعذري في ذلك أن هذه المناظرات وأمثالها تجري على غير الصورة المعهودة من السؤال والجواب، والإيراد والاعتراض المباشر، وإنما هي مناظرات غلب عليها الطابع الغربي؛ حيث يُعطى كل متحدث مدة زمنية محددة، يتكلّم فيها عن المسألة المطروحة للحوار، ثم يعود مرة أخرى ليعقّب على كلام مناظره في فترة أخرى محددة أيضاً.

فمثل هذه المناظرات تحتاج إلى عناية في تلخيصها، واستخراج فوائدها، وإبراز مواضع الإفحام أو الدفع فيها. وهو موضوع الدراسات التحليلية على نحو ما صنع الأستاذ إبراهيم بن صالح الحميدان في أطروحته للدكتوراه في كلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، والتي كانت بعنوان: أسلوب المناظرة في دعوة النصارى إلى الإسلام.

الفصل الأول

الجدل والمناظرة في باب الإلهيات

المناظرة في حكم الاستدلال في حق المكلف

اختلف الناس في أصل المعرفة بالخالق هل هي فطرية أم نظرية؟ والصحيح الذي عليه سلف الأمة وأئمتها، وجمهور العلماء من المتكلمين وغيرهم أنها فطرية، وخالف في ذلك الجهمية ومن شايعهم من المعتزلة والمتكلمين[1].

وترتب على مذهب القائلين بنظرية المعرفة اختلاف آخر، وهو: هل النظر واجب أم لا ؟ على أقوال:[2]

الأول: أن النظر واجب، والمعرفة بالخالق موقوفة عليه، وهو قول الجهمية وطوائف من المتكلمين، كأبي المعالي الجويني، وحكى الإيجي في المواقف الإجماع عليه، وهو المشهور عند المعتزلة .

الثاني: يمكن حصول المعرفة بدون النظر، لكنه طريق صحيح، وهو قول أبي سليمان الخطابي، وأبي جعفر السمناني.

الثالث: ليس بواجب مطلقاً، وهو قول آخر لأبي جعفر السمناني، وعليه أبو محمد بن حزم، وقد شدد في ذلك. ومن عبارته[3]: "فلقد بقينا

---

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٣٠/١٦ ، ومجموعة الرسائل الكبرى ٢/٢٤٠-٢٤١، والمعتمد في أصول الدين ص: ٣٠، والمواقف للإيجي ص: ٢٨ ، ودلائل التوحيد للقاسمي ص: ١٢-١٣.

(٢) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ١٦/٣٣٠-٣٣١، والإنصاف للباقلاني ص: ٢٢، والشامل للجويني ص: ١١٥ وما بعدها ، والمواقف للإيجي ص: ٢٨.

(٣) الفصل في الملل ٤/٧١.

سنين كثيرة ولا نعرف الاستدلال ولا وجوهه، ونحن و لله الحمد في غاية اليقين بدين الإسلام، وكل ما جاء به محمد ﷺ نجد أنفسنا في غاية السكون إليه، وفي غاية النفار عن كل ما يتعرض فيه بشك".

الرابع : هو واجب في الجملة، وهو قول الخطابي وأبي الفرج المقدسي.

والموجبون للنظر يقولون: هو أول الواجبات، ومنهم من يقول: بل القصد إلى النظر هو أول الواجبات، وقال أبو هاشم الجبائي: الشك أول الواجبات(١).

وكل هذا غلط مخالف للكتاب والسنة وإجماع السلف والأئمة، بل باطل في العقل أيضاً(٢).

وقال بعض العلماء: يجب النظر في حال دون حال، وعلى شخص دون شخص، فوجوبه من العوارض التي تجب على بعض الناس في بعض الأحوال، لا من اللوازم العامة، فيقال: كل علم وجب و لم يحصل إلا بالنظر وجب فيه النظر، وأما إذا حصل ضرورة أو حصل العلم بدون النظر، أو لم يكن العلم واجباً، لم يكن النظر واجباً، وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن هذا أعدل الأقوال، وكلام الأئمة والسلف إنما يدل عليه(٣).

---

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ١٦/٣٣١، والمعتمد لأبي يعلى ص: ٢١،٢٤، والشامل للجويني ص: ١٢١، والمواقف للإيجي ص: ٣٢.

(٢) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ١٦/٣٣٢.

(٣) انظر: مجموعة الرسائل الكبرى ٢/٣٤٧-٣٤٨ .

وكذلك فالسلف متفقون على أن أول ما يجب على المكلـف الإقـرار بالشهادتين[١].

المناظـــــرة:

قال أبو محمد بن حزم رحمه الله: يقال لمن قال: لا يكـون مسـلماً إلا من استدل، أَخْبِرْنا متى يجب عليه فرض الاستدلال، أقبل البلوغ أم بعده؟ ولا بد من أحد الأمرين، فأما الطبري، فإنه أجاب بأنَّ ذلـك واجـب قبـل البلوغ.

قال أبو محمد: وهذا خطأ؛ لأن من لم يبلغ ليس مكلفاً ولا مخاطباً، وقد قـال رسـول الله ﷺ: رفـع القلـم عـن ثلاثـة، فذكـر الصغير حتـى يحتلم[٢]. فبطل جواب الطبري رحمه الله.

وأما الأشعرية، فإنهم أَتَوْا بما يملأ الفـم، وتقشـعر منهـا جلـود أهـل الإسلام، وتصطك منها المسامع، ويقطع ما بين قائلها وما بين الله تعـالى، وهي أنهم قالوا: لا يلزم طلـب الأدلـة إلا بعـد البلـوغ، ولم يَقْنَعُوا بهـذه

---

(١) انظر : شرح الطحاوية ٢٣/١ .

(٢) رواه البخاري معلقاً موقوفاً على علي بن أبي طالب . صحيح البخاري ٣٨٨/٩ كتاب الطلاق ـ باب الطلاق في الإغلاق والكره... وانظر : ١٢٠/١٢ كتاب الحدود ـ باب لا يرجم المجنون... ورواه أبوداود في سننه ٥٨٨/٤ كتـاب الحـدود ـ بـاب في المجنـون يسرق أو يصيب حداً ح : ٤٣٩٨ عن عائشة مرفوعاً، وانظر : سنن ابن ماجه ٦٥٨/١ كتاب الطلاق ـ باب طلاق المعتـوه... ح : ٢٠٤١ وصححه الألبـاني في صحيح ابـن ماجه ٣٤٧/١ ح : ١٦٦٠ .

الجملة حتى كفونا المؤونة، وصرحوا بما كنا نريد أن نلزمهم، فقالوا غير مساترين: لا يصح إسلام أحد حتى يكون بعد بلوغه شاكاً غير مصدق...

قال أبو محمد: ثم نقول لهم: أخبرونا عن هذا الذي أوجبتم عليه الشك في الله فرضاً، والشك في صحة النبوة والرسالة، كم تكون هذه المدة التي أوجبتم عليه في البقاء شاكاً مستدلاً طالباً للدلائل؟ وكيف إن لم يجد في قريته أو مدينته، ولا في إقليمه محسناً للدلائل، فرحل طالباً للدلائل فاعترضته أهوال ومخاوف، وتعذر بحر أو برد أو مرض، فاتصل له ذلك ساعات وأياماً وجُمُعاً وشهوراً وسنين. ما قولكم في ذلك؟ فإن حدوا في المدة يوماً أو يومين أو ثلاثة أو أكثر من ذلك، كانوا متحكمين بلا دليل، وقائلين بلا هدى من الله (تعالى)، ولم يعجز أحد عن أن يقول في تحديد تلك المدة بزيادة أو نقصان، ومن بلغ هاهنا فقد ظهر فساد قوله.

وإن قالوا: لا نجد في ذلك حدًّا، قلنا لهم: فإن امتد كذلك حتى يموت، أو مات في مدة استدلاله التي حددتم له، وهو شاك في الله (تعالى) وفي النبوة، أيموت مؤمناً وتجب له الجنة، أم يموت كافراً وتجب له النار؟

فإن قالوا: بل يموت مؤمناً تجب له الجنة، أتوا بأعظم الطوام، وجعلوا الشكاك في الله الذين هم عندهم شكاك مؤمنين من أهل الجنة، وهذا كفر محض، وتناقض لا خفاء به، وكانوا مع ذلك قد سمحوا في أن يبقى المرء دهره كله شاكاً في الله عز وجل، وفي النبوة والرسالة.

فإن قالوا: بل يموت كافراً تجب له النار. قلنا لهم: لقد أمرتموه بما فيه هلاكه، وأوجبتم عليه ما فيه دماره، وما يفعل الشيطان إلا هذا في أمره بما يؤدي إلى الخلود في النار.

وإن قالوا: بل هو في حكم أهل الفترة. قلنا لهم: هذا باطل؛ لأن أهل الفترة لم تأتهم النذارة، ولا بلغ إليهم خبر النبوة، والنص إنما جاء في أهل الفترة، ومن زاد في الخبر ما ليس فيه فقد كذب على الله عز وجل.

ثم نقول لهم وبالله التوفيق: ما حد الاستدلال الموجب لاسم الإيمان عندكم؟ وقد يسمع دليلاً عليه اعتراض، أيجزيه ذلك الدليل أم لا؟ فإن قالوا: يجزيه. قلنا لهم: ومن أين وجب أن يجزيه، وهو دليل معترض فيه؟ وليس هذه الصفة من الدلائل مخرجةً عن الجهل إلى العلم، بل هي مؤدية إلى الشك الذي كان عليه قبل الاستدلال.

فإن قالوا: بل لا يجزيه حتى يوقن أنه قد وقع على دليل لا يمكن الاعتراض فيه، كلفوا الناس ما ليس في وسع أكثرهم، وما لا يبلغه إلا قليل من الناس، في طويل من الدهر وكثير من البحث.

ثم استطرد أبو محمد رحمه الله مبيناً البرهان الموضح لبطلان هذه المقالة؛ وهو علم الخاصة والعامة وسائر أهل الأرض من المسلمين واليهود والنصارى والمجوس وغيرهم من ملل أهل الأرض أن الرسول ﷺ كان يحكم بإسلام من أسلم من الناس وفيهم المرأة البدوية، والراعي والراعية، والغلام الصحراوي، والزنجي المسبي، والزنجية المجلوبة، والرومي والرومية، والأغبر الجاهل، والضعيف الفهم، فما منهم أحد ولا من غيرهم قال له

رسول الله ﷺ: إني لا أقبل إسلامك، ولا يصح لك دين حتى تستدل على صحة ما أدعوك إليه.

وقال أبو محمد: ويلزم أهل هذه المقالة أن جميع أهل الأرض كفار إلا الأقل، وقد قال بعضهم: إنهم مستدلون... وهذه مجاهرة هو يدري أنه فيها كاذب، وكل من سمعه يدري أنه فيها كاذب؛ لأن أكثر العامة من حاضرة وبادية لا يدري معنى الاستدلال فكيف أن يستعمله؟! ...

وقال أبو محمد: ويلزم من قال بهذه المقالة أن لا يأكل من اللحم إلا ما ذبحه هو أو من يدري أنه مستدل، وأن لا يطأ إلا زوجة يدري أنها مستدلة، ويلزمه أن يشهد على نفسه بالكفر ضرورة قبل استدلاله ومدة استدلاله، وأن يفارق امرأته التي تزوج في تلك المدة، وأن لا يرث أخاه ولا أباه ولا أُمَّه، إلا أن يكونوا مستدلين، وأن يعمل عمل الخوارج الذين يقتلون غيلة، وعمل المغيرية(١) والمنصورية(٢) في خنق كل من أمكنهم

(١) المغيرية: من فرق الشيعة، وهم أصحاب المغيرة بن سعيد العجلي، ادعى الإمامة في محمد النفس الزكية، وزعم أنه حي لم يمت، وكان المغيرة مولى لخالد القسري، وادعى الإمامة لنفسه بعد محمد النفس الزكية، ثم ادعى النبوة، واستحل المحارم وغلا في علي رضي الله عنه، وقال بأحكام التشبيه في حق الله تعالى. ولما قتل المغيرة ـ قتله خالد القسري سنة ١١٩هـ ـ اختلف أصحابه؛ فمنهم من قال بانتظاره ورجعته، ومنهم من قال بانتظار محمد النفس الزكية فقط. انظر : مقالات الإسلاميين ١/٦٩، والملل والنحل ١/١٧٦-١٧٨.

(٢) المنصورية : هم أصحاب أبي منصور العجلي، عزا نفسه أول أمره إلى أبي جعفر محمد ابن علي الباقر، فلما تبرأ منه الباقر وطرده زعم أنه هو الإمام . أخذه والي العراق يوسف ابن عمر الثقفي وصلبه. من مزاعمه دعواه أن علياً هو الكسف الساقط من السماء، ودعواه بعدم انقطاع الرسالة، وتأول المحرمات كلها على أسماء رجال، وكذا الجنة والنار، إلى غير ذلك من مخازيه. انظر : الفرق بين الفرق ص : ٢٤٣ وما بعدها، والملل والنحل ١/١٧٨-١٧٩ .

وقتله، وأن يستحلوا أموال أهل الأرض، بل لا يحل لهم الكف عن شيء من هذا كله؛ لأن جهاد الكفار فرض، وهذا كله إن التزموه طردوا أصولهم وكفونا أنفسهم، وإن لم يقولوا بذلك تناقضوا...

ثم قال رحمه الله: وأيضاً فنقول لهم: هل استدل من مخالفيكم في أقوالكم التي تدينون بها أحد أم لم يستدل قط أحد غيركم؟ فلا بد من إقرارهم بأن مخالفيهم أيضاً قد استدلوا، وهم عندكم مخطئون كمن لم يستدل ولا فرق، وأنتم أيضاً عندهم مخطئون.

فإن قالوا: إن الأدلة أمنتنا من أن نكون مخطئين. قلنا لهم: وهذا نفسه هو قول خصوكم؛ فإنهم يدعون أن أدلتهم دلّتهم على صواب قولهم وخطأ قولكم ولا فرق. ما زالوا على هذه الدعوى مذ كانوا إلى يومنا هذا، فما نراكم حصلتم من استدلالكم إلا على ما حصل عليه من لم يستدل سواء بسواء ولا فرق.

فإن قالوا: فعلى قولكم هذا يبطل الاستدلال جملة وتبطل الدلائل كافة. قلنا: معاذ الله من هذا، لكن أريناك أنه قد يستدل من يخطئ، وقد يستدل من يصيب بتوفيق الله (تعالى) فقط. وقد لا يستدل من يخطئ، وقد لا يستدل من يصيب بتوفيق الله (تعالى)، وكل ميسر لما خلق له...

فمن وُفّق للحق الذي قامت عند غيره البراهين الصحاح بصحته فهو مصيب محق مؤمن، استدل أو لم يستدل. ومن يُسّر للباطل الذي قام البرهان عند غيره ببطلانه فهو مبطل مخطئ، أو كافر، سواء استدل أو لم يستدل، وهذا هو الذي قامت البراهين بصحته[1].

---

(١) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل ٤/٧٣-٧٨.

مناظرة السوفسطائية

مرَّ الكلام عن السفسطة والسوفسطائية، وذكر بعض المتكلمين أن السوفسطائية ثلاثة أصناف: أحدها: ينفي الحقائق جملة، والثاني: يشككون فيها. والثالث: يقولون: هي حق عند من هي عنده حق، وهي باطل عند من هي عنده باطل[1].

وذكر أبو محمد ابن حزم رحمه الله كيفية مناظرة كل صنف على حدة:[2]

أما الأول: وهم النافون للحقائق،فيقال لهم: قولكم: إنه لا حقيقة للأشياء، أحق هو أم باطل؟ فإن قالوا: هو حق، أثبتوا حقيقة ما، وإن قالوا: ليس هو حقاً، أقروا ببطلان قولهم، وكفوا خصومهم أمرهم.

أما الثاني: وهم الشكاك، فيقال لهم: أشكُّكُم موجود صحيح منكم أم غير صحيح ولا موجود؟ فإن قالوا: هو موجود صحيح منّا، أثبتوا أيضاً حقيقة ما، وإن قالوا: هو غير موجود، نفوا الشك وأبطلوه.

وأما الثالث: وهم القائلون بالحق النسبي الإضافي، فيقال لهم: إن الشيء لايكون حقاً باعتقاد من اعتقد أنه حق، كما أنه لا يبطل باعتقاد من اعتقد أنه باطل، وإنما يكون الشيء حقاً بكونه موجوداً ثابتاً، سواء اعْتُقد أنه حق، أو اُعْتُقد أنه باطل، ولو كان غير هذا، لكان معدوماً موجوداً في حال واحدة في ذاته، وهذا عين المحال.

---

(١) انظر : الفصل ١/٤٣.

(٢) الفصل ـ ابن حزم ١/٤٤-٤٥ ، وانظر : الموجز لأبي عمار الأباضي ١/٢٨٠-٢٨١

وقال أبو محمد بن حزم: «مع أن هذه الأقوال لا سبيل إلى أن يعتقدها ذو عقل البتة، إذ حسه يشهد بخلافها، وإنما يمكن أن يلجأ إليها بعض المتنطعين على سبيل الشغب»(١).

مناظرة الإمام الباقلاني للسوفسطائية:

ذُكر أن قوماً من السوفسطائية وصلوا إلى موضع أملاه القاضي الباقلاني رحمه الله لمناظرته، وكانوا على مطايا، فلما نزلوا ودخلوا عليه أمر القاضي رحمه الله مَنْ أخذ المطايا من أيدي خدمهم وبدَّلها بقردة.

فلما فرغوا من الكلام مع القاضي خرجوا، فوجدوا قردة بدلاً من مطاياهم، فضجوا في طلب المطايا، فقال لهم: ما هي إلا مطاياكم، وإنما تخيل لكم أنها قردة وأنتم لا تثبتون حقيقة، فأُفحموا بالحجة، وعلموا أن ذلك لقطع ما بأيديهم.(٢) وتُروى نحو هذه القصة عن الكعبي من المعتزلة(٣).

وذكر أبو عيسى الورَّاق المعتزلي (٢٤٧هـ) أن رجلاً من السوفسطائية أتى على بغلة له إلى رجل ليناظره على السفسطة، فعمد مناظروه إلى البغلة فغيبوها، فلما أحبَّ الانصراف دعا بالبغلة، فقيل له: لم تأت إلينا بالبغلة، فقال لهم: بل أتيتكم بها، فقالوا: بل لم تأتنا بها، فقال:

---

(١) الفصل - ابن حزم ٤٥/١ ، وانظر : الأصول والفروع ص : ٣٢٨ .

(٢) عيون المناظرات ص : ٢٤٩.

(٣) انظر : فرق وطبقات المعتزلة ص : ٩٤ .

بل أتيتكم بها، فقيل له: تثبَّت فيما قلت، لعلك أيها الرجل لم تـأت علـى بغلة، فقال لهم: قد تثبَّتُ، وعلمتُ أني أتيتُ على بغلة بلا شك ولا مِرية. فقيل له: أعلى الحقيقة كان ذلك أم على غـير الحقيقـة؟ فقـال: بـل علـى الحقيقة. فقالوا: أفيكون شيء ويثبت على الحقيقة. قال أبـو عيسـى: فـأقرَّ عند ذلك بالحقائق، ورجع عن القول بالسفسطة[1].

ومن السفسطة قول السيالية: وهو أن الإنسان ــ وسـائر الأجسـام ــ يتجدد في كل زمن فرد، وأنه ليس هو الذي كان موجوداً قبل هذا الزمان الذي هو فيه، ولا هو الذي يكون موجوداً في الزمان الذي يليه مـن بعـده بل غيره، فناظر سني سيالياً يعتقد هذا الاعتقاد الفاسد، فأخذ السـني نعلـه وضرب وجه السـيالي ضربـة شـديدة. فقـال السيالي: مـا هـذا؟ قـال: لا تنكره، فإن الذي ضربته قد انعدم، وأنت آخر غيره، وهذا هـو مذهبـك. فانقطع السيالي بإنكاره[2]. ويمكن السني أن يضيف إلى حجتـه قولـه: وأن الذي ضربك قد انعدم وأنا شخص غـيره، فيكـون قـد حـاصره مـن كـل جانب.

(١) الموجز لأبي عمار الأباضي ١/٢٨١-٢٨٣.

(٢) انظر : عيون المناظرات ص : ٢١٩.

مناظرة منكري الأعراض

الأعراض: جمع عرض، وهو ما يكون بالأجسام من الألوان، والطعوم، والروائح، ونحو ذلك من كل ما لا يقوم بنفسه، بل يقوم بغيره.

فيحكى عن أبي الهذيل العلاف أنه ناظر بعض منكري الأعراض، فقال له في بعض مناظرته: كم حد القذف؟ فقال: ثمانون جلدة، فقال له: فكم حد الزنا؟ فقال: مائة جلدة، فقال له: ما الجلد، أهو الآلة، أو معنى زائد، أو أي شيء هو؟ فقال: هو لا شيء. فقال له أبو الهذيل: بكم حد الزنا أكثر من حد القذف؟ فقال: بعشرين، فقال له أبو الهذيل: فإذن لا شيء أكثر من لا شيء بعشرين، فانقطع(١).

المناظرة في حدوث العالم

اتفق أهل الملل والأديان وكل عاقل على أن العالم مخلوق، حادث بعد أن لم يكن، وخالف في ذلك الملاحدة القائلون بقدم العالم من الفلاسفة والدهرية ونحوهم.

قال بعض الملحدين لبعض أصحاب الكلام: هل من دليل على حدوث العالم؟ قال: الحركة والسكون. فقال: الحركة والسكون من العالم، فكأنك إذاً قلت: الدليل على حدوث العالمِ العالِمُ؟ فقال له: وسؤالك إياي من العالم، فإذا جئت بمسئلة من غير العالم جئتك بدليل من غير العالم(٢).

---

(١) الداعي إلى الإسلام ـ لأبي البركات الأنباري ص: ١٢٥-١٢٦ .

(٢) عيون الأخبار ١٥٢/٢.

المناظرة في أن الله ليس قبله شيء

من اعتقاد أهل السنة أن الله (تعالى) هو الأول ليس قبله شيء، وهو الآخر ليس بعده شيء، وهو الظاهر ليس فوقه شيء، وهو الباطن ليس دونه شيء. والدليل على ذلك قوله ﷺ في الدعاء: «اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء»(١).

ودليل ذلك من العقل ما جرى في هذه المناظرة بين سني وبعض المبتدعة حين سألوه: ما دليل من قال: إن الله سبحانه ليس قبله شيء؟ قال السني: عُدُّوا هذه الحصاة، فبدأ العاد، فقال: واحد. قال السني: ارجع إلى واحد. فقال: واحد. قال السني: هل قبل الواحد شيء؟ قالوا: لا. قال: فكذلك ليس قبل الباري (تعالى) شيء، إذ هو واحد(٢).

المناظرة في تعطيل الصانع

إنكار وجود الصانع (الخالق) أمر يكاد يكون من الممتنعات؛ إذا كان على سبيل الجزم والاعتقاد، لكن قد يفعله بعض الناس على سبيل الجحود والعناد؛ وذلك لأن الإقرار بوجوده أمر مركوز في فطر بني آدم، قال (تعالى): ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ

(١) رواه مسلم في صحيحه ٤/٢٠٨٤ كتاب الذكر والدعاء... باب ما يقول عند النوم... ح: ٢٧١٣

(٢) انظر: عيون المناظرات ص: ٢٩٢.

بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾[الأعراف: ١٧٢] وقال ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»(١).

ولهذا لم تعرف في المجموعة البشرية طائفة أنكرت وجود الصانع على سبيل الجزم والاعتقاد، بل كل من أثر عنه ذلك فهو على سبيل الجحود والعناد، ومن أمثلة هؤلاء: **الدهرية والمجوس والثنوية والملاحدة الشيوعيون** ونحوهم، لكن أشهر من عرف عنه هذا التعطيل فرعون الذي قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [سورة النازعات: ٢٤] وقال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غيري﴾ [سورة القصص: ٣٨] وقال لموسى وهارون: ﴿فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا موسى﴾ [سورة طه: ٤٩] على سبيل المنكر الجاحد، وقال لموسى: ﴿لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [سورة الشعراء: ٢٩] لكن كل هذا كان على سبيل الجحود والعناد؛ ولهذا قال له موسى: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ﴾ [سورة الإسراء: ١٠٢] وقال (تعالى) عنه وعن قومه: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [سورة النمل: ١٤].

مناظرة الدهرية

كان بعض الملوك ممن تقدَّم معطِّلا، وكان له وزير عاقل عالم، وكان من عادة الوزير أن يتخذ للملك نزهة في كل سنة، فأمر الوزير في بعض

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ٣/٢١٩ كتاب الجنائز ـ باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه...؟ ح: ١٣٥٨، ومسلم في صحيحه ٤/٢٠٤٧ كتاب القدر ـ باب معنى كل مولود على الفطرة ... ح: ٢٦٥٨.

المفاوز بإجراء الأنهار، وغرس الأشجار، وبناء القصور. ثم أحضر الملك في ذلك الموضع، فلما رأى كل عجب قال للوزير: كيف عَمُرَت هذه المفاوز القفرة؟ قال له الوزير: ما عمرت، بل كانت قفراء إلى هذه المدة القريبة، ثم لما عدنا إليها وجدناها قد حدث فيها ما تراه من تلقاء أنفسها، من غير مصلح ولا صانع، فاشتد غضب الملك وقال للوزير: أتهزأ بي؟ قال له الوزير: إذا كان حدوث هذا القدر ممتنعاً من غير معمِّر، فحدوث العالم الأعلى والأسفل أولى وأحرى. فانتبه الملك من غفلته وعاد إلى دين الحق[١].

مناظرة أبي حنيفة للدهرية:

كان أبو حنيفة رحمه الله سيفاً على الدهرية، وكانوا ينتهزون الفرصة في قتله، فبينما هو يوماً في موضع وحده هجموا عليه بسيوفهم وهمّوا بقتله، فقال لهم: أجيبوا عن المسألة، وافعلوا ما شئتم. قالوا: هات. قال: ما تقولون عمّن قال لكم: رأيت سفينة مملوءة من الأثقال احتوشتها في لُجَّة البحر أمواج ورياح مختلفة، وهي تجري مستوية ليس لها رائس ولا مدبر، هل يجوز ذلك؟

قالوا: هذا لا يعقله عاقل. قال أبوحنيفة: يا سبحان الله، إذا لم يجز هذا، فكيف قيام هذه الدنيا على اختلاف أحوالها، وَسَعَة أطرافها وتباين أكنانها، من غير صانع ولا حافظ؟! فبكوا واعترفوا بالحق[٢].

---

(١) عيون المناظرات ص: ٢٢٠-٢٢١.

(٢) المرجع السابق ص: ٢١٤، وانظر: عقود الجمان في مناقب أبي حنيفة النعمان ص: ٢٨٣

قال صاحب عيون المناظرات[(١)]: «وهـذه الدلالـة مـأخوذة مـن قولـه (تعالى): ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ [سورة الروم: ٢٥]».

وتحكـى هذه القصة عن أبي حنيفة بوجه آخـر؛ وهـو أن قومـاً مـن أهل الكلام[(٢)] أرادوا البحث معه في تقريـر توحيـد الربوبيـة، فقـال لهـم: أخبروني قبل أن نتكلم في هذه المسألة عن سفينة في دجلة، تذهب فتمتلئ من الطعام والمتاع وغيره بنفسها، وتعود بنفسها، فترسي بنفسها، وتفـرغ وترجع، كل ذلك من غير أن يدبرهـا أحـد؟ فقـالوا: هـذا محـال لا يمكـن أبداً! فقال لهم: إذا كان هذا محالاً في سـفينة، فكيـف في هـذا العـالم كلـه علوه وسفله!! وتحكى عن غير أبي حنيفة أيضاً[(٣)].

مناظرة ابن حزم للدهرية:

ومن حجج الدهريـة قولهـم: لم نـر شـيئاً حـدث إلا مـن شـيء أو في شيء، فمن ادعى غير ذلك، فقد ادعى ما لا يُشاهَد ولم يُشاهِد[(٤)].

فبيَّن ابن حزم رحمه الله طريقة مناظرتهم بما مفاده[(٥)]: أن يقـال لهـم: هل تُدرك حقيقة شيء عندكـم مـن غـير طريـق الرؤيـة والمشـاهدة، أو لا يدرك شيء من الحقائق إلا من طريق الرؤية فقط؟

---

(١) ص: ٢١٤ .

(٢) هكذا سماهم شارح الطحاوية، وهو بعيد؛ لأن المعروف عن أهل الكلام إفناء أعمـارهم ومحابرهم في تقرير توحيد الربوبية، إذ هو غاية مقصودهم، ونهاية مطلوبهم، والأليـق أن يكون المناظر لأبي حنيفة هم الدهرية.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ١/٣٥-٣٦ .

(٤) انظر: الفصل ـ ابن حزم ١/٤٨.

(٥) انظر: المرجع السابق ١/٥٠-٥١.

فإن قالوا: إنه قد تـدرك حقـائق مـن غـير طريـق الرؤيـة والمشـاهدة، تركوا استدلالهم وأفسدوه، إذ قـد أوجبـوا وجـود أشـياء مـن غـير طريـق الرؤية والمشاهدة، وقد نفوا ذلك قبل هذا.

فإن قالوا: لا يدرك شيء إلا من طريق الرؤية والمشـاهدة، قيـل لهـم: فهل شاهدتم شيئاً قط لم يَزَل؟

فلا بد لهم من نعم أو لا، فإن قالوا: لا، صدقوا وأبطلـوا اسـتدلالهم. وإن قالوا: نعم، كابروا، وادعـوا مـا لا سـبيل إلى مشـاهدته، إذ مشـاهدة قائل هذا القول للأشياء هي ذات أوَّل بلا شك، وذو الأول هو غير الذي لم يزل؛ لأن الذي لم يزل هو الذي لا أول له، ولا سبيل أن يشاهد ما لـه أول ما لا أول له مشاهدة متصلة، فبطل هذا الاستدلال علـى كـل وجـه. والحمد لله رب العالمين.

مناظرة الثنوية والمجوس

الثنوية من المجوس، وهم القائلون بالأصلين: النور والظلمة، والنـور ـ عندهم ـ هو مصدر كل خير، والظلمة مصدر كل شر.

فيقال لهم: أخبرونا عن رجل قتل رجلاً من القاتل؟ فإن قالوا: النـور، تركوا قولهم، وزعموا أن النور يفعل الشر. فإن قالوا: الظلمـة قتلتـه، قيـل لهم: فإن هو جاء فاعترف بأنه قتله وتاب عن قتله، من المقر التـائب؟ فـإن قالوا: الظلمة، قيل لهم: فقد صدقت وأحسنت، والصدق خير وهذا فساد المذهب. وإن قالوا: المقر التائب هو النور، قيل لهم: أَوَكَان النور فعل شيئاً

فيقر به؟ فإن قالوا: لم يقتل وإنما أقرَّ أنه قتل، قيل لهم: فقد كذب وظلم نفسه، والكذب شر، وليس ذلك من فعل النور ـ على زعمكم ـ فلا بد لهم من أحد أمرين: إما أن تقر الظلمة بالقتل وتعترف بأنها قد قتلت فتصدق، والصدق خير، والخير لا يكون منها، وإما أن يقر النور بأنه قتل وهو لم يفعل، فهذا كذب، والكذب شر، وليس هو من فعله[1].

مناظرة أبي العباس السفّاح للثنوية:

روي أن أبا العباس السفاح(١٣٦هـ) أُتي برجل ثنوي على مذهب المجوس، فجمع له العلماء، وقال: بما ترون؟ قالوا: السيف يا أمير المؤمنين، فقال: نعم السيف، لكن بعد إقامة الحجة عليه.

ثم أقبل على الرجل وقال له: صف لي شبهتك. فقال: رأيت خيراً وشراً، وعزاً وذلاً، وموتاً وحياة، فقلت: هذا ليس من واحد، بل من اثنين؛ واحد للخير وآخر للشر. فأطرق السفاح مليًّا، ثم رفع رأسه، وقال له: أخبرني عن الذي يخلق الخير: أيقدر على خلق مقدور الآخر؟ فقال: لا. قال: والذي يقدر على الشر أيقدر على مقدور الآخر؟ قال لا. قال: ويحك، فاتخذت إلهين عاجزين قاصرين، ومن لا يقدر إلا على بعض المقدورات دون بعض فعاجز عن البعض. فبُهت الرجل، فقال: أبقيت لك حجة؟ قال: لا. قال: الآن فاضربوا عنقه، فقال له ابن شبرمة: الحمد لله الذي هدى بأولكم أولنا وبآخركم آخرنا.

(١) الموجز لأبي عمار الأباضي ١/٢٨٨-٢٨٩.

وقد زاد بعض الأئمة هذه المناظرة بياناً بأن قال: لو قُدِّر فراره عن أن يقول: لا يقدر، إلى أن يقول: يقدر، لكن لا يريد. لقيل له: أبطلت ما بيدك؛ إذ يلزمك أن يكون فاعل الخير هو فاعل الشر، وفاعل الشر هو فاعل الخير، فلا تعدد؛ لأن موجب العدد على زعمك قد بطل[(١)].

مناظرة المأمون للثنوية:

حكي أن المأمون ناظر ثنوياً فقال له: أسألك عن حرفين: هل ندم مسيء قط على إساءته؟ قال الثنوي: نعم. فقال له المأمون: فالندم على الإساءة إساءة أم إحسان؟ قال: بل هو إحسان. فقال له المأمون: فالذي ندم هو الذي أساء أم غيره؟ قال: بل هو الذي أساء. قال: فأرى صاحب الخير هو صاحب الشر، وقد بطل قولكم: إن الذي ينسب إليه الخير غير الذي ينسب إليه الشر.

فرجع الثنوي، فقال: أنا أزعم أن الذي أساء غير الذي ندم، فقال له المأمون: فندم على شيء كان من غيره أو كان منه؟ فسكت الثنوي، وعجز، وبطل مذهبه[(٢)].

مناظرة هشام بن الحكم للثنوية:

جاء رجل ملحد إلى هشام بن الحكم، فقال له: أنا أقول بالاثنين، وقد عرفت إنصافك فلست أخاف مشاغبتك، فقال هشام وهو مشغول بثوب ينشره و لم يُقبل عليه: حَفِظك الله، هل يقدر أحدهما أن يخلق شيئاً

---

(١) انظر : عيون المناظرات ص : ٢٠٦-٢٠٧.

(٢) انظر : عيون الأخبار لابن قتيبة ١٥٢/٢ ، وعيون المناظرات ص : ٢١٢-٢١٣.

لا يستعين بصاحبه عليه؟ قال: نعم. قال هشام: فما ترجو من اثنين! واحد خلق كل شيء أصح لك. فقال: لم يكلمني بهذا أحد قبلك(١).

مناظـــرة الشيوعيين

ذكر أبو عبد الكريم المعصومي(٢) وذلك بعد الانقلاب الشيوعي الذي حدث في روسيا على يد لينين، أنه نُشر في الجرائد أن في طاشقند يُعقد مجلس لأجل المناظرة في إثبات وجود الله، فكل من يريد ذلك فليحضر المجلس في الوقت المحدد، فقام أبو عبد الكريم المعصومي من مقامه وركب القطار، وحضر إلى طاشقند في الوقت المشار إليه، وكان هناك جمع عظيم من المسلمين والنصارى والشيوعيين الدهريين وغيرهم، أكثر من عشرة آلاف نفس.

فقام زعيم الشيوعيين وخطب وتكلم وهذى، إلى أن قال: إن الناس يقولون: إن الله موجود وهو الذي أوجد العالم ورباه ويربيه، وقولهم هذا خرافة؛ لأنه لو كان موجوداً لرأيناه كما نرى الشمس والقمر وغيرهما، وهم يصفونه بأنه كبير وعظيم وجليل كما في القرآن والتوراة والإنجيل، ونحن الآن نرى أدق الأشياء وأصغرها بآلة الرصد (الميكرسكوب

---

(١) عيون الأخبار ٢/١٥٤

(٢) هو: محمد سلطان المعصومي، الخجندي، الحنفي، السلفي، كان مدرساً بمدرسة دار الحديث المكية، والمسجد الحرام، وله كتب منها : هدية السلطان إلى مسلمي بلاد جابان، والمشاهدات المعصومية عند قبر خير البرية. كان حياً حتى عام ١٣٥٨هـ . أخذت الترجمة من جلدة بعض كتبه .

والتليسكوب) الآلات المقربة والمكبرة، وقد دققنا وفتشنا فلم نره، ولم يره أحد، بل ولا أخبر أحد أنه رآه، فهو معدوم وليس بموجود، والأشياء تولدها الطبيعة حسب مقتضى المادة، إلى آخر ما طغى وغوى وبغى.

قال أبو عبد الكريم: فقمتُ ــ هذا الفقير ــ من مقامي وصعدت المنبر، وحمدتُ الله (تعالى) وصليت على رسوله سيدنا محمد ﷺ فقلت بعد تمهيد المقدمات والاستدلال لوجود الله (تعالى) بهذه الكائنات: إن الزعيم المنكر لوجود ربه وخالقه (جل سلطانه) بنى إنكاره على أنه لم يره، فأنا سائله: هل له روح في جسده وعقل في مخه؟ فلا بد أنه يقول: نعم، إن له روحاً في بدنه وعقلاً في مخه، فإن كان هكذا، فهل رأى روحه وعقله، ما هو وكيف هو؟ فهذا قد أقر بوجود ما لم يره، واعترف بثبوت ما لم يشاهد، وإنما أقر واعترف بوجود الروح والعقل لظهور أثرهما، فإن كان هكذا فليقر وليعترف بوجود الله الذي كل هذا المخلوقات من آثار قدرته، ودلائل علمه وحكمته، وهذا الإنسان الجاهل المنكر إذا لم يستطع رؤية روحه الذي هو في نفسه، كيف يستطيع رؤية رب العالمين الذي الروح أمر من أمره، والخالق الجليل الذي لا شبه له ولا نظير له وهو سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً: ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٨].

قال أبو عبد الكريم: فالمسلمون كبروا الله وسبحوه وصفقوا وسروا واستبشروا، وأما المنكرون الضالون فخجلوا وخابوا . وقال ـ أي الزعيم ـ إن لنا أستاذاً في موسكو نخبره بالواقعة فهو يجيب، فرجعنا إلى وطننا غالبين ومنصورين.

وقد هجم الروس على دار المعصومي وأخذوا كل ما فيها مما له قيمة، ثم حكموا عليه بالإعدام رميا بالرصاص، لكن الله (تعالى) نجاه من شرهم وكيدهم في قصة عجيبة مذكورة في موضعها(١).

مناظرة في الضر والنفع

روي أن عمر بن الخطاب ﷺ استلم الحجر الأسود، ثم قال: والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك.

وروي أن علي بن أبي طالب ﷺ قال: بل ينفع ويضر.

قال صاحب عيون المناظرات: فصارت هذه المقابلة في صورة مناظرة، وكلام كل واحد من هذين الإمامين الجليلين صحيح؛ لأن كلام عمر ﷺ معناه لا خالق إلا الله، وكلام علي ﷺ معناه: ينفع بما يحصل من الأجر على امتثال الشرع في استلامه(٢).

المناظرة في التنجيم

التنجيم نوعان : أحدهما: شرك، وهو: إسناد الحوادث الأرضية إلى الأحوال الفلكية، وهو اعتقاد الصابئة قوم إبراهيم ﷺ ، وهو ما يسمى بعلم التأثير. والثاني: مشروع وهو: الاستدلال بحركة الكواكب على مثل القبلة، والاتجهات كما في قوله (تعالى): ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [سورة النحل: ١٦]، وهو ما يسمَّى بعلم التسيير.

---

(١) انظر: حكم الله الصمد في حكم الطالب من الميت المدد لأبي عبد الكريم المعصومي ص: ٦٥-٦٧

(٢) انظر: عيون المناظرات ص : ١٦٢-١٦٣ (بتصرف).

كسر الفاروق لطاغوت التنجيم:

روي أن عمر بن الخطاب ﷺ أراد أن يخرج إلى غزوة، فقال له قائل: يا أمير المؤمنين، اصبر حتى يطلع لنا القمر، يشير القائل إلى السعد بطلوع القمر، فقال له عمر ﷺ: وقمرهم. فبين ﷺ أن القمر يطلع على العدو كما يطلع عليهم، فليس بعض الخلق بالنسبة إلى طلوعه بالسعد أولى من بعض(١).

وهذه الحقيقة التي ذكرها الفاروق ﷺ هي عين التحقيق في هذه المسألة؛ لأن الكواكب حوادث لا تحدث شيئاً، فليس لها تأثير في الكائنات، ولا رابطة من الروابط العقلية بين حركة جرم الفلك وحدوث حادث آخر، لا في العلويات ولا في السفليات، بل كل ذلك صادر بمشيئة الله (تعالى) مبدع الأعيان والذوات(٢).

مناظرة الثوري للمنجمين:

روي أن سفيان الثوري لقي ما شاء الله(٢٠٠هـ)، فقال له: أنت تخاف زحل وأنا أخاف رب زحل، وأنت ترجو المشتري وأنا أرجو رب المشتري، وأنت تغدو بالاستشارة، وأنا أغدو بالاستخارة، فكم بيننا؟ فقال له ما شاء الله: كثير ما بيننا، حالك أرجى، وأمرك أنجح وأحجى(٣).

---

(١) انظر: عيون المناظرات ص : ١٦٥.

(٢) انظر: عيون المناظرات ص:١٦٥.

(٣) المقابسات ـ لأبي حيان التوحيدي ص : ١٢٣.

مناظـــرة أخرى لأهل التنجيم:

قال موحِّد لمنجِّم مدعي علم ما يكون: قد أمسكت لك هـذا الخـاتم في يدي، وانظر ما تدلُّك عليـه النجـوم، فـإن قلـت: دلـت علـى إمسـاكه رميته، وإن قلت: دلت على سقوطه أمسكته، فكيف ما زعمت خالفتك، وظهرت فضيحتك. فانقطع المنجم(١).

مناظـرة الباقلاني لأهل التنجيم:

هذه مناظرة جرت في مجلس وزير عضد الدولة حين همَّ بإرسال أبـي بكر الباقلاني في بعض سفرائه إلى ملك الروم، واختصه بذلك ليظهر رفعة الإسلام ويغض من النصرانية، فلما تهيأ للخروج، قال وزير عضد الدولـة للقاضي: الطالع خروجك. فسأله القاضي أبوبكر عن ذلك، فلما فسر لـه مراده، قال القـاضي: لا أقـول بهـذا؛ لأن السـعد والنحـس كلـه، والشـر والخير كله بيد الله عز وجل، وليـس للكواكـب هـا هنـا مثقـال ذرة مـن القدرة، وإنما وضعت كتب المنجمين ليتمعّش بهـا الجـاهلون بـين العامـة، ولا حقيقة لها، فقال الوزير: أحضروا لي ابن الصوفي، ليست المنـاظرة مـن شأني، ولا أنا قائم بها، وإنما أنا أحفظ علم النجوم، وأقول: إذا كان مـن النجوم كذا كان كذا، وأمـا تعليلـه فهـو مـن علـم المنطـق، فأُحضر ابـن الصوفي، وأُمـر بمكالمـة القـاضي، فقـال لـه أبـو سـليمان (٣٨٠هـ): هـذا القاضي يقول: إن البارئ سبحانه قادر علـى أن يُرْكِـب عشـرة أنفـس في ذلك المركب الذي في دجلة، فإذا وصلوا إلى الجانب الآخر يكون الله قـد

(١) عيون المناظرات ص : ٢٢١ .

زاد فيهم آخر، فيكونون أحد عشر، ويكون الحادي عشر قد خلقه الله في ذلك الوقت، ولو قلت أنا: لا يقدر على ذلك، أو هو محال قطعوا لساني وقتلوني، وإن أحسنوا إلي كتفوني، ورموني في دجلة، وإذا كان الأمر كما ذكرتُ لم يكن لمناظرتي معه معنى. فالتفت الوزير إلى القاضي، وقال: ما تقول أيها القاضي؟ قال القاضي: فقلت: ليس كلامنا ها هنا في قدرة الباري (تعالى)، والباري (تعالى) قادر على كل شيء، وإن جحده هذا الجاهل، وإنما كلامنا في تأثيرات هذه الكواكب، فانتقل إلى ما ذكر لعجزه وقلة معرفته، وإلا فأي تعلق للكلام في قدرة الباري عز وجل في مسألتنا؟ وأنا وإن قلت: إن القديم (تعالى) قادر على ذلك، ما أقول: إنه يخرق العادة ويفعل هذا؛ لأنه لا يجوز عندنا أن يُخلق اليوم إنسان من غير أبوين؟ فإذا كان كذلك فقد علم الوزير أنَّ هذا فرار من الزحف. فقال: هو كما ذكرت. فقال المنطقي: المناظرات دربة وتجربة، وأنا لا أعرف مناظرات هؤلاء القوم، وهم لا يعرفون مواضعاتنا وعباراتنا، ولا تحمل المناظرة بين قوم هذا حالهم. فقال له الوزير: قبلنا اعتذارك والحق أبلج، قال القاضي: ومال إلي وقال: سر في رعاية الله.

فهذه شهادة من الجميع أن القول بتأثير النجوم لا يستند إلى عقل، ولا حس ولا شرع، وإنما هو كما قال الباقلاني: وإنما وضعت كتب المنجمين ليتمعش بها الجاهلون من العامة، ولا حقيقة لها[١].

---

(١) انظر: ترتيب المدارك للقاضي عياض ٥٩٤/٤-٥٩٥، وعيون المناظرات ص: ٢٤٤-٢٤٦.

مناظرة النصارى في الأقانيم

الأقانيم عند النصارى مختلف في تحديدها، هل هي صفات؟ أم هي ذوات؟ أم هي خواص؟ لكنهم اتفقوا على أنها ثلاثة، وهي: الأب والابن وروح القدس، وأنها لم تزل، أي: أنها قديمة، ويقولون: إن الابن كلمة الأب الأزلي، وإن الأب إنما يعلم الأشياء بكلمته، وإن روح القدس هو الحياة التي من أجلها وجب أن يكون الأب حياً[(١)].

فيقال لأهل التثليث: أخبرونا عن هذه الأقانيم الثلاثة، أكل واحد منها غير الآخر، أم كل واحد منها هو الآخر؟ فإن قالوا: كل واحد منها هو الآخر. قيل لهم: فلم جعلتموها ثلاثة، و لم تقولوا فيما بينها بالمغايرة؟ وهل العدد نفسه إلا المغايرة؟ أو هل المغايرة معناها إلا العدد؟ فقد أثبتم بكلامكم ما نفيتم، ونفيتم ما أثبتم.

وإن قالوا: إن كل واحد من الأقانيم غير الآخر. قيل لهم: فهل تميزون كل واحد منها عن صاحبه بصفة أو لا تميزونه بصفة؟ فإن قالوا: لا نميز كل واحد من الأقانيم عن صاحبه بصفة، عاد عليهم الكلام الأول بأن الأقانيم الثلاثة واحد، وإنما عبروا بلفظ الثلاثة وهي في الحقيقة واحد، ولا فائدة ها هنا في ذكر الثلاثة[(٢)].

---

(١) انظر: الموجز لأبي عمار الأباضي ١/٣٤٥-٣٤٦، وانظر: شرح الطحاوية ١/٢٧.

(٢) انظر: الموجز لأبي عمار الأباضي ١/٣٤٥-٣٤٧.

مناظرة النصارى في التثليث:

النصارى الذين قالوا: باسم الأب والابن وروح القدس إله واحد، وزعموا أن القديم ثلاثة أقانيم في جوهر واحد، يقال لهم: إذا زعمتم أن المسيح ابن الله، وأن الكلمة قد اتحدت به، وليست البنوة والاتحاد أمراً شاهدتموه فيمكنكم فيه ادعاء البيان، ولا متوهماً يعلم بضرورات العقول، فإن الأب لم يثبت العلم به ضرورة فكيف تدعونه في الابن؟ وما لا يدرك بالعيان ولا يعلم بالضرورة، لم يكن إلى إثباته سبيل إلا أن يقوم عليه دليل، فما دليلكم على إثبات ما ادعيتموه من ذلك؟

ثم يقال لهم: إذا اعتقدتم أن القديم ثلاثة أقانيم في جوهر واحد لا يخلو قولكم: إما أن تكونوا أخذتموه من طريق التوقيف والسماع، أو من طريق المعقول والقياس.

فإن قلتم: أخذناه من التوقيف من نص الأناجيل؛ فكان يلزم أن لا يختلفوا في ذلك؛ لأن النصوص لا يختلف أحد فيها، ممن يعتقد ذلك المذهب. وقد خالفكم في ذلك آريوس، وزعم أن ما قلتموه من التثليث مستحيل في المعقول.

وإن قلتم: أخذناه من طريق المعقول والقياس، فما الذي يوجب أن يكون الباري جل جلاله ثلاثة أقانيم دون أن يكون أكثر من ذلك؟ وما الموجب لحصره في ثلاثة؟ وهل علمتم هذا الحصر بضرورة العقل أم بنظر العقل؟

فإن قلتم: بضرورة العقل، فيلزم أن لا يختلف فيه العقلاء. بل قولكم مناقض لضرورة العقل فإنكم تجعلون الثلاثة واحداً.

وإن قلتم: أخذناه بنظر العقل: فأي دليل يرشد إليه؟! وأي برهان يقوم عليه؟!. ينحصر الواحد في ثلاث، أو الثلاث في واحد. بل الواحد يناقض التعدد.

فما أجهلكم بطريق الحساب، ومن غلط في أول مرتبة من الحساب، فلأن يغلط فيما زاد عليها أولى[1].

مناظرة أخرى:

يقال لأهل التثليث: أخالق العالم ـ عندكم ـ خالق واحد وهو إله واحد، أم للعالم ثلاثة آلهة خالقون؟

فإن قالوا: إن الخالق واحد، وهم ثلاثة آلهة خالقون، كما أنهم في كثير من كلامهم يصرحون بثلاثة آلهة، وثلاثة خالقين، ثم يقولون: إله واحد، وخالق واحد.

فيقال لهم: وهذا تناقض ظاهر، فإما هذا، وإما هذا.

فإذا قالوا: الخالق واحد، له ثلاث صفات.

قيل لهم: لم ننازعكم في أن الخالق له صفات، لكن لا يختص بثلاثة.

فإن قالوا بثلاثة آلهة خالقين، كما قد كثر منهم في كثير من كلامهم، بان كفرُهم وعظُم شركهم، وبان أن شركهم أعظم من كل

(١) انظر : أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ص : ٩٢-٩٣.

شرك في العالم؛ فغاية المجوس الثنوية: إثبات اثنين، نور وظلمة، وهؤلاء يثبتون ثلاثة.(١)

مناظرة النصارى في كون عيسى جزءاً من الله (تعالى)

روي أن هارون الرشيد كان له علج طبيب له فطنة وأدب، فودَّ الرشيد أن لو أسلم، فقال له يوماً: ما يمنعك عن الإسلام؟ فقال: آية في كتابكم حجة على ما أنتحله. قال: وما هي؟ قال قوله (تعالى) عن عيسى عليه السلام: ﴿وَرُوحٌ مِّنه﴾ [سورة النساء: ١٧١] وهو الذي نحن عليه. فعظم ذلك على الرشيد وجمع له العلماء، فلم يحضرهم جواب ذلك، حتى ورد قوم من خراسان فيهم علي بن وافد من أهل العلم بالقرآن، فأخبره الرشيد بالمسألة، فاستعجم عليه الجواب، ثم خلا بنفسه، وقال: ما أجد المطلوب إلا في كتاب الله، فابتدأ القرآن من أوله، وقرأ حتى بلغ سورة الجاثية إلى قوله (تعالى): ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنهُ﴾ [سورة الجاثية: ١٣] فخرج إلى الرشيد وأحضر العلج، فقرأها عليه، وقال له: إن كان ﴿وروحٌ مِّنه﴾ يوجب أن يكون عيسى بعضاً منه (تعالى) وجب ذلك في السموات والأرض، فانقطع النصراني، و لم يجد جواباً، فأسلم النصراني وسُرَّ الرشيد بذلك، وأجزل صلة ابن وافد، فلما رجع ابن وافد إلى بلده، صنف كتاب النظائر في القرآن(٢).

---

(١) انظر : الجواب الصحيح ٢٧١/٤.

(٢) انظر : عيون المناظرات ص : ٢٠٧-٢٠٨. وذُكرت هذه القصة عن علي بن الحسين الواقدي، وأنه هو الذي ناظر الطبيب النصراني. انظر : تفسير الألوسي ٢٥/٦.

مناظرة الباقلاني النصارى في نسبة الولد إلى الله (تعالى):

في سفارة الباقلاني ـ المتقدم ذكرها ـ إلى ملك الروم دخل القاضي مرة على الملك، فرأى عنده بعض بطارقته ورهبانيته، فقال مستهزئاً به: كيف أنت وكيف الأهل والأولاد؟ فتعجب الرومي منه. وقال له: ذكر من أرسلك في كتاب الرسالة: أنك لسان أهل الأرض ومتقدِّم على علماء الأمة، أَمَا علمت أنا نُنزِّه هؤلاء عن الأهل والأولاد؟! فقال القاضي أبو بكر: أنتم لا تنزهون الله سبحانه عن الأهل والأولاد وتنزهونهم[1].

مناظرة النصارى في كون عيسى عليه السلام كلمة الله الخالقة:

يقال للنصارى: قولكم: كلمة الله الخالقة، أهي كلام الله كله، أم هي بعض كلام الله، أم هي المعنى القائم بالذات القديم الأزلي، الذي يثبته ابن كلاب، أم حروف وأصوات قديمة كما يقوله بعض الناس، أم هي الذات المتكلمة؟

فإن كانت هي الذات المتكلمة، فهي الأب والرب، وتكون هي الموصوفة بالحياة، فلا يكون هناك كلام مولود، ولا كلمة أرسلت ولا غير ذلك مما ذكروه، وهذا خلاف قولهم كلهم، فإن الكلمة المتحدة بالمسيح ليست هي الأب عندهم.

وإن قالوا: بل هي كلام الله كله، قيل لهم: فيكون المسيح هو التوراة والإنجيل والقرآن وسائر كلام الله، وهذا لا يقولونه، ولم يقله أحد ولا يقوله عاقل.

(١) انظر : تبيين كذب المفتري ص : ٢١٨-٢١٩ ، وعيون المناظرات ص : ٢٤٨

وإن قالوا: إنها هي المعنى الواحد القديم الأزلي، أو الحروف والأصوات القديمة الأزلية. قيل لهم: هذان القولان، وإن كانا باطلين، فإن قلتم بهما لزمكم أن يكون المسيح هو كلام الله كله، فإن هذين ـ عند من يقول بهما ـ هما جميع كلام الله. والتوراة والإنجيل وسائر كلام الله عبارة عن ذلك المعنى القائم بذات الله وهو الحروف والأصوات القديمة القائمة بالذات عند من يقول بهذين.

وإن قلتم: إن المسيح بعض كلمات الله: فحينئذ كلمات الله شيء آخر غير المسيح، فاجعلوا كل كلمة خالقاً، كما جعلتم الكلمة المتحدة بالمسيح خالقاً، إذ كنتم تقولون: الكلمة هي الخالقة، وهي المخلوق بها، فقولوا عن سائر كلمات الله: إنها خالقة مخلوق بها، وحينئذ فيتعدد الخالق بتعدد كلمات الله. وإذا كانت كلمات الله لا نهاية لها، كان للخلق خالقون لا نهاية لهم، وهذا غاية الباطل والكفر.

وبالجملة أي شيء فسروا به الكلمة تبين به فساد قولهم، ولكنهم يتكلمون بما لا يفهمونه، ويقولون الكذب والكفر المتناقض. وإنما عندهم تقليد من أضلهم، كما قال (تعالى): ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾[1] [سورة المائدة: ٧٧].

(١) انظر : الجواب الصحيح ٤/٢٧٢-٢٧٤ .

مناظرة النصارى في أسطورة التجسد

التجسد هو قولهم: إن الله لما رحِم عباده وأشفق عليهم ألقى كلمته إلى مريم البتول، فتجسدت الكلمة في جوفها، فخرج منها إله تام من إله تام، نور من نور[(١)].

فيقال لهم: الكلمة - عندكم - أهي نفس الجوهر أم زائدة عليه؟ فإن قلتم: هي الجوهر بلا مزيد، فقولوا: ألقى نفسه إلى مريم البتول، ولا تقولوا كلمته؛ لأن ليس عندكم إلا الجوهر بلا مزيد، وهذا يؤدي إلى التغير والحدوث، والقديم يستحيل عليه التغير والحدوث[(٢)]، فأنتم من طرفي نقيض، إما أن يقولوا: كل متغير حادث وكل منتقل من حال إلى حال حادث، أو يقولوا: إن التغير والانتقال من حال إلى حال لا يدلان على الحدوث. فإن قلتم الأول لزمكم حدوث القديم، وإن قلتم الثاني لزمكم قدم العالم، وكلا القولين محال.

وإن قلتم: هي زائدة على الجوهر فنقول لكم: هل فارقت الجوهر أو لم تفارقه؟ فإن قلتم: فارقته لزمكم تغير الجوهر؛ لأنها إذا فارقته لم يتصف بأقنوم العلم بعدما كان متصفاً.

وإن قلتم: لم تفارقه استحال أن تحل في مريم مع اختصاصها به؛ لأن الواحد لا يحل في اثنين. فإذا كان ذلك يستحيل في الصفة الموجودة

---

(١) انظر : أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية - أحمد بن إدريس القرافي ص : ٦٥.

(٢) هذه من عبارات المتكلمين، وهي من الألفاظ المجملة التي تحتمل حقاً وباطلاً، وتكون باطلاً إذا قُصد بها نفي الصفات الاختيارية عن الله تعالى؛ كالاستواء والمجيء والضحك ونحوها، وهذا مذهب فاسد ومتناقض، وتكون حقاً إذا قُصد بها نفي التغير والحدوث المخلوقين، أي ما يعتري المخلوق من ذلك، والتزام الألفاظ الشرعية أسلم وأحكم وأعلم.

القائمة بالموصوف، فلأن يستحيل ذلك في الكلمة التي هي أقنوم العلم وهي خاصية الجواهر أولى من غير مزيد.

وأما قولكم: تجسدت في جوفها، فنقول لكم: تجسدت لساعتها، أو تجسدت لتوليد يوم بعد يوم، وساعة بعد ساعة، فأيهما قلتم بطلت حجتكم. فإن قلتم: تجسدت لساعتها فهو خلاف الناسوت، فإن الإنسان التام ليس له ذلك، ولا يتصور في العادة استواء الجنين في بطن أمه لساعته، فما كان إنساناً تاماً بل كان مخالفاً للإنسان؛ لأن الإنسان الذي يقع عليه هذا الاسم ينمو، أو يزيد في كل شهر من التسعة أشهر، وإن قلتم: لا بل زاد ونَمَا شيئاً بعد شيء، فليس بإله تام، إذ من المحال أن يجوز على الإله النمو والزيادة.

فإذا قلتم: تجسدت في بطن امرأة، فقد صارت متجسدة بعدما لم تكن متجسدة، وهذا بعينه هو التغيير وهو دليل الحدوث. ويؤدي أيضاً إلى محال آخر: إذ المعنى لا يصير جسداً؛ لأنه يؤدي إلى انقلاب الحقائق بأن يرجع غير القائم بنفسه قائماً بنفسه وهذا محال، فإذا كان ذلك يستحيل في المعنى الموجود، فلأن يستحيل في الأقنوم الذي هو خاصية الجوهر أولى.

وقولكم: إله تام من إله تام لا يستقيم؛ لأنه لا يخلو قولكم من أمرين: إما أن تقولوا بحلول الإلهية فيه بعد ثلاثين سنة، وإما أن تقولوا: خرج من بطن إمه إلها تاماً.

فإن قلتم: إنما حلت الإلهية فيه بعد ثلاثين سنة: فما خرج من بطنها إله تام ولا هو إله تام.

وقولكم: نور من نور، فالنور عرض من الأعراض[١] لا يقوم بنفسه، والباري (تعالى) قائم بنفسه منزه عن الأعراض[٢].

مناظرة النصارى في عقيدة الفداء

يعتقد النصارى أن الرب (تعالى) تجسد في عيسى لينقذ البشرية من خطيئة أبيهم آدم، وهي الأكل من الشجرة، والتي توارثتها الأجيال، وفيهم الأنبياء والصالحون، بل فيهم عيسى عليه السلام نفسه قبل الصلب، قالوا: فأسلم عيسى نفسه للقتل والصلب؛ حتى يطهر البشرية من هذه الخطيئة المتوارثة.

فيقال لهم: من العجب أن هذا الإله بعد أن فعل بنفسه من الذل والهوان ما وصفتم في إرادة خلاصكم من آفات الدنيا، فما نراه خلصكم، بل أنتم باقون على ما كنتم عليه من طبع البشر: تحيون وتموتون وتُقتلون بكل واد، ويجري عليكم ما يجري على جميع بني آدم، فإن كان أراد خلاصكم من التكاليف والمطالبات بالعبادات، فأبحتم المحرمات لدفع الآثام

(١) نعم، النور لا يقوم بنفسه، وكل صفة كذلك، لكنه صفة ذاتية ثابتة لله تعالى بالكتاب والسنة، لا يجوز نفي عن الله تعالى بحجة أنها عرض، ويحمل كلام صاحب أدلة الوحدانية هنا على أن ما ثبت لعيسى عليه السلام من النورانية هو غير ما يثبت لله تعالى من ذلك.

(٢) انظر : أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ص : ٦٥-٦٧. واعلم أن النور من أسماء الله تعالى وصفة له، وليس بمخلوق، أما الأنوار المخلوقة فليست حالة با لله تعالى .

عنكم فما نراه أيضاً جُعل له ذلك، بل أنتم بإقراركم باقون على أحكام التكليف مؤاخذون بجملة أفعالكم، ولولا ذلك لكان ينبغي أن يكون الذين قتلوا إلهكم - على زعمكم - وقتلوا حوارييه، وأحرقوا أسفاره غير خاطئين، ولا آثمين؛ لأن إلهكم حمل عنهم خطاياهم؛ لأنهم من جملة الناس، وقد قلتم: إنه نزل من أجلنا يا معشر الناس، وكذلك من قتل منكم وسرق وزنا وفسق وركب سائر الذنوب يجب على هذا القول أن لا يكون مؤاخذاً بخطيئته ولا مأثوماً على فعله، وإن كان أراد خلاصكم من عذاب الآخرة وما يجري على العباد يوم القيامة، فإنجيلكم يكذب هذا القول، ويخبر أن الخلائق بعد المسيح موقوفون يوم القيامة مسؤولون عن أعمالهم، مؤاخذون بجرائر أفعالهم، وذلك أنكم حكيتم عن المسيح أنه قال: إني جامع الناس يوم القيامة عن ميمنتي وعلى ميسرتي، فأقول لأهل الميسرة: إني جعت فلم تطعموني، وعطشت فلم تسقوني، وكنت غريباً فلم تروني، ومحبوساً فلم تزوروني، ومريضاً فلم تعودوني، فاذهبوا إلى النار المعدَّة لكم قبل تأسيس الدنيا .

وأقول لأهل الميمنة: فعلتم بي هذه الأشياء فاذهبوا إلى النعيم المعدّ لكم قبل تأسيس الدنيا. فمن قال: إن الخطيئة بطلت بنزول المسيح، فقد كذّب قول المسيح هذا.

ويقال لكم: يا معشر النصارى: إذا لم يحصل لكم بنزول المسيح خلاصكم من آلام الدنيا وعذابها، ولا من مطالبة الآخرة وعقابها، ولا من مشقة التكاليف بإلزام العبادات واجتناب المحرمات، فأي خلاص

لكم؟ وإنما هما داران لا ثالث لهما: دنيا وأخرى، فإذا لم تتخلصوا فيهما، فأين ترجون الخلاص الذي نزل إلهكم لأجله، وفعل بنفسه ما فعل، ثـم لم يتم له ما أراد من ذلك[1].

مناظرة الباطنية في عقيدة تأليه البشر

قال عبد القاهر البغدادي رحمه الله: «حكى لي بعضُ من كان دخل في دعوة الباطنية، ثم وفَّقه الله (تعالى) لرشده وهداه إلى حلِّ أيمانهم، أنهم لمَّا وَثِقُوا منه بإيمانه، قالوا له: إن المسلمين بالأنبياء كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وكل من ادعى النبوة كانوا أصحاب نواميس ومخاريق أحبُّوا الزعامة على العامة، فخدعوهم بنيرنجات[2]، واستعبدوهم بشرائعهم.

قال هذا الحاكي لي: ثم ناقض الذي كشف لي هذا السر بأن قال له: ينبغي أن تعلم أن محمد بن إسماعيل بن جعفر هو الذي نادى موسى بن عمران من الشجرة فقال له: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [سورة طه: ١٢] قال: فقلت: سَخِنَتْ عينُك، تدعوني إلى الكفر بالرب القديم الخالق للعالم، ثم تدعوني مع ذلك إلى الإقرار بربوبية إنسان مخلوق، وتزعم أنه كان قبل ولادته إلهاً مرسِلاً لموسى؟! فإن كان موسى عندك ممخرقاً فالذي زعمت أنه أرسله أكذب، فقال لي: إنك لا تفلح أبداً، وندم على إفشاء أسراره إلي، وتبت من بدعتهم»[3].

(١) انظر: أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ص: ١٠١-١٠٢.
(٢) النيرنجات: أفعال كالسحر. انظر: القاموس المحيط ص: ٢٦٥.
(٣) الفرق بين الفرق ص: ٣٠٢-٣٠٣.

مناظـــرة الحلوليـــة

من فرق الحلولية : الحلمانيـة المنسـوبون إلى أبـي حلمـان الدمشـقي، وكانوا يقولون بحلول الإله في الأشخاص الحسنة، وكـانوا إذا رأوا صـورة حسنة سجدوا لها يوهمون أن الإله قد حلَّ فيها[1].

قال عبد القاهر البغدادي رحمه الله: «رأيـتُ بعـض هـؤلاء الحلمانيـة يستدل على جواز حلول الإله في الأجساد بقول الله (تعالى) للملائكة في آدم: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [سورة الحجر: ٢٩] وكـان يزعم أن الإله إنما أمر الملائكة بالسجود لآدم؛ لأنه كان قـد حـلَّ في آدم، وإنما حلّه لأنه خلَقَـه في أحسـن تقويـم؛ ولهـذا قـال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [سورة التين: ٤] فقلت له: أخبرني عن الآية التي اسـتدللت بهـا في أمر الله للملائكة بالسجود لآدم عليه السلام، والآية الناطقة بأن الإنسان مخلوق في أحسن تقويم، هل أريد بهما جميع النـاس علـى العمـوم أم أريـد بهمـا إنسان بعينه؟ فقال: ما الذي يلزمني على كل واحد مـن القولـين إن قلـت به؟ فقلت: إن قلت: إن المـراد بهمـا كـل النـاس علـى العمـوم لزمـك أن تسجد لكل الناس، وإن كان قبيح الصورة لدعواك أن الإله حل في جميـع الناس، وإن قلت: إن المراد به إنسان بعينه وهو آدم عليه السلام دون غيره، فَلِـمَ تسـجد لغـيره مـن أصحـاب الصـور الحسـنة، ولم تسـجد للفـرس الرائـع

---

(١) انظر : الفرق بين الفرق ص : ٢٥٩ .

والشجرة المثمرة، وذوات الصور الحسنة من الطيور والبهائم؟ وربما كان لَهَبُ النار في صورة رائعة، فإن استجزت السجود له فقد جمعت بين ضلالة الحلولية وضلالة عابدي النار، وإذا لم تسجد للنار ولا للماء ولا للهواء ولا للسماء مع حسن صور هذه الأشياء في بعض الأحوال فلا تسجد للأشخاص الحسنة الصور.

وقلت له ـ أيضاً ـ: إن الصور الحسنة في العالم كثيرة، وليس بعضها بحلول الإله فيه أولى من بعض، وإن زعمت أن الإله حال في جميع الصور الحسنة، فهل ذلك الحلول على طريق قيام العرض بالجسم، أو على طريق كون الجسم في مكانه؟ ويستحيل حلول عرض واحد في محال كثيرة، ويستحيل كون شيء واحد في أمكنة كثيرة، وإذا استحال هذا استحال ما يؤدي إليه»[1].

المناظرة في باب الأسماء والصفات

مذهب أهل السنة والجماعة في باب أسماء الرب (تعالى) وصفاته: إثبات ما أثبته الله (تعالى) لنفسه، وأثبته له رسوله، من الأسماء والصفات، ونفي ما نفاه عن نفسه، ونفاه عنه رسوله، إثباتاً من غير تمثيل ولا تكييف، ونفياً من غير إلحاد ولا تعطيل.

الكلام في الصفات بغير علم مزلة قدم وهلكة عقل:

روى الطبري عن عبد الرحمن بن عمر الأصبهاني قال: سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول لفتى من ولد جعفر بن سليمان: مكانك، فقعد

---

(١) الفرق بين الفرق ص: ٢٥٩-٢٦٠.

حتى تفرَّق الناس. ثم قال: تعرف ما هذه الكُورة[1] من الأهواء والاختلاف، وكل ذلك يجري مني على بال رضى، إلا أمرك وما بلغني، فإن الأمر لا يزال هيناً ما لم يصر إليكم يعني السلطان، فإذا صار إليكم جلَّ وعظُم.

فقال: يا أبا سعيد، وما ذاك؟! قال: بلغني أنك تتكلم في الرب تبارك وتعالى وتصفه وتشبهه. فقال الغلام: نعم، فأخذ يتكلم في الصفة.

فقال: رويدك يا بني، حتى نتكلم أولَ شيء في المخلوق، فإذا عجزنا عن المخلوقات فنحن عن الخالق أعجز وأعجز: أخبرني عن حديث حدثنيه شعبة عن الشيباني قال: سمعت زِرّاً قال: قال عبد الله في قوله: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [سورة النجم: ١٨] قال رأى جبريل له ستمائة جناح[2].

قال: نعم، فعرف الحديث. فقال عبد الرحمن: صف لي خلقاً من خلق الله له ستمائة جناح. فبقي الغلام ينظر إليه. فقال عبد الرحمن: يا بني، فإني أُهَوِّن عليك المسألة وأضع عنك خمسمائة وسبعة وتسعين، صف لي خلقاً بثلاثة أجنحة، ركب الجناح الثالث منه موضعاً غير الموضعين اللذين ركبهما الله حتى أعلم.

---

(١) الكورة : المدينة، والصُّقْع. لسان العرب ١٥٦/٥ مادة كور .

(٢) انظر : صحيح البخاري ٣١٣/٦ كتاب بدء الخلق ـ باب إذا قال أحدكم آمين...ح: ٣٢٣٢ ، وصحيح مسلم ١٥٨/١ كتاب الإيمان ـ باب في ذكر سدرة المنتهى ح : ١٧٤، أما إسناد الراوية المذكورة، ففي صحيح مسلم بعد الرقم: ١٧٤ .

فقال: يا أبا سعيد، نحن قد عجزنا عن صفة المخلوق، ونحن عن صفة الخالق أعجز وأعجز، فأشهدك أني قد رجعت عن ذلك، وأستغفر الله[(١)] .

أسماء الله (تعالى) وصفاته توقيفية:

بمعنى أن الأصل في الأسماء والصفات متابعة النصوص من كتاب أو سنة، لا يجوز فيها الاجتهاد بالقياس ونحوه، فما جاءت به النصوص نطقنا به، وما سكتت عنه سكتنا عنه، لا ندخل في ذلك بآرائنا وأهوائنا .

قال الشيخ أبو الحسن الأشعري رحمه الله : أتى رجل إلى الجبائي وأنا عنده فقال: لم منعت أن يتسمَّى الباري (تعالى) عاقلاً؟ فقال الجبائي: لأن العاقل في اللغة مأخوذ من العقال، وهو المانع، فلما استحال المنع على الله (تعالى) لم نسمِّه عاقلاً. قال أبو الحسن: فقلت له: إن كانت العلة هذه، فلا يُسمَّى الباري (تعالى) حَكَماً؛ لأن الحكمة في أصل اللغة مشتقة من حَكَمَة اللِّجام، وهي الحديدة التي في فم الدابة تمنعها من السير[(٢)]، ومنه سُمِّي الحاكم حاكماً لمنعه من الظلم.

قال جرير:[(٣)]

[أبني][(٤)] حنيفة أحكموا سفهاءكم   إني أخاف عليكم أن أغضبا

---

(١) شرح السنة ـ اللالكائي ٣/٥٣٠-٥٣١ برقم : ٩٣٢ ، وانظر : سير أعلام النبلاء ٩/١٩٦-١٩٧

(٢) انظر : القاموس المحيط ص: ١٤١٥ .

(٣) ديوان جرير ص: ٤٧ .

(٤) في الأصل: [أبي] والصحيح ما أثبته، كما هو في ديوان جرير .

أي امنعو.

وقال حسان بن ثابت:[(١)]

فنحكم بالقوافي من هجانا ونضرب حين تختلط الدماء

ومثل هذا كثير، قال الشيخ أبو الحسن: فقال ـ أي الجبائي ـ: فَلِمَ امتنعت أن تُسمي الباري (تعالى) عاقلاً؟ فقلت له: من أجل أن التوقيف لم يرد به، وإنما أُخذت أسماؤه (تعالى) توقيفاً، فلو ورد لم أمنعه؛ إذا العقل ضرب من العلم، وليس تستحيل التسمية به على وجه من الوجوه. قال: فسكت الجبائي، ولم يرد علي جواباً[(٢)].

مناظرة نفاة بعض الصفات:

من قواعد أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات: القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر إثباتاً ونفياً[(٣)].

فإن كان المخاطَب ممن يثبت لله (تعالى) بعض الصفات كالحياة والعلم والسمع والبصر والكلام والإرادة والقدرة، وينازع في المحبة والرضا والغضب ونحوها فيجعلها مجازاً، ويفسرها إما بالإرادة، وإما ببعض المخلوقات من النعم والعقوبات.

---

(١) شرح ديوان حسان ـ البرقوني ص : ٥٩.

(٢) انظر: عيون المناظرات ص : ٢٢٨-٢٢٩ ، وطبقات الشافعية ـ السبكي ٣/٣٥٧-٣٥٨.

(٣) انظر : الرسالة التدمرية ص : ٢١ .

فيقال له: لا فرق بين ما نفيته وبين ما أثبته، بل القول في أحدهما كالقول في الآخر. فإن قال: إن له إرادة تليق به، كما أن للمخلوق إرادة تليق به. قيل له: وكذلك له محبة تليق به وللمخلوق محبة تليق به، وله رضاً وغضب يليق به، وللمخلوق رضاً وغضب يليق به.

فإن قال: الغضب غليان دم القلب لطلب الانتقام. فيقال: والإرادة ميل النفس إلى جلب منفعة، أو دفع مضرة. فإن قال: هذه إرادة المخلوق. قيل له: وهذا غضب المخلوق، وهذا لازم ـ أيضاً ـ في كلامه وسمعه، وبصره وعلمه وقدرته، وجميع ما يثبته من الصفات.

فإن قال: إنه لا حقيقة لهذه الصفات إلا ما يختص بالمخلوقين فيجب نفيها عنه. قيل له: وهكذا السمع والبصر والكلام والعلم والقدرة، فكل ما تحتج به فيما نفيته نحتج عليك به فيما أثبته. فإن قال: تلك الصفات أثبتها بالعقل؛ لأن العقل الحادث دلَّ على القدرة والتخصيص دلَّ على الإرادة، والإحكام دلَّ على العلم، وهذه الصفات مستلزمة للحياة، والحي لا يخلو عن السمع والبصر والكلام أو ضد ذلك.

قيل له: لك جوابان:

أحدهما: أن يقال لك: عدم الدليل المعين لا يستلزم عدم المدلول المعين، فهب أن ما سلكت من الدليل للعقلي لا يثبت ذلك، فإنه لا ينفيه. وليس لك أن تنفيه بغير دليل؛ لأن النافي عليه الدليل كما على المثبت، والسمع قد دلَّ عليه، ولم يعارض ذلك معارض عقلي ولا سمعي، فيجب إثبات ما أثبته الدليل السالم عن المعارض المقاوم.

الثاني: أن يقال له: يمكن إثبات هذه الصفات بنظير ما أثبتَّ به تلك من العقليات؛ فيقال: نفع العباد بالإحسان إليهم يدلُّ على الرحمة، كدلالة التخصيص على المشيئة، وإكرام الطائعين يدلُّ على محبتهم، وعقاب الكافرين يدل على بغضهم، كما قد ثبت بالمشاهدة والخبر من إكرام أوليائه وعقاب أعدائه، والغايات المحمودة في مفعولاته ومأموراته ـ وهي ما تنتهي إليه مفعولاته ومأموراته من العواقب الحميدة ـ تدل على حكمته البالغة، كما يدل التخصيص على المشيئة وأولى؛ لقوة العلة الغائية؛ ولهذا كان ما في القرآن من بيان ما في مخلوقاته من النعم والحكم: أعظم مما في القرآن من بيان ما فيها من الدلالة على محض المشيئة.

فإن كان المخاطَب ممن ينكر الصفات دون الأسماء كالمعتزلي الذي يقول في الله (تعالى) : إنه حي عليم قدير، وينكر أن يتصف بالحياة والعلم والقدرة، فيقال له: لا فرق بين إثبات الأسماء وإثبات الصفات، فإن قال: إثبات الحياة والعلم والقدرة يقتضي تشبيهاً أو تجسيماً؛ لأنا لا نجد في الشاهد متصفاً بالصفات إلا ما هو جسم.

قيل له: ولا نجد في الشاهد ما هو مسمًّى حي عليم قدير إلا ما هو جسم، فإن نفيت ما نفيت لكونك لم تجده في الشاهد إلا للجسم فانف الأسماء، بل وكل شيء لأنك لا تجده في الشاهد إلا للجسم.

فكل ما يحتج به مَنْ نفى الصفات يحتج به نافي الأسماء الحسنى، فما كان جواباً لذلك كان جواباً لمثبتي الصفات[1].

---

(١) انظر : الرسالة التدمرية ـ ابن تيمية ص : ٢١-٢٤ .

مناظرة نفاة الأسماء والصفات:

فإن كان المخاطَب من الغلاة نفاة الأسماء والصفات وقال: لا أقول: هو موجود ولا حي ولا عليم ولا قدير، بل هذه الأسماء لمخلوقاته، إذ هي مجاز؛ لأن ذلك يستلزم التشبيه بالموجود الحي العليم.

قيل له: وكذلك إذا قلت: ليس بموجود ولا حي ولا عليم ولا قدير، كان ذلك تشبيهاً بالمعدومات وذلك أقبح من التشبيه بالموجودات.

فإن قال: أنا أنفي النفي والإثبات. قيل له: فيلزمك التشبيه بما اجتمع فيه النقيضان من الممتنعات، فإنه يمتنع أن يكون الشيء موجوداً معدوماً، أو لا موجوداً ولا معدوماً، ويمتنع أن يكون موصوفاً باجتماع الوجود والعدم أو الحياة والموت، أو العلم والجهل، أو يوصف بنفي الوجود والعدم، ونفي الحياة والموت، ونفي العلم والجهل.

فإن قال: إنما يمتنع نفي النقيضين عما يكون قابلاً لهما، وهذان يتقابلان تقابل العدم والملكة، لا تقابل السلب والإيجاب؛ فإن الجدار لا يقال له: أعمى ولا بصير، ولا حي ولا ميت، إذ ليس بقابل لهما.

قيل له: أولاً: هذا لا يصح في الوجود والعدم، فإنهما متقابلان تقابل السلب والإيجاب باتفاق العقلاء، فيلزم من رفع أحدهما ثبوت الآخر، وأما ما ذكرته من الحياة والموت، والعلم والجهل، فهذا اصطلاح اصطلحت عليه المتفلسفة المشاءون، والاصطلاحات اللفظية ليست دليلاً على نفي الحقائق العقلية، وقد قال (تعالى): ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ* أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [سورة النحل: ٢٠-٢١] فسمَّى الجماد ميتاً، وهذا مشهور في لغة العرب وغيرهم.

وقيل لك ثانياً: فما لا يقبل الاتصاف بالحياة والموت والعمى والبصر ونحو ذلك من المتقابلات أنقص مما يقبل ذلك؛ فالأعمى الذي يقبل الاتصاف بالبصر أكمل من الجماد الذي لا يقبل واحداً منهما، فأنت فررت من تشبيه الخالق بالحيوانات القابلة لصفات الكمال، ووصفته بصفات الجمادات التي لا تقبل ذلك.

وأيضاً ـ فما لا يقبل الوجود والعدم أعظم امتناعاً من القابل للوجود والعدم، بل ومن اجتماع الوجود والعدم، ونفيهما جميعاً، فما نفيت عنه قبول الوجود والعدم كان أعظم امتناعاً مما نفيت عنه الوجود والعدم، وإذا كان هذا ممتنعاً في صرائح العقول فذاك أعظم امتناعاً، فجعلت الوجود الواجب الذي لا يقبل العدم هو أعظم الممتنعات، وهذا غاية التناقض والفساد.

وهذا باب مطرد، فإن كل واحد من النفاة لِمَا أخبر به الرسولُ من الصفات: لا ينفي شيئاً فراراً مما هو محذور ـ عنده ـ إلا وقد أثبت ما يلزمه فيه نظير ما فرَّ منه، بل شر منه، فلا بد في آخر الأمر من أن يثبت موجوداً واجباً قديماً متصفاً بصفات تميزه عن غيره، ولا يكون فيها مماثلاً لخلقه(١).

طريقة أخرى في مناظرة نفاة بعض الصفات:

من نفى بعض الصفات؛ كالرضا والغضب والمحبة والبغض ونحو ذلك من الصفات الاختيارية، زاعماً أن إثباتها يستلزم التشبيه والتجسيم.

---

(١) انظر: الرسالة التدمرية ص: ٢٤ وما بعدها .

يقال له: فأنت تثبت له الأرادة والكلام والسمع والبصر مع أن ما تثبته ليس مثل صفات المخلوقين، فقل فيما أثبتّه مثل قولك فيما نفيته وأثبته الله ورسوله؛ إذ لا فرق بينهما.

فإن قال: أنا لا أثبت شيئاً من الصفات. قيل له: فأنت تثبت له الأسماء الحسنى؛ مثل: حي وعليم وقدير. والعبد يسمَّى بهذه الأسماء، وليس ما تُثبت للرب من هذه الأسماء مماثلاً لما تُثبت للعبد، فقل في صفاته نظير قولك ذلك في مسمَّى أسمائه.

فإن قال: وأنا لا أثبت له الأسماء الحسنى، بل أقول: هي مجاز، أو هي أسماء لبعض مبتدعاته؛ كقول غلاة الباطنية والمتفلسفة.

قيل له: فلا بد أن تعتقد أنه حق قائم بنفسه، والجسم موجود قائم بنفسه وليس هو مماثلاً له.

فإن قال: أنا لا أثبت شيئاً بل أنكر وجود الواجب. قيل له: معلوم بصريح العقل أن الموجود إما واجب بنفسه، وإما غير واجب بنفسه، وإما قديم أزلي وإما حادث كائن بعد أن لم يكن، وإما مخلوق مفتقر إلى خالق، وإما غير مخلوق ولا مفتقر إلى خالق، وإما فقير إلى ما سواه، وإما غني عما سواه.

وغير الواجب بنفسه لا يكون إلا بالواجب بنفسه، والحادث لا يكون إلا بقديم، والمخلوق لا يكون إلا بخالق، والفقير لا يكون إلا بغني، فقد لزم على تقدير النقيضين وجود موجود واجب بنفسه قديم أزلي خالق غني عما سواه، وما سواه بخلاف ذلك.

وقد عُلم بالحس والضرورة وجود موجود حادث كائن بعد أن لم يكن، والحادث لا يكون واجباً بنفسه، ولا قديماً أزلياً، ولا خالقاً لما سواه، ولا غنياً عما سواه، فثبت بالضرورة وجود موجودين أحدهما غني والآخر فقير، وأحدهما خالق والآخر مخلوق، وهما متفقان في كون كل منهما شيئاً موجوداً ثابتاً...

ومن المعلوم ـ أيضاً ـ أن أحدهما ليس مماثلاً للآخر في حقيقته، إذ لو كان كذلك لتماثلا فيما يجب ويجوز ويمتنع، ولزم ـ أيضاً ـ أن يكون كل منهما واجب القِدَم ليس بواجب القدم، موجوداً بنفسه ليس بموجود بنفسه، غنياً عما سواه ليس بغني عما سواه، خالقاً ليس بخالق، فيلزم اجتماع النقيضين على تقدير تماثلهما وهو منتف بصريح العقل، كما هو منتف بنصوص الشرع، وهذا لا يمنع اتفاقهما في أشياء أخرى كمسمى الوجود.

فعلم بهذه البراهين البينة اتفاقهما من وجه، واختلافهما من وجه، فمن نفى ما اتفقا فيه كان معطلاً قائلاً للباطل، ومن جعلهما متماثلين كان مشبهاً قائلاً للباطل[(١)].

مناظرة الكرامية في باب الأسماء:

قال عبد القاهر البغدادي رحمه الله: «وكان في عصرنا شيخ للكرامية يعرف بإبراهيم بن مهاجر[(٢)]، اخترع ضلالة لم يُسبق إليها، فزعم

---

(١) انظر : منهاج السنة النبوية ٢/١١٥-١١٧.

(٢) إبراهيم بن مهاجر عاش في زمن ناصر الدولة أبي الحسن محمد بن إبراهيم بن سيمجور صاحب جيش السامانية. انظر بعض مذاهبه في الفرق بين الفرق ص : ٢٢٤ ، والتبصير في الدين ص : ١٠٠، ١٠٤ .

أن أسماء الله (تعالى) كلها أعراض فيه، وكذلك اسم كل مسمى عرض فيه، فزعم أن الله (تعالى) عرض حال في جسم قديم، والرحمن عرض آخر، والرحيم عرض ثالث، والخالق عرض رابع، وكذلك كل اسم لله (تعالى) عرض غير الآخر، فالله (تعالى) عنده غير الرحمن، والرحمن غير الرحيم، والخالق غير الرازق، وزعم ـ أيضاً ـ أن الزاني عرض في الجسم الذي يضاف إليه الزنا، والسارق عرض في الذي تضاف إليه السرقة، وليس الجسم زانياً ولا سارقاً، فالمجلود والمقطوع عنده غير الزاني والسارق، وزعم ـ أيضاً ـ أن الحركة والمتحرك عرضان في الجسم، وكذلك السواد والأسود عرضان في الجسم...» إلى أن قال عبد القاهر رحمه الله: «ناظرت ابن مهاجر هذا في مجلس ناصر الدولة أبي الحسن محمد بن إبراهيم بن سيمجور صاحب جيش السامانية في سنة سبعين وثلاثمائة في هذه المسألة، وألزمته فيها أن يكون المحدود في الزنا غير الزاني، والمقطوع في السرقة غير السارق، فالتزم ذلك، فألزمته أن يكون معبوده عرضاً؛ لأن المعبود عنده اسم، وأسماء الله (تعالى) ـ عنده ـ أعراض حالة في جسم قديم. فقال: المعبود عرض في جسم القديم، وأنا أعبد الجسم دون العرض. فقلت له: أنت إذن لا تعبد الله عز وجل، لأن الله (تعالى) عندك عرض، وقد زعمت أنك تعبد الجسم دون العرض»[1].

القول في الصفات فرع عن القول في الذات:

من قواعد أهل السنة في باب الأسماء والصفات: القول في الصفات كالقول في الذات:

---

(١) الفرق بين الفرق ص: ٢٢٤-٢٢٥.

فإذا قال السائل: كيف ينزل ربنا إلى السماء الدنيا، قيل له: كيف هو؟ فإذا قال: لا أعلم كيفيته. قيل له: ونحن لا نعلم كيفية نزوله، إذ العلم بكيفية الصفة يستلزم العلم بكيفية الموصوف، وهو فرع له وتابع له، فكيف تطالبني بالعلم بكيفية سمعه وبصره، وتكليمه واستوائه ونزوله، وأنت لا تعلم كيفية ذاته[(١)].

مناظرة المعتزلة في أسماء الله (تعالى):

يرى المعتزلة أن أسماء الله ترجع إلى معنى واحد، وأنها أعلام محضة. فسُئل معتزلي عن العلم، فقيل له: أتقول إن سميعاً في معنى عليم؟ قال: نعم. قال: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ﴾ [سورة آل عمران:١٨١] هل: سمعه حين قالوه؟ قال: نعم. قال: فهل سمعه قبل أن يقولوا؟ قال: لا. قال: فهل علمه قبل أن يقولوه؟ قال: نعم. قال له: فأرى في سميع معنى غير معنى عليم. فلم يجب[(٢)].

مناظرة الجهمية في صفة النزول:

النزول من الصفات الاختيارية التي تتعلق بمشيئته سبحانه، وهي تليق بجلاله، ولا يحتاج في إثباتها إلى تكلف التأويل والتحريف، ولقد تواتر السلف والأئمة وأهل السنة وتعاقبوا على إثباتها، وغيرها من الصفات الاختيارية :

---

(١) انظر : الرسالة التدمرية ص : ٢٩ .

(٢) انظر : تأويل مختلف الحديث ص: ٦٤-٦٥.

قال البخاري رحمه الله: وقال الفضيل بن عياض (١٨٧هـ): إذا قال لك الجهمي: أنا كافر برب يزول عن مكانه، فقل: أنا أومن برب يفعل ما يشاء[(١)]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله معلقاً: «أراد الفضيل ابن عياض رحمه الله مخالفة الجهمي الذي يقول: إنه لا تقوم به الأفعال الاختيارية؛ فلا يتصور منه إتيان ولا مجيء ولا نزول ولا استواء ولا غير ذلك من الأفعال الاختيارية القائمة به»[(٢)].

وقال أبو عثمان الصابوني: سمعت الحاكم أبا عبد الله رحمه الله يقول: سمعت أبا زكريا يحيى بن محمد العنبري يقول: سمعت إبراهيم بن أبي طالب يقول: سمعت أحمد بن سعيد بن إبراهيم أبا عبد الله الرباطي يقول: حضرت مجلس الأمير عبد الله بن طاهر(٢٣٠هـ) ذات يوم، وحضر إسحاق بن إبراهيم - يعني ابن راهويه (٢٣٨هـ) - فسُئل عن حديث النزول، أصحيح هو؟ قال: نعم. فقال له بعض قوَّاد عبد الله، يا أبا يعقوب، أتزعم أن الله ينزل كل ليلة؟ قال: نعم. قال: كيف ينزل؟ قال له إسحاق: أَثْبِتْهُ فَوْق حتى أصف لك النزول. فقال الرجل: أَثْبَتُّهُ فَوْق. فقال إسحاق: قال الله عز وجل: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [سورة

---

(١) انظر : خلق أفعال ص: ١٧ ح: ٤٦ ، وروي نحوه عن يحيى بن معين في شرح السنة ٤٥٣/٣ برقم: ٧٧٦، وعن الفضيل في ٤٥٢/٣ برقم : ٧٥٥. وانظر : موافقة صحيح المنقول ١٥/٢.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٧٧/٥.

الفجر: ٢٢] فقال الأمير عبد الله بن طاهر: يا أبا يعقوب هذا يوم القيامة، فقال إسحاق: أعزَّ الله الأمير! ومن يجيء يوم القيامة من يمنعه اليوم؟![1].

وروى البيهقي عن أحمد بن سلمة يقول: سمعتُ إسحاق بن إبراهيم الحنظلي[2] يقول: جمعني وهذا المبتدع ـ يعني إبراهيم بن أبي صالح[3] ـ مجلسُ الأمير عبد الله بن طاهر، فسألني الأمير عن أخبار النزول فسردتها عليه، فقال إبراهيم: كفرتُ برب ينزل من سماء إلى سماء، فقلت: آمنت برب يفعل ما يشاء، قال: فرضي عبدُ الله كلامي، وأنكر على إبراهيم[4].

وقال محمد بن سلام: سألت عبد الله بن المبارك عن نزوله ليلة النصف من شعبان[5]، فقال عبد الله: يا ضعيف، ليلة النصف ينزل؟ في

(١) عقيدة السلف للصابوني ص :٢٦-٢٧ ط. السبكي، وانظر : الحجة للأصبهاني ١٢٥/٢-١٢٦ رقم : ٧٣ ، وموافقة المنقول ١٦/٢ ، ومجموع فتاوى ابن تيمية ٣٧٥/٥، ومختصر الصواعق المرسلة ٢٥٢/٢ ومختصر العلو للذهبي ١٩٣ برقم : ٢٣٧ وصححه الألباني.

(٢) هو : إسحاق بن راهويه.

(٣) إبراهيم بن أبي صالح ، نقل الحافظ الذهبي عن الإمام مسلم قوله فيه : جهمي لا يكتب حديثه. وقال الذهبي: وقد كذبه إسحاق بن راهويه في مجلس عبد الله بن طاهر . واسم أبي صالح هاشم قاله الحاكم . انظر : لسان الميزان ٦٩/١ تر : ١٧٩ .

(٤) انظر : الأسماء والصفات للبيهقي ص : ٤٥٢ ، وموافقة صحيح المنقول ١٧/٢-١٨، وصححه الذهبي في مختصر العلو ص : ١٩١-١٩٢، وكذلك الألباني .

(٥) رواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة ٢٢٢/١ وما بعدها ح : ٥٠٩ وما بعده . وصححه الألباني

كل ليلة ينزل. فقال الرجل: يا أبا عبد الرحمن كيف ينزل؟! أليس يخلو ذلك المكان منه؟ فقال عبد الله بن المبارك: بالفارسية: (كذ حذائي خويس كن)، ينزل كيف يشاء[(١)].

المناظرة في التحيُّز:

التحيز من الألفاظ المجملة التي لم يرد بها النص: لا إثباتاً ولا نفياً، ولهذا كان نفيها يحتمل معنى صحيحاً وهو نفي الحيز المخلوق الذي تحويه ست جهات، ويحتمل معنى باطلاً وهو نفي جهة العلو لله (تعالى) وهو غالب مراد أهل البدع، فيقولون: إنه لا يوصف الله (تعالى) بالعلو؛ لأن الإشارة إلى جهة العلو يقتضي التحيز وهو منفي عن الله.

فيقال لمن قال هذا: من الناس من ينازعك في هذا ويقول: إنه سبحانه فوق العالم ويشار إليه، وليس بمتحيز.

فإن قال: هذا فساده معلوم بالضرورة. **قيل له:** ليس هذا بأبعد من قولك: إنه موجود قائم بنفسه، متصف بالصفات، مرئي بالأبصار، وهو مع هذا لا يشار إليه، وليس بداخل العالم ولا خارجه، ولا مباين له ولا مداخل له.

فإن قال: إحالة هذا من حكم الوهم. **قيل له:** وإحالة موجود قائم بنفسه، يشار إليه ولا يكون متحيزاً من حكم الوهم، بل تصديق العقول

(١) انظر : الحجة ــ الأصبهاني ١٢٥/٢ ح : ٧٣، والأسماء والصفات ــ البيهقي ص : ٤٥٣، وعقيدة السلف ـ الصابوني ص :٢٦ ط. السبكي.

بموجود يشار إليه ولا يكـون متحـيزاً أعظـم مـن تصديقهـا بموجـود قـائم بنفسه، متصف بالصفات، لا يشار إليه، وليس بداخل العالم ولا خارجه.

ثم يقال له ثانياً: لم قلت: إنه يمتنع أن يكون متحـيزاً؟ **فيقـول:** لأنـه إما أن يكون متحركاً أو ساكناً. **فيقال له:** فَلِمَ لا يجوز أن لا يكون قابلاً للحركة والسكون، وثبوت أحدهما فرع قبوله له؟

فإن قال: كل متحيز فهو قابل لهما. **قيل له:** عِلْمُنا بهذا كعلمنا بـأن كل موجود قائم بنفسه موصوف بالصفات إما مباين لغيره، وإمـا محـايث له. فإن جوزت موجوداً قائماً بنفسه، لا مباين ولا محايث، فجـوِّز وجـود موجود ليس بمتحرك ولا ساكن.

فإن قال: المتحيز إما أن يكون منتقلاً عن حـيزه أو لا يكـون منتقـلاً عنه، والأول هو الحركة، والثاني هو السكون. **قيل له:** ليس كـل متحـيز أمراً وجودياً، فإن العالم متحيز وليـس لـه حـيز وجـودي، **ومـن قـال:** إن البارئ وحده فـوق العـالم، أو سـلَّم لـك إنـه متحـيز لم يقـل إنـه في حـيز وجودي، وحينئذ فالحيز أمر عدمي، فقولك: إما أن يكون منتقـلاً بنفسـه أو لا، وهو معنى قولك: إما أن يكون متحركـاً أو سـاكناً، وهـذا إثبـات الشيء بنفسه.

فإن قال: هذا بيِّن مستقر في الفطرة، والعلمُ به بديهي. **قيل له:** ليس هذا بأبين من قول القائل: إما أن يكون صانع العالم حيِّث العالم، وإمـا أن لايكون حيِّث العالم، والأول هو المحايثة والدخول فيه. الثاني: هـو المباينـة والخروج عنه.

فإن قال: يمكن أن لا يكون داخلاً فيه ولا خارجاً عنه. **قيل له**: ويمكن أن لا يكون المتحيز منتقلاً ولا يكون ساكناً، كما تقوله أنت فيما تقول: إنه قائم بنفسه لا منتقل ولا ساكن.

فإن قال: أنا أعقل هذا فيما ليس بمتحيز، ولا أعقله في المتحيز. **قيل له**: وكيف عقلت أولاً ثبوت ما ليس بمتحيز بهذا التفسير؟ والمنازع يقول: أنا لا أعقل إلا ما هو داخل أو خارج.

فإذا قال: هذا فرع ثبوت قبول ذلك، وقابل ذلك هو المتحيز، فما لا يكون كذلك لا يكون قابلاً للمباينة والمحايثة، والدخول والخروج. **قيل له**: نحن لا نعقل موجوداً إلا هذا. **فإن قال**: بل هذا ممكن في العقل وثابت أيضاً. **قيل له**: وكذلك متحيز لا يقبل الحركة والسكون هو أيضاً ممكن في العقل وثابت. **فإن قال**: الفطرة تدفع هذا. **قيل له**: وهي لدفع ذاك أعظم. **فإن قال**: ذاك حكم الوهم. **قيل**: وهذا حكم الوهم. **فإن قال**: العقل أثبت موجوداً ليس بمتحيز. **قيل له**: إنما أثبت ذاك بمثل هذه الأدلة التي تتلكم على مقدماتها، فإن أثبتَّ مقدمات النتيجة بالنتيجة، كنت مصادراً على المطلوب. فأنت لا يمكنك إثبات موجود ليس بمتحيز إلا بمثل هذا الدليل، وهذا الدليل لا يثبت إلا ببيان إمكان وجود موجود ليس بمتحيز، فلا يجوز أن تجعله مقدمة حجة في إثبات نفسه[(١)].

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل ٤/١٥٥-١٥٨.

المناظرة في صفة الاستواء:

من مذهب أهل السنة أن الله (تعالى) استوى على عرشه كما أخبرت النصوص استواءً يليق بجلاله، ليس كاستواء المخلوقات في شيء[(١)]. وخالف في ذلك أهل الكلام من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، حيث أولوا الاستواء وفسروه بالاستيلاء فراراً من التشبيه على حد زعمهم، وقد وقعوا في شر مما فروا منه؛ لأن الاستيلاء لا يكون إلا عن مغالبة ومدافعة، وذلك مما لا يليق وصف الرب (تعالى) به.

مناظرة لابن الأعرابي في الاستواء:

قال نفطويه[(٢)]: حدثني أبو سليمان داود بن علي قال: كنا عند ابن الأعرابي (٢٣١هـ) فأتاه رجل، فقال له: ما معنى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [سورة طه: ٥] ؟ فقال: هو على عرشه كما أخبر عز وجل. فقال الرجل: يا أبا عبد الله، ليس هذا معناه، إنما معناه: استولى. فقال ابن الأعرابي: اسكت، ما أنت وهذا؟ لا يقال: استولى على الشيء إلا أن يكون له مضاد، فإن غلب أحدهما قيل: استولى، أما سمعت النابغة:[(٣)]

---

(١) العلو ـ الذهبي ص: ٨٢ .

(٢) انظر: شرح السنة ـ اللالكائي ٣٩٩/٣ برقم: ٦٦٦، وصحح إسناده الألباني في مختصر العلو ص: ١٩٦، وانظر فتح الباري ٤٠٦/١٣ ، ولسان العرب ٤١٤/١٤ مادة سوا.

(٣) ديوان النابغة ص : ٣٣ من قصيدة مطلعها :

يا دار مية بالعلياء فالسند ... أقوت وطال عليها سالف الأبد

إلا لمثلك أو من أنت سابقه   سبق الجواد إذا استولى على الأمد

مناظرة للإمام مالك في الاستواء:

جاء رجل إلى الإمام مالك رحمه الله فقال: يا أبا عبد الله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[سورة طه:٥] كيف استوى؟ قال - يعني الراوي -: فما رأيت مالكاً وجد من شيء كموجدته من مقالته، وعلاه الرحضاء، وأطرق القوم، فسري عن مالك وقال: الكيف غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وإني أخاف أن تكون ضالاً، وأمر به فأخرج.[1]

مناظرة الإمام أحمد الجهمية في الاستواء:

قال الإمام أحمد رحمه الله: فقلنا: لما أنكرتم أن يكون الله على العرش، وقد قال الله (تعالى): ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [سورة طه: ٥].

وقال: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [سورة الحديد: ٤].

فقالوا: هو تحت الأرض السابعة، كما هو على العرش، فهو على العرش وفي السموات وفي الأرض وفي كل مكان، ولا يخلو منه مكان، ولا يكون في مكان دون مكان، وتلوا آية من القرآن: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ [سورة الأنعام: ٣].

---

(١) قال الذهبي : هذا ثابت عن مالك، وتقدم نحوه عن ربيعة شيخ مالك ص :١٤١ برقم : ١٣٢ من مختصر العلو، وانظر: الرد على الجهمية للدارمي ص : ٣٣ ، وشرح السنة ٣٩٨/٣ برقم : ٦٦٤ .

فقلنا: قد عرف المسلمون أماكن كثيرة ليس فيها من عظمة الرب شيء. فقالوا: أي مكان؟ فقلنا: أجسامكم وأجوافكم وأجواف الخنازير والحشوش، والأماكن القذرة ليس فيها من عظمة الرب شيء.

وقد أخبرنا أنه في السماء، فقال: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ﴾ [سورة الملك: ١٦]، ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ [سورة الملك: ١٧] وقال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾[سورة فاطر: ١٠]، وقال: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [سورة آل عمران: ٥٥]. وقال: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [سورة النساء: ١٥٨] وقال: ﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ﴾ [سورة الأنبياء: ١٩] وقال: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [سورة النحل: ٥٠]، وقال: ﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾ [سورة المعارج: ٣] وقال : ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام:١٨] وقال:﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٥]. فهذا خبر الله أخبرنا أنه في السماء، ووجدنا كل شيء أسفل منه مذموماً؛ يقول الله (جلَّ ثناؤه): ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [سورة النساء: ١٤٥] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ [سورة فصلت: ٢٩].

وقلنا لهم: أليس تعلمون أن إبليس كان مكانه والشياطين مكانهم فلم يكن الله ليجتمع هو وإبليس في مكان واحد، وإنما معنى قول الله (جل ثناؤه): ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ [سورة الأنعام: ٣].

يقول: هو إله من في السموات وإله من في الأرض، وهو على العرش

وقد أحاط علمه بما دون العرش، ولا يخلو من علم الله مكان، ولا يكون علم الله في مكان دون مكان، فذلك قوله: ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [سورة الطلاق: ١٢] .

ومن الاعتبار في ذلك؛ لو أن رجلاً كان في يديه قدح من قوارير صاف، وفيه شراب صاف، كان بصر ابن آدم قد أحاط بالقدح من غير أن يكون ابن آدم في القدح، فالله -وله المثل الأعلى- قد أحاط بجميع خلقه من غير أن يكون في شيء من خلقه...[١] .

المناظـرة في العرش:

عرش الرحمن في معتقد أهل السنة أعظم المخلوقات، وهو سرير ذو قوائم، تحمله الملائكة، كالقبة على العالم، وهو سقف المخلوقات، والله تعالى مستوٍ عليه[٢] .

وروى الذهبي رحمه الله عن أحمد بن علي الأبار قال: حدثنا محمد ابن عبد الرحمن البلخي، قال مكي بن إبراهيم (٢١٤هـ): دخلت امرأة جهم على زوجتي، فقالت: يا أم إبراهيم، هذا زوجك الذي يُحدِّث عن العرش، من نجره؟ قالت: نجره الذي نجر أسنانك، قال: وكانت بادية الأسنان[٣] .

---

(١) انظر : الرد على الجهمية والزنادقة ص : ١٣٥-١٣٧.

(٢) انظر : شرح الطحاوية ٢/٣٦٦-٣٦٧ .

(٣) مختصر العلو ص : ١٨٧ برقم : ٢٢١ ووثّق رجاله الألباني، وقال في البلخي: كذا في المطبوعة والمخطوطة وأظنه خطأ، والصواب محمد بن عمرو البلخي، فإنهم ذكروه في الرواة عن مكي بن إبراهيم.

والجهمية ينكرون أن يكون الله (تعالى) مستوياً على العرش، بل عندهم أنه بذاته في كل مكان لا يخلو منه شيء، وإنكارهم العرش فرع عن إنكارهم الاستواء والعلو.

المناظــرة في العلــو

من مذهب أهل السنة أن الله (تعالى) عال فوق خلقه، غير متصل بهم علو ذات ومكانة وشرف وقهر، وهو من الصفات اللازمة له (تعالى شأنه)، ثبتت بالسمع، وتعرف بالعقل الصحيح، وتدرك بالفطرة السليمة.[(١)]

مناظرة الإمام أحمد للجهمية في العلو:

قال الإمام أحمد رحمه الله: «قالوا: إن الله معنا وفينا. فقلنا: الله جل ثناؤه يقول: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سورة المجادلة: ٧]. ثم قال: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [سورة المجادلة: ٧] يعني الله بعلمه ﴿وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ﴾ : يعني الله بعلمه ﴿سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ يعني بعلمه فيهم: ﴿أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة المجادلة: ٧]. يفتح الخبر بعلمه ويختم الخبر بعلمه.

ويقال للجهمي: إن الله إذا كان معنا بعظمة نفسه، فقل له: هل يغفر الله لكم فيما بينه وبين خلقه؟ فإن قال: نعم، فقد زعم أن الله بائن

---

(١) انظر : شرح الطحاوية ٢/٣٨٠ .

من خلقه دونه، وإن قال: لا، كفر. وإذا أردت أن تعلم أن الجهمي كاذب على الله حين زعم أن الله في كل مكان، ولا يكون في مكان دون مكان، فقل: أليس الله كان ولا شيء؟ فيقول: نعم. فقل له: حين خلق الشيء خلقه في نفسه أو خارجاً من نفسه؟ فإنه يصير إلى ثلاثة أقوال، لا بد له من واحد منها:

إن زعم أن الله خلق الخلق في نفسه كفر، حين زعم أن الجن والإنس والشياطين في نفسه.

وإن قال: خلقهم خارجاً من نفسه ثم دخل فيهم كان هذا كفراً أيضاً.

ثم بيَّن أحمد رحمه الله وجوه معية الله لخلقه كما وردت في القرآن، فمن ذلك:

قال الله (جلَّ ثناؤه) لموسى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا﴾ [سورة طه: ٤٦] يقول: في الدفع عنكما. وقال: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [سورة التوبة: ٤٠] يقول: في الدفع عنا. وقال: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [سورة البقرة: ٢٤٩] يقول:﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ [سورة محمد: ٣٥] يقول: في النصر لكم على عدوكم. وقال:﴿ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ [سورة النساء: ١٠٨] يقول: بعلمه فيهم. وقال: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [سورة الشعراء: ٦١-٦٢] يقول: في العون على [فرعون](١).

(١) في الأصل [قريش] وصححتها من طبعة الإفتاء، وهو مقتضى السياق.

فلما ظهرت الحجة على الجهمي بما ادعى على الله أنه مع خلقه، قال: هو في كل شيء غير مماس لشيء ولا مباين منه، فقلنا: إذا كان غير مباين أليس هو مماس؟ قال: لا. قلنا: فكيف يكون في كل شيء غير مماس لشيء ولا مباين؟ فلم يُحسن الجواب. فقال: بلا كيف [فيخدع][1] جهال الناس بهذه الكلمة وموّه عليهم.

فقلنا: أليس إذا كان يوم القيامة، أليس إنما هو في الجنة والنار والعرش والهواء.. قال: بلى. فقلنا: فأين يكون ربنا؟ فقال: يكون في كل شيء. حين زعم أنه دخل في مكان وحُشٌ قذر رديء.

وإن قال: خلقهم خارجاً من نفسه ثم لم يدخل فيهم، رجع عن قوله أجمع، وهو قول أهل السنة.

إذا أردت أن تعلم أن الجهمي لا يقر بعلم الله، فقل له: الله يقول: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٥] وقال: ﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ [سورة النساء: ١٦٦] وقال: ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ [سورة هود: ١٤] وقال: ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ [سورة فصلت: ٤٧].

فيقال له: تقر بعلم الله هذا الذي أوقفك عليه بالأعلام والدلالات أم لا؟ فإن قال: ليس له علم، كَفَرَ. وإن قال: لله علم محدث، كَفَرَ، حين

---

(١) في بعض النسخ [فخدع] كما نبه إليه المحقق، وكلتاهما صحيحة.

زعم أن الله قد كان في وقت من الأوقات لا يعلم حتى أحدث له علماً فعلم. فإن قال: لله علم وليس مخلوقاً ولا محدثاً، رجع عن قوله كله، وقال بقول أهل السنة. كما كان حين في الدنيا في كل شيء. فقلنا: فإن مذهبكم أن ما كان من الله على العرش فهو على العرش، وما كان من الله في الجنة فهو في الجنة، وما كان من الله في النار فهو في النار، وما كان من الله في الهواء فهو في الهواء. فعند ذلك تبين كذبهم على الله جل ثناؤه»[1].

مناظرة الجهمية في إبطال قولهم إن الله في كل مكان:

قال الإمام أحمد رحمه الله: «وقلنا للجهمية حين زعموا أن الله في كل مكان لا يخلو منه مكان فقلنا: أخبرونا عن قول الله جل ثناؤه: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ [سورة الأعراف: ١٤٣] لم يتجلَّ للجبل إن كان فيه بزعمهم؟ فلو كان فيه كما تزعمون لم يكن يتجلى لشيء هو فيه، ولكن الله جل ثناؤه على العرش وتجلى لشيء لم يكن فيه، ورأى الجبل شيئاً لم يكن رآه قبل ذلك.

وقلنا للجهم: فالله نور؟ فقال: هو نور كله. فقلنا: فالله قال: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [سورة الزمر: ٦٩] فقد أخبر الله جل ثناؤه أن له نوراً. فقلنا: أخبرونا حين زعمتم أن الله في كل مكان وهو نور، فلم لا يضيء البيت المظلم من النور الذي هو فيه إن زعمتم أن الله في كل

---

(١) الرد على الجهمية والزنادقة ص: ١٣٨-١٤٢.

مكان؟ وما بال السراج إن أدخل البيت يضيء؟! فعند ذلك تبين للناس كذبهم على الله (تعالى) . فرحم الله من عقل عن الله ورجع عن القول الذي يخالف الكتاب والسنة، وقال بقول العلماء، وهو قول المهاجرين والأنصار، وترك دين الشيطان، ودين جهم وشيعته»[1].

مناظـــرة أبي جعفر الهمذاني لأبي المعالي الجويني في العلو:

ساق الذهبي بسنده إلى أبي جعفر بن أبي علي الهمذاني الحافظ(٥٣١هـ) قال: سمعتُ أبا المعالي الجويني، وقد سئل عن قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [سورة طه: ٥]، فقال: كان الله ولا عرش، وجعل يتخبط في الكلام، فقلت: قد علمنا ما أشرت إليه، فهل عندك للضرورات من حيلة؟ فقال: ما تريد بهذا القول؟ وما تعني بهذه الإشارة؟ فقلت: ما قال عارف قط: يا رباه، إلا قبل أن يتحرك لسانه، قام من باطنه قَصْدٌ لا يلتفت يمنة ولا يسرة يقصد الفوق، فهل لهذا القصد الضروري عندك من حيلة؟ فنبئنا نتخلص من الفوق والتحت، وبكيت وبكى الخلق، فضرب الأستاذ بكمّه على السرير، وصاح: يا للحيرة! وخرَّق ما كان عليه، وانخلع، وصارت قيامة في المسجد، ونزل، و لم يجبني إلا: يا حبيبي الحيرة الحيرة، والدهشة الدهشة، قال: فسمعت بعد ذلك أصحابه يقولون: سمعناه يقول: حيرني الهمذاني[2].

---

(١) الرد على الجهمية والزنادقة ص : ١٤٨-١٤٩

(٢) مختصر العلو ص : ٢٧٦-٢٧٧ برقم : ٣٣٧ وصحَّح إسناده الألباني.

المناظرة في كلام الله (تعالى)

كلام الله (تعالى) عند أهل السنة متعلق بمشيئته، يتكلَّم سبحانه متى شاء كيف شاء، وأنه يتكلم بحرف وصوت، وأن بعض عباده يسمعونه منه، كما سمعه موسى ﷺ.وخالف أهلَ السنة في ذلك كثير من طوائف الأمة، على ما مرَّ ذكره[(١)].

مناظرة في معنى حدوث الكلام:

قال محمد بن خلف الخرَّاز: سمعت هشام بن عبيد الله الرازي[(٢)] يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق، فقال له رجل: أليس الله يقول: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ﴾[سورة الأنبياء: ٢] فقال: محدث إلينا، وليس عند الله بمحدث. قال الذهبي: لأنه من علم الله، وعلم الله لا يوصف بالحدث.[(٣)]

مناظرة في التفريق بين الخلق والأمر:

ذكر صالح بن أحمد أن إسحاق بن إبراهيم قال لأحمد بن حنبل: من أين قلت: إنه غير مخلوق؟ فقلت: قال الله: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [سورة الأعراف: ٥٤] ففرَّق بين الخلق والأمر. فقال إسحاق: الأمر مخلوق. فقال: يا سبحان الله، أمخلوق يخلق خلقاً؟! قال الإمام الذهبي: يعني: إنما خلق الكائنات بأمره، وهو قوله: ﴿كُنْ﴾[(٤)] [سورة الأنعام: ٧٣].

---

(١) وانظر: شرح الطحاوية ١/١٧٢ وما بعدها.

(٢) السني الفقيه، أحد أئمة السنة، حدث عن مالك بن أنس وجماعة. انظر: السير ١٠/٤٤٦.

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء ١٠/٤٤٧.

(٤) سير أعلام النبلاء ١١/٢٦٦.

مناظرة الإمام أحمد للجهمية في صفات الله (تعالى) وفي كلامه:

وذلك في كتابه الرد على الجهمية والزنادقة(١)، حيث ذكر رحمه الله الجهم وأتباعه من أصحاب واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد ووضعهم لدين الجهمية، ثم قال رحمه الله: «فإذا سألهم الناس عن قول الله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [سورة الشورى: ١١] يقولون: ليس كمثله شيء من الأشياء، وهو تحت الأرضين السبع، كما هو على العرش، ولا يخلو منه مكان، ولا يكون في مكان دون مكان، ولم يتكلم، ولا ينظر إليه أحد في الدنيا، ولا في الآخرة، ولا يوصف ولا يعرف بصفة، ولا يفعل، ولا له غاية ، ولا له منتهى، ولا يدرك بعقل، وهو وجه كله، وهو علم كله، وهو سمع كله، وهو بصر كله، وهو نور كله، وهو قدرة كله، ولا يكون فيه شيئان، ولا يوصف بوصفين مختلفين، وليس له أعلى ولا أسفل، ولا نواحي ولا جوانب، ولا يمين ولا شمال، ولا هو خفيف ولا ثقيل، ولا له لون، ولا له جسم، وليس هو بمعلوم ولا معقول، وكلما خطر على قلبك أنه شيء تعرفه فهو على خلافه.

قال أحمد: وقلنا: هو شيء. فقالوا: هو شيء لا كالأشياء. فقلنا: إن الشيء الذي لا كالأشياء قد عرف أهل العقل أنه لا شيء. فعند ذلك تبين للناس أنهم لا يؤمنون بشيء، ولكن يدفعون عن أنفسهم الشُّنعة بما يُقرون من العلانية.

---

(١) انظر : ص : ١٠٥-١١١ .

فإذا قيل لهم: فمن تعبدون؟ قالوا: نعبد من يدبر أمر هذا الخلق. فقلنا: هذا الذي يدبر أمر هذا الخلق هو مجهول لا يعرف بصفة؟ قالوا: نعم. فقلنا: قد عرف المسلمون أنكم لا تؤمنون بشيء، إنما تدفعون عن أنفسكم الشُّنعة بما تظهرونه، فقلنا لهم: هذا الذي يدبر هو الذي كلّم موسى. قالوا: لم يتكلم ولا يُكلِّم؛ لأن الكلام لا يكون إلا بجارحة والجوارح منفية.

فإذا سمع الجاهل قولهم يظن أنهم من أشدِّ الناس تعظيماً لله، ولا يعلم أنهم إنما يعود قولهم إلى ضلالة وكفر، ولا يشعر أنهم لا يقولون قولهم إلا فرية في الله.

فمما يسأل عنه يقال له: تجد في كتاب الله آية تخبر عن القرآن أنه مخلوق؟ فلا يجد. فيقال له: فتجده في سنة رسول الله ﷺ أنه قال: إن القرآن مخلوق، فلا يجد. فيقال له: فمن أين قلت؟ فيقول: من قول الله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾[سورة الزخرف: ٣].

وزعم أن "جعل" بمعنى "خلق"، فكل مجعول هو مخلوق، فادعى كلمة من الكلام المتشابه يحتج بها من أراد أن يلحد في تنزيله، ويبتغي الفتنة في تأويلها، وذلك أن "جعل" في القرآن من المخلوقين على وجهين: على معنى التسمية، وعلى معنى فعل من أفعالهم. وقوله: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ [سورة الحجر: ٩١] .

قالوا: هو شعر وأنباء الأولين، وأضغاث أحلام، فهذا على معنى التسمية. قال: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا﴾ [سورة الزخرف: ١٩] يعني: سموهم إناثاً.

ثم ذكر "جعل" على معنى التسمية، فقال: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ [سورة البقرة: ١٩] فهذا على معنى فعل من أفعالهم. وقال: ﴿حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا﴾ [سورة الكهف: ٩٦] هذا على معنى فعل، فهذا جعل المخلوقين.

ثم جعل من أمر الله على معنى غير خلق، لا يكون إلا خلق، ولا يقوم إلا مقام خَلَقَ خلقاً، لا يزول عنه المعنى، وإذا قال الله "جعل" على غير معنى خلق، لا يكون خلق، ولا يقوم مقام خلق، ولا يزول عنه المعنى.

فمما قال الله "جعل" على معنى (خلق) قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [سورة الأنعام: ١] يعني: وخلق الظلمات والنور. وقال: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾ [سورة النحل: ٧٨] يقول: وخلق لكم السمع والأبصار. وقال: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ﴾ [سورة الإسراء: ١٢] ويقول: وخلقنا الليل والنهار آيتين. وقال: ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [سورة نوح: ١٦] وقال: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [سورة الأعراف: ١٨٩] يقول: خلق منها زوجها، يقول: وخلق من آدم حواء. وقال: ﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ﴾ [سورة النمل: ٦١] يقول: وخلق لها رواسي، ومثله في القرآن كثير. فهذا وما كان مثله لا يكون إلا على معنى خلق.

ثم ذكر "جعل" على غير معنى خلق، قوله : ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ﴾ [سورة المائدة: ١٠٣] لا يعني: ما خلق الله من بحيرة ولا سائبة. وقال

ا الله لإبراهيم: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [سورة البقرة: ١٢٣] لا يعني إني خالقك للناس إماماً؛ لأن خلق إبراهيم كان متقدماً. وقال إبراهيم: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ [سورة إبراهيم: ٣٥] وقال إبراهيم: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ﴾ [سورة إبراهيم: ٤٠] لا يعني اخلقني مقيم الصلاة.

وقال: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ﴾ [سورة آل عمران: ١٧٦] وقال لأم موسى: ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة القصص: ٧] لا يعني: وخالقوه من المرسلين؛ لأن ا الله وعد أم موسى أن يرده إليها ثم يجعله بعد ذلك رسولاً.

وقال: ﴿وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ﴾ [سورة الأنفال: ٣٧] وقال: ﴿اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [سورة القصص: ٥] وقال: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ [سورة الأعراف: ١٤٣] لا يعني وخلقه دكاً.

ومثله في القرآن كثير، فهذا وما كان على مثاله لا يكون على معنى خلق، فإذا قال ا الله:(جعل) على معنى خلق، وقال:"جعل" على غير معنى خلق، فبأي حجة قال الجهمي: "جعل" على معنى "خلق"؟ فإن ردَّ الجهمي الجعل إلى المعنى الذي وصفه ا الله فيه، وإلا كان من الذين: ﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: ٧٥] .

فلما قال ا الله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [سورة الزخرف: ٣] وقال: ﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [سورة الشعراء: ١٩٤-١٩٥] وقال:

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾ [سورة مريم: ٩٧] فلما جعل الله القرآن عربياً ويسره بلسان نبيه ﷺ كان ذلك فعلاً من أفعال الله تبارك وتعالى). جعل القرآن به عربياً يعني هذا بيان لمن أراد هداه الله مبيناً، وليس كما زعموا معناه أنزلناه بلسان العرب، وقيل بيناه.

ثم إن الجهم ادعى أمراً آخر، وهو من المحال، فقال: أخبرونا عن القرآن أهو الله، أو غير الله؟ فادعى في القرآن أمراً يوهم الناس. فإذا سئل الجاهل عن القرآن، هو الله أو غير الله؟ فلا بد له من أن يقول بأحد القولين. فإن قال: هو الله. قال الجهمي: كفرت. وإن قال: هو غير الله. قال: صدقت، فلم لا يكون غير الله مخلوقاً؟ فيقع في نفس الجاهل من ذلك ما يميل به إلى قول الجهمي. وهذه المسألة من الجهمي من المغاليط.

فالجواب للجهمي إذا سأل، فقال: أخبرونا عن القرآن هو الله أو غير الله؟ قيل له: وإن الله جل ثناؤه لم يقل في القرآن إن القرآن أنا، ولم يقل غيري، وقال: هو كلامي فسمَّيناه باسم سمَّاه الله به، فقلنا: كلام الله، فمن سمَّى القرآن باسم سمَّاه الله به كان من المهتدين، ومن سمَّاه باسم غيره كان من الضالين.

وقد فصل الله بين قوله وبين خلقه ولم يسمِّه قولاً، فقال: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [سورة الأعراف: ٥٤] . فلمَّا قال: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ﴾ لم يبق شيء مخلوق إلا كان داخلاً في ذلك. ثم ذكر ما ليس بخلق فقال: والأمر. فأمره هو قوله: تبارك رب العالمين أن يكون قوله خلقاً.

وقـال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [سورة الدخان: ٣-٤] ثم قال القرآن: ﴿أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا﴾ [سورة الدخان: ٥] وقال: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾[سورة الروم: ٤] يقول: لله القول من قبل الخلق، ومن بعد الخلق، فا لله يخلق ويأمر وقوله غير خلقه. وقـال: ﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ﴾ [سورة الطلاق: ٥] وقال: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ﴾ [سورة هود: ٤٠]...».

ثم قال الإمام أحمد[(١)] رحمـه ا لله: «ثـم إن الجهـم ادعـى أمـراً آخـر، فقال: أخبرونا عن القرآن، هو شيء؟ فقلنا: نعم هو شيء. فقـال: إن ا لله خلق كل شيء، فلم لا يكون القرآن مع الأشياء المخلوقة وقد أقـررتم أنـه شيء؟

فلعمري لقد ادعى أمراً أمكنه فيـه الدعـوى، ولبَّـس علـى النـاس بما ادعى. فقلنا: إن ا لله في القرآن لم يسمِّ كلامه شيئاً، إنما سمَّـى شـيئاً الـذي كان بقوله: ألم تسمع إلى قوله تبارك وتعالى): ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ﴾ [سورة النحل: ٤٠] فالشيء ليس قوله، إنما الشيء الذي كان بقوله.

وفي آية أخرى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا﴾ [سورة يس: ٨٢] فالشيء ليس هـو أمره، إنما الشيء الذي كان بأمره.

ومن الأعلام والدلالات أنه لا يعني كلامه مع الأشياء المخلوقة، قـال ا لله للريح التي أرسلها على عاد: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [سـورة الأحقـاف: ٢٥] وقد أتت تلك الريح على أشياء لم تدمرها، منازلهم ومسـاكنهم، والجبـال

(١) الرد على الجهمية والزنادقة، ص: ١١٥-١١٦ .

التي بحضرتهم، فأتت عليها تلك الريح و لم تدمرها. وقال: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾. فكذلك إذا قال: ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [سورة الأنعام: ١٠٢] لا يعني نفسه، ولا علمه، ولا كلامه، مع الأشياء المخلوقة.

وقال لملكة سبأ: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [سورة النمل: ٢٣] وقد كان مُلْكُ سليمان شيئاً و لم تُؤْتَه، وكذلك إذا قال: ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ لا يعني كلامه مع الأشياء المخلوقة.

وقال الله لموسى: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [سورة طه: ٤١]، ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [سورة آل عمران: ٢٨] وقال: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [سورة الأنعام: ٥٤] وقال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نفسك﴾ [سورة المائدة: ١١٦].

ثم قال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [سورة آل عمران: ١٨٥] فقد عرف من عقل عن الله أنه لا يعني نفسه مع الأنفس التي تذوق الموت، وقد ذكر الله (تعالى) كل نفس، فكذلك إذا قال: ﴿خالق كل شيء﴾ لا يعني نفسه، ولا علمه، ولا كلامه، مع الأشياء المخلوقة.

ففي هذا دلالة وبيان لمن عقل عن الله، فرحم الله من فكّر، ورجع عن القول الذي يخالف الكتاب والسنة، و لم يقل على الله إلا الحق... ».

ثم قال أحمد[1] رحمه الله: ثم إن الجهم ادعى أمراً آخر، فقال: أنا أجد آية في كتاب الله تبارك وتعالى تدل على أن القرآن مخلوق. فقلنا: في

---

(١) الرد على الجهمية والزنادقة ص : ١٢٠-١٢٥ .

أي آية؟ فقال: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ محدث﴾ [سورة الأنبياء: ٢] فزعم أن الله قال: القرآن محدث وكل محدث مخلوق.

فلعمري، لقد شبَّه على الناس بهذا. وهي آية من المتشابه، فقلنا في ذلك قولاً واستعنا بالله، ونظرنا في كتاب الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قال أحمد رحمه الله: اعلم أن الشيئين إذا اجتمعا في اسم يجمعهما، فكان أحدهما أعلى من الآخر، ثم جرى عليهما اسم مدح، فكان أعلاهما أولى بالمدح وأغلب عليه، وإن جرى عليه اسم ذم فأدناهما أولى به، ومن ذلك قول الله (تعالى) في كتابه: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة الحج: ٦٥]، ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ [سورة الإنسان: ٦] يعني الأبرار دون الفجار، فإذا اجتمعوا في اسم الإنسان واسم العباد فالمعنى في قول الله (جل ثناؤه) : ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ [سورة الإنسان: ٦] يعني الأبرار دون الفجار؛ لقوله إذا انفرد الأبرار: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ [سورة الانفطار: ١٣] وإذا انفرد الفجار: ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [سورة الانفطار: ١٤].

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [سورة الحج: ٦٥] فالمؤمن أولى به وإن اجتمعا في اسم الناس؛ لأن المؤمن إذا انفرد أعطي المدحة؛ لقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة الحج: ٦٥]، ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النورِ﴾ [سورة الأحزاب: ٤٣].

وإذا انفرد الكفار جرى عليهم الذم في قوله: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [سورة هود: ١٨] وقال: ﴿أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [سورة المائدة: ٨٠]. فهؤلاء لا يدخلون في الرحمة، وفي قوله: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾ [سورة الشورى: ٢٧].

فاجتمع الكافر والمؤمن في اسم العبد، والكافر أولى بالبغي من المؤمنين؛ لأن المؤمنين انفردوا ومدحوا فيما بسط لهم من الرزق، وهو قوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ [سورة الفرقان: ٦٧] وقوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [سورة البقرة: ٣] وقد بسط الرزق لسليمان بن داود، ولذي القرنين، وأبي بكر، وعمر، ومن كان على مثالهم ممن بسط له فلم يبغ.

وإذا انفرد الكافر وقع عليه اسم البغي في قوله لقارون: ﴿فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾ [سورة القصص: ٧٦] ونمرود بن كنعان حين آتاه ا لله الملك فحاج في ربه، وفرعون حين قال موسى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [سورة يونس: ٨٨] فلما اجتمعوا في الاسم الواحد، فجرى عليهم اسم البغي، كان الكفار أولى به، كما أن المؤمن أولى بالمدح.

فلما قال ا لله (تعالى): ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ﴾ [سورة الأنبياء: ٢] فجمع بين ذِكْرين: ذكر ا لله، وذكر نبيه، فأما ذكر ا لله إذا انفرد لم يجر عليه اسم الحدث، ألم تسمع إلى قوله: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [سورة العنكبوت: ٤٥]، ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ﴾ [سورة الأنبياء: ٥٠].

وإذا انفرد ذكر النبي ﷺ فإنه جرى عليه اسم الحدث، ألم تسمع إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة الصافات: ٩٦]. فذكر النبي ﷺ له عمل، والله له خالق محدث، والدلالة على أنه جمع بين ذكرين لقوله: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ﴾ [سورة الأنبياء: ٢] فأوقع عليه الحدث عنه إتيانه إيانا، وأنت تعلم أنه لا يأتينا بالأنباء إلا مبلّغ ومذكّر، وقال الله: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[سورة الذاريات: ٥٥] ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ [سورة الأعلى: ٩]، ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ [سورة الغاشية: ٢١].

فلما اجتمعوا في اسم الذكر جرى عليهم اسم الحدث، وذكر النبي إذا انفرد وقع عليه اسم الخلق، وكان أولى بالحدث من ذكر الله الذي إذا انفرد لم يقع عليه اسم خلق، ولا حدث، فوجدنا دلالة من قول الله: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ﴾ [سورة الأنبياء: ٢] إلى النبي ﷺ لأن النبي ﷺ كان لا يعلم فعلمه الله، فلما علمه الله كان ذلك محدثاً إلى النبي ﷺ.

ثم قال أحمد رحمه الله: ثم إن الجهم ادعى أمراً آخر، فقال: إنا وجدنا آية في كتاب الله تدل على أن القرآن مخلوق. فقلنا: أي آية؟ فقال: قول الله: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ﴾ [سورة النساء: ١٧١]. وعيسى مخلوق.

فقلنا: إن الله منعك الفهم في القرآن، عيسى تجري عليه ألفاظ لا تجري على القرآن؛ لأنه يسميه مولوداً وطفلاً، وصبياً وغلاماً يأكل

ويشرب، وهو مخاطب بالأمر والنهي، يجري عليه اسم الخطاب والوعد والوعيد، ثم هو من ذرية نوح، ومن ذرية إبراهيم، ولا يحل لنا أن نقول في القرآن ما نقول في عيسى. هل سمعتم الله يقول في القرآن ما قال في عيسى؟ ولكن المعنى من قول الله (جلَّ ثناؤه): ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾ [سورة النساء] فالكلمة التي ألقاها إلى مريم حين قال له:(كن) فكان عيسى (بكن) وليس عيسى هو الكن، ولكن بالكن كان، فالكن من الله قول، وليس الكن مخلوقاً.

وكذب النصارى والجهمية على الله في أمر عيسى، وذلك أن الجهمية قالوا: عيسى روح الله وكلمته؛ لأن الكلمة مخلوقة. وقالت النصارى: عيسى روح الله من ذات الله، وكلمته من ذات الله. كما يقال: إن هذه الخرقة من هذا الثوب، وقلنا نحن: إن عيسى بالكلمة كان، وليس عيسى هو الكلمة.

وأما قول الله: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [سورة النساء: ١٧١] يقول: من أمره كان الروح فيه، كقوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾ [سورة الجاثية: ١٣] يقول: من أمره، وتفسير روح الله إنما معناها أنها روح بكلمة الله خلقها الله، كما يقال: عبد الله وسماء الله وأرض الله.

مناظرة الإمام أحمد الجهمية في تكليم الله (تعالى) موسى عليه السلام:

قال رحمه الله: فقلنا: لم أنكرتم ذلك؟ قالوا: إن الله لم يتكلم ولا يتكلم، إنما كوَّن شيئاً فعبَّر عن الله، وخلق صوتاً فأسمع، وزعموا أن

الكلام لا يكون إلا من جوف ولسان وشفتين. فقلنا: هل يجوز لمكوَّن أو غير الله أن يقول: ﴿يَا مُوسَى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾ [سورة طه: 11-12]. أو يقول: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [سورة طه: 14] فمن زعم ذلك، فقد زعم أن غير الله ادعى الربوبية، كما زعم الجهم أن الله كوَّن شيئاً كان يقول ذلك المكوَّن: ﴿يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة القصص: 30] وقد قال (جلَّ ثناؤه): ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [سورة النساء: 164] وقال: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [سورة الأعراف: 143] وقال: ﴿يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي﴾ [سورة الأعراف: 144].

فهذا منصوص القرآن، فأما ما قالوا: إن الله لا يتكلم، فكيف يصنعون بحديث الأعمش عن خيثمة عن عدي بن حاتم الطائي، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ما بينه وبينه ترجمان»[1].

وأما قولهم: إن الكلام لا يكون إلا من جوف وفم وشفتين ولسان، أليس الله قال للسموات والأرض: ﴿ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [سورة فصلت: 11] أتراها أنها قالت بجوف وفم وشفتين ولسان وأدوات؟ وقال: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾ [سورة الأنبياء: 79]. أتراها سبحت بجوف وفم

---

(1) رواه بهذا الإسناد البخاري في صحيحه 13/423 كتاب التوحيد ـ باب قول الله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ ح: 7443، وهو في مواضع أخرى، وفي صحيح مسلم 2/703 كتاب الزكاة ـ باب الحث على الصدقة... يلي الحديث 1016.

ولسان وشفتين؟ والجوارح إذ شهدت على الكافر، فقالوا: ﴿لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [سورة فصلت: ٢١]. أتراها أنها نطقت بجوف وفم ولسان؟ ولكن الله أنطقها كيف شاء.

وكذلك الله تكلّم كيف شاء من غير أن يقول بجوف ولا فم ولا شفتين ولا لسان.

قال أحمد ﷺ: فلما خنقته [الحجج](١) قال: إن الله كلّم موسى إلا أن كلامه غيره. فقلنا: وغيره مخلوق؟ قال: نعم. فقلنا: هذا مثل قولكم الأول، إلا أنكم تدفعون عن أنفسكم الشنعة بما تظهرون».

ثم قال رحمه الله:«وقلنا للجهمية: من القائل يوم القيامة: ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [سورة المائدة: ١١٦]. أليس هو القائل؟ قالوا: فيكوِّن الله شيئاً فيعبِّر عن الله، كما كوَّن شيئاً فعبر لموسى. قلنا فمن القائل: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ * فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ﴾ [سورة الأعراف: ٧] أليس الله هو الذي يسأل؟ قالوا: هذا كله إنما يكوِّن شيئاً فيعبِّر عن الله، قلنا: قد أعظمتم على الله الفرية، حين زعمتم أنه لا يتكلم فشبهوه بالأصنام التي تعبد من دون الله؛ لأن الأصنام لا تتكلم، ولا تتحرك ولا تزول من مكان إلى مكان.

فلما ظهرت عليه الحجة قال: إن الله يتكلم، ولكن كلامه مخلوق. قلنا: وكذلك بنو آدم كلامهم مخلوق، فقد شبهتم الله بخلقه حين زعمتم

---

(١) في الأصل [الحج] ولعل الصحيح ما أثبته، ويحتمل أن تكون: الحجة

أن كلامه مخلوق، ففي مذهبكم قد كان في وقت من الأوقات لا يتكلم حتى خلق التكلم، وكذلك بنو آدم كانوا لا يتكلمون حتى خلق الله لهم كلاماً، وقد جمعتم بين كفر وتشبيه، وتعالى الله عن هذه الصفة، بل نقول: إن الله لم يزل متكلماً إذا شاء ولا نقول: إنه كان ولا يتكلم حتى خلق الكلام. ولا نقول: إنه قد كان لا يعلم حتى خلق علماً فعلم، ولا نقول إنه قد كان ولا قدرة له حتى خلق لنفسه القدرة، ولا نقول: إنه قد كان ولا نور له حتى خلق لنفسه نوراً، ولا نقول: إنه قد كان ولا عظمة له حتى خلق لنفسه عظمة.

فقالت الجهمية: لما وصفنا الله بهذه الصفات، إن زعمتم أن الله ونوره، والله وقدرته، والله وعظمته، فقد قلتم بقول النصارى حين زعموا أن الله لم يزل ونوره، ولم يزل وقدرته. قلنا: لا نقول: إن الله لم يزل وقدرته، ولم يزل ونوره، ولكن نقول: لم يزل بقدرته ونوره، لا متى قدَّر ولا كيف قدَّر.

فقالوا: لا تكونوا موحدين أبداً حتى تقولوا: قد كان الله ولا شيء. فقلنا: نحن نقول: قد كان الله ولا شيء، ولكن إذا قلنا: إن الله لم يزل بصفاته كلها، أليس إنما نصف إلهاً واحداً بجميع صفاته؟ وضربنا لهم في ذلك مثلاً:

فقلنا: أخبرونا عن هذه النخلة، أليس لها جذع وكرب وليف وسعف وخوص وجُمَّار؟ واسمها شيء واحد؟ وسميت نخلة بجميع

صفاتها؟ فكذلك الله، وله المثل الأعلى، بجميع صفاته إله واحد، لا نقول: إنه قد كان في وقت من الأوقات ولا يقدر حتى خلق له قدرة، والذي ليس له قدرة هو عاجز، ولا نقول: قد كان في وقت من الأوقات ولا يعلم حتى خلق له علماً فعلم، والذي لا يعلم هو جاهل. ولكن نقول: لم يزل الله عالماً قادراً، لا متى ولا كيف، وقد سمَّى الله رجلاً كافراً اسمه الوليد بن المغيرة المخزومي، فقال: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [سورة المدثر: ١١] وقد كان هذا الذي سماه الله: ﴿وحيدا﴾ له عينان وأذنان ولسان وشفتان ويدان، ورجلان، وجوارح كثيرة، فقد سماه الله: ﴿وحيدا﴾ بجميع صفاته، فكذلك الله، وله المثل الأعلى، هو بجميع صفاته إله واحد[١].

مناظرة محمد بن سحنون المالكي للجهمية:

جاء في رياض النفوس[٢]: وحضر محمد بن سحنون (٢٥٦هـ) يوماً عند علي بن حميد الوزير، وكان علي يبغيه، وكان يجل محمداً ويعظمه ويُكْبِرُهُ، وكان في مجلسه جماعة ممن يحسنون المناظرة، وأحضر معهم شيخاً قدم من المشرق، يقال له: أبو سليمان النحوي، صاحب الكسائي الصغير، وكان يقول بخلق القرآن، ويذهب إلى الاعتزال، فقال علي بن حميد الوزير لمحمد: يا أبا عبد الله، إن هذا الشيخ وصل إلينا من المشرق،

---

(١) انظر : الرد على الجهمية والزنادقة ص : ١٣٠-١٣٤

(٢) ١/٣٥٠-٣٥١ ، وانظرها : مختصرة في سير أعلام النبلاء ٦٢/١٣ .

وقد تناظر معه هؤلاء، فناظره أنت. فقال محمد: تقول أيها الشيخ أو تسمع؟ فقال له الشيخ: قل يا بني. فقال محمد: أرأيت كل مخلوق هل يذل لخالقه؟ فسكت الشيخ، ولم يحر جواباً، ومضى وقت طويل، وانحصر ولم يأت بشيء. فقال له محمد: كم سنة أتت عليك أيها الشيخ؟ فقال له: ثمانون سنة. فقال ابن سحنون للوزير ابن حميد: قد اختلف أهل العلم في الصلاة على الميت بعد سنة من يوم موته، فقال بعضهم: يصلى عليه، وأجمعوا أنه إذا جاوز السنة لا يصلى عليه. وهذا الشيخ له ثمانون سنة ميت، في عداد الموتى، فقد سقطت الصلاة عليه بإجماع. ثم قام. فسُرَّ بذلك علي بن حميد وأهل المجلس.

فسئل ابن سحنون: أن يبين لهم معنى سؤاله هذا. فقال: إن قال: إن كل مخلوق يذل لخالقه، فقد كفر؛ لأنه جعل القرآن ذليلاً؛ لأنه يذهب إلى أنه مخلوق، وقال: قال الله عز وجل: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [سورة فصلت: ٤٢] وإن قال: إنه لا يذل، فقد رجع إلى مذهب أهل السنة؛ لأنه لا يذهب في هذه الحالة إلى أنه مخلوق الذي هو صفة من صفاته.

مناظرة عبد العزيز الكناني لبشر المريسي في مسألة القرآن:

ومن ذلك ـ أيضاً ـ مناظرة عبد العزيز الكناني لبشر المريسي في مجلس المأمون، وقد تقدم ذكر التحضير لمجلس هذه المناظرة، لكني أذكر هنا عين المناظرة مع حذف بعض الاستطرادات:(١)

(١) انظر: الحيدة ص: ٢٨ وما بعدها.

وكان عبد العزيز وبشر قد اتفقا على الاحتكام في المناظرة إلى نص التنزيل، والرجوع إليه دون التأويل والتفسير، وشهد عليهما المأمون بذلك، حيث كان الحاكم بينهما، والحافظ عليهما.

قال عبد العزيز: ثم أقبلت على بشر، فقلت: يا بشر ما حجتك أن القرآن مخلوق؟ انظر إلى أحد سهم في كنانتك وارمني به، ولا تحتج إلى معاودتي بغيره.

فقال لي بشر: تقول: إن القرآن شيء أم غير شيء، فإن قلت: إنه شيء، فقد أقررت أنه مخلوق إذ كانت الأشياء كلها مخلوقة بنص التنزيل، وإن قلت: إنه ليس بشيء فقد كفرت؛ لأنك تزعم أنه حجة الله على خلقه، وأن حجة الله ليست بشيء.

قال عبد العزيز: فقلت لبشر ما رأيت أعجب منك، تسألني وتجيب نفسك عني، وتكفرني ولم تسمع كلامي، ولا قولي، فإن كنت سألت لأجيبك فاسمع مني، فإني أحسن أن أعبر عن نفسي، وأحتج لمقالتي ومذهبي، وإن كنت إنما تريد أن تخطب وتتكلم لتدهشني وتنسيني حجتي فلن أزداد بتوفيق الله إلا بصيرة وفهماً، وما أحسبك يا بشر إلا قد تعلمت شيئاً، أو سمعت قائلاً يقول هذه المقالة التي قلتها، أو قرأتها في كتاب، فأنت تكره أن تقطعها حتى تأتي على آخرها.

قال عبد العزيز: فأقبل المأمون على بشر، وقال: صدق عبد العزيز، اسمع منه جوابه، ورد عليه بعد ذلك بما شئت من الكلام، ثم قال لي:

تكلم يا عبد العزيز، وأجبه عما سألك. **فقلت لبشر**: سألت عن القرآن: أهو شيء أم غير شيء، فإن كنت تريد أنه شيء إثباتاً للوجود ونفياً للعدم، فنعم هو شيء، وإن كنت تريد أن الشيء اسم له وأنه كالأشياء، فلا. **فقال بشر**: ما أدري ما تقول، ولا أفهمه، ولا أعقله ولا أسمعه، ولا بد من جواب يفهم ويعقل، أنه شيء أو غير شيء.

قال عبد العزيز: صدقت أنك لا تفهم، ولا تعقل، ولا تسمع ما أقول، ولقد وصفت نفسك بأقبح الصفات، واخترت لها أذم الاختيارات، ولقد ذم الله عز وجل في كتابه من قال مثل ما قلت، أو كان بمثل ما وصفت به نفسك، فقال عز وجل: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [سورة الأنفال: ٢٢-٢٤] وقال لنبيه ﷺ: ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [سورة الزخرف: ٤٠]...

قال عبد العزيز: فقال لي المأمون: دع هذا يا عبد العزيز، وارجع إلى ما كنت فيه، وبينه، واشرحه، واحتج لنفسك. **فقلت**: يا أمير المؤمنين، إن الله (تعالى) أجرى على كلامه ما أجراه على نفسه، فلم يتسم بالشيء، ولم يجعل الشيء اسماً من أسمائه، ولكنه دل على نفسه أنه أكبر الأشياء، إثباتاً للوجود، ونفياً للعدم، وتكذيباً منه للزنادقة والدهرية، ومن تقدمهم ممن جحد معرفته، وأنكر ربوبيته من سائر الأمم، فقال عز وجل لنبيه: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [سورة الأنعام: ١٩] فدلَّ

على نفسه أنه شيء لا كالأشياء، وأنزل في ذلك خبراً خاصاً مفرداً، لعلمه السابق أن جهماً وبشراً ومن قال بقولهما سيلحدون في أسمائه، ويشبهون على خلقه، ويدخلونه وكلامه في الأشياء المخلوقة، فقال عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى: ١١] فأخرج نفسه وكلامه وصفاته من الأشياء المخلوقة بهذا الخبر، تكذيباً لمن ألحد في كتابه وافترى عليه، وشبَّهَهُ بخلقه، وقال عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٨٠] ثم عدد أسماءه في كتابه، فلم يتسمَّ بالشيء، ولم يجعل الشيء اسماً من أسمائه، ثم قال النبي ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة»[(١)]، ثم عدَّدها[(٢)]، فلم نجده جعل الشيء اسماً له (تعالى)، فقلت كما قال الله،

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ٢١٤/١١ كتاب الدعوات ـ باب لله مائة اسم غير واحدة ح: ٦٤١٠ ، ومسلم في صحيحه ٢٠٦٢/٤ كتاب الذكر والدعاء ... باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها ح: ٢٦٧٧ وما يليه ، والترمذي في سننه ١٧٢/٩ أبواب الدعوات ـ باب لله تسعة وتسعون اسماً ح : ٣٥٠١ قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة .

(٢) سرد الأسماء الحسنى رواه الترمذي في سننه ١٧٣/٩-١٧٤ أبواب الدعوات ـ باب أسماء الله الحسنى بالتفصيل ح : ٣٥٠٢ وقال أبو عيسى : " هذا حديث غريب حدثنا به غير واحد عن صفوان بن صالح وهو ثقة عند أهل الحديث. وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ لا نعلم في كبير شيء من الروايات له إسناد صحيح ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث.

وقد روى آدم بن أبي إياس هذا الحديث بإسناد غير هذا عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ذكر فيه الأسماء وليس له إسناد صحيح ".

=

وتأدبتُ بما أدبني الله به ثم ذكر (تعالى) كلامه كما ذكر نفسه، ودل عليه بمثل ما دل به على نفسه، ليعلم الخلق أنه من ذاته، وأنه صفة من صفاته، فقال عز وجل: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ﴾ [سورة الأنعام:٩١] ... ودلَّ بذلك على أن كلامه شيء لا كالأشياء، كما دلَّ على نفسه بأنه شيء ليس كالأشياء، ثم قال في موضع آخر: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ [سورة الأنعام: ٩٣] فدلَّ بهذا الكلام أيضاً على أن الوحي شيء بالمعنى، وذم من جحد أن كلامه شيء، فلما أظهر الله عز وجل كلامه لم يظهره باسم الشيء، فيلحد الملحدون في ذلك، ويدخلونه في جملة الأشياء، ولكنه أظهره عز وجل باسم الكتاب، والنور والهدى، ولم يقل: قل من أنزل الشيء الذي جاء به موسى، فيجعل الشيء اسماً لكلامه، وكذلك سمى (تعالى) كلامه بأسماء ظاهرة يعرف بها - كما سمَّى نفسه - نوراً، وهدى وشفاء ورحمة، وحقاً وقرآناً وفرقاناً،

= ورواه ابن ماجه في سننه ١٢٦٩/٢-١٢٧٠ كتاب الدعاء - باب أسماء الله عز وجل ح: ٣٨٦١ قال في الزوائد: " لم يخرج أحد من الأئمة الستة عدد أسماء الله الحسنى من هذا الوجه ولا من غيره غير ابن ماجه والترمذي، مع تقديم وتأخير. وطريق الترمذي أصح شيء في الباب. قال وإسناد طريق ابن ماجه ضعيف؛ لضعف عبد الملك بن محمد. ولهذا اختلف العلماء في سرد هذه الأسماء: هل هو مرفوع أو مدرج في الخبر من بعض الرواة، لخلو أكثر الروايات عنه، نقل ذلك عن كثير من العلماء. انظر تحرير هذه المسألة في فتح الباري ٢١٥/١١ وما بعدها.

وأشباه ذلـك، لعلمـه السـابق في جهـم وبشـر ومـن يقـول بقولهمـا أنهـم سيلحدون في كلامه، وصفاته التي هي من ذاته، وسـيدخلونها في الأشـياء المخلوقة.

فقال بشر: يا أمير المؤمنين، أطال الله بقاك، قد أقرَّ عبدالعزيـز بـأن القرآن شيء وادعى أنه ليس كالأشياء فليأت بنص التنزيل كما أخذ علـي وعلى نفسه أنه ليس كالأشياء، وإلا فقد بطل ما ادعاه، وصـح قـولي أنـه مخلوق، إذ كنا جميعاً قد أجمعنا واتفقنا على أنه شيء، وقلت أنا إنه شـيء كالأشياء، وداخل في الأشياء، وقـال هـو إنـه ليـس كالأشـياء، وأنـه غـير داخل في الأشياء، فليأت بنـص التـنزيل علـى مـا ادعـاه، وإلا فقـد ثبتـت الحجة عليه بخلقه؛ إذ كان الله (تعالى) قد أخبرنا بنص التـنزيل أنـه خـالق كل شيء.

قال عبد العزيز: فقال لي المأمون هذا يلزمك يا عبد العزيـز، وجعـل محمد بن الجهم وغيره يضحون ويقولون: ظهـر أمـر الله وهـم كـارهون، جاء الحق وزهق الباطل، وطمعوا في قتلي، وجثا بشر على ركبتيه، وجعل يقول: أقرَّ والله يا أمير المؤمنين، بخلق القرآن، وأمسكت فلم أتكلم، حتى قال لي المأمون: ما لك لا تتكلم يا عبد العزيز؟ فقلـت: يـا أمـير المؤمنـين، أطال بقاك، قد تكلم بشر وطالبني بنص التنزيل على ما قلت، وهو المناظر لي، فضجيج هؤلاء لأي شيء هو، وأنا لم أنقطع، ولم أعجز عن الجواب، وإقامة الحجة بنص التنزيل كمـا طـالبني، ولسـت أتكلـم وفي هـذا المجلـس

أحد يتكلم غير بشر، إلا أن ينقطع بشر عن الحجة، فيعتزل ويتكلم غيره في مكانه، فصاح المأمون بمحمد بن الجهم وغيره، فأمسكوا، فقال لي المأمون: تكلم يا عبد العزيز، فليس يعارضك أحد غير بشر.

قال عبد العزيز: فقلت: قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [سورة النحل: ٤٠] وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [سورة البقرة: ١١٧] فدل سبحانه بهذه الأخبار كلها وأشباه لها كثيرة على أن كلامه ليس كالأشياء، وأنه غير الأشياء، وأنه خارج عن الأشياء، وأنه إنما تكون الأشياء بقوله وأمره، ثم ذكر خلق الأشياء كلها، فلم يَدَع منها شيئاً إلا ذكره، وأخرج كلامه، وقوله وأمره من جملة الخلق؛ ليدلَّ على أن كلامه غير الأشياء، وخارج عن الأشياء المخلوقة، فقال عز وجل: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [سورة الأعراف: ٥٤] فجمع في قوله هذا الخلق كله ثم قال: والأمر يعني الأمر الذي كان به هذا الخلق، ففرق سبحانه بين خلقه وأمره؛ فجعل الخلق خلقاً، والأمر أمراً، وجعل هذا غير هذا، وهذا غير هذا، فقال عز وجل: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾[سورة القمر: ٥٠] يقول: إذا أردت شيئاً فإنما هو كلمح البصر، يقول له: كن كما أريد، فيكون مثل لمح البصر، وقال عز وجل: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ [سورة الروم: ٤] يعني من

قبل الخلق ومن بعد الخلق، ثم جمع عز وجل الأشياء المخلوقة في أيات كثيرة من كتابه، فأخبر عن خلقها، وأنه خلقها بقوله وكلامه، وأن كلامه وقوله غيرها وخارج عنها، ثم ذكر جملة من الآيات منها قوله (تعالى): ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ [سورة الحجر: ٨٥]....

قال عبد العزيز: يا أمير المؤمنين، قد أخبرنا الله عز وجل عن خلق السموات والأرض وما بينهما فلم يدع شيئاً من الخلق إلا ذكره، وأخبر عن خلقه، وأنه إنما خلقه بالحق، وأن الحق قوله وكلامه الذي به خلق الخلق كله، وأنه غير الخلق وخارج عن الخلق، فهذا نص التنزيل على أن كلام الله غير الأشياء المخلوقة، وليس هو كالأشياء، وإنما به تكون الأشياء. **قال بشر**: يا أمير المؤمنين، أطال الله بقاك، قد ادعى أن الأشياء إنما تكون بقوله، ثم جاء بأشياء متباينات متفرقات، فزعم أن الله عز وجل يخلق بها الأشياء فأكذب نفسه، ونقض قوله، ورجع عما ادعاه من حيث لا يدري، وأمير المؤمنين شاهد عليه، وهو الحاكم بيننا.

قال عبد العزيز: فأقبل عليَّ المأمون وقال: يا عبد العزيز، قد قال بشر كلاماً قد قلته، تحتاج أن تصحح قولك، و تنقض بعضه ببعض، وجعل بشر يصيح ويقول: لو تركناه يتكلم لجاء بألف لون مما خلق الله عز وجل بها الأشياء.

قال عبد العزيز: فقلت: يا أمير المؤمنين، أطال الله بقاك، ذهبت الحجج وانقطع الكلام، ورضي بشر وأصحابه بالضجيج والترويج

بالباطل، وقطع المجلس وطلب الخلاص، ولا خلاص من الله عز وجل.

قال: فصاح المأمون: يا بشر أقبل على صاحبك، واسمع منه ودع هذا الضجيج، وكان قد قعد منا مقعد الحاكم من الخصوم.

قال عبد العزيز: ثم أقبل المأمون عليَّ فقال: تكلَّم يا عبد العزيز، فقلت: يا بشر زعمت أني قد جئت بأشياء متباينات متفرقات، وادعيت أن الله عز وجل خلق بها الأشياء، فما قلت إلا ما قال الله عز وجل في كتابه وما جئت بشيء غير كلام الله، ولا قلت ولا أقول إن الله خلق الأشياء، ولا يخلقها إلا بكلامه، فقال بشر: يا أمير المؤمنين، أليس قد قال إنه خلق الأشياء بقوله، وبأمره، وبكلامه، وبالحق؟ فقال المأمون: بلى، قد قلت هذا يا عبد العزيز. **فقلت**: يا أمير المؤمنين، قد قلت هذا، وما قلته إلا على صحته ولا خرجت عن كتاب الله، ولا قلت إلا ما قال الله، ولا أخبرت إلا بما أخبر الله به مما يوافق بعضه بعضاً، ويصدق بعضه بعضاً، وكل ما ذكر الله عز وجل أنه خلق، ويخلق به الأشياء، فهو شيء واحد، وله أسماء متعددة وهو كلام الله، وهو قول الله، وهو أمر الله، وهو الحق، فقول الله هو كلامه، وكلامه هو الحق، والحق هو أمره، وأمره هو قوله، وقوله هو أمره، وأمره هو كلامه، وقوله هو الحق، وهي أسماء شتى لشيء واحد، وقد قلت: إن الله سمَّى كلامه نوراً وهدى وشفاء ورحمة وقرآناً وفرقاناً فهذا مثل ذلك، وذلك مثل هذا، وإنما أجرى الله عز وجل هذا على كلامه كما أجراه على نفسه؛ لأنه من ذاته، فسمى كلامه

بأسماء كثيرة، وهو شيء واحد، كما سمَّى نفسه بأسماء كثيرة وهو واحد، أحد صمد، فرد. وإنما ينكر بشر هذا ويستعظمه لقلة معرفته بلغة العرب.
فقال بشر: يا أمير المؤمنين، قد أصَّل بيني وبينه كتاب الله (تعالى) وسنة نبيه ﷺ وزعم أنه لا يقبل إلا نص التنزيل، فما لنا وما لذكر لغة العرب وغيرها؟ لست أقبل منه إلا نص التنزيل بما قال إن كلام الله هو قوله، وهو أمره، وهو الحق. **فقال المأمون:** ذلك يلزمك يا عبد العزيز، لما عقدت على نفسك من الشرط.

قال عبد العزيز: فقلت: صدقت يا أمير المؤمنين، إن ذلك يلزمني، وعلي أن آتي به من نص التنزيل. قال: هاته. قلت: قال عز وجل وقد ذكر كلامه: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [سورة التوبة: ٦] يعني حتى يسمع القرآن؛ لأنه لا يقدر أن يسمع كلام الله من الله، وإنما عنى القرآن، لا خلاف بين أهل العلم واللغة في ذلك، وقال عز وجل: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ [سورة الفتح: ١٥] فسمَّى القرآن كلامه، وسمَّاه قوله، وأخبر أن قوله هو كلامه... وقال عز وجل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ﴾ [سورة البقرة: ٩١] فهذا خبر الله عز وجل عن القرآن أنه الحق. وذكر آيات كثيرة استدل بها على هذا المعنى. ثم قال: ﴿ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ

يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [سورة الأحزاب: ٤] فهذا إخبار الله عن قوله أنه الحق، وأن الحق قوله... ثم ذكر أن الحق كلامه وأن كلامه الحق، فقال: ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ [سورة يونس: ٣٣] فأخبر عن كلامه أنه الحق... ثم ذكر عز وجل أن القرآن أمره وهو كلامه فقال: ﴿حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا﴾ [سورة الدخان: ١-٥] يعني القرآن، فأخبر الله عز وجل أن القرآن أمره، وأن أمره القرآن...

وهذا قوله وتعليمه لخلقه في كتابه أن القرآن كلامه، وأنه الحق، وأن الحق كلامه وأن الحق قوله، وأن القرآن أمره، وأن أمره القرآن، وأن هذا أسماء شتى لشيء واحد، وهو الكلام الذي به خلق الله الأشياء، وهو غير الأشياء، وخارج عن الأشياء، وغير داخل في الأشياء، ولا هو كالأشياء، وبه تكون الأشياء، وهو كلامه، وهو قوله، وهو أمره، وهو الحق، فهذا نص التنزيل بلا تأويل ولا تفسير.

فقال المأمون: أحسنت، أحسنت يا عبد العزيز، **فقال بشر:** يا أمير المؤمنين، أطال الله بقاك، إنه يحب أن يخطب ويهذي بما لا أعقله، ولا أسمعه، ولا ألتفت إليه، ولا أقبل من هذا شيئاً.

قال عبد العزيز: فقلت: يا أمير المؤمنين، أطال الله بقاك، من لا يعقل عن الله ما خاطب به نبيه ﷺ وما علمه لعباده المؤمنين في كتابه، ولا يعلم ما أراد الله بكلامه وقوله، فكيف يدعي العلم ويحتج للمقالات والمذاهب، ويدعو الناس إلى البدع والضلالات؟ **فقال بشر:** أنا وأنت في

هذا سواء، أنت تنتزع بآيات من القرآن لا تعلم تفسيرها ولا تأويلها، وأنا أرد ذلك وأدفعه، حتى تأتي بشيء أفهمه وأعقله.

قال عبد العزيز: فقلت يا أمير المؤمنين، قد سمعت كلام بشر وتسويته فيما بيني وبينه، ولقد فرق الله عز وجل فيما بيني وبينه، وأخبر أنا على غير السواء. **فقال المأمون:** وأين ذلك من كتاب الله عز وجل؟ قلت: قال الله عز وجل: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [سورة الرعد: ١٩] فأنا والله، يا أمير المؤمنين، أعلم أن الذي أنزل عليه ﷺ هو الحق وأؤمن به، وبشر يشهد على نفسه أنه لا يعلم ذلك ولا يعقله، ولا يقبله، ولا هو مما تقوم لي به عليه حجة، فلم يقل كما قال الله عز وجل ولا كما علّم نبيه ﷺ أن يقوله، ولا كما قال موسى عليه السلام، ولا كما قالت الملائكة، ولا كما قال المؤمنون، ولا كما قال أهل الكتاب. ولقد أخبر عن جهله، وأزال عنه التذكرة، وأخرجه عن جملة أولي الألباب، لكن أمير المؤمنين، أطال الله بقاه، لما خصه الله به من الفضل والسؤدد، ورزقه من دقة الفهم، وكثرة العلم، والمعرفة باللغة، عقل عن الله عز وجل قوله، وعرف ما أراد به وما عنى به، فقبله، واستحسنه ممن انتزع به بين يديه، وأظهر قبوله والرضاء بقوله. **فقال بشر:** يا أمير المؤمنين، قد أقرَّ بين يديك أن القرآن شيء، فليكن عنده كيف شاء، فقد اتفقنا جميعاً على أنه شيء قال الله عز وجل بنص التنزيل: ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [سورة الأنعام: ١٠٢] وهذه لفظة لم تدع شيئاً من الأشياء إلا أدخلته في

الخلق، ولا خرج عنها ما ينسب إلى الشيء؛ لأنها لفظة قد استوعبت الأشياء كلها، وأتت على كل شيء، مما ذكره الله، ومما لم يذكره، فصار القرآن مخلوقاً بنص التنزيل، بلا تأويل ولا تفسير.

قال عبد العزيز: فقلت يا أمير المؤمنين، عليَّ أن آتي بما يكسر قوله، ويدحض حجته، ويكذبه حتى يرجع عن قوله أو يقف أمير المؤمنين على كسر قوله، وكذبه وبطلان ما ادعاه. **فقال**: هات ما عندك يا عبد العزيز. **فقلت**: يا أمير المؤمنين، قال الله عز وجل: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [سورة الأحقاف: ٢٥] يعني الريح التي أرسلت على عاد، فهل أبقت الريح يا بشر، شيئاً لم تدمره؟ قال: لا، لم تبق شيئاً إلا دمَّرته، فقد دمَّرت كل شيء، كما أخبر الله عز وجل؛ لأنه لم يبق شيء إلا وقد دخل في هذه اللفظة. فقلت: قد والله أكذب الله من قال هذا، بقوله: ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ﴾ [سورة الأحقاف: ٢٥] فأخبر عنهم أن مساكنهم كانت باقية بعد تدميرهم، ومساكنهم أشياء كثيرة. وقال عز وجل: ﴿مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾ [سورة الذاريات: ٤٢] وقد أتت الريح على الأرض والجبال والمساكن والشجر، وغير ذلك فلم يصر شيء منها كالرميم. وقال عز وجل: ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [سورة النمل: ٢٤] يعني بلقيس. فكان يجب بقولك يا بشر، أن لا يبقى شيء يقع عليه اسم الشيء إلا دخل في هذه اللفظة وأوتيته بلقيس، وقد بقي ملك سليمان، وهو مائة ألف ضعف مما أوتيته، لم يدخل في هذه اللفظة، فهذا كله مما يكسر قولك، ويبطل

مذهبك، ويدحض حجتك، ومثل هذا في القرآن كثير، ولكني أبدأ بما هو أشنع من ذلك، وأظهر فضيحةً لمذهبك وأدفع لبدعتك. قال الله عز وجل: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٥] وقال: ﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [سورة النساء: ٦٦] وقال عز وجل: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ [سورة هود: ١٤] وقال عز وجل: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ [سورة فاطر: ١١] فأخبرنا الله عز وجل في كتابه أن له علماً، أفتقر يا بشر أن لله علماً كما أخبرنا، أو تخالف التنزيل؟.

قال عبد العزيز: فحاد بشر عن جوابي، وأبى أن يصرح بالكفر، فيقول: ليس لله علم، فيكون قد رد نص التنزيل، فتتبين ضلالته ويشتهر كفره، وأبى أن يقول إن لله علماً، فأسأله عن علم الله: أهو داخل في الأشياء المخلوقة أم لا؟ وعلم ما أريد به، وما يلزمه في ذلك من كسر قوله، وإبطال مذهبه ودحض حجته، فاجتلب كلاماً لم أسأله عنه، فقال: معنى علمه أنه لا يجهل. فأقبلت على المأمون، **فقلت:** يا أمير المؤمنين، لا يكون الخبر عن المعنى قبل الإقرار بالشيء، وإنما يكون الإقرار بالشيء، ثم الخبر عن معناه، فليقر بشر أن لله علماً كما أخبرنا في كتابه، فإن سألته ما معنى العلم، وهذا مما لا أسأله عنه، فليخبرني أن الله لا يجهل، وقد حاد بشر يا أمير المؤمنين، عن جوابي.

فقال بشر: وهل تعرف الحيدة؟ قلت: نعم، إني لأعرف الحيدة في كتاب الله، وهي سبيل الكفار التي اتبعتها. ثم شرح عبد العزيز معنى الحيدة في كتاب الله وفي سنة المسلمين، وفي لغة العرب على ما مرَّ ذكره في الفصل الخاص بأحوال المناظرة. حتى إذا انتهى عبد العزيز من ذلك أقبل **المأمون** على بشر، فقال له: يأبى عليك عبد العزيز إلا أن تقر أن لله علماً فأجبه، ولا تحد عن جوابه. **فقال بشر**: قد أجبته أن معنى العلم أنه لا يجهل، وهذا جوابه، ولكنه يتعنت. **قال عبد العزيز** فقلت: يا أمير المؤمنين، صدق، إن الله (تعالى) لا يجهل، ولم تكن مسألتي إياه عن هذا، إنما سألته أن يقر بالعلم الذي أخبر الله (تعالى) عنه في كتابه، وأثبته لنفسه، ولم أسأله عن الجهل، فينفي الجهل عن الله (تعالى). فليقر أن لله علماً، وليقل بعد إقراره بالعلم: إن الله لا يجهل.

قال عبد العزيز: ثم التفتُ إلى بشر. فقلت: لا بد من أن تقول: إن لله علماً كما أخبرنا في كتابه، أو ترد أخبار الله عز وجل بنص التنزيل، أو يقف أمير المؤمنين على حيدتك عن جوابي. فجعل يقول: إن نفي الجهل عنه هو جوابه، وهو الذي عناه الله في كتابه، وهو والذي يطالبني به واحد، إلا أن اللفظين مختلفان.

قال عبد العزيز فقلت: يا أمير المؤمنين، إن نفي السوء لا تثبت به المِدْحة. **قال بشر**: وكيف ذلك؟ **قلت**: إن قولي هذه الأسطوانة لا تجهل ليس هو إثبات العلم لها.

قال عبد العزيز: ثم أقبلت على المأمون، فقلت: يا أمير المؤمنين، إن الله (تعالى) لم يمدح في كتابه مَلَكاً، ولا نبياً ولا مؤمناً بنفي الجهل عنه،

ليدل على إثبات العلم له، وإنما مدحهم بالعلم، فقال عز وجل: ﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [سورة الانفطار: ١١-١٢] و لم يقل لا يجهلون. وقال لنبيه ﷺ : ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ [سورة التوبة: ٤٣] وقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [سورة فاطر: ٢٨] و لم يقل: الذين لا يجهلون، فهذا قول الله (تعالى) ومِدْحته للملائكة وللنبي ﷺ وللمؤمنين. فمن أثبت العلم نفى الجهل، ومن نفى الجهل لم يثبت العلم، وعلى الخلق جميعاً أن يثبتوا ما أثبت الله، وينفوا ما نفى الله، ويمسكوا عما أمسك الله، فما اختار بشر يا أمير المؤمنين، من حيث اختار الله لنفسه، ولا من حيث اختار لملائكته، ولا من حيث اختار لنبيه ﷺ ، ولا من حيث اختار لعباده المؤمنين، فمن أجهل ممن اختار لنفسه غير ما اختار الله لنفسه، ولملائكته وأنبيائه ولعباده المؤمنين.

قال عبد العزيز: فقال لي المأمون: فإذا قال بشر: إن لله علماً، وأقر بذلك، فيكون ماذا؟ قلت: أسأله يا أمير المؤمنين عن علم الله: هل هو داخل في الأشياء المخلوقة حين احتج بقوله: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [سورة الرعد: ١٦] وزعم أنه لم يبق شيء إلا وقد أتى عليه هذا الخبر. فإن قال: نعم داخل في الأشياء المخلوقة، فقد شبَّه الله عز وجل بخلقه الذين أخرجهم من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئاً، وكل من تقدم وجوده قبل علمه، فقد دخل عليه الجهل فيما بين وجوده إلى

حدوث علمه، وهذه صفة المخلوقين، وا لله أعظم وأجل من أن يوصف بذلك أو ينسب إليه. ومن قال ذلك فقد كفر وحلَّ دمه ووجب على أمير المؤمنين قتله، وإن قال: إن علم ا لله خارج عن جملة الأشياء، وغير داخل فيها كما أن قوله خارج عن الأشياء وغير داخل فيها، فقد رجع عن قوله وأكذب نفسه. **فقال المأمون:** أحسنت، أحسنت يا عبد العزيز، وإنما فرَّ بشر من أن يجيبك عن هذه المسألة لهذا.

ثم أقبل علي المأمون، وقال: يا عبد العزيز تقول: إن ا لله عالم؟ فقلت: نعم يا أمير المؤمنين. قال: تقول: إنه سميع بصير؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين. قال: تقول: إن له سمعاً وبصراً كما قلت: إن له علماً؟ فقلت: لا أطيق هذا كذا، يا أمير المؤمنين. فقال: أفرق بين هذين؟ فأقبل بشر يقول: يا أمير المؤمنين، يا أفقه الناس، وأعلم الناس، يقول ا لله عز وجل: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [سورة الأنبياء: ١٨].

قال عبد العزيز: فقلت: يا أمير المؤمنين، قد قدمت إليك فيما احتججت به أن على الناس جميعاً أن يثبتوا ما أثبت ا لله، وينفوا ما نفى ا لله، ويمسكوا عما أمسك ا لله عنه، فأخبرنا عز وجل أن له علماً بقوله: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ [سورة هود: ١٤] فقلت إن له علماً كما قال، وأخبرنا أنه سميع بصير بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة غافر: ٢٠] و لم يخبرنا أن له سمعاً وبصراً، فقلت كما قال، وأمسكت عما أمسك عنه، فأقبل عليهم المأمون فقال: ما هو بمشبه، فلا تكذبوا عليه. **فقال بشر:** قد زعمت أن

لله علماً، فأي شيء هو علم الله، وما هو معنى علم الله؟ **فقلت له**: هذا مما تفرَّد الله بعلمه ومعرفته، وحجب عن الخلق جميعاً علمه، فلم يخبر به مَلَكاً مقرباً، ولا نبيًّا مرسلاً، ولا عَلِمَه أحد قبلي، ولا يَعْلَمه أحد بعدي؛ لأن علم الله أكبر وأوسع وأعظم من أنه يعلمه أحد من خلقه، ألم تسمع إلى قول الله عز وجل: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٥] وقال: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾ [سورة الجن: ٢٦-٢٧] وقال : ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [سورة الأنعام: ٥٩] وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة لقمان: ٢٧]، أتدري يا بشر ما معنى هذا؟ قال : وأي شيء هذا مما نحن فيه؟ **فقال المأمون**: قل أنت يا عبد العزيز، ما معناه. **قلت**: يا أمير المؤمنين، أطال بقاك، يقول: ولو أن ما في الأرض من جميع الشجر والخشب والقصب أقلام يكتب بها، والبحر مداد يمده من بعده سبعة أبحر، والخلائق كلهم يكتبون بهذه الأقلام من هذا البحر، ما نفدت كلمات الله. فمن يبلغ عقله، أو فهمه، أو فكره كنه عظمة الله وسعة علمه، وكثرة كلماته؟! وقال عز وجل: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [سورة الكهف: ١٠٩] فمن يحد هذا أو يصفه أو يدعي علمه؟ وقد

عجزت الملائكة المقربون عن علم ذلك واعترفوا بالعجز، فقالوا: ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة البقرة: ٣٢] وقال عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [سورة لقمان: ٣٤] **فقال بشر**: لا بد من أن تقول أي شيء هو علم الله، أو يقف أمير المؤمنين أطال الله بقاه، على أنك قد حدت عن الجواب، فأكون أنا وأنت في الحيدة سواء.

قال عبد العزيز: فقلت له: إنك تأمرني بما نهاني الله عز وجل عنه، وحرَّم عليَّ القول به، وتأمرني بما أمرني به الشيطان، ولست أعصي الله عز وجل وأرتكب نهيه، ومحارمه وأطيع الشيطان، وأتبع أمره وأمرك، إذ كنتما قد أمرتماني بمعصية الله وارتكاب نهيه.

قال عبد العزيز: فاشتد تبسم أمير المؤمنين من كلامي، ثم قال: يا عبد العزيز أمرك بشر بما نهاك الله عنه، وحرم عليك القول به، وأمرك بما أمرك به الشيطان؟ فقلت: نعم يا أمير المؤمنين. قال: ومن أين لك ذلك؟ قلت: من كتاب الله وكلامه بنص التنزيل. قال: فهاته: قلت: قال الله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[سورة الأعراف: ٣٣] وأمرهم الشيطان بضد ذلك، فقال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ

تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٦٨-١٦٩] فهذا تحريم الله ونهيه لنا أن نقول عليه ما لا نعلم، وهذا أمر الشيطان أن نقول على الله ما لا نعلم، وقد اتبع بشر يا أمير المؤمنين، سبيل الشيطان، ووافقه على قوله، وأمرني بما أمرني به من إنكار نهي الله عز وجل وتحريمه، حين قال لا بد من أن تقول أي شيء هو علم الله (تعالى) وقد أعلمته أني لا أعلمه ولا علمه أحد قبلي، ولا يعلمه أحد بعدي.

قال عبد العزيز: فكثر تبسم المأمون حتى غطّى فمه بيده، وأطرق ينكت بيده على السرير.

فقال لي بشر: لو ورد عليك اثنان، وقد تنازعا في علم الله، فحلف أحدهما بالطلاق أنَّ علم الله هو الله، وحلف الآخر بالطلاق أن علم الله غير الله، فقالا لك: أفتنا في أيماننا، فما كان جوابك لهما؟ **قلت:** الإمساك عنهما، وتركهما وجهلهما، وصرفهما بغير جواب، **فقال بشر:** يلزمك ويجب عليك، إذا كنت تدعي العلم أن تجيبهما عن مسألتهما، وأن تخرجهما من أيمانهما، وإلا فأنت وهم في الجهل سواء.

قال عبد العزيز: فقلت لبشر: أو يجب علي أن أجيب كل من سألني عن مسألة لا أجد لها في كتاب الله، ولا في سنة نبيه ﷺ ذكراً، ولا علماً، قد جهل السائل عنها، وحمق الحالف عليها؟ **قال بشر** : يجب عليك أن تجيبه عن مسألته، فإنه لا بد لكل مسألة من جواب. **فقلت له:** هذا جهل من قائله، ثم أقبلت على المأمون، فقلت: يا أمير المؤمنين، قد

سمعت ما قال بشر إنه يجب عليَّ أن أجيب كل من سألني عن مسألة، وأن أفتيه فيها، وأخرجه من يمينه بما لا أجده في كتاب الله، ولا سنة نبيه ﷺ، فلو ورد علي ثلاثة نفر قد تنازعوا في الكوكب الذي أخبر الله عز وجل أن إبراهيم عليه السلام رآه بقوله: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾[سورة الأنعام: ٧٦] فقال أحدهما: حلفت بالطلاق أنه المريخ، وقال الثاني: حلفت بالطلاق أنه المشتري، وقال الثالث: حلفت بالطلاق أنه الزهرة، فأفتنا في أيماننا، وأجبنا عن مسألتنا، أكان عليَّ أن أجيبهم عن مسألتهم، وأفتيهم في أيمانهم، وذلك مما لم يخبر الله (تعالى) به ولا رسوله. **فقال المأمون:** ما ذلك عليك بواجب، ولا لك بلازم.

ثم أخذ عبد العزيز يورد أمثلة من هذا القبيل، والمأمون يقرُّه بقوله: ليس عليك أجابتهم ولا فتياهم. **فقال عبد العزيز:** صدقت يا أمير المؤمنين، لا يجوز لي ولا لغيري أن يقضي بينهم أو يفتيهم، إلا أن يكون الله (تعالى) قد أخبر عن ذلك في كتابه أو على لسان نبيه ﷺ. وإذا لم يجز هذا في خلق من خلق الله، فكيف يجوز الجواب عن علم الله وهو مما لا يوجد في كتاب ولا سنة، ولا أخبرنا الله به ولا رسوله، وقد أكذب الله بشراً على لسان أمير المؤمنين، أطال الله بقاه، فيما ادعاه من وجوب الجواب علي في فتوى من جهل في مسألته، وحمق في يمينه. فقال المأمون: أحسنت أحسنت يا عبد العزيز. **فقال بشر:** واحدة بواحدة يا أمير المؤمنين، سألني عبد العزيز أن أقول: إن لله علماً، فلم أجبه، وسألته: ما

علم الله؟ فلم يجبني، فقد استوينا في الحيدة عن الجواب، ونخرج من هذه المسألة إلى غيرها، وندعها على غير حجة تثبت لأحدنا على صاحبه فيها.

قال عبد العزيز: فقلت: يا أمير المؤمنين، أطال الله بقاك، إن بشراً قد أفحم وانقطع عن الجواب، ودحضت حجته، وبقي بلا حجة يقيمها لهذا المذهب الذي كان يدعو الناس إليه، فلجأ إلى أن يسألني عن مسألة يحتج بها علي ليقول: سألني عبد العزيز عن مسألة فلم أجبه، وسألته عن مسألة فلم يجبني عنها، وقد قال ذلك يا أمير المؤمنين، فأنا وبشر على غير السواء في مسألتنا؛ لأني سألته عما أخبر الله به وشهد به لنفسه، وشهدت له به الملائكة بقوله عز وجل: ﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [سورة النساء: ١٦٦] فأخبرنا الله عن علمه، وشهد به لنفسه، وشهدت له به الملائكة، وتعبد الله نبيه ﷺ، وسائر الخلق بالإيمان به، بقوله: ﴿وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ﴾ [سورة الشورى: ١٥] فوجب على نبيه ﷺ وعلى الخلق جميعاً الإيمان بما أنزل الله في كتابه، وبشر يا أمير المؤمنين، يأبى أن يؤمن بذلك أو يقر به أو يصدق به، وسألني بشر عن مسألة ستر الله علمها عن ملائكته ورسله وأهل ولايته جميعاً، وعني وعن بشر، وعن سائر الخلق ممن مضى وممن هو آت إلى يوم القيامة، لم يعلمها أحد قبلنا، ولا يعلمها أحد بعدنا، فلم يكن لي أن أجيبه عن مسألته. وإنما يدخل النقص علي يا أمير المؤمنين، لو كان بشر يعلم ما سألني عنه، أو غيره من العلماء، وكنت أنا لا أعلمه، فأما إذا اجتمعنا

جميعاً أنا وبشر وسائر الخلق في جهل مسألة لا يحل لأحد أن يسأل عنهـا، ولا يحل لأحد أن يجيب عنها؛ لأن الله حرم ذلك، وحظره ونهى عنه.

قال عبد العزيز: فقال المأمون: أنتمـا في مسـألتكما في غـير السـواء، وقد صح قولك في هذه المسألة، يا عبد العزيـز، وبـان ووضـح، وظهـرت حجتك على بشر فيها.

قال عبد العزيز: فرأيت بشراً قد حار وانقطع، وصـح مـا في يـدي، واستبان الحق، ووضح لأمير المؤمنين، ولسائر من بحضرته. فقلت: يا أمـير المؤمنين، أطال الله بقاك، أرجع إلى أول المسألة وأَدَعُ ذِكْرَ العلم، فأكسـر قول بشر، وأفضح مذهبه، وأبطل قوله واحتجاجه؟ فقال لي المـأمون: قـد أصبت، يا عبد العزيز، بتركك الكلام فيما قطع المجلس من غـير أن يرجـع إليك عن مسألتك فيه جواب، وقد وقفنا من قولك على ما يلزم بشـراً في هذه المسألة لو أجابك، فهات ما عندك، من غير هذا.

قال عبد العزيز: فقلت: يا أمـير المؤمـنين، أطـال الله بقـاك، ويجـب على من كال بمكيال أن يـوفي بـه. قـال: ذلـك يلزمـه. فقلـت: يـا بشـر، ألست تزعم أن قوله عز وجل: ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [سورة الرعد: ١٦] لفظـة لا يخرج عنها شيء؛ لأن كلمة كل تجمع الأشياء، فلا تدع شيئاً يخرج عنها، وكل شيء داخل فيها؟ قال بشر: هكذا قلت، وهكذا أقـول وهكـذا هـو عند الخلق، ولســت أرجـع عنـه بكثرة خطبـك وهذيـانك. فقلـت: أمـير المؤمنين شاهد عليك بهذا.

قال عبد العزيز: ثم قلت: يا بشر، قال الله عز وجل: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [سورة طه: ٤١] وقال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [سورة آل عمران: ٢٨] وقال: ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [سورة الأنعام: ١٢] وقال: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ﴾ [سورة الأنعام: ٥٤] وقال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الغيوب﴾ [سورة المائدة: ١١٦] فقد أخبرنا الله (تعالى) في مواطن كثيرة من كتابه أنَّ له نفساً، أفتُقِرُّ يا بشر أن لله (تعالى) نفساً كما أخبرنا عنها بهذه الأخبار كلها؟ قال: نعم.

قال عبد العزيز: فقلت له: قال الله (تبارك وتعالى): ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [سورة الأنبياء: ٣٥] أفتقول: إن نفس رب العالمين داخلة في هذه النفوس التي تذوق الموت؟ فصاح المأمون بأعلى صوته، وكان جهوري الصوت، معاذ الله، معاذ الله، **فقلت** ورفعت صوتي: إذن معاذ الله أن يكون كلام الله داخلاً في الأشياء المخلوقة، كما أن نفسه ليست بداخلة في الأنفس الميتة.

قال بشر: يا أمير المؤمنين، قد سألني، فليسمع كلامي وليَدَع الصياح والضجيج.

فقلت له: تكلم بما شئت. فقال: إن كانت نفس الله ضميراً أو توهماً فهي خارجة، وليست بداخلة في هذه النفوس، فقلت له: كم ألقي إليك أني أقول بالخبر، وأمسك عن علم ما سُتر عني؟ وإنما قلت: إن لله نفساً كما أخبرنا، وقد أقررت بذلك فلتكن عندك على أي معنى شئت،

وقل: أهي داخلة في هذه النفوس أم لا، ودع عنك كلام الخاطر والوسواس. فقال لي: أنت رجل متعنت، تجاب عن مسألتك فتطلب غيرها، وليس عندي جواب غير هذا، وانقطع.

قال عبد العزيز: فقلت: يا أمير المؤمنين، قد كسرتُ قوله في هذه المسألة بالقول الأول والقول الثاني في باب العلم، وكسرت قوله بقوله، ودحضت حجته، وبطل ما كان يدعو الناس إليه من بدعته، وبان لأمير المؤمنين قبح مذهبه، وفحش قوله، فأقبل علي المأمون وقال: يا عبد العزيز قد وضحت حجتك، وبان قولك وانكسر قول بشر، وتحتاج أن تشرح هذه الأخبار التي في القرآن ومعانيها، وما أراد الله عز وجل بها ليسمع من بحضرتنا، فقد مرَّ اليوم أشياء كثيرة يحتاج من سمعها إلى معرفتها وفهمها.

قال عبد العزيز: فقلت: يا أمير المؤمنين، إن الله شرف العرب وكرمهم بأن أنزل القرآن بلسانهم، ثم أخذ يذكر خصائص لغة العرب والتي نزل بها القرآن، وأساليبهم في الخطاب، وتصرفهم فيه بأنواع من الوجوه، التي لا يسع فهمها إلا من كان عربياً في لسانه وفهمه.

ثم قال عبد العزيز: فقلت يا أمير المؤمنين، إن بشراً خالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وخالف إجماع أصحاب محمد ﷺ فقال لي المأمون: خالف كتاب الله (تعالى) وسنة رسوله وإجماع أصحاب محمد؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، وأوقفك عليه الساعة. قال: قل. فقلت: إن اليهود ادعت تحريم أشياء لم تحرم عليها في التوراة، وزعموا أنها في التوراة

محرمة، فقال الله عز وجل لنبيه ﷺ : ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة آل عمران: ٩٣] فإذا أتوا بالتوراة فتليت، فلم يجدوا فيها ما ادعوا أنه محرم فيها عليهم، كان إمساك التوراة عن ذلك مكذباً لقولهم، مبطلاً لدعواهم، وكذلك أقول لبشر: اتل قرآناً بما قلتَ، وإلا فإن إمساك القرآن عما تدعيه مكذب لك، مبطل لدعواك، وكذلك ننظر في سنة الرسول، فإن كان معه سنة من سنن الرسول بما قال: صدقناه، وإلا فان إمساك السنة مكذب لقوله مبطل لدعواه، وهما الأصل الذي أصَّلناه بيننا وأشهدنا أمير المؤمنين، أطال الله بقاه، على أنفسنا به، وشرطنا إسقاط كل مالم نجده في كتاب الله عز وجل ولا في سنة رسوله ﷺ، وأما خلاف أصحاب محمد ﷺ ؛ فإن أصحاب محمد اختلفوا في الحلال والحرام، ومخارج الأحكام، فلم يخطِّئ بعضهم بعضاً، فهم من أن يكفر بعضهم بعضاً أبعد، وبشر يا أمير المؤمنين، ادعى على الأمة كلمة تأولها بغير علم منه بمعناها، وبما أراد الله بها، ولا يجد لها في كتاب الله ما ينصها، ولا ما يدل على تأويلها، ثم زعم أن من خالفه عليها كافر، حلال الدم، فأباح دماء الأمة جميعاً على ذلك، فهو خارج من إجماع أصحاب محمد ﷺ .

فقال بشر: قد خطبت وتكلمت، وهذيت، وتركتك حتى تفرغ مما ادعيت من إبطال خلق القرآن بنص التنزيل، ومعي من كتاب الله آية لا يتهيأ لك معارضتها، ولا دفعها، ولا التشبيه فيها، ولا الخطب عليها، كما فعلت في غيرها، وإنما أخرتها ليكون انقضاء المجلس عليها، وسفك دمك بها.

قال عبد العزيز: فقلت لـه: هاتهـا، وأنـا أشـهد أمـير المؤمنـين علـى نفسي أني أول من يتبعك عليها، ويقول بها، ويرجع عن قولـه، ويُكـذّب نفسه، ويتوب إلى ا لله عز وجل إن كان معـك نـص التـنزيل كمـا قلـت، وكل من خالف نص التنزيل فهو كافر، وا لله لو اجتمعت الإنـس والجـن على أن يأتوا بمثل ما قلت لم يقدروا أن يأتوا به، ولو كان بعضهم لبعـض ظهـيراً. **قـال بشـر:** قـــال ا لله عـز وجـــل: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [سورة الزخرف:٣].

قال عبد العزيز: فقلت له: لا أعلم أحداً من المؤمنين إلا وهو يؤمـن بهذا، ويقر به، ويقول: إن ا لله جعل القرآن عربياً ولا يخالف ذلك، فـأي شيء في هذا من الحجة لك، والدليل علـى خلقـه. **فقـال بشـر:** وهـل في الخلق أحد يشك في هذا، أو يخالف أن معنى جعلناه خلقناه؟.

قال عبد العزيز: فقلت: يا أمير المؤمنين، ذهـب نـص التـنزيل الـذي قال إنه يأتي به، ورجعنا إلى معناه وتأويله. **فقال بشر:** ما هذا تأويلاً ولا تفسيراً، ماهو إلا نص التنزيل.

قال عبد العزيز: فأقبلت على المأمون، فقلت: يا أمير المؤمنين، أطـال ا لله بقاك، إن القرآن نزل بلسانك ولسان قومك، وأنت أفهـم أهل الأرض بلغة العرب ومعاني كلامها، وبشر رجلٌ من أبناء الأعاجم يتـأول كتـاب ا لله (تعالى) على غير ما عناه ا لله، ويحرفـه عـن مواضعـه، ويبـدل معانيـه، ويقول ما تنكره العرب ولا تعرفه في كلامها، ولغاتها، وأنت أعلـم خلـق ا لله بلغة قومك، وإنما يُكفّر بشر الناس، ويبيح دمـاءهم، بتـأويل التـنزيل.

فجعل بشر يقول: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[سورة الإسراء: ٨١] تروغ يا عبد العزيز إلى الكلام والخطب، والاستعانة بأمير المؤمنين، أطال الله بقاه، ليقطع المجلس. قال الله عز وجل: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [سورة البقرة: ٨٩] ثم ضرب بشر بيده على فخذه وأقبل علي، فقال: أتيتك بما لا تقدر على دفعه، ولا على التشبيه فيه؛ لينقطع المجلس بثبات الحجة عليك، وإيجاب العقوبة لك، فإن يكن عندك شيء فتكلم به، وإلا فقد قطع الله مقالتك، وأدحض حجتك، وجعل يصيح: فرحناك في أول المجلس، وأطمعناك، حتى انبسطت في الكلام، وتوهمت أنك قد قدرت على ما أردت، فأين كلامك واحتجاجك، انقطع ذاك، وجاء ما يخرس اللسان، ويذهب بالعقل، ويحل الدم.

قال عبد العزيز: فأقبل علي المأمون، فقال: يا عبد العزيز، مالك قد أمسكت؟ أجبه إن كان عندك جواب لمسألته. **فقلت:** ليس يدعني يا أمير المؤمنين، أكلمه من ضجيجه، وصياحه، فإن أمسك تكلمت، وأجبته، وكسرت قوله بإذن الله (تعالى)، وإن أراد أن يهذي ويصيح ويروج الكلام تركته، وكان أمير المؤمنين، أطال الله بقاه، أعلى عيناً بما يراه، فصاح به المأمون: أمسك، واستمع الجواب منه عما سألت، فأمسك.

قال عبد العزيز: ثم قال لي المأمون: تكلم يا عبد العزيز بما تريد. فقلت: يا أمير المؤمنين، أطال الله بقاك، ما خفي عليك حرف واحد مما جرى اليوم في مجلسك، ولنعم الحاكم أنت، جزاك الله عن رعيتك أفضل الجزاء، وبشر يتأول يا أمير المؤمنين، الشيء على ما يخطر بباله بغير علم،

ولا حقيقة لقوله، فإن رأى أمير المؤمنين أن يتحفظ علينا ألفاظنا، وما يجري بيننا في هذه المسألة، ويشهد علينا بما نقول، ويطالب كل واحد منا صاحبه بإقامة الشاهد على ما يقول من الكتاب والسنة فعل، فقال: أنا أفعل ذلك منذ اليوم.

قال عبد العزيز: فأقبلت على بشر، فقلت: أخبرني عن "جعل" هل هذا حرف محكم لا يحتمل غير الخلق؟ فقال بشر: نعم هو حرف محكم لا يحتمل غير الخلق، وما بين "جعل" و"خلق" لا فرق عندي، ولا عند غيري من سائر الناس، ولا عند أحد من العرب، ولا من العجم، لا يعرف الناس إلا هذا، ولا يعقلون غير هذا في كلامهم ولغاتهم سواء عندهم قالوا "خلق" أو "جعل". فقلت لبشر: أخبرني عن نفسك، ودع العرب وسائر الناس، فأنا من الناس ومن الخلق، ومن العرب أخالفك على هذا، وكذلك سائر العرب تخالفك، فقال بشر: هذا باطل منك، ودعوى تدعيها على العرب، وغيرهم، وليس يخالفني على هذا أحد من خلق الله غيرك، خوفاً على نفسك مما هو نازل بك لا محالة.

قال عبد العزيز: فقلت له: أخبرني: إجماع الخلق كلهم بزعمك على أن "جعل" و"خلق" سواء وواحد، لا فرق بينهما في هذا الحرف وحده، أو في سائر ما في القرآن من الجعل؟ قال: بل في سائر ما في القرآن من ذلك، وفي سائر الكلام، والأخبار والأشعار.

قال عبد العزيز: فقلت: قد حفظ عليك أمير المؤمنين، أطال الله بقاه، ما قلت وشهد به عليك. فقال بشر: أنا أعيد عليك هذا القول متى سألتني عنه، ولا أخالفه، ولا أرجع عنه.

قال عبد العزيز: فقلت لبشر: زعمت أن معنى: ﴿جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [سورة الزخرف: ٣] خلقناه قرآناً عربياً؟ قال:نعم، هكذا قلت، وهكذا أقول أبداً. فقلت له: أخبرني: أ الله عز وجل تفرد بخلق القرآن أم شاركه في خلقه أحد غيره؟ قال: بل الله خلقه، وتفرد بخلقه، و لم يشاركه في خلقه أحد.

قال عبد العزيز: فقلت له: أخبرني عمن قال: إن بعض ولد آدم خلقوا القرآن من دون الله، أمؤمن هو أم كافر؟ فقال بشر: بل هو كافر حلال الدم. فقلت: وأنا أقول أيضاً: إنه كافر حلال الدم، ثم قلت: فأخبرني عمن قال: إن التوراة خلقها اليهود من دون الله، أمؤمن هو أم كافر؟ فقال بشر: بل كافر حلال الدم. قلت: وأنا أقول كذلك، فأخبرني عمَّن قال: إن بني آدم خلقوا الله، وإن الله (تعالى) أخبر بذلك، أمؤمن هو أم كافر؟ قال: بل كافر حلال الدم. قلت: وأنا أقول أيضاً مثل ذلك، فأخبرني يا بشر، أليس الله عز وجل خلق الخلق كلهم أجمعين؟ قال بلى. قلت: فهل شاركه في خلقهم أحد؟ قال: لا. قلت: فمن قال: إن بعض بني آدم شاركوا الله في خلقه، أمؤمن هو أم كافر؟ قال: بل كافر حلال الدم. قلت: وأنا أقول أيضاً كذلك. قال بشر: قد قعدت تمتحني،

وتشغلني حتى يؤذن بالظهر، وينقطع المجلس رجاء أن تنصرف منه سالماً، وهذا ما لا يكون، فهل عندك جواب لمسألتي؟ وإلا فقد انقطع الكلام، أي شيء هذه الخرافات؟!

قال عبد العزيز: فقلت: يا أمير المؤمنين، ليس ينصفني بشر، فأمره أن يجيبني عما أسأله عنه، فإن الذي بقي بقي أيسره، ثم أجيبه عن مسألته، وعن كلامه. فقال المأمون: أجبه عن كلامه وما يسألك. فقال بشر: الساعة يؤذن بالصلاة، وينقطع المجلس. فقال المأمون: يؤخر الأذان بالصلاة إلى آخر الوقت، وإن احتجتما أن تجلسا بعد الصلاة لتمام الكلام، جلست لكما حتى تفرغا.

قال عبد العزيز: ثم أقبل علي المأمون، فقال: سله يا عبد العزيز عما تريد، ولا تدع شيئاً مما تحتاج إليه إلا ذكرته، فإني متحفظ عليكما جميع ما يجري بينكما وشاهد به عليكما. فقلت: جزاك الله يا أمير المؤمنين عني خاصة، وعن رعيتك عامة، أفضل الجزاء، فلقد جلست منا اليوم مجلس الإمام العادل، وأحسنت إلي حين رأيتني جزعاً فسكنت روعي، وآنست وحشي، وبسطت لساني بحجتي، وتابعت الحق حين ظهر لك، ووافقته، ونصرت أهله، وشهدت لي بثبات الحجة، وذممت أهل الباطل، حتى زهق واضمحل، وبانت فضيحته، وشهدت على بطلانه، وأنصفت في مجلسك، وكان ذلك كله منك بتوفيق الله وتأييده إياك، فله الحمد والشكر على ما أبلاك، وأبلى رعيتك فيك، وجزاك أفضل ما يُجزى به أحد من الأئمة

عن رعيته. فقال لي المأمون: قد بالغت يا عبد العزيز، في القول والشكر، ولك الزيادة مما ابتدأناك به، فارجع إلى بشر، واسأله عما تريد.

قال عبد العزيز: فأقبلت على بشر، فقلت: أخبرني عمن زعم أن بعض بني آدم خلقوا الملائكة من دون الله، أمؤمن هو أم كافر؟ قال: بل كافر، حلال الدم. قلت: وأنا أقول أيضاً هكذا. قلت: فأخبرني عمن زعم أن بعض بني آدم خلقوا لله شركاء، أمؤمن هو أم كافر؟ قال: بل كافر حلال الدم. قلت: وأنا أقول أيضاً هكذا. قلت: فأخبرني عمن زعم أن بعض بني آدم خلقوا لله أنداداً، أمؤمن هو أم كافر؟ قال: بل كافر حلال الدم. فقلت: وأنا أقول أيضاً هكذا.

قال عبد العزيز: فأقبلت على المأمون فقلت: يا أمير المؤمنين، قد أقر بشر أنه كافر حلال الدم، وكل من قال بقوله، ووافقه على مذهبه. ثم ندمت على قولي، وعلمت أني قد أخطأت، فأطرق المأمون إطراق مغضب ونظر إليه بشر، فقال: يا أمير المؤمنين، أطال الله بقاك، يكفرنا ويحل دماءنا بحضرتك، وفي مجلسك، بلا حجة ظهرت وإنما سبب ذلك الكلام ليقول هذا.

قال عبد العزيز: فقلت له: شهد عليك أمير المؤمنين، أطال الله بقاه، بما قلت، فقال المأمون: لقد أفحشت في القول، وأعظمته، واستشهدتني على ما لم أسمعه، ولم أشهد به على بشر، ولا على أحد ممن يقول بقوله.

قال عبد العزيز: فقلت: يا أمير المؤمنين، أطال الله بقاك، اسمع قولي، فإن كنت قد قلت حقاً، وانتزعت على كل حرف من كلامي بآية من كتاب الله، كان بشر قد أكفر نفسه ومن قال بمقالته، وأحلَّ دمه ودماءهم، وإلا فدمي حلال، وليأمر أمير المؤمنين بضرب عنقي الساعة، على رؤوس الأشهاد، وإن أثبت ما قلتُ ولفظتُ به بنص التنزيل في كل لفظة، وأقمت الشاهد على بشر من كتاب الله وسعني عدل أمير المؤمنين، قال: فقال لي: هات ما عندك ولا تطل الكلام بغير حجة.

قال عبد العزيز: فقلت: قال الله عز وجل: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ [سورة النحل: ٩١] فزعم بشر يا أمير المؤمنين، أن معنى ﴿وقد جعلتم الله عليكم كفيلا﴾ وقد خلقتم الله عليكم كفيلاً، لا معنى لذلك عنده، وعند من قال بقوله غير هذا، ومن خالفه من سائر العرب والعجم يقولون غير هذا، ثم قال: من قال هذا فهو كافر حلال الدم، وقد كذب في القول الأول وصدق في القول الثاني، فلم يرض أن يقول بنو آدم خلقوا الله، حتى زعم أن الله قال ذلك، وشهد لهم في كتابه، ومن قال هذا فهو كافر حلال الدم، بإجماع الأمة. وقال الله عز وجل: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ [سورة البقرة: ٢٢٤] فزعم بشر أن معنى: ﴿ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم﴾ ولا تخلقوا الله عرضة لأيمانكم، لا معنى له عنده ولا عند من قال بقوله غير هذا، ثم قال: من قال هذا فهو كافر حلال الدم، وأمير المؤمنين يشهد عليه بهذا اللفظ، وقد كذب في قوله: إن معنى ﴿ولا تجعلوا﴾ ولا تخلقوا، وصدق في أن من

قال هذا كافر حلال الدم بقوله، وقولي، وقول الناس جميعاً، فقال المأمون: ما أقبح هذا وأشنعه، وأعظم القول به. فقلت: قال الله عز وجل: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سورة النحل: ٥٧] فزعم بشر يا أمير المؤمنين، أن بني آدم يخلقون لله البنات، يخبر بذلك عن الله عز وجل وأنه قاله، وشهد به على نفسه، ثم قال: من قال بهذا فهو كافر حلال الدم، وقد صدق في قوله الآخر، وكذب في قوله الأول، ومن قال بهذا فهو كافر، حلال الدم بإجماع الأمة. قلت: وقال الله عز وجل: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [سورة إبراهيم: ٣٠] فزعم بشر يا أمير المؤمنين، أن معنى ﴿وجعلوا﴾: وخلقوا، لا معنى له عنده وعند من قال بقوله غير هذا، فزعم عن الله أنه قال: وخلقوا له أنداداً. ثم قال: من قال هذا فهو كافر، وقد كَذَب بشر في قوله الأول، وصَدَق في قوله الآخر بإجماع الأمة. وقال الله عز وجل: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[سورة الأنعام: ١٠٠] فزعم بشر أن معنى: ﴿وجعلوا لله شركاء الجن﴾: وخلقوا له شركاء الجن، وأنه لا معنى له عنده، ولا عند من قال بقوله، أو خالفه، ولا عند سائر الناس إلا هذا، ثم قال: من قال هذا فهو كافر حلال الدم، وقد كذب في قوله إن معنى ﴿وجعلوا﴾ وخلقوا، وصدق في قوله إن من قال هذا فهو كافر حلال الدم، بقوله وقول الناس جميعاً. وقال الله عز وجل: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [سورة الرعد: ٣٣] فزعم بشر يا أمير المؤمنين، أن معنى: ﴿وجعلوا لله شركاء﴾: وخلقوا لله شركاء، لا معنى له عنده، وعند من قال بقوله، ومن خالفه، ولا عند

العرب والعجم إلا هذا المعنى، وقال: إن الله عز وجل أخبر أنهم خلقوا لله شركاء، فكذب بشر يا أمير المؤمنين، وقال الباطل والزور، ولقد نفى الله (تعالى) ذلك، وأبطله، وأخبرنا أنه لا يعلم من هذا شيئاً، وأخبر أن من قال ذلك كافر ضال بقوله ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [سورة الرعد: ٣٣] وقال عز وجل: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ [سورة الأعراف: ١٩٠] فزعم بشر يا أمير المؤمنين، أن معنى: ﴿جعلا له شركاء﴾: خلقوا له شركاء، لا معنى له عنده، وعند من قال بقوله وعند الناس جميعاً، غير هذا. ثم قال: من قال هذا فهو كافر حلال الدم، فكَذَب في الأول، وصدق في الآخر بإجماع الأمة. وقال عز وجل: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾ [سورة الرعد: ١٦] فزعم بشر أن معنى: ﴿أم جعلوا﴾: أم خلقوا، لا معنى لذلك عنده، وعند من قال بقوله، وعند الناس جميعاً غير هذا. ثم قال: من قال هذا فهو كافر حلال الدم بإجماع الأمة، فكَذَب في قوله الأول، وصَدَق في الآخر. وقال الله عز وجل: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [سورة الزخرف: ١٩] فزعم بشر أن معنى قوله: ﴿وجعلوا الملائكة﴾ وخلقوا الملائكة، ثم قال: من قال هذا فهو كافر حلال الدم، فكذب في الأول، وصدق في الثاني. وقال الله عز وجل: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا﴾ [سورة الأنعام: ٩١] فزعم بشر يا أمير المؤمنين، أن معنى تجعلونه تخلقونه، يعني أن اليهود خلقوا التوراة، ومعنى

خلق التوراة: خلق كلام الله عز وجل، فزعم أن اليهود خلقوا كلام الله، وأنه لا معنى له عنده، وعند من قال بقوله، وعند سائر العرب والعجم غير ذلك. ثم قال: من قال بهذا فهو كافر حلال الدم، فَكَذَب في الأول، وصَدَق في الآخر. ثم قال الله عز وجل: ﴿كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ * الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ [سورة الحجر: ٩٠-٩١] فزعم بشر أن معنى قوله: ﴿الذين جعلوا القرآن عضين﴾ الذين خلقوا القرآن عضين، ثم قال: من قال هذا فهو كافر حلال الدم بإجماع.

قال عبد العزيز: فأقبل علي المأمون، فقال: حسبك يا عبد العزيز، قد أقر بشر على نفسه بالكفر، وإحلال الدم، وأشهدني على نفسه بذلك، وقد صدقت في كل ما قلت، ولكنه قال ما قال وهو لا يعقل، ولا يعلم ما عليه في ذلك، وهذا شيء يلزمه في نفسه خاصة، ولا يلزم غيره ممن لا يقر بمثل ما أقر به ، ولا يحكم على نفسه بمثل ما حكم به بشر على نفسه.

قال عبد العزيز: فقلت: يا أمير المؤمنين، أطال الله بقاك، إنما خاطبت أمير المؤمنين بما قد حصل في يدي، وأقر به بشر، وأشهد أمير المؤمنين على نفسه به، وعلمت أن أمير المؤمنين قد حفظ عليه كلامه، ولولا ذلك ما اجترأت على ذلك. فقال المأمون: كنت تقصد بشراً وحده بالكلام والمخاطبة دون سائر الناس؟ قلت: لم يدعني، جعلت أسأله في خاصة نفسه فيقول: هذا قولي، وقول سائر الناس، وقول العرب، والعجم، فأجبته على حسب كلامه، وقد صدق أمير المؤمنين؛ هذا يلزم

من أقر به دون غيره، إلا من قال بمثل قوله، أو أقر بمثل ما أقـر بـه، وهـذا الذي عنيت بقولي الأول حين قلت: ومن يقول بقوله. فقال: أحسنت يـا عبد العزيز الانتزاع.

قال عبد العزيز: ثم أقبل علي المأمون، فقال: تكلم يا عبد العزيـز في بيان هذا، واذكر الجعل والخلق، وفرق بينهما، واشرح ذلك، ليقف عليـه من بحضرتنا ويعرفه، فقلت: نعم يا أمير المؤمنين، أطال الله بقـاك، ولكـن إن رأيت أن تأذن لي فأقول قبل البيان والشرح أشياء في هـذا المعنـى، ممـا أكسر بـه قـول بشـر، وأدحـض بـه حجتـه، وأفضـح مذهبـه، وأبطـل بـه اعتقاده، فقال: لا تطول المجلس. فقلت: يا أمـير المؤمنـين، إنمـا هـو شـيء أدرسه درساً. قال: قل ما تريـد، ولا تخـاطب بشـراً، أقبـل علـي، ودعـه. فقلت: قال الله عز وجـل لنبيـه ﷺ : ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا﴾ [سورة الإسراء: ٢٢] وقال في موضع آخر لنبيه ﷺ : ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا﴾ [سورة الإسراء: ٣٩] فزعـم بشـر يـا أمـير المؤمنين، أن الله عز وجل قال لنبيه ﷺ: ولا تخلق مع الله إلهاً آخر، فمـن أقبح قولاً ممن قال هذا وأفحش منه؟! وقد قـال الله لنبيـه ﷺ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ﴾ [سورة الإسراء: ٢٩] فزعم بشر يا أمير المؤمنين، أن الله قال لنبيه: ولا تخلق يدك. وزعم أن الله خلقه، وبعثه رسولاً، وليس له يد، ثم خاطبه بعد الرسالة، فقال: ولا تخلق يدك، والله قد خلقـك خلقـاً سـوياً، فما أقبح هذا القول، وما أشنعه من قائلـه. وقـال الله عـز وجـل في قصة

موسى ﷺ وفرعون، وقول فرعون له: ﴿لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [سورة الشعراء: ٢٩] فزعم بشر أن فرعون قال لموسى وهو مبعوث إليه: لأخلقنك، فما أقبح هذا وأشنعه وأبين كسره؟! وقال الله عز وجل: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ [سورة النور: ٦٣] فزعم بشر يا أمير المؤمنين، أن الله (تبارك وتعالى) قال لخلقه: لا تخلقوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً، ما أقبح هذا وأدحضه! وقال الله عز وجل: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة القصص: ٧] فزعم بشر أن الله يأمرها بعد ولادتها وإرضاعها أن تلقيه في اليم، ويعدها أن يرده إليها ويخلقه، وهذا ما لا يعقله الناس، كيف يخلقه وهو مخلوق؟ وقال الله عز وجل: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [سورة القصص: ٥] وبشر يزعم أن معنى ﴿ونجعلهم﴾: ونخلقهم، وهم مخلوقون مستضعفون في الأرض، هذا ما لا يعقله العرب والعجم. وقال الله عز وجل: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ [سورة ص: ٢٦] وإنما خاطبه بالخلافة بعد أن خلقه، فزعم بشر أنه قال لداود: إنا خلقناك في الأرض، وهذا ما لو خوطب به داود قبل خلقه ما عقله. وقال الله عز وجل مخبراً عن دعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام حين قالا: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾[سورة البقرة: ١٢٨] فأخبر أنهما دعوا ربهما وهما مخلوقان، وزعم بشر

أنهما دعوا ربهما أن يخلقهما مسلمين. وقال الله عز وجل مخبراً عن دعاء إبراهيم عليه السلام وقوله: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ [سورة إبراهيم: ٣٥] وقد كانت مكة مخلوقة قبل آدم وقبل إبراهيم، فكيف يدعو إبراهيم بخلقها، هذا ما يعقله الناس. وقال الله عز وجل: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ [سورة المائدة: ١٠٣] فأخبر أنه ما جعل ذلك كذلك، وزعم بشر أن الله ما خلق البحيرة، ولا السائبة، ولا الوصيلة، ولا الحام، وإنما خلقها الكفار من دون الله. ومن قال هذا فقد كفر بالله (تعالى).

قال عبد العزيز: فأقبل علي المأمون، فقال: حسبك يا عبد العزيز، ثبتت حجتك في هذه المسألة كثباتها في المسألة الأولى، وانكسر قول بشر فيها، وبطلت دعواه، فارجع إلى بيان ما قد انتزعت به، واشرحه واذكر معانيه، وما أراد الله عز وجل به، وما هو من الجعل مخلوق، وما هو غير مخلوق، واذكر بيان الأعلام والشواهد على ما هو مخلوق، وما هو غير مخلوق، وما تتعامل به العرب في لغاتها، وما تفرق به بين الجعلين في كلامها ليسمع من في المجلس ذلك، ويقفوا على مذهب العرب في ذلك، ومعنى ما أراد الله عز وجل بقوله ذلك.

قال عبد العزيز: فقلت: يا أمير المؤمنين، إن "جعل" في كتاب الله يحتمل عند العرب معنيين: معنى "خلق"، ومعنى "صير"، ومعنى "صيَّر" غير "خلق". فلما كان "خلق" حرفاً محكماً لا يحتمل معنى غير الخلق، ولم يكن من صناعة العباد، لم يتعبد الله العباد به، فيقول لهم: اخلقوا أو لا

تخلقوا، إذ كان الخلق ليس من صناعة المخلوقين، وإنما كان من فعل الخالق. ولما كان جعل على معنى التصيير، لا على معنى الخلق، خاطب الله عز وجل به العباد بالأمر والنهي فقال: اجعلو أو لا تجعلوا. ولما كان "جعل" كلمة تحتمل معنيين معنى "خلق" ومعنى "صيَّر" غير "خلق"، لم يدع الله في ذلك اشتباهاً على خلقه، ولبساً على عباده، فيلحد الملحدون في ذلك، ويشبهون على خلقه كما فعل بشر وأصحابه حتى جعل عز وجل على كل كلمة علماً ودليلاً فرَّق به بين الجعل الذي يكون على معنى الخلق، والجعل الذي يكون على معنى التصيير؛ فأما الجعل الذي هو على معنى الخلق فإن الله جعله من القول المفصل، وأنزل القرآن له مفصلاً، وهو بيان لقوم يفقهون، والقول المفصل يستغني به السامع، إذا أُخبر به قبل أن توصل الكلمة بغيرها من الكلام، إذ كانت قائمة بذاتها دالة على معناها. فمن ذلك قول الله عز وجل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [سورة الأنعام: ١] فسواء عند العرب قال: وجعل أو قال: وخلق؛ لأنها قد علمت أنه قد أراد بهذا الجعل الخلق؛ ولأنه أنزله من القول المفصل. وقال: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ [سورة النحل: ٧٢] فعقلت العرب عنه أن معنى هذا: وخلق لكم إذ كان قولاً مفصلاً. وقال: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ [سورة النحل: ٧٨] فعقلت العرب عنه أنه عنى بهذا الجعل الخلق، إذ كان من القول المفصل. وسواء عندها قال خلق، أو جعل؛ لأنها قد علمت ما أراد وما عنى. ومثل هذا في القرآن كثير جداً

يا أمير المؤمنين، فهذا وما كان على مثاله، من القول المفصل الذي يستغني المخاطب به والسامع له بكل كلمة عما بعدها.

وأما جعل الذي هو بمعنى التصيير الذي هو غير الخلق فإن الله (تعالى) أنزله من القول الموصَّل الذي لا يدري المخاطَب به ما أراد المخاطِب،حتى يصل الكلمة بكلمة بعدها، فيعلم ما أراد بها، وإن تركها مفصلة، ولم يصلها بغيرها من الكلام لم يعقلها السامع لها، ولم يفهما ولم يقف على ما عني بها، حتى يصلها بغيرها؛ فمن ذلك قول الله عز وجل: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ﴾ [سورة ص: ٢٦] فلو قال: إنا جعلناك ولم يصلها بما بعدها، لم يعقل داود، ولا أحد ممن سمع هذا الخطاب ما أراد الله به، ولا ما عنى بقوله؛ لأنه خاطبه بهذا وهو مخلوق، فلما وصله بخليفة في الأرض، عقل داود، وكل من سمع هذا الخطاب ما أراد بقوله، وما عنى به. وكذلك حين قال عز وجل لأم موسى: ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة القصص: ٧] فلو لم يصل جاعلوه بالمرسلين لم تعقل أم موسى ما خاطبها به، ولا ما عنى بقوله، إذ كان خلْقُ موسى عليه السلام قد تقدم ردَّهُ إليها، فلما وصل الكلمة بالمرسلين عقلت أم موسى ما خاطبها به. وكذلك قول الله عز وجل: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ [سورة الأعراف: ١٤٣] وقد كان الجبل قبل أن يتجلى له مخلوقاً، فوصل جعله بدكاً، ولو لم يصله لم يعقل السامع له ما أراد الله عز وجل بقوله. وكذلك قوله: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾

[سورة البقرة: ١٢٨] وقد كانا قبل دعوتهما مخلوقين فوصل واجعلنا بمسلمين لك، ولو لم يصل الكلمة، فقال: ربنا واجعلنا، لم يعقل أحد ممن سمع ذلك ما أراد بدعوتهما، فلما وصلها بمسلمين علم كل من سمع ذلك ما أراد بدعوتهما. وكذلك قول إبراهيم: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ [سورة البقرة: ١٢٦] فوصله بآمنا، ولو لم يصله ما عقل أحد ممن سمع ذلك ما عنى بدعوته، إذ كان بلد مكة مخلوقاً قبل ذلك، فلما وصله بآمناً عقل السامع لذلك ما أراد إبراهيم بدعوته. ومثل هذا في القرآن كثير جداً يا أمير المؤمنين، والذي تعرفه العرب وتتعامل به في لغاتها وخطابها، ومعاني كلامها، ومخارج ألفاظها هو الذي جرت به سنة الله عز وجل في كتابه، إذ كان إنما أُنزل بلسانها، واكْتُتِب على بيانها، فخاطبهم عز وجل بما عقلوه، وعرفوه ولم ينكروه، ولم يكونوا يعرفون سواه، وهو القول الموصَّل والمفصَّل، فأرجع أنا وبشر يا أمير المؤمنين، فيما اختلفنا فيه من قول الله عز وجل: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [سورة الزخرف: ٣] إلى سنة الله في كتابه في الجعلين جميعاً، وإلى سنة العرب أيضا مما تعرفه وتتعامل به، فإن كان من القول الموصَّل فهو كما قلت أنا، إذ أن معنى جعله قرآناً عربياً صيَّره عربياً، أي أنزله بلغة العرب ولسانها، ولم يصيِّره أعجمياً فينزله بلغة العجم، وإن كان من القول المفصَّل فهو كما قال بشر، ولن يجد ذلك أبداً، وإنما دخل الجهل على بشر ومن قال بقوله يا أمير المؤمنين، لأنهم ليسوا من العرب، ولا علم لهم بلغة العرب، ومعاني كلامها، فأوَّلوا

القرآن على لغة العجم التي لا تفقه ما تقول، وإنما تتكلم بالشيء كما يجري على ألسنتها، فكل كلامهم ينقض بعضه بعضاً، لا يتنقدون ذلك من أنفسهم، ولا يتنقده عليهم غيرهم لكثرته.

قال عبد العزيز: وسمعت الأصمعي عبد الملك بن قريب، وقد سأله رجل، فقال له: أتدغم الفاء في الياء؟ فتبسم الأصمعي، وقبض على يدي، وكان لي صديقاً، فقال لي: أما تسمع؟! ثم أقبل على السائل وهو متعجب من مسألته فقال له: تدغم الفاء في الياء في لغة إخواننا بني ساسان يقولون: كيصبحت، فيدغمون الفاء في الياء، وأما العرب فلا تعرف هذا.

قال عبد العزيز: فاشتد تبسُّم المأمون من قول الأصمعي، ووضع يده على فيه، فقلت: وهذا الذي يأتينا به بشر يا أمير المؤمنين، من لغة أصحابنا بني ساسان. **فقال بشر**: يا أمير المؤمنين، يذمنا ويكفرنا، ويقول: إنا نحرف القرآن عن مواضعه، وهو قد وضع من قدر القرآن وشأنه، وسماه بأنقص الأسماء ووصفه بأخس الصفات وأقلها، ولقد خالف بقوله كتاب الله وحرَّفه عن مواضعه؛ لأن الله عز وجل سمَّاه كتاباً عربياً، وسماه كريماً، وأخبر عنه أنه تام كامل بقوله: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [سورة الأنعام: ٣٨] وسمَّاه عبد العزيز موصَّلاً، فخالف كتاب الله عز وجل وصفته وذم ما مدح الله؛ لأن الموصّل عند العرب والعجم وسائر الخلق دون التام الصحيح الكامل، إذ كان الموصّل عندهم جميعاً هو الملفّق،

الذي وُصِلَ بعضه ببعض، ولُفِّقَ بعضه إلى بعض، فإذا أراد الرجل من العرب وغيرهم أن يضع من قدر الشيء قال هو موصل وليس هو بصحيح، وقد سمى كتاب الله اسماً ناقصاً، وقال فيه إثماً وبهتاناً عظيماً، ولو قلت أنا هذا، أو ما هو دونه لخطب، وتكلم واستغاث بأمير المؤمنين، وأخرجنا من الإسلام، وهو يقول العظائم، ويحيل على العرب، وأمير المؤمنين، أطال الله بقاه، يحلم عنه بفضله، وهو يتقوى بحلمه علينا.

قال عبد العزيز: فقلت لبشر: وهذا أيضاً من جهلك بما في كتاب الله عز وجل تذمني، وتزعم أني سميت كتاب الله اسماً ناقصاً، وتغري بي أمير المؤمنين، وهو أعلم بما قلت وبما تكلمت مني ومنك، وما قلت إلا ما قال الله عز وجل، وما نسبت إلى كتابه إلا ما نسبه إليه، وارتضاه له، وهو عند العرب الفصحاء كلام جيد مرتضى، وأنت تزعم أن كلام الله الذي هو ذاته مخلوق، تشبهه بكلام المخلوقين من الشعر، وقول الزور وغيره، وتُنكر علي أني سميته بما سمَّاه الله (تعالى) به. فقال: وأين سمَّاه موصَّلاً، ومفصَّلاً؟ قلت: في كتابه من حيث لا تفهمه ولا تعلمه. قال: فهاته.

قال عبد العزيز: فقلت: قال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [سورة القصص: ٥١] فهذه تسمية الله لكلامه، ووصفه له بنص التنزيل بلا تأويل ولا تفسير، وهو الذي اختاره لنفسه ولكلامه، وارتضاه له، وقال: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ [سورة الرعد: ٢١] فامتدحهم بصلة

ما وصل، وأثنى عليهم في غير آية من كتابه، ووعدهم على ذلك أحسن عدة وهي الجنة، وقال عز وجل: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [سورة الرعد: ٢٢-٢٤] فهذه مِدْحةُ الله، وهذا ثناء الله، وهذا جزاء الله لمن وصل ما وصل الله. ولقد ذم الله (تعالى) الذين قطعوا ما أمر الله بصلته، وذمهم ولعنهم وجعلهم من الخاسرين، فقال عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [سورة الرعد: ٢٥] وقال عز وجل في موضع آخر: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [سورة البقرة: ٢٧] فهذا ذم الله لمن قطع ما أمر الله به أن يوصل، وهذا وعيده لهم بالنار.

ثم ذكر عز وجل ما في القرآن من المفصل فقال: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [سورة هود: ١] وقال عز وجل: ﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الأعراف: ٣٢] وقال: ﴿حم * تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة فصلت: ١-٣] وقال: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ [سورة الأنعام: ٩٨] فهذا قول الله وهذه أخبار الله، وهذه تسمية الله لكلامه، وهذه نسبته لقوله، وهذا اختياره لكتابه، وهذا ما ارتضاه ورضي به من قائله.

قال عبد العزيز: ثم أقبلت على المأمون، فقلت: يا أمير المؤمنين،يزعم بشر أني سميت كتاب الله اسماً ناقصاً، مذموماً، وأني ذهبت بقدره وسميته بما لم يُسمِّه به الله عز وجل، وأني أتيت بذلك إثماً عظيماً، يدعي عليَّ الدعاوى، وأنا حاضر معه، وإنما ينبغي به إذا تكلمت بشيء أن يطالبني بإقامة الحجة والدليل على كل لفظة ألفظ بها، فإن لم أفعل ذلك فليتكلم بما شاء، ولقد أكذبه الله (تعالى) في كتابه وذم قوله، وأبطله بما أنزل في كتابه من ذكر المفصَّل والموصَّل، وما قصد بشر يا أمير المؤمنين، بقوله هذا إلا أن يتنقص العرب كلها، ويذم كلامها ولغتها، وما تتعامل به في خطابها، إذ كانت تسمي كلام الله موصَّلاً ومفصَّلاً، وتسمِّي كلامها موصَّلاً ومفصَّلاً، وتختار هذه الأسماء لكلامها وترتضيها، وهي عندنا جميلة حسنة صحيحة المعنى، لا اختلاف بينهم في ذلك. **فقال بشر**: ما تعرف العرب من هذا شيئاً، وما أنت أعلم بلغة العرب مني، وكل شيء نسبته اليوم إلى العرب فهو مخالف لقولها ولغتها ومذهبها في كلامها.

قال عبد العزيز: فأقبلت على المأمون، فقلت: يا أمير المؤمنين، أطال بقاك، أنت بيت اللغة، وأعلم خلق الله بلغة العرب، وكلامها، وما تعرفه وتتعامل به في خطابها، وأنت الحاكم بيننا، فإن أكن قد تزيدت على العرب منذ اليوم في شيء حكيته عن العرب أو نسبته إليهم، أو عدلت عن سنتهم ومذهبهم في كلامهم وخطابهم، ومخارج ألفاظهم، فقد

استحققت العقوبة من جهتين: إحداهما: جرأتي على أمير المؤمنين، أطال الله بقاه، وقولي بين يديه، وحكايتي عن قومه ما يعلم خلافه، مع علمي أنه أعلم خلق الله بذلك . الأخرى: كذبي على سائر العرب، وادعائي الباطل عليهم، وأمير المؤمنين يشهد علي بكذبي وتزيدي وهو في حل وسعة من دمي، ومن كل ما يعاقبني به، إن كان قد وقف على ذلك مني، وإن يكن بشر يا أمير المؤمنين، قد تزيد في القول وادعى علي الباطل، كان أمير المؤمنين أعلى عيناً بالرد عليه، ومنعه من القول الزور والكذب.
فقال المأمون: ما قلت يا عبد العزيز، منذ اليوم إلا ما تقوله العرب، وما تعرفه وتتعامل به، وما خرجت عن مذهبها، ولو عدلت عن ذلك ما سوغت لك الكذب عليها.

قال عبد العزيز: فقلت: الله أكبر، الله أكبر، كذب بشر والله بشهادة أمير المؤمنين، أطال بقاه، عليه، أفلحت ورب الكعبة، أفلحت ورب الكعبة، وظهر أمر الله وهم كارهون. **فقال بشر:** أوَعلى الخلق أن يتعلموا لغات العرب كلها؟ ما تعبدنا الله بهذا. كل إنسان يقول بلغته وعلى قدر معرفته، وما كلف الله الخلق فوق طاقتهم، ولا طالب أولاد العجم بلغات العرب.

قال عبد العزيز: فقلت لبشر: وكلف الله الخلق أن يتكلموا بما لا يعلمون؟! حيث ادعيت العلم وتكلمت في القرآن، وتأولت كتاب الله على غير ما عناه الله، ودعوت الخلق إلى اتباعك، وكفرت من خالفك وأبحت دمه، والله قد نهى الخلق جميعاً، فلم يحاش منهم نبياً مرسلاً، ولا

صِدِّيقاً ولا عبداً مؤمناً أن يقولوا ما لا يعلمون. قال الله عز وجل لنبيه محمد ﷺ : ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [سورة الإسراء: ٣٦] وقال عز وجل لنوح الطَّيْلاَ: ﴿فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [سورة هود: ٤٦] فقال نوح معتذراً إلى ربه، معترفاً بخطيئته مستغفراً منها: ﴿رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [سورة هود: ٤٧] وقال: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [سورة آل عمران: ٧] فأخبر الله عز وجل أن من في قلبه زيغ يتبع ما تشابه منه ابتغاء الفتنة، وابتغاء تأويله، وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم، فذمهم بهذا الخبر وذم فعلهم وطريقهم الذي سلكوه.

فقال بشر : اخطب حتى تشبع من الكلام، ثم أخاطبك.

قال عبد العزيز: فقلت: يا أمير المؤمنين، أطال الله بقاك، إن بشراً قد تحير في ضلالته، وعَمِيَ عن رشده، وبانت فضيحة قوله ومذهبه، وانقطع، فما يأتي بحجة.

فقال بشر: ما انقطعت، ولا تحيرت، ولا بانت فضيحة مذهبي، وإني لعلى بينة من أمري، وما دعوت الناس، ولا أدعوهم إلا إلى سبيل الرشاد، ولا أنا ولا هم إلا على سداد، وكل من خالفني فكافر حلال الدم.

قال عبد العزيز: فقلت: يا أمير المؤمنين، ما كان بقي على بشر غير هذا. قد قال كما قال فرعون، ولجأ إلى طريق فرعون فاتبعها، وإلى سبيله فسلكها، فتبسم المأمون حتى وضع يده على فيه، ثم قال: كيف قلت يا عبد العزيز؟ فأعدت عليه القول، فازداد في تبسمه، ثم قال: كيف قال بشر ما قال فرعون، ولجأ إلى سبيله؟ فقلت: لما قرأت على بشر القرآن، وأوضحت له السبيل والبرهان، ودللته على طريق النجاة، ونطقت بالحق الذي أنطقني الله به قال بشر: إني لعلى بينة من أمري، وما دعوت الناس إلا إلى سبيل الرشاد وكذلك قال فرعون حين أنطق الله من وفقه لقول الحق فقال عز وجل: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ * يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا﴾ [سورة غافر: ٢٨-٢٩] فلما قال هذا المؤمن الحقَّ الذي أنطق الله به لسانه، وسدَّد به قوله، وسمعه فرعون وقومُه، قال فرعون لقومه: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [سورة غافر: ٢٩] وكذلك قال بشر يا أمير المؤمنين، حين سمعني أقول الحق الذي وفقني الله له، وأنطق به لساني، فقال: إني لعلى بينة من أمري، وما دعوت الناس إلا إلى سبيل الرشاد، فأجاب بمثل ما أجاب به فرعون عند سماع الحق، واتبع سبيله، وما عدل عنها؛ فبشر مرة يتبع سبيل الشيطان ويأمر بما أمر به الشيطان، وقد قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [سورة

النساء: ٧٦] ومرة يتبع سبيل اليهود في تحريف القرآن عن مواضعه. وقد قال الله عز وجل: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [سورة النساء: ٤٦] إلى قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ [سورة النساء: ٥٢] وقال: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾ [سورة البقرة: ٦١] ومثل هذا في القرآن كثير، ومرة يتبع سبيل الكفار في التسوية بين الله وخلقه في خلق الأشياء، ومرة يتبع عبدة الأصنام في الحيدة عن الجواب، وقد قال الله عز وجل: ﴿وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [سورة غافر: ٢٥] ومرة يتبع سبيل فرعون ويقول بمثل قوله، وقد قال الله عز وجل: ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ [سورة غافر: ٣٧] وقال عز وجل: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [سورة الإسراء: ٨١] وقال: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [سورة الأنبياء: ١٨].

فقال بشر: يا أمير المؤمنين، أطال الله بقاك، إنما يتكلم ويخطب لينسي خصمه حجته، ويشغله بغيرها، ولولا بسط أمير المؤمنين إياه، لم يقدر أن يدير لسانه في فمه، ولكانت الحجة ظاهرة عليه. ثم أقبل بشر علي، فقال: لو خطبت إلى غد ما تركت مطالبتك بما قلت، فدع عنك الهذيان، وأقبل علي.

فرجع بشر مرة أخرى إلى مسألة الموصَّل والمفصَّل، فاستأذن عبد العزيز المأمون أن يرد عليه، ويزيد الأمر وضوحاً وظهوراً بالأدلة والأمثلة، التي استحسنها المأمون، فقال له: أحسنت أحسنت، وقد أبلغت فلا تحتاج

إلى زيادة، ثم أقبل على بشر قال: يا بشر هل عندك شيء تسأل عبد العزيز عنه، أو تحتج عليه به، فقد ظهرت حجته عليك، وصح قوله عندنا. قال بشر: يا أمير المؤمنين، أطال الله بقاك، هذا يريد نص التنزيل بكل شيء يتكلم به، أو يلفظ به وليس كل ما يتكلم به الناس، ويحتجون به يجدونه بنص التنزيل، وإنما يجدونه بالتأويل وهذا لا يقبل التأويل، ويبطل التفسير، حتى كأنه كان مشاهداً للتنزيل، وهذا مما لا أسوغه أنا للمناظرين، ولا أطلقه للمتكلمين، إذ كان الناس لا يجدون علم كل ما يحتاجون إليه ويتنازعون فيه من أمر دينهم في كتاب ربهم بنص التنزيل، ولو كان هذا كما يقول عبد العزيز لبطل التفسير كله، وبقي الناس في حيرة من دينهم، والناس جميعاً يوافقوني على قولي، ويخالفون عبد العزيز.

قال عبد العزيز: فقلت: يا أمير المؤمنين، أطال الله بقاك، كل ما يتكلم به الناس مما يحتاجون إليه من علم أديانهم، وما يختلفون ويتنازعون فيه فهو موجود في القرآن، وفي غيره من الكتب، لقوله (تعالى): ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [سورة الأنعام: ٣٨] وقوله: ﴿يا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ * وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [سورة الأعراف: ١٤٤-١٤٥] فأخبر الله عز وجل أنه ما فرَّط في الكتاب من شيء، يعني القرآن[١] وأخبر أنه كتب في الألواح لموسى من كل شيء،

(١) اختلف أهل التفسير في المراد بالكتاب في هذه الآية على قولين: أحدهما: أنه اللوح المحفوظ وهو الذي يقتضيه السياق، والثاني: أنه القرآن. انظر: تفسير القرطبي ٤٢٠/٦، وتفسير ابن كثير ١٢٤/٢-١٢٥.

فليس من شيء يحتاج الناس إليـه، يـا أمـير المؤمنـين، إلا وهـو موجـود في القرآن، عقله من عقله، وجهله من جهله.

قال عبد العزيز: فجثا محمد بن الجهم على ركبتيـه، وقـال: يـا عبـد العزيـز، زعمـت أن كـل شـيء يتكلـم بـه النـاس، ويحتـاجون إلى معرفتـه موجود في كتاب الله بنص التـنزيل، لا بتـأويل ولا بتفسـير، فأوجدنـا أن هذا الحصير مخلوق أو غير مخلوق، من كتـاب الله بنـص التـنزيل، ووضـع يده على حصير مدني كان تحتنا مبسوطاً في الإيوان. فقلت: نعم علـي أن أوجدك ذلك.

قال عبد العزيز: ثم أقبلت عليه فقلت له: أخبرني عن هذا الحصـير، أليس هو من سعف النخل، وجلود الأنعام؟ قال: بلى، قلت له: فهـل فيـه شيء غير هذا؟ قال: لا. قلت: بل ها هنا شـيء بـه صـار حصـيراً نجلـس عليه، قال: فما هو؟ قلت: الإنسان الذي صنعه، وألفـه، وأحكمـه، قـال: نعم.

قـال عبـد العزيـز: فقلـت: قـال الله عـز وجـل وقـد ذكـر الأنعـام: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ﴾[سورة النحل: ٥] وأما السعف فإن الله ذكره، فقال: ﴿أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾ [سورة الواقعة: ٧٢] وقال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ [سورة المؤمنون: ١٢] فقـد كمـل خلـق الحصير بنـص التنزيل بلا تأويل ولا تفسير، فهل عندك مثل هذا في خلق القـرآن تذكره أو تحتج به، وإلا فقد بطل ما تدعيه من خلقه، وصح ولم يزل صحيحاً أن

القرآن كلام الله غير مخلوق من كل جهة، فصاح المأمون بمحمد بن الجهم: مالك والكلام، خل بين الرجل وصاحبه حتى يكلمه، ثم أقبل على بشر: فقال: يا بشر، هل عندك شيء تناظر فيه عبد العزيز قبل أن نصرفه ونقوم، فقد طال المجلس وما صُلِّيت الظهر.

فقال بشر: يا أمير المؤمنين، عندي أشياء كثيرة، إلا أنه يقول بنص التنزيل، وأنا أقول بالنظر والقياس، فليدع مطالبتي بنص التنزيل، وليناظرني بغيره، فإن ناظرني بالنظر والقياس، و لم يدع قوله ويرجع عنه، ويقول بقولي ويقر بخلق القرآن الساعة فدمي حلال. فقال المأمون هذا مجلس غير هذا تتناظرون فيه.

قال عبد العزيز: فقلت: يا أمير المؤمنين، أطال الله بقاك، إن رأيت أن تأذن لي فأناظره كما سأل على جهة النظر والقياس وأدع مطالبته بالقرآن وبنص التنزيل ويكون أمير المؤمنين، أطال الله بقاه، الشاهد علينا والمتحفظ لكلامنا، فإن أقام بشر علي الحجة كما زعم، وأقررت بشيء مما قال، أو رجعت عن شيء مما قلت فدمي حلال كما قال بشر، وإن ثبتت الحجة عليه من جهة القياس والنظر، كما ثبتت عليه من القرآن والسنة، وشهد عليه أمير المؤمنين بذلك، فقد حلَّ دمُهُ كما شرط على نفسه.

قال عبد العزيز: فقال لي المأمون: أنا الشاهد عليكما والحاكم بينكما، فأوجزا واقتصرا، ولا تطيلا فيخرج وقت الصلاة.

قال عبد العزيز: فقلت لبشر: تسألني أو أسألك؟ فقال: سل أنت، وطمع في هو وأصحابه، وتوهموا أني إذا خرجت عن التنزيل لم أحسن أن أتكلم بشيء غيره.

قال عبد العزيز: فقلت له: يا بشر، تقول إن كلام الله مخلوق؟ فقال: أنا أقول إن القرآن مخلوق. فقلت له: يلزمك واحدة من ثلاث لا بد منها: أن تقول: إن الله عز وجل خلق القرآن في نفسه، أو خلقه في غيره، أو خلقه قائماً بذاته ونفسه، فقل ما عندك. قال بشر: إنه مخلوق، وإنه خلقه كما خلق الأشياء كلها.

قال عبد العزيز: فقلت: يا أمير المؤمنين، تركنا القرآن والسنة والأخبار عند هربه منها، وناظرناه بالقياس والكلام لمَّا ادعى وذكر أنه يقيم به الحجة علي، وأني أقر معه بخلق القرآن، فقد رجع بشر إلى الحيدة عن الجواب، وانقطع الكلام، فإن كان بشر يريد أن يناظرني فليجبني عما أسأله عنه، وإلا فأمير المؤمنين أعلى عيناً فيما يراه من صرفي وقطع المجلس، وإنما يريد بشر أن يقع معه من لا يفهم فيحيد عن دينه، ويحتج عليه بما لا يعقله، فتظهر حجته عليه، فيبيح بذلك دمه، قال: فأقبل عليه المأمون وقال له: أجب عبد العزيز عمَّا سألك، فقد ترك قوله ومذهبه وناظرك على قولك ومذهبك، وما ادعيت أنك تحسنه وتقيم الحجة به عليه. فقال بشر: قد أجبته، ولكنه يتعنت. فقال المأمون: يأبى عليك عبد العزيز إلا أن تقول واحدة من ثلاث، فقال: هذا أشد من مطالبته في المسألة بنص التنزيل، ما عندي غير ما أجبته به.

قال عبد العزيز: فأقبل علي المأمون، فقال: يا عبد العزيز، تكلم أنت في شرح هذه المسألة وبيانها، ودع بشراً فقد انقطع عن الجواب من كل جهة.

فقلت: نعم يا أمير المؤمنين، سألته عن كلام الله: أمخلوق هو؟ فقال: نعم. فقلت له يا أمير المؤمنين، ما يلزمه في هذا القول، وهو واحدة من ثلاث لا بد منها: أن يقول إن الله خلق كلامه في نفسه، أو خلقه في غيره، أو خلقه قائماً بذاته؛ فإن قال: إن الله خلق كلامه في نفسه، فهذا محال لا يجد السبيل إلى القول به من قياس ولا نظر ولا معقول؛ لأن الله (تبارك وتعالى) لا يكون مكاناً للحوادث، ولا يكون فيه شيء مخلوق، ولا يكون ناقصاً فيزيد فيه شيء إذا خلقه (تعالى الله عن ذلك وجلَّ وتعاظم). وإن قال: خلقه في غيره، يلزمه في النظر والقياس أن كل كلام خلقه الله في غيره فهو كلام الله، لا يَقْدِر أن يفرق بينهما، فيجعل الشعر كلام الله، ويجعل قول الزور كلاماً لله، ويجعل قول الكفر والفحش، وكل قول ذمه الله وذم قائله كلاماً لله عز وجل، وهذا محال، لا يجد السبيل إليه، ولا إلى القول به، لظهور الشناعة والفضيحة والكفر على قائله، تعالى الله عن ذلك، وإن قال: خلقه قائماً بنفسه وذاته، فهذا هو المحال الباطل الذي لا يجد إلى القول به سبيلاً في قياس ولا نظر ولا معقول؛ لأنه لا يكون الكلام إلا من متكلم، كما لا تكون الإرادة إلا من مريد، ولا العلم إلا من عالم، ولا القدرة إلا من قادر، ولارُئي ولا يُرى

كلام قط قائم بنفسه، متكلم بذاته، وهذا ما لا يعقل، ولا يعرف ولا يثبت في نظر، ولا قياس ولا غير ذلك. فلما استحال من هذه الجهات أن يكون مخلوقاً، ثبت أنه صفة لله، وصفات الله عز وجل كلها غير مخلوقة، فبطل قول بشر يا أمير المؤمنين من جهة النظر والقياس، كما بطل من جهة القرآن والتنزيل. **فقال المأمون:** أحسنت يا عبد العزيز.

فقال بشر: سل عن غير هذه المسألة، فلعله أن يخرج بيننا شيء. فقلت: نعم، أنا أدع هذه المسألة وأسأل عن غيرها. فقال: سل. **قال عبد العزيز:** فقلت: يا بشر، أتقول: إن الله كان ولا شيء معه، وكان ولـمَّا يفعل شيئاً، ولـمَّا يخلق شيئاً؟ قال: نعم. فقلت له: بأي شيء حدثت الأشياء، بعد أن لم تكن؟ أهي أحدثت أنفسها، أم الله (تعالى) أحدثها؟ فقال: بل الله أحدثها. فقلت له: فبأي شيء أحدثها. قال: أحدثها بقدرته التي لم تزل. فقلت له: صدقت أنه أحدثها بقدرته التي لم تزل. أفلست تقول: إنه لم يزل قادراً؟ قال: بلى. قلت له: أفتقول: إنه لم يزل يفعل؟ قال: لا أقول هذا، قلت: فلا بد من أن يلزمك القول إنه خلق بالفعل الذي كان عن القدرة وليس الفعل هو القدرة؛ لأن القدرة صفة لله (تعالى) ولا يقال: الصفة هي الله، ولا هي غير الله. **فقال بشر:** ويلزمك أنت أيضاً أن تقول: إن الله لم يزل يفعل ويخلق، فإذا قلت ذلك فقد ثبت أن المخلوق لم يزل مع الله عز وجل.

قال عبد العزيز: فقلت لبشر: ليس لك أن تحكم علي، وتلزمني بما لا يلزمني، وتحكي عني ما لم أقل. فأنا لم أقل: إنه لم يزل الخالق يخلق،

والفاعل يفعل، فيلزمني ما قلت، وإنما قلت: لم يزل الفاعل سيفعل، ولم يزل الخالق سيخلق؛ لأن الفعل صفة الله (تعالى) يقدر عليه ولا يمنعه منه مانع. قال بشر: أنا أقول: إنه أحدث الأشياء بقدرته، فقل أنت ما شئت.

قال عبد العزيز: فقلت: يا أمير المؤمنين، قد أقر بشر أن الله كان ولا شيء معه، وأنه أحدث الأشياء بعد أن لم تكن شيئاً بقدرته، وقلت أنا: إنه أحدثها بأمره، وقوله، عن قدرته، فلن يخلو يا أمير المؤمنين، أن يكون أول خلق خلقه الله بقول قاله، أو بإرادة أرادها، أو بقدرة قدرها فأي ذلك كان فقد ثبت أن هاهنا إرادة، ومريداً، ومراداً، وقولاً، وقائلاً، ومقولاً له، وقدرة، وقادراً، ومقدوراً عليه، وذلك كله متقدم قبل الخلق، وما كان قبل الخلق متقدماً، فليس هو من الخلق في شيء، كسرتُ والله يا أمير المؤمنين، قول بشر، ودحضتُ حجته بإقراره بلسانه، كسرتُ قوله بالقرآن والسنة واللغة العربية والنظر والمعقول، ولم يبق إلا القياس وأنا أكسره بالقياس، إن شاء الله (تعالى).

قال عبد العزيز: وكان المأمون قد جلس منا مجلس الحاكم من الخصمين، فقال: هاته ياعبد العزيز، وأوجز. فقلت: يا أمير المؤمنين، لو كان لبشر غلامان وأنا لا أجد علمها من أحد من الناس، إلا من بشر، يقال لأحدهما: خالد، وللآخر: يزيد. وكان بشر غائباً عني فكتب إلي ثمانية عشر كتاباً يقول في كل كتاب منها: ادفع إلى خالد غلامي هذا الكتاب، وكتب إلي أربعة وخمسين كتاباً يقول في كل كتاب منها ادفع إلى يزيد ولا يقول: غلامي هذا الكتاب، ثم كتب إلي كتاباً جمعهما فيه،

فقال: ادفع إلى خالد غلامي وإلى يزيد هذا الكتاب، ولم يقل يزيد غلامي، ثم قدم بشر من سفره فقال لي: ألست تعلم أن يزيد هذا غلامي؟ فقلت له: قد كتبت إلي أربعة وخمسين كتاباً تقول في كل كتاب منها: ادفع هذا الكتاب إلى يزيد ولم تقل غلامي، ولم أسمعك تقول: إنه أحد غلاميك، وأنا لا أجد علمه عند أحد غيرك، وكتبت إلي ثمانية عشر كتاباً تقول في كل واحد منها: ادفع إلى خالد غلامي هذا الكتاب، فعلمت أنه غلامك، ثم كتبت إلي كتاباً جمعتهما فيه فقلت: ادفع إلى خالد غلامي هذا الكتاب، وإلى يزيد ولم تقل: غلامي، فمن أين أعلم أن يزيد غلامك؟ وأنت لم تقل لي قبل هذا الوقت إنه غلامك، ولستُ أعلم خبرهما من غيرك. فقال بشر: فرطت فحلفت أنا أن بشراً فرط، وحلف بشر أني فرطت، حيث لم أعلم أن يزيد غلامه من كتبه، فأينا المفرط يا أمير المؤمنين؟ فقال المأمون: بشر المفرط. فقال بشر: وأي شيء هذا مما نحن فيه؟!

قال عبدالعزيز: فقلت: إن الله عز وجل أخبر في كتابه عن خلق الإنسان في ثمانية عشر موضعاً، ما ذكره في موضع منها إلا أخبر عن خلقه، وذكر القرآن في أربعة وخمسين موضعاً من كتابه فلم يخبر عن خلقه في موضع منها، ولا أشار إليه بشيء من صفات الخلق، ثم جمع بين القرآن، والإنسان في موضع واحد، فأخبر عن خلق الإنسان ونفي الخلق عن القرآن فقال عز وجل: ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ﴾[سورة الرحمن: ١-٣] ففرق بين القرآن والإنسان، فزعم بشر يا أمير المؤمنين، أن الله فرط في الكتاب، وكان يجب عليه أن يخبر عن خلق القرآن وقد قال (تعالى):

﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [سورة الأنعام: ٣٨] فهذا كسر قول بشر بالقياس، والحمد لله رب العالمين.

فقال المأمون: أحسنت يا عبد العزيز، ثم أمر لي بعشرة آلاف درهم، فحملت بين يدي، وانصرفت من مجلسه على أجمل حال وأحسنها، قد أعز الله دين الإسلام وأعز أهله، وأذل الكفر وأهله، فلله الحمد والشكر على نعمه كلها، وعلى مننه، وتوفيقه، وتسديده.

مناظرة أخرى للمعتزلة في خلق القرآن:

كتب بشر المريسي إلى منصور بن عمار[(١)]: أخبرني، القرآن خالق أم مخلوق؟ قال : فكتب إليه: عافانا الله وإياك من كل فتنة، وجعلنا وإياك من أهل السنة والجماعة، فإنه إن يفعل فأعظم بها من نعمة، وإلا فهي الهلكة، وليست لأحد على الله بعد المرسلين حجة، نحن نرى أن الكلام في القرآن بدعة، تَشَارك فيها السائل والمجيب، وتعاطى السائل ما ليس له، وتكلف المجيب ما ليس عليه، وما أعرف خالقاً إلا الله، وما دون الله مخلوق، والقرآن كلام الله، فانته بنفسك والمختلفين معك إلى أسمائه التي سماه الله بها تكن من المهتدين، ولا تُسمِّ القرآن باسم من عندك فتكون من الضالين، جعلنا الله وإياك من الذين يخشونه بالغيب وهم من الساعة مشفقون[(٢)].

---

(١) هو : أبو السري، السلمي، الخراساني، كان عديم النظير في الموعظة والتذكير، وفاته في حدود المائتين. انظر : التاريخ الكبير للبخاري ٣٥٠/٧ تر : ١٥٠٩ ، والسير ٩٣/٩ ترجمة: ٣١ .

(٢) انظر : تاريخ بغداد ٦٢/٧ ، وسير أعلام النبلاء ٩٧/٩ . ولعلَّ هذا الكلام كان قبل أن يتوغل بشر في هذه البدعة، وإلا فرجوعه كان ميئوساً منه، لا سيما بعد أن أسنده السلطان.

وقال أبو يوسف لبشر: يا بشر، بلغني أنك تتكلم في القرآن، إن أقررت لله علماً خصمت، وإن جحدت العلم كفرت[١].

وذكر اللالكائي في شرح السنة[٢] أن رجلاً سأل أبا الهذيل العلاف المعتزلي البصري عن القرآن، فقال: مخلوق. فقال له: مخلوق يموت أو يخلد؟ قال: لا، بل يموت. قال: فمتى يموت القرآن؟ قال: إذا مات من يتلوه فهو موته. قال: فقد مات من يتلوه، وقد ذهبت الدنيا، وتصرمت، وقال الله عز وجل: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ [سورة غافر: ١٦] فهذا القرآن وقد مات الناس؟! فقال: ما أدري، وبُهت.

وقال أحمد بن الحسن الترمذي (٢٤٠هـ تقريباً): قلت لأحمد بن حنبل: إن الناس قد وقعوا في أمر القرآن فكيف أقول؟ قال: أليس أنت مخلوق؟ قلت: نعم. قال: فكلامك منك مخلوق. قلت: نعم. قال: أوليس القرآن من كلام الله؟ قلت: نعم. قال: وكلام الله؟ قلت نعم. قال: فيكون من الله شيء مخلوق؟![٣].

مناظرة الأشعرية في كلام الله (تعالى):

قال أبو نصر السجزي (٤٤٤هـ) في كتابه الإبانة في الرد على الزائغين في مسألة القرآن[٤]: «خاطبني بعض الأشعرية يوماً في هذا الفصل

---

(١) انظر : تاريخ بغداد ٦١/٧-٦٢

(٢) ٢٢١/٢ برقم : ٣٦٣.

(٣) شرح السنة ٢٦٣/٢-٢٦٤ برقم : ٤٥١.

(٤) انظر : درء تعارض العقل والنقل ٩٠/٢-٩٢. نقله من كتاب الإبانة للسجزي.

- يعني كلام الله - وقال: التجزؤ على القديم غير جائز. فقلت له: أتقر بأن الله أسمع موسى كلامه على الحقيقة بلا ترجمان؟ فقال: نعم. وهم يطلقون ذلك ويُموهون على من لم يَخْبر مذهبهم...

قال: فقلت لمخاطبي الأشعري: قد علمنا جميعاً أن حقيقة السماع لكلام الله منه على أصلكم محال[1] وليس هاهنا من تتقيه وتخشى تشنيعه، وإنما مذهبك أن الله يُفهم من شاء كلامه بلطيفة منه، حتى يصير عالماً متيقناً بأن الذي فهمه كلام الله، والذي أُريد أن أُلزمك وارد على الفهم وروده على السماع، فدع التموية، ودع المصانعة، ما تقول في موسى عليه السلام حيث كلمه الله؟ أفهم كلام الله مطلقاً أم مقيداً؟ فتلكأ قليلاً، ثم قال: ما تريد بهذا؟ فقلت: دع إرادتي وأجب بما عندك، فأبى، وقال: ما تريد بهذا؟ فقلت: أريد أنك إن قلت: إنه عليه السلام فهم كلام الله مطلقاً اقتضى أن لا يكون لله كلام من الأزل إلى الأبد إلا وقد فهمه موسى، وهذا يؤول إلى الكفر، فإن الله (تعالى) يقول: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٥] ولو جاز ذلك لصار من فهم كلام الله عالماً

(١) لأن سماع الخلق - على ما جبلوا عليه من البنية وأجروا عليه من العادة - لا يكون البتة إلا لما هو صوت، أو في معنى الصوت، وإذا لم يكن كذلك كان الواصل إلى معرفته بضرب من العلم والفهم وهما يقومان في وقت مقام السماع، لحصول العلم بهما كما يحصل بالسماع، وربما سمي ذلك سماعاً على التجوز لقربه من معناه، فأما حقيقة السماع لما يخالف الصوت فلا يتأتى للخلق في العرف الجاري. من كلام السجزي انظر: درء تعارض العقل والنقل ٢/٩٠.

بالغيب، وبما في نفس الله (تعالى)، وقد نفى الله (تعالى) ذلك بما أخبر به عن عيسى عليه السلام أنه يقول: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [سورة المائدة: ١١٦] وإذا لم يجز إطلاقه وأُلجئتَ إلى أن تقول: أَفْهَمَه الله ما شاء من كلامه، ودخلت في التبعيض الذي هربت منه، وكفّرت من قال به، ويكون مخالفك أسعد منك؛ لأنه قال بما اقتضاه النص الوارد من قبل الله عز وجل، ومن قبل رسول الله ﷺ وأنت أبيت أن تقبل ذلك، وادعيت أن الواجب المصير إلى حكم العقل في هذا الباب، وقد ردك العقل إلى موافقة النص خاسئاً. فقال: هذا يحتاج إلى تأمل، وقَطَعَ الكلام .

مناظرة أخرى في كلام الله (تعالى):

وروى الذهبي[1] بسنده إلى أبي المعالي أسعد بن المنجا (٦٠٦هـ) قال: كنت يوماً عند الشيخ أبي البيان (٥٥١هـ) رحمه الله (تعالى)، فجاءه ابن تميم الذي يدعى الشيخ الأمين، فقال له الشيخ بعد كلام جرى بينهما: ويحك! الحنابلة إذا قيل لهم: ما الدليل على أن القرآن بحرف وصوت؟ قالوا: قال الله كذا، وقال رسوله كذا، وسرد الشيخ الآيات والأخبار، وأنتم إذا قيل لكم: ما الدليل على أن القرآن معنى قائم في النفس؟ قلتم: قال الأخطل (١١٠هـ):

---

(١) مختصر العلو ص : ٢٨٤-٢٨٥ برقم : ٣٤٩ وجوّد إسناده الألباني ص : ٢٨٥

إن الكلام لفي الفؤاد ....[(١)]

إيش هذا الأخطل؟! نصراني خبيث، بنيتم مذهبكم على بيت شعر من قوله وتركتم الكتاب والسنة.

قال الذهبي: قال أبو محمد الخشَّاب (٥٦٧هـ) نحوي العراق: فتشتُ شعر الأخطل المدون كثيراً فما وجدتُ هذا البيت[(٢)].

مناظرة أبي محمد المقدسي للأشعرية:

هذه المناظرة وقعت للمقدسي (٦٢٠هـ) مع بعض الأشعرية، وقد أودعها رسالة لطيفة بعنوان: **حكاية المناظرة في القرآن مع بعض أهل البدعة**[(٣)] وقد ذكرها على سبيل الحكاية خوفاً ـ كما قال ـ من التزيد عليهم، وأنا أذكرها هنا مع شيء من الاختصار، وبعض التصرف.

ذكر المقدسي أن هذه السور والآيات ـ عند الأشعرية ـ ليست

---

(١) تمام البيت : .... وإنما جعل اللسان على الكلام دليلا

وذكر السجزي أن البيت هكذا:

إن البيان من الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

لكنهم غيروه إلى ما ذُكر آنفا.

ويُروى:

إن البيان لفي الفؤاد ...

وعلى كل حال فالبيت لا يوجد في ديوان الأخطل، وفي ثبوت نسبته إليه نظر.

وانظر ما ذكره محقق رسالة السجزي إلى أهل زبيد، هامش ص : ٨٣ .

(٢) مختصر العلو ص : ٢٨٥.

(٣) مطبوعة بتحقيق عبد الله بن يوسف الجديع.

بقرآن، وإنما هي عبارة عنه وحكاية، وأنها مخلوفة، وأن القرآن معنى قائم بنفس البارئ، وهو شيء واحد، لا يتجزأ ولا يتبعض، ولا يتعدد، ولا هو شيء ينزل ولا يتلى، ولا يسمع ولا يكتب، وأنه ليس في المصاحف إلا الورق والمداد.

واختلفوا في هذه السور التي هي القرآن: فقال بعضهم: إنها عبارة جبريل عليه السلام هو الذي ألَّفها بإلهام الله (تعالى) له ذلك. وزعم آخرون منهم أن الله (تعالى) خلقها في اللوح المحفوظ، فأخذها جبريل منه.

واحتجوا على كون هذه السور مخلوقة أنها تتعدد، ولا يتعدد إلا المخلوق، لكن هذا الكلام يبطل صفات الله (تعالى) حتى السبعة التي عندهم وهي: السمع والبصر والعلم والإرادة والقدرة والحياة والكلام، ولا خلاف في أنها قديمة. وكذلك أسماء الله (تعالى) فإنها متعددة وهم يثبتونها. وقد قال الله (تعالى): ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾[سورة الأعراف: ١٨٠].

وكذلك كلمات الله متعددة قال (تعالى): ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [سورة الكهف: ١٠٩].

وكذلك كتب الله: التوراة والإنجيل والزبور والقرآن متعددة، وهي غير مخلوقة، فإن قالوا: هي مخلوقة، فهو قول المعتزلة الذين اتفقنا هم ونحن على ضلالهم، وأن قولهم كفر.

فمتى قالوا بخلق القرآن وغيره من كتب ا لله (تعالى) فقد قالوا بقول أقروا بكفر صاحبه، وإن قالوا: إنها غير مخلوقة، وهي متعددة، فقد بطل قولهم. وإن قالوا: هي شيء واحد غير متعددة فهذه هي المكابرة، ويجب على هذا أن تكون التوراة هي القرآن والإنجيل والزبور. ويجب عليه ـ أيضاً ـ أن يكون من حفظ آية من القرآن أو من غيره فقد حفظ كل كتب ا لله (تعالى). وأن النبي ﷺ لما أنزل عليه آية من القرآن فقد أنزل عليه جميعه وجميع التوراة والإنجيل والزبور. وهذا خزي على قائله ومكابرة لنفسه.

ويجب عليه ـ أيضاً ـ أن يكون الأمر هو النهي، والإثبات هو النفي، وقصة نوح هي قصة هود ولوط، وأحد الضدين هو الآخر. وهذا قول من لا يستحيي، ويشبه قول السوفسطائية.

وإن قالوا: إن كلام ا لله عز وجل هو هذه الكتب، وإن التوراة والإنجيل والزبور والقرآن كلام ا لله (تعالى) القديم، لكن لم ينزل منه شيء على الأنبياء، ولاهو شيء يحفظ، ولا يتلى، ولا يسمع، وإنما أُنزل عبارته كذبهم القرآن والسنة وإجماع الأمة، فإنه لا خلاف بين المسلمين كلهم أن القرآن أنزل على محمد ﷺ وأن التوراة أنزلت على موسى والإنجيل على عيسى، والزبور على داود.

فإن قالوا: فكتاب ا لله غير القرآن، قلنا: خالفتم رب العالمين، وخرقتم إجماع المسلمين، وجئتم بما لم يأت به أحد من الملحدين، فإنه لا

خلاف بين المسلمين أن كتاب الله هو القرآن العظيم، المنزل على سيد المرسلين، بلسان عربي مبين.

فإن قالوا: إن هذه الحروف لا تخرج إلا من مخارج وأدوات، فلا يجوز إضافة ذلك إلى الله سبحانه.

فالجواب من عدة وجوه:

أحدها: ما الدليل على أن الحروف لا تكون إلا من مخارج وأدوات؟ فإن قالوا: لأننا لا نقدر على النطق بها إلا من مخارج وأدوات، فكذلك الله رب العالمين. قلنا: هذا قياس لله (تعالى) على خلقه، وتشبيه له بعباده، وإلحاق لصفاتهم بصفاته، وهذا من أقبح الكفر. وقد اتفقنا على أن الله (تعالى) لا يُشَبَّه بخلقه، وأنه: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى: ١١].

الثاني: أن هذا باطل بسائر صفات الله (تعالى)؛ فإن العلم لا يكون في حقنا إلا بقلب، والسمع لا يكون إلا من الخراق، والبصر لا يكون إلا من حدقة، والله (تعالى) عالم، سميع بصير، ولا يوصف بذلك.

فإن نفيتم الكلام لافتقاره في زعمكم إلى المخارج والأدوات فيلزمكم نفي سائر الصفات، وإن أثبتم له الصفات ونفيتم عنه الأدوات لزمكم مثل ذلك في الكلام، وإلا فما الفرق بينهما؟!.

الثالث: أن الله (تعالى) أنطق بعض مخلوقاته بغير مخارج، فإنه (تعالى) قال: ﴿وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم﴾ [سورة يس: ٦٥]، وقال (تعالى): ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا

مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [سورة فصلت: ٢٠-٢١]. وأخبر عن السماء والأرض: ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [سورة فصلت: ١١]. وأخبر النبي ﷺ أن حجراً كان يسلم عليه[(١)]. وسبّح الحصى في يديه[(٢)]. فإذا كان قادراً على إنطاق الحجر ونحوه من غير مخارج، فلم لا يكون قادراً على التكلم إلا من المخارج؟!

فإن احتجوا بأن الحروف يدخلها التعاقب، فيسبق بعضها بعضاً، قيل لهم: إن هذا إنما يلزم في حق من يتكلم بالمخارج والأدوات، والله سبحانه لا يوصف بذلك، وعلى أن هذا يعود إلى تشبيه الله (تعالى) بعباده، فإنه لا يتصور في حقه إلا ما يتصور منهم، وهو باطل في نفسه[(٣)].

---

(١) انظر: صحيح مسلم ١٧٨٢/٤ كتاب الفضائل - باب فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه... ح: ٢٢٧٧، ومسند الإمام أحمد ٨٩/٥ .

(٢) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة ٥٥/٢ ح: ٣٣٨،٣٣٩، وانظر: كشف الأستار عن زوائد البزار ١٣٥/٣-١٣٦ -باب تسبيح الحصى ح: ٢٤١٣ قال البزار : لا نعلمه يروى إلا عن سويد، عن أبي ذر وجبير بن نفير وزاد فيه كلاماً، ولا رواه عن سويد إلا الزهري، ولا عنه إلا صالح، وصالح لين الحديث، وقد حدَّث عنه جماعة من أهل العلم . وانظر : مجمع الزوائد ١٧٩/٥ وقال: إسناده صحيح، وانظر : أيضاً ٢٩٩/٨ من مجمع الزوائد، وقال رواه البزار بإسنادين ورجال أحدهما ثقات، وفي بعضهم ضعف، وانظر دلائل النبوة للبيهقي ٦٤/٦-٦٥. وانظر فتح الباري ٥٩٢/٦ في جملة الأحاديث التي فيها تسبيح الحصى.

(٣) لفظ التعاقب مجمل في اعتراضات أهل البدع، وهو وارد على معنيين: أحدهما حق، والثاني باطل، أما الحق: فمعناه أن الحروف يسبق بعضها بعضا في نظم الكلام، فالسين عقب الباء، والميم عقب السين في كلمة (بسم) مثلاً، وهذا التعاقب وارد في كلام الله (تعالى) ، وهو ظاهر في القرآن، وليس فيه دليل على خلق الحروف في كلام الله؛ لأنه (تعالى) يتكلم بمشيئته، فهو يتكلم كلاماً بعد كلام. والثاني: أنه (تعالى) يتكلم على صفة تلكم المخلوق فيدخل في كلامه السكوت لانقطاع النفس وغير ذلك مما هو في صفة تلكم المخلوق، وهذا باطل لم يقل به أحد من أهل السنة. انظر : حاشية رسالة المقدسي(حكاية المناظرة في القرآن) ص : ٢٥ من كلام المحقق.

فإن قالوا: فما دليلكم على أن هذه السور المشتملة على الحروف قرآن؟ قلنا: كتاب الله (تعالى) وسنة نبيه ﷺ، وإجماع الأمة؛ أما الكتاب فنصوصه كثيرة، منها قوله (تعالى): ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [سورة الإسراء: ٨٨] فأشار إلى حاضر، وتحداهم بالإتيان بمثله، ولا يجوز التحدي بما لا يُعلم ولا يُدرى ما هو.

وقال (تعالى): ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ [سورة يونس: ١٥] وقال: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ [سورة الأنفال: ٣١] وقال: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [سورة الزخرف: ٣١] فأخبر (تعالى) أنهم طلبوا منه الإتيان بغيره، أو تبديله، ومرة أنهم ادعوا القدرة على أن يقولوا مثله، ومرة قالوا: لولا أنزل على غيره، فُعلم يقيناً أنه هذا الموجود عندنا الذي هو سور وآيات، وحروف وكلمات.

وقال (تعالى): ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [سورة الإسراء:٨٩]. وقال: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا﴾ [سورة الإسراء:٤١] وقال: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [سورة الزمر: ٢٧-٢٨] وهذه إشارة إلى حاضر،

والذي صرفت فيه الأمثال إنما هو هذا القرآن العربي الذي يعرفه الناس قرآناً، وسمَّاه الله (تعالى) عربياً، وهذا إنما يوصف به النظم الذي هو حروف، دون ما لا يعرف ولا يدرى ما هو.

وقال النبي ﷺ: «إن هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا من مأدبته ما استطعتم، إن هذا القرآن هو حبل الله (تعالى) هو النور المبين، والشفاء الناقع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن تبعه، لا يعوج فيقوم، لا يزيغ فيستعتب، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق عن كثرة الرد، فاتلوه، فإن الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات، أما أني لا أقول: " الم " حرف، ولكن في الألف عشر، وفي اللام عشر، وفي الميم عشر»(١).

والأمة مجمعة على أن هذا هو القرآن الذي لا تصح الصلاة إلا به.

ولما اختلف أهل الحق والمعتزلة، فقال أهل الحق: القرآن كلام الله غير مخلوق، وقالت المعتزلة: هو مخلوق، لم يكن اختلافهم في هذا الموجود دون ما في نفس البارئ مما لا يُدرى ماهو ولا نعرفه.

ولما أمر الله بترتيل القرآن بقوله سبحانه: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾[سورة المزمل: ٤] لم يفهم المسلمون إلا هذا الموجود.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ١٠/٤٨٢-٤٨٣ كتاب فضائل القرآن ح : ١٠٠٥٦ من حديث علي رضي الله عنه، وعبد الرزاق في المصنف ٣/٣٧٥-٣٧٦ ح : ٦٠١٧ من حديث ابن مسعود ، والحاكم في المستدرك ١/٥٥٥ كتاب فضائل القرآن وقال : حديث صحيح الإسناد، وتعقبه الذهبي بقوله : إبراهيم بن مسلم ضعيف، والدارمي في سننه ٢/٤٣١ كتاب فضائل القرآن ـ باب فضل من قرأ القرآن .

ولما قال الوليد بن المغيرة: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [سورة المدثر: ٢٥] إنما أشار إلى هذا النظم فتوعده الله عز وجل، فقال: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [سورة المدثر: ٢٦].

ولو لم يكن هذا النظم قرآناً، لوجب أن تبطل الصلاة به؛ لأن النبي ﷺ قال: «إن صلاتنا هذه لا يصلح فيها شيء من كلام الناس إنما هي التسبيح والتكبير وقراءة القرآن»(١).

فعلى قولهم يكون القرآن الذي لا تصح الصلاة إلا به مبطلاً لها؛ لأنه ليس بقرآن، وإنما هو تصنيف جبريل، وهذه فضيحة لم يسبقوا إليها.

وهو هذا القرآن الذي أجمع عليه المسلمون، وكفر به الكافرون، وزعمت المعتزلة أنه مخلوق، وأقر الأشعري أنهم مخطئون، ثم عاد فقال: هو مخلوق وليس بقرآن، فزاد عليهم، حيث إن المعتزلة يقولون لهذا اللفظ العربي كلام الله، والأشعرية تقول: بل هو عبارة عنه.

ولا خلاف بين المسلمين أجمعين أن من جحد آية أو كلمة منه متفقاً عليها، أو حرفاً متفقاً عليه أنه كافر.

ولا خلاف بين المسلمين كلهم في أنهم يقولون: قال الله كذا، إذا أرادوا أن يخبروا عن آية أو يستشهدوا بكلمة من القرآن، ويقرون كلهم بأن هذا قول الله، وعند الأشعرية ليس هذا قول الله وإنما هو قول جبريل، فكان ينبغي لهم أن يقولوا: قال جبريل أو قال النبي ﷺ إذا حكوا آية.

---

(١) انظر: صحيح مسلم ١/٣٨١-٣٨٢ كتاب المساجد ومواضع الصلاة ــ باب تحريم الكلام في الصلاة... ح: ٥٣٧، ومسند الإمام أحمد ٥/٤٤٧،٤٤٨.

وقال المقدسي: «ولقد حكيت عن الذي جرت المناظرة بيني وبينه بعض ما قاله، فنُقل إليه ذلك، فغضب وشقَّ عليه، وهو من أكبر ولاة البلد، وما أفصح لي بمقالته حتى خلوت معه، وقال: أريد أن أقول لك أقصى ما في نفسي، وتقول لي أقصى ما في نفسك، وصرح لي بمقالتهم على ما حكيناه عنهم، ولما ألزمته بعض الآيات الدالة على أن القرآن هو هذه السور قال: وأنا أقول: إن هذا قرآن، ولكن ليس هو القرآن القديم. قلت: ولنا قرآنان؟ قال: نعم، وأي شيء يكون إذا كان لنا قرآنان؟. ثم غضب لما حكيت عنه هذا القول.

وقال له بعض أصحابنا: أنتم ولاة الأمر وأرباب الدولة، فما الذي يمنعكم من إظهار مقالتكم لعامة الناس، ودعاء الناس إلى القول بها بينهم؟ فبهت، و لم يجب إليه».

فإن قالوا: فكيف قلتم: إن القرآن حروف، و لم يرد في كتاب ولا سنة، ولا عن أحد الأئمة؟ قلنا: قد ثبت أن القرآن هو هذه السور والآيات، ولا خلاف بين العقلاء كلهم: مسلمهم وكافرهم في أنها حروف. ولا يختلف عاقلان في أن الحمد خمسة أحرف. واتفق المسلمون كلهم على أن سورة الفاتحة سبع آيات، واختلفوا في أن ﴿بسم الله الرَّحمن الرحيم﴾ هل هي آية منها أم لا، واتفقوا كلهم على أنها كلمات وحروف.

وقد افتتح الله (تعالى) كثيراً من سور القرآن بالحروف المقطعة مثل: ﴿الم﴾ و﴿ الر﴾ ولا يجحد عاقل كونها حروفاً إلا على سبيل المكابرة. هذا أمر غير خاف على أحد، فلا حاجة إلى الدليل عليه.

فإن قالوا: لا يسوغ لكم أن تقولوا: لم ترد في كتاب ولا في سنة، وإن كان معناها صحيحاً ثابتاً. قلنا: هذا خطأ، فإنه لا خلاف في أنه يجوز أن يقال: إن القرآن مائة وأربع عشرة سورة، وإن سورة البقرة مائتان وست وثمانون آية، وفي عد آية سور القرآن وأحزابه وأسباعه وأعشاره، ولم يرد لفظ ذلك في كتاب ولا سنة.

على أن لفظ الحرف قد جاءت به السنة، وأقوال الصحابة، وإجماع الأمة؛ فقال النبي ﷺ : «أنزل القرآن على سبعة أحرف»[1]. وقال أبوبكر وعمر رضي الله عنهما: «إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ بعض حروفه»[2].

وقال الحسن البصري: قراء القرآن ثلاثة: ... فقوم حفظوا حروفه وضيعوا حدوده.

واتفق أهل الأمصار من أهل الحجاز والعراق والشام على عد حروف القرآن، فعدها كل أهل مصر، وقالوا: عددها كذا وكذا.

وقالوا أيضاً: قد قلتم: إن الله يتكلم بصوت، ولم يأت به كتاب ولا سنة. قلنا: بل قد ورد به الكتاب والسنة وإجماع أهل الحق.

---

(١) انظر : صحيح البخاري ٢٣/٩ كتاب فضائل القرآن ـ باب أنزل القرآن على سبعة أحرف ح : ٤٩٩٢، وصحيح مسلم ٥٦٠/١ كتاب صلاة المسافرين ـ باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف... ح: ٨١٨.

(٢) أخرجه ابن الأنباري بلفظ مقارب في إيضاح الوقف والابتداء ٢٠/١ ح : ١٦

أما الكتاب فقول الله (تعالى): ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾[سورة النساء: ١٦٤]، وقوله (تعالى): ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾[سورة البقرة: ٢٥٣]. وقوله: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى﴾[سورة الشعراء: ١٠] ولا خلاف بيننا أن موسى سمع كلام الله من الله بغير واسطة، ولا يسمع إلا الصوت، فإن الصوت هو ما يتأتى سماعه.

وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله يجمع الخلائق فيناديهم بصوت يسمع من بعد كما يسمع من قرب: أنا الملك أنا الديان»(١).

قال عبد الله بن مسعود ﷺ: «إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء»(٢). قال أبو نصر السجزي رحمه الله: وهذا الخبر ليس في رواته إلا إمام مقبول، وقد روي مرفوعاً إلى النبي ﷺ.

فإن قالوا: فالصوت لا يكون إلا من هواء بين جرمين. قلنا: هذا من الهذيان الذي أجبنا عن مثله في الحرف، وقلنا: إن هذا قياس منهم لربنا تبارك وتعالى على خلقه، وتشبيه له بعباده، وحكم عليه بأنه لا تكون صفته إلا كصفات مخلوقاته، وهذا ضلال بعيد. ثم إنه يلزمهم مثل هذا في سائر الصفات على ما أسلفناه.

---

(١) رواه البخاري معلقاً في صحيحه ١٣/٤٥٣ كتاب التوحيد ـ باب قوله الله تعالى: ﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له...﴾، وفي كتاب الأدب المفرد ص: ٤٢٨-٤٢٩ باب المعانقة ح: ٩٧٠، والإمام أحمد في مسنده ٣/٤٩٥.

(٢) انظر: صحيح البخاري ١٣/٤٥٢-٤٥٣ كتاب التوحيد ذكره في ترجمة الباب معلقاً، ووصله أبوداود في سننه ٥/١٠٥-١٠٦ كتاب السنة ـ باب في القرآن ح: ٤٧٣٨.

فإذا قال الأشعرية: القرآن مقروء متلو محفوظ مكتوب مسموع، والقرآن في نفس البارئ قائم به ليس هو سوراً ولا آيات، ولا حروفاً ولا كلمات. قيل لهم: فكيف يتصور إذاً قراءته وسماعه وكتابته؟

وإذا قالوا: إن موسى سمع كلام الله من الله لكن ليس بصوت، وإن القرآن مكتوب في المصاحف، لكن ليس فيها إلا الحبر والورق. قيل لهم: فإن كانت كما زعمتم فلم لا يمسها إلا المطهرون، وما رأينا المحدث يمنع من مس حبر ولا ورق، ولم تجب الكفارة على الحالف بالمصحف إذا حنث؟ لأنه على قولهم يكون قد حلف بمخلوق.

ومن قال: إنه ليس في المصحف إلا الحبر والورق، لزمه التسوية بين المصحف وبين ديوان ابن الحجاج؛ لأنه إذا لم يكن بين كل واحد منهما غير الحبر والورق فقد تساويا، فيجب تساويهما في الحكم.

فإن قالوا: إنما وجبت الكفارة على الحالف لاعتقاد العامة أن فيه كلام الله. قيل: هذه غفلة منكم، فإن هذا الحكم من لدن النبي ﷺ لم يتجدد الآن -يعني كون القرآن كلام الله بين دفتي المصحف-.

فإن أقروا أن عامة أهل عصر النبي ﷺ وصحابته كانوا يعتقدون أن فيه كلام الله (تعالى)، وأقرهم عليه النبي ﷺ وصوبهم فيه، فهو الحق الذي لا شك فيه ولا يحل خلافه.

وإن قالوا: إنهم كانوا يعتقدون ذلك، ولم يعلم بهم النبي ﷺ. قيل: كيف علم ذلك هؤلاء المبتدعة، بل كيف علموا من أحوال أصحاب النبي ﷺ ومن اعتقاداتهم ما يخفى على رسول الله ﷺ وهو بين أظهرهم، وعنه يأخذون وإليه يرجعون، وبه يقتدون وعنه يصدرون.

ثم هل كانوا مصيبين في اعتقادهم أو مخطئين؟ فإن كانوا مخطئين فقد اعتقدوا أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا ضُلالاً، ومَنْ بعدهم، وأنهم هم أصابوا بمخالفتهم.

وكيف يجوز أن يكون أصحاب رسول الله ﷺ اتفقوا على اعتقاد الخطأ والضلال والباطل، وأخطأوا الحق، وتبعهم من بعدهم على ذلك، إلى أن جاء هؤلاء الجهال فعرفوا الصواب، وعرفوا خطأ من كان قبلهم؟!

ثم هذا إقرار بأن مقالتهم بدعة حادثة، خالفوا بها أصحاب الرسول ﷺ والتابعين بعدهم.

المناظرة في رؤية الله (تعالى)

رؤية الله (تعالى) عند أهل السنة ممكنة في الدنيا وإن لم تقع لأحد من الناس، أما رؤية النبي ﷺ ربه حين عرج به إلى السماء، فالصحيح أنه لم يره بعين رأسه، بل حال وبينه وبين ذلك حجاب النور، وقيل: رآه بقلبه لا بعين رأسه، وعلى فرض أنه رآه بعين رأسه، فتلك حالة خاصة أقرب إلى أحوال الآخرة منها إلى أحوال الدنيا، والمعتزلة يمنعون الرؤية بالأبصار في الدارين[(١)].

قال النقاش في تفسيره[(٢)]: قيل لابن عباس: أليس الله قال: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [سورة الأنعام: ١٠٣] قال: أليس ترى السماء؟ قال: بلى. قال: أفكلها ترى؟. ففسر الإدراك في الآية بمعنى الإحاطة، لا بمعنى الرؤية.

---

(١) انظر : شرح الطحاوية ٢٠٧/١ وما بعدها .

(٢) ذكره في عيون المناظرات ص : ١٨٧ .

وقال سفيان بن عيينة في شأن بشر بن غياث المريسي، وإنكاره الرؤية: قاتل الله الدويبة، ألم تسمع إلى قوله (تعالى): ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [سورة المطففين: ١٥] فإذا احتجب عن الأولياء والأعداء، فأي فضل للأولياء على الأعداء[(١)].

وقال الربيع بن سليمان: حضرتُ محمد بن إدريس الشافعي وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها : ما تقول في قول الله (تبارك وتعالى): ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [سورة المطففين: ١٥] ؟ قال الشافعي: فلما أن حجبوا هؤلاء في السخط كان في هذا دليل على أنهم يرونه في الرضا.

قال الربيع: قلت: يا أبا عبد الله وبه تقول؟ قال: نعم، وبه أدين الله، لو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى ربه لما عبد الله (تعالى)[(٢)].

وقال الشافعي أيضاً: ما حجب الفجار إلا وقد علم أن الأبرار يرونه عز وجل[(٣)].

وروى اللالكائي عن زكريا بن يحيى بن حمدويه قال: سمعت رفيق نُعيم بن حماد يقول: لما صرنا إلى العراق، وحبس نعيم بن حماد، دخل عليه رجل في السجن من هؤلاء، فقال لنعيم: أليس الله قال: ﴿لَا تُدْرِكُهُ

---

(١) سير أعلام النبلاء ٤١٢/٨ .

(٢) شرح السنة ٥٠٦/٣ برقم : ٨٨٣ ، وانظر : طبقات الشافعية ـ السبكي ٨١/٢

(٣) تفسير ابن كثير ٤٥١/٤.

﴿الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾[سورة الأنعام: ١٠٣]. فقال نعيم: بلى، ذاك في الدنيا. قال: وما دليلك؟ فقال نعيم: إن الله هو البقاء، وخلق الخلق للفناء، فلا يستطيعون أن ينظروا بأبصار الفناء إلى البقاء، فإذا جدد لهم خلق البقاء فنظروا بأبصار البقاء إلى البقاء(١).

مناظرة الإمام مالك الجهمية في رؤية الله تعالى:

قال القاضي عياض(٢) في سيرة الإمام مالك: قال ابن نافع وأشهب ـ وأحدهما يزيد على الآخر ـ قلت: يا أبا عبد الله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[سورة القيامة: ٢٢-٢٣] ينظرون إلى الله؟ قال: نعم، بأعينهم هاتين. فقلت له: فإن قوماً يقولون: لا يُنظر إلى الله، إن ناظرة بمعنى منتظرة إلى الثواب. قال: كذبوا، بل ينظر إلى الله، أما سمعت قول موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [سورة الأعراف: ١٤٣] أفترى موسى سأل ربه محالاً؟ فقال الله: ﴿لن تراني﴾ في الدنيا؛ لأنها دار فناء، ولا ينظر ما بقي بما يفنى، فإذا صاروا إلى دار البقاء، نظروا بما بقي إلى ما بقي. وقال: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [سورة المطففين: ١٥].

---

(١) شرح السنة ٥٠٨/٣ برقم: ٨٩٠ .

(٢) ترتيب المدارك ١٧٢/١-١٧٣، وانظر: الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة ـ لابن عبد البر ص: ٣٦، وسير أعلام النبلاء ٩١/٨ .

مناظرة الإمام أحمد للجهمية في الرؤية:

قال أحمد رحمه الله: فقلنا لهم: لم أنكرتم أن أهل الجنة ينظرون إلى ربهم فقالوا: لا ينبغي لأحد أن ينظر إلى ربه؛ لأن المنظور إليه معلوم موصوف لا يُرى، إلا شيء يفعله. فقلنا لهم: أليس الله يقول: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [سورة القيامة: ٢٢-٢٣]؟ فقالوا: إن معنى: ﴿إلى ربها ناظرة﴾ أنها تنتظر الثواب من ربها، وإنما ينظرون إلى فعله وقدرته، وتلوا آية من القرآن: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ [سورة الفرقان: ٤٥].

فقالوا: إنه حين قال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ﴾ [سورة الفرقان: ٤٥] أنهم لم يروا ربهم، ولكن المعنى ألم تر إلى فعل ربك، فقلنا: إن فعل الله لم يزل العباد يرونه، وإنما قال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [سورة القيامة: ٢٢-٢٣] فقالوا: إنما [تنتظر][(١)] الثواب من ربها.

فقلنا: إنها مع ما تنتظر الثواب هي ترى ربها. فقالوا: إن الله لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة، وتلوا آية من المتشابه من قول الله (جل ثناؤه): ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [سورة الأنعام: ١٠٣] وقد كان النبي ﷺ يعرف معنى قول الله: ﴿لا تدركه الأبصار﴾ وقال: «إنكم سترون ربكم»[(٢)]. وقال لموسى: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ [سورة الأعراف: ١٤٣] و لم يقل: لن أُرى،

(١) في الأصل [تنظر] ولعلَّ الصواب ما أثبته.

(٢) انظر : صحيح البخاري ٤١٩/١٣ كتاب التوحيد ـ باب قول الله تعالى: ﴿﴾ [سورة القيامة: ٢٣] ح: ٧٤٣٤، وصحيح مسلم ١٦٣/١ وما بعدها ـ كتاب الإيمان ـ باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى ح: ١٨٢ وما بعده .

فأيهما أولى أن نتبع النبي ﷺ حين قال: إنكم سترون ربكم. أو قول الجهمي حين قال: لا ترون ربكم. والأحاديث في أيدي أهل العلم عن النبي ﷺ أن أهل الجنة يرون ربهم لا يختلف فيها أهل العلم....

وإنا لنرجوا أن يكون الجهم وشيعته ممن لا ينظرون إلى ربهم ويحجبون عن الله؛ لأن الله قال للكفار: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[سورة المطففين: ١٥] فإذا كان الكافر يحجب عن الله، والمؤمن يحجب عن الله، فما فضل المؤمن على الكافر؟![(١)].

مناظرة أخرى:

قال الحسين بن فهم: حدثني أبي قال: قال ابن أبي دؤاد للمعتصم: يا أمير المؤمنين، هذا يزعم - يعني أحمد بن حنبل- أن الله يرى في الآخرة، والعين لا تقع إلا على محدود، والله لا يحد، فقال: ما عندك ؟ قال: يا أمير المؤمنين عندي ما قاله رسول الله ﷺ . قال: وما هو؟ قال: حدثني غُنْدَر، حدثنا شعبة عن إسماعيل عن قيس عن جرير قال: "كنا مع النبي ﷺ في ليلة أربع عشرة، فنظر إلى البدر فقال: إنكم سترون ربكم كما ترون هذا البدر، لا تضامون في رؤيته"[(٢)].

---

(١) انظر : الرد على الجهمية والزنادقة ـ أحمد بن حنبل ص : ١٢٧-١٢٩

(٢) انظر : صحيح البخاري ٥٢/٢ كتاب مواقيت الصلاة ـ باب فضل صلاة الفجر ح: ٥٧٣، و٤١٩/١٣ وما بعدها ـ كتاب التوحيد ـ باب قول الله تعالى : ﴿وجوه يومئذ ناظرة إلى ربها ناظرة﴾ ح : ٧٤٣٤-٧٤٣٩ ، وصحيح مسلم ٤٣٩/١-٤٤٠ كتاب المساجد ـ باب فضل صلاتي الصبح والعصر ح : ٦٣٣ والذي يليه ، ومسند الإمام أحمد ٣٦٠/٤ .

فقال لابن أبي دؤاد: ما تقول؟ قال: أنظر في إسناد هذا الحديث، ثم انصرف. فوجَّه إلى علي بن المديني، وعلي ببغداد مُمْلِقٌ، ما يقدر على درهم، فأحضره، فما كلمه بشيء حتى وصله بعشرة آلاف درهم، وقال: هذه وصلك بها أمير المؤمنين، وأمر أن يدفع إليه جميع ما استحق من أرزاقه. وكان له رزق سنتين. ثم قال له: يا أبا الحسن حديث جرير بن عبد الله في الرؤية ما هو؟ قال: صحيح. قال: فهل عندك عنه شيء؟ قال: يعفيني القاضي من هذا. قال: هذه حاجة الدهر. ثم أمر له بثياب وطيب ومركب بسرجه ولجامه. ولم يزل حتى قال له: في هذا الإسناد من لا يُعْمل عليه، ولا على ما يرويه، وهو قيس بن أبي حازم إنما كان أعرابياً بوَّالاً على عقبيه. فقبَّل ابن أبي دؤاد عليَّاً واعتنقه. فلما كان الغد وحضروا قال ابن أبي دؤاد: يا أمير المؤمنين: يحتج في الرؤية بحديث جرير، وإنما رواه عنه قيس وهو أعرابي بوَّال على عقبيه؟ قال: فقال أحمد بعد ذلك: فحين أَطْلَعَ لي هذا، علمتُ أنه من عمل علي بن المديني، فكان هذا وأشباهه من أوكد الأمور في ضربه.

قال الذهبي: ثم قال الخطيب: «أما ما حكي عن علي في هذا الخبر من أنه لا يعمل على ما يرويه قيس، فهو باطل، قد نزه الله علياً عن قول ذلك؛ لأن أهل الأثر وفيهم علي، مجمعون على الاحتجاج برواية قيس وتصحيحها، إذ كان من كبراء تابعي أهل الكوفة، وليس في التابعين من أدرك العشرة، وروى عنهم غير قيس، مع روايته عن خلق من الصحابة.

إلى أن قال: فإن كان هذا محفوظاً عن ابن فهم، فأحسب أن ابن أبي دؤاد تكلم في قيس بما ذكر في الحديث، وعزا ذلك إلى ابن المديني. وا لله أعلم».

قال الذهبي: «قلت: إن صحت الحكاية فلعلَّ عليّاً قال في قيس ما عنده عن يحيى القطان، أنه قال: هو منكر الحديث، ثم سمى له أحاديث استنكرها، فلم يصنع شيئاً، بل هي ثابتة، فلا يُنكر له التفرد في سعة ما روى، من ذلك حديث كلاب الحوأب[1]، وقد كاد قيس أن يكون صحابياً، أسلم في حياة رسول ا لله ﷺ ثم هاجر إليه فما أدركه، بل قدم المدينة بعد وفاة رسول ا لله ﷺ بليال. وقد قال يحيى بن معين فيما نقله عنه معاوية بن صالح: كان قيس بن أبي حازم أوثق من الزهري.

نعم، ورؤية ا لله (تعالى) في الآخرة منقولة عن النبي ﷺ نقل تواتر، فنعوذ با لله من الهوى، ورد النص بالرأي»[2].

المناظرة في الإيمان

الإيمان عند أهل السنة والجماعة قول وعمل واعتقاد، وهو يزيد وينقص؛ يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وخالفهم في ذلك المرجئة

(١) أخرجه أحمد في المسند ٥٢/٦، ٩٧ ، وابن حبان (موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان) ص : ٤٥٣-٤٥٤ كتاب الفتن ــ باب في وقعة الجمل ح : ١٨٣١ ، والحاكم في المستدرك ١٢٠/٣ ، وانظر فتح الباري ٤٥/١٣ . والحوأب من مياه العرب على طريق البصرة. انظر : معجم البلدان ٣٦٠/٢ رقم : ٣٩٧٢ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٥٢/١١-٥٤. وانظر القصة في تأريخ بغداد ٤٦٦/١١-٤٦٧ ترجمة: ٦٣٤٩.

بمختلف طوائفهم، حيث أخرجوا الأعمال عن مسمَّى الإيمان، وأنه لا يزيد ولا ينقص، بل الناس فيه سواء، قال ابن أبي مليكة: «لقد أتى علي برهة من الدهر، وما أراني أُدرك قوماً يقول أحدهم: إني مؤمن مستكمل الإيمان، ثم ما رضي حتى قال: إن على إيماني جبريل وميكائيل، ثم ما زال بهم الشيطان حتى قال أحدهم: إنه مؤمن وإن نكح أمه وأخته وابنته، ولقد أدركت كذا وكذا من أصحاب النبي ﷺ ما مات رجل منهم إلا وهو يخشى على نفسه النفاق»[(1)].

وفي المقابل قالت الخوارج والمعتزلة بدخول الأعمال في مسمى الإيمان وجعله شرطاً في صحته، ولهذا قال الخوارج بتكفير مرتكب الكبيرة، وتخليده في النار، وقالت المعتزلة إنه في منزلة بين المنزلتين، وإذا مات من غير توبة خلد في النار.

ومن المناظرات التي جرت بين أهل السنة والمرجئة:

قيل: إن سُنِّيًّا ناظر مرجئياً فقال السني: أُوتي النبي ﷺ بمرجئي فأمر بقتله فقال له المرجئ: وأين كان الإرجاء في عهد رسول الله ﷺ ؟! فقال له السني: فمن أين أتيتم به؟ أي فهو بدعة، فقال له المرجئ: فبماذا استجزت هذا الكلام؟ قال: بقصة: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾[سورة الأنبياء: ٦٣] أي إن كانوا فاعلين على زعمهم فهذا فعل، لكنهم ليسوا بفاعلين فلم يفعل، فتحقق نفي اقتدارهم فبطلت آلهتهم، وكذلك إن كان الإرجاء ديناً وسنة

---

(١) شرح السنة ٩٥٥/٥ برقم : ١٧٣٣، والجملة الأخيرة رواها البخاري معلقة في صحيحه ١٠٩/١ كتاب الإيمان ـ باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله...

فكان في عهد رسول الله ﷺ، لكنه لم يكن حينئذ، فليس بدين ولا سنة[1].

المناظرة في دخول الأعمال في مسمّى الإيمان:

قال ابن حزم رحمه الله: نقول لهم: أخبرونا عن أهل النار المخلدين فيها الذين ماتوا على الكفر، أهم حين كونهم في النار عارفون بقلوبهم صحة التوحيد والنبوة الذي بجحدهم لكل ذلك أدخلوا النار؟ وهل هم حينئذ مقرون بذلك بألسنتهم أم لا؟ ولا بد من أحدهما.

فإن قالوا: هم عارفون بكل ذلك مقرون به بألسنتهم وقلوبهم. قلنا: إنهم مؤمنون أو غير مؤمنين؟ فإن قالوا: هم غير مؤمنين. قلنا: قد تركتم قولكم: إن الإيمان هو المعرفة بالقلب، أو الإقرار باللسان فقط، أو كلاهما فقط.

فإن قالوا: هذا حكم الآخرة. قلنا لهم: فإذا جوزتم نقل الأسماء عن موضعها في اللغة في الآخرة فمن أين منعتم من ذلك في الدنيا، ولم تجوزوه لله عز وجل فيها؟! وليس في الحماقة أكثر من هذا.

وإن قالوا: بل هم مؤمنون. قلنا لهم: فالنار إذن أعدت للمؤمنين، لا للكافرين وهي دار المؤمنين، وهذا خلاف القرآن والسنن وإجماع أهل الإسلام المتيقن.

وإن قالوا: بل هم غير عارفين التوحيد، ولا بصحة النبوة في حال كونهم في النار، أكذبتهم نصوص القرآن، وكذّبوا ربهم عز وجل في

(١) انظر : عيون المناظرات ص : ٢٩٤ .

إخباره أنهم عارفون بكل ذلك، هاتفون به بألسنتهم، راغبون في الرجعة والإقامة، نادمون على ما سلف منهم، وكذبوا نصوص المعقول وجاهروا بالمحال؛ إذ جعلوا مَنْ شاهد القيامة والجزاء غير عارف بصحة ذلك[(١)].

وذكر الملطي رحمه الله طريقة أخرى في مناظرتهم:

ينبغي أن يقول لهم: أخبرونا عن الإيمان ما هو؟ فإن قالوا: لا ندري. سقطت مواربة كلامهم، وصاروا بمنزلة من يقول الشيء على الجهل،والجاهل لا حجة له.

وإن قالوا: الإيمان هو الإقرار فقد صدقوا، يقال لهم: فالإقرار يكون باللسان أو بالقلب؟ فإن قالوا: باللسان فقط، يقال لهم: فالمنافقون الذين أقروا بألسنتهم، وأسرُّوا الشرك، أهو شيء صح لهم الإيمان إذا أقروا بألسنتهم، والإيمان عندكم الإقرار باللسان؟!.

فإن قالوا: هؤلاء أقروا بألسنتهم وأسرُّوا هذه فلم يصح إيمانهم، نقضوا قولهم؛ لأنهم قد اعترفوا أن القول باللسان لا يصح إلا مع إقرار بالقلب. وإن شك القلب ببعض إقرار اللسان، فيجب عليهم حينئذ أن يقولوا: الإيمان قول باللسان وإقرار بالقلب، والإقرار بالقلب عمل، بل هو أصل كل الأعمال التي بالجوارح؛ لأن الجوارح عن القلب تصدر، وإذا كان كذلك فقد وجب أن يقولوا: إن الإيمان قول وعمل، وينقضوا أصلهم أن الإيمان قول وعمل.

---

(١) انظر : الفصل ٣/٢٥١-٢٥٢.

وأيضاً إذا أقروا أن الإيمان قول باللسان وتصديق بالقلب لزمهم أن يقولوا وعمل بالجوارح، فإن أبوا أن يقولوا ذلك، رُدوا إلى الكلام الأول فبان جهلهم، وإن أجازوا ذلك تركوا قولهم وقالوا: الإيمان قول باللسان وتصديق بالقلب وعمل بالجوارح، يزيد وينقص، وهذا هو الحق الذي لا يجوز غيره[١].

ويقال لهم أيضاً: أخبرونا، أفترض الله على عباده فرائض فيها أمر ونهي، فإن قالوا: لا، جهلوا وكابروا. وإن قالوا: نعم، قيل لهم: فما تقولون فيمن أدى إلى الله ما أمر به وانتهى عما نهاه؟ أهو كمن عصاه في أمره ونهيه؟ فإن قالوا: هما سواء عند الله وعندنا، جعلوا المعصية كالطاعة، والطاعة كالمعصية، وهذا جهل وكفر ممن قاله. وإن قالوا: الطاعة غير المعصية، وليس من أطاع الله في أمره ونهيه كمن عصاه، تركوا قولهم وقالوا بالحق[٢].

وهذا من لوازم مذهب المرجئة: أنه لا فرق بين الطاعة والمعصية، ولا فرق بين المطيع والعاصي، والبر والفاجر، وهذا يقتضي تعطيل الشرائع والأديان لعدم جدواها، وهو ظاهر الفساد.

ثم قال الملطي رحمه الله: ويقال لهم: أخبرونا عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[سورة الجاثية: ٢١] وقوله (تعالى): ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ

---

(١) انظر: التنبيه والرد ص:٤٤.

(٢) انظر: المرجع السابق ص:٤٥.

﴿يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [سورة العنكبوت: ٤] أهذا شيء قاله على حقيقة القول أم على المجاز؟ فإن قالوا: على المجاز جعلوا إخبار الله عن وعده على المجاز، وهذا كفر ممن قاله؛ لأن أحداً لا يتيقن حينئذ بخبره، إذا لم يكن له حقيقة وصحة، وإن قالوا: على الحقيقة يقال لهم: أخبر الله عز وجل أنه لا يستوي عنده الولي والعدو(١).

وقال رحمه الله أيضاً: ويقال لهم أيضاً: أخبرونا عمن زنا وأتى شيئا من الكبائر أترون عليه التوبة أم لا؟ فإن قالوا. لا، بان جهلهم، وإن قالوا: نعم، قيل لهم : لأي شيء يتوب؟ فإن قالوا: يقبل الله توبته ويغفر ذنبه، تركوا قولهم وجعلوا لأهل المعاصي توبة وغفراناً مما اجترموا.

وإن قالوا: لا يحتاجون إلى غفران ولا توبة عليهم، خرجوا من دين الإسلام وخالفوا الجماعة(٢).

وقال معقل بن عبيد الله العبسي (١٦٦هـ): قدم علينا سالم الأفطس (١٣٢هـ) بالإرجاء، فعرضه، فنفر منه أصحابنا نفاراً شديداً، وكان أشدهم ميمون بن مهران، وعبد الكريم بن مالك (١٢٧هـ)، فأما عبد الكريم فإنه عاهد الله لا يأويه وإياه سقف بيت إلا في المسجد، قال معقل: فحججت فدخلت على عطاء بن أبي رباح في نفر من أصحابي، قال: فإذا هو يقرأ سورة يوسف قال: فسمعته قرأ هذا الحرف: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا﴾ [سورة يوسف: ١١٠] مخففة، قال: قلت: إن لنا

(١) انظر : التنبيه والرد ص : ٤٥.

(٢) انظر : المرجع السابق ص : ٤٥.

إليك حاجة، فاخل لنا، ففعل، فأخبرته أن قوماً قِبَلنا قد أحدثوا وتكلموا وقالوا: إن الصلاة والزكاة ليستا من الدين. قال: فقال: أو ليس يقول الله: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾ [سورة البينة: ٥] فالصلاة والزكاة من الدين. قال:فقلت له: إنهم يقولون: ليس في الإيمان زيادة. قال: أو ليس قد قال الله فيما أنزله: ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾ [سورة آل عمران: ١٧٣] فما هذا الإيمان الذي زادهم؟ قال: قلت: فإنهم قد انتحلوك، وبلغني أن ذراً دخل عليك وأصحابه، فعرضوا عليك قولهم فقبلته، وقلت هذا الأمر،فقال: لا والله الذي لا إله إلا هو ما كان هذا ـ مرتين أو ثلاثاً ـ قال: ثم قدمت المدينة فجلست إلى نافع، فقلت له: يا أبا عبد الله، إن لي إليك حاجة، قال: أسر أم علانية؟ فقلت: لا بل سر. قال رب سر لا خير فيه، فقلت له: ليس من ذلك، فلما صلينا العصر قام، وأخذ بيدي وخرج من الخوخة ولم ينتظر القاص، فقال: ما حاجتك؟ قال: قلت: أخلني من هذا. قال: تنح يا عمرو. قال فذكرت له بدوّ قولهم، فقال: قال رسول الله ﷺ: أمرت أن أضربهم بالسيف حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوا: لا إله إلا الله عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا [بحقه][1] وحسابهم على الله[2]. قال: قلت: إنهم يقولون: نحن نقر بأن الصلاة

---

(١) هكذا في السنة لعبد الله بن أحمد ، وفي كتاب شرح السنة للالكائي : [فيها] .

(٢) انظر: صحيح البخاري ٧٥/١ كتاب الإيمان ـ باب ﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وءاتوا الزكاة فخلوا سبيلهم﴾ ح: ٢٥، وصحيح مسلم ٥١/١-٥٣ كتاب الإيمان ــ باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ...ح: ٢٠ وما بعده .

فريضة، ولا نصلي، وأن الخمر حرام ونشربها، وأن نكاح الأمهات حرام ونحن نفعل، قال: فنتر يده من يدي، وقال: من فعل هذا فهو كافر(١).

وروى ابن بطة بسنده إلى مبارك بن حسان السلمي قال: قلت لسالم الأفطس: رجل أطاع الله فلم يعصه، ورجل عصى الله فلم يطعه، فصار المطيع إلى الله، فأدخله الجنة، وصار العاصي إلى الله فأدخله النار، هل يتفاضلان في الإيمان؟ قال: لا. فذكرت ذلك لعطاء، فقال: سلهم: الإيمان طيب أو خبيث، فإن الله قال: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [سورة الأنفال: ٣٧]. قال: فسألتهم فلم يجيبوني. فقال سالم: إنما الإيمان منطق، ليس معه عمل، فذكرت ذلك لعطاء. فقال سبحان الله أما تقرءون الآية التي في سورة البقرة: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾[سورة البقرة: ١٧٧].

ثم وصف الله على هذا الاسم العمل فألزمه، فقال: ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[سورة البقرة: ١٧٧].

---

(١) السنة لعبد الله بن أحمد ص : ١١٧-١١٨ ، وانظر: الإبانة ـ ابن بطة ٢/٨٠٨-٨١٠ رقم: ١١٠١، وشرح السنة ٥/٩٥٣-٩٥٤ رقم: ١٧٣٢ .

قال سلهم: هل دخل هذا العمل في هذا الاسم؟ فقال: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [سورة الإسراء: ١٩] فألزم الاسم العمل وألزم العمل الاسم[١].

وروى اللالكائي[٢] بسنده إلى موسى بن عمران قال: استأذن شريك على المهدي وعنده أبو يوسف القاضي وامتريا، فقال المهدي: الصلاة من الإيمان. وقال أبو يوسف: الصلاة ليست من الإيمان. واستأذن شريك فقال المهدي: قد جاء من يفصل بيننا. قال: فلما دخل سلم، قال: فرد عليه، فقال: يا أبا عبد الله، ما تقول في رجلين امتريا، فقال أحدهما: الصلاة من الإيمان، وقال الآخر: الصلاة من العمل. قال: أصاب الذي قال: الصلاة من الإيمان، وأخطأ الذي قال الصلاة من العمل، قال: فقال أبو يوسف: من أين قلت ذي؟! فقال: حدثني أبو إسحاق عن البراء بن عازب في قوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [سورة البقرة: ١٤٣] قال: صلاتكم نحو بيت المقدس. قال: فألقمه حجراً.

المناظرة في زيادة الإيمان ونقصانه:

روى الذهبي[٣] في ترجمة مجاهد بن جبر رحمه الله أن ابنه عبد الوهاب قال: كنت عند أبي فجاء ولده يعقوب، فقال: يا أبتاه، إن لنا

---

(١) الإبانة ـ ابن بطة ٢/٨٩٧-٨٩٨ .

(٢) شرح السنة ٤/٨١٨ رقم : ١٥٠٨ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٤/٤٥٥ .

أصحاباً يزعمون أن إيمان أهل السماء وأهل الأرض واحد. فقال: يا بني ما هؤلاء بأصحابي، لا يجعل الله من هو منغمس في الخطايا كمن لا ذنب له.

وروى الذهبي[(١)] أيضاً عن ميمون بن مهران أنه قال: خاصمه رجل في الإرجاء، فبينما هما على ذلك إذ سمعا امرأة تغني، فقال ميمون: أين إيمان هذه من إيمان مريم بنت عمران؟! فانصرف الرجل و لم يرد عليه.

وقال الحميدي حدثنا يحيى بن سليم أن سعيد بن سالم (١٩٠هـ) قال لابن عجلان (١٤٨هـ): أرأيت إن أنا لم أرفع الأذى عن الطريق، أكون ناقص الإيمان؟ فقال: هذا مرجئ، من يعرف هذا؟ قال: فلما قمنا، عاتبته، فرد علي القول، فقلت: هل لك أن تقف فتقول: يا أهل الطواف إن طوافكم ليس من الإيمان، وأقول أنا: بل هو من الإيمان فننظر ما يصنعون، قال: تريد أن تُشهرني؟ قلت: فما تريد إلى قول إذا أظهرته شهرك؟[(٢)].

طريقة ابن حزم في المناظرة:

وقال ابن حزم رحمه الله: واحتجوا بأن قالوا: أخبرونا عمن قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وبرئ من كل دين حاشا الإسلام، وصدَّق

---

(١) سير أعلام النبلاء ٧٣/٥.

(٢) سير أعلام النبلاء ٣٢٠/٩ .

بكل ما جاء به النبي ﷺ واعتقد ذلك بقلبه، ومات إثر ذلك: أمؤمن هو أم لا؟

فإنَّ جوابنا: إنه مؤمن بلا شك عند الله عز وجل وعندنا. قالوا: فأخبرونا: أناقص الإيمان هو أم كامل الإيمان؟ قالوا: فإن قلتم إنه كامل الإيمان فهذا قولنا، وإن قلتم: إنه ناقص الإيمان سألناكم: ماذا نَقَصَه من الإيمان؟ وماذا معه من الإيمان؟

قال أبو محمد: فجوابنا ـ وبالله (تعالى) التوفيق ـ أنه مؤمن ناقص الإيمان بالإضافة إلى من له إيمان زائد بأعمال لم يعملها هذا، وكل واحد فهو ناقص الإيمان بالإضافة إلى من هو أفضل أعمالاً منه، حتى يبلغ الأمر إلى رسول الله ﷺ الذي لا أحد أتم إيماناً منه، بمعنى أحسن أعمالاً منه.

وأما قولهم: ما الذي نقصه من الإيمان؟ فإنه نقصه الأعمال التي عملها غيره، والتي ربنا عز وجل أعلم بمقاديرها[١].

طريقة الملطي في المناظرة:

قال الملطي رحمه الله: ويقال لهم في قولهم: إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص ماتقولون فيمن آمن وهو بالله عارف؟ ومن آمن وهو بالله وبدينه جاهل؟ فإن قالوا: هما سواء تجاهلوا، وإن قالوا: المؤمن العارف بالله

(١) انظر: الفصل ٣/٢٥٢.

وبدينه أفضل تركوا قولهم، وقالوا بالحق: إن الإيمان يزيد بالعمل والعلم وينقص بنقص العلم والعمل.

ويقال لهم: هل تجعلون بين أهل المعصية وأهل الطاعة فضلاً؟ فإن قالوا: لا فضل بينهم تجاهلوا، وإن قالوا: نعم. قيل لهم: ما الذي تجعلونه بينهم؟ فإن قالوا: لأهل الطاعة الوعد والثواب، ولأهل المعصية الوعيد والعقاب، تركوا قولهم الخبيث وقالوا بالحق. وإن قالوا: لا ندري تجاهلوا.

ويقال لهم: ما تقولون في قول الله تبارك وتعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١٦٠] أليس عندكم من تصدق بدرهم فله عشر من الحسنات، ومن سرق درهماً فعليه وزر درهم واحد، فإذا قالوا: نعم، يقال لهم: فرجل سرق عشرة دراهم وتصدق منها بدرهم، أليس له تسع حسنات وعنده تسع الدراهم؟ فإن قالوا: لا تجزئه صدقة من سرقة لأن السرقة تحبط أجره، تركوا قولهم، وإن قالوا تجزئه زعموا أن من سرق عشرة دراهم وتصدق بدرهم منها فله تسع حسنات وعنده تسع الدراهم؛ لأن الحسنة بعشرة أمثالها والسيئة بمثلها، وهذا ربح لا ربح بعده، مع أن على السارق لأموال الناس بسبب سرقته ذنوباً يعاقب عليها[1].

---

(١) انظر : التنبيه والرد ص:٤٦-٤٧.

المناظرة في الاستثناء في الإيمان

الاستثناء في الإيمان هو قول الرجل: أنا مؤمن إن شاء الله، فالناس في ذلك على ثلاثة أقوال: طرفان ووسط. فمنهم من يوجبه، ومنهم من يحرمه، ومنهم من يجيزه باعتبار ويمنعه باعتبار، وهذا أصح الأقوال.

وشرح ذلك أن المستثني إذا قصد الشك في أصل إيمانه مُنع منه، وإن قصد أنه مؤمن من المؤمنين الموصوفين في الكتاب والسنة فالاستثناء حينئذ جائز، وكذلك من استثنى وأراد عدم علمه بالعاقبة، ومن استثنى تعليقاً للأمر بمشيئة الله تعالى، لا شكاً في إيمانه[1].

المناظـــــرة:

روى الحافظ أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي في كتاب الإيمان[2] له بسنده عن الحارث بن عميرة الزبيدي قصة، وفيها: أن معاذ بن جبل أصيب بالطاعون فجاء الحارث يعوده. قال الحارث: وغشي على معاذ غشية، فأفاق معاذ والحارث يبكي، فقال معاذ: ما يبكيك؟ فقال: أبكي على العلم الذي يدفن معك، فقال: إن كنت طالب العلم لا محالة، فاطلبه من عبد الله بن مسعود، ومن عويمر أبي الدرداء، ومن سلمان الفارسي، وإياك وزلة العالم، فقلت: وكيف لي - أصلحك الله- أن أعرفها؟ قال: للحق نور يعرف به. قال: فمات معاذ رحمة الله عليه، وخرج الحارث يريد عبد الله بن مسعود بالكوفة، فانتهى إلى بابه، فإذا

---

(١) انظر : شرح الطحاوية ٤٩٤/٢ وما بعدها .

(٢) كتاب الإيمان ـ ص : ٢٤-٢٥ برقم : ٧٦ بتحقيق الألباني وقال إسناد هذا الأثر إلى ابن مسعود ضعيف من أجل شهر بن حوشب،فإنه ضعيف لكثرة أوهامه ص : ٢٥ .

على الباب نفر من أصحاب عبد الله بن مسعود يتحدثون، فجرى بينهم الحديث، حتى قالوا: يا شامي أمؤمن أنت؟ فقال: نعم. قال: فقالوا: من أهل الجنة؟ قال: إن لي ذنوباً، وما أدري ما يصنع الله فيها، ولو أعلم أنها غفرت لي لأنبأتكم أني من أهل الجنة، قال: فبينما هم كذلك إذ خرج عليهم عبد الله، فقالوا: ألا تعجب من أخينا هذا الشامي، يزعم أنه مؤمن ولا يزعم أنه من أهل الجنة. فقال عبد الله: لو قلت إحداهما لأتبعتها الأخرى، فقال الحارث: إنا لله وإنا إليه راجعون، صلّى الله على معاذ، قال : ويحك، ومن معاذ؟ قال: معاذ بن جبل. قال: وما ذاك؟ قال: إياك وزلة العالم، فأحلف بالله أنها منك لَزَلَّة يا ابن مسعود، وما الإيمان إلا نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والميزان، ولنا ذنوب ما ندري ما يصنع الله فيها، فلو أنا نعلم أنها غفرت لقلنا: إنا من أهل الجنة. قال: فقال عبد الله: صدقت والله إن كانت مني لَزَلَّة، صدقت والله إن كانت مني لزلة.

المناظرة في تكفير مرتكب الكبيرة

مناظرة الخوارج في التكفير:

روى الإمام أحمد في مسنده[1] عن عياض بن عمرو القارئ قال: جاء عبد الله بن شداد (٨٢هـ) فدخل على عائشة ونحن جلوس، مرجعه

---

(١) ٦٦/٢-٦٨ برقم : ٦٥٦ قال أحمد شاكر: إسناده صحيح. وذكره ابن كثير في البداية والنهاية ٢٨٠/٧-٢٨١ وصحح إسناده، وهو في مجمع الزوائد ٢٣٥/٦-٢٣٧ وقال : رواه أبو يعلي ورواته ثقات .

من العراق ليالي قُتِل علي، فقالت لـه: يـا عبـد ا لله بـن شـداد، هـل أنـت صادقي عما أسألك عنه؟ تحدثني عن هؤلاء القوم الذين قتلهم علي؟ قـال: وما لي لا أَصْدُقُك! قالت: فحدثني عن قصتهم، قال: فإن علياً لمـا كـاتب معاوية وحَكَمَ الحكمان خرج عليه ثمانيـة آلاف مـن قـراء النـاس، فـنزلوا بأرض يقال لها: حَرُوراءُ من جانب الكوفـة، وإنهـم عتبـوا عليـه، فقـالوا: انسلخت من قميص ألبسكه ا لله (تعالى) ، واسم سمَّاك ا لله(تعالى) به، ثـم انطلقت فحكّمت في دين ا لله، فلا حكـم إلا لله (تعـالى) ، فلمـا أن بلـغ علياً ما عَتَبوا عليه وفارقوه عليه، فأمر مؤذناً فأذّن: أن لا يدخل على أمـير المؤمنين إلا رجل قد حمل القرآن، فلما أن امتلأت الدار مـن قـراء النـاس، دعا بمصحف إمام عظيم، فوضعه بين يديه، فجعـل يصكـه بيـده ويقـول: أيها المصحف! حدث الناس! فنـاداه النـاس فقـالوا: يـا أمـير المؤمنـين، مـا تسأل عنه؟ إنما هو مداد في ورق! ونحن نتكلم بما روينا منه! فماذا تريـد؟ قال: أصحابكم هؤلاء الذين خرجوا، بيني وبينهم كتـاب ا لله، يقـول ا لله (تعالى) في كتابه في امرأة ورجل: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ [سورة النساء: ٣٥] فأمـة محمـد ﷺ أعظم دماً وحرمة من امرأة ورجل، ونقموا علي أنْ كاتبت معاوية: كَتَبَ علي بن أبي طالب، وقد جاءنا سهيل بن عمرو ونحن مع رسـول ا لله ﷺ بالحديبيـة حـين صـالح قومـه قريشـاً، فكتـب رسـول ا لله ﷺ : بسـم ا لله الرحمن الرحيم. فقال سهيل: لا تكتب بسم ا لله الرحمـن الرحيـم، فقـال: كيف نكتب؟ فقال: اكتب باسمك اللهم، فقال رسول ا لله ﷺ : فاكتب:

محمد رسول الله. فقال: لو أعلم أنك رسول الله لم أخالفك، فكتب: هذا ما صالح محمد بن عبد الله قريشاً، يقول الله (تعالى) في كتابه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [سورة الأحزاب: ٢١] فبعث إليهم عليٌّ عبد الله بن عباس، فخرجتُ معه، حتى إذا توسطنا عسكرهم قام ابن الكواء يخطب الناس، فقال: يا حملة القرآن إن هذا عبد الله بن عباس، فمن لم يكن يَعْرِفه فأنا أُعرِّفُه من كتاب الله ما يَعْرِفُهُ به، هذا ممن نزل فيه وفي قومه: ﴿قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾[سورة الزخرف: ٥٨] فردُّوه إلى صاحبه، ولا تُواضعوه كتابَ الله، فقام خطباؤهم فقالوا: والله لنواضعنّه كتاب الله، فإن جاء بحق نعرفه لنتبعنّه، وإن جاء بباطل لنبكتنّه بباطله، فواضعوا عبد الله الكتابَ ثلاثة أيام، فرجع منهم أربعة آلاف كلهم تائب، فيهم ابن الكواء، حتى أدخلهم على علي الكوفة، فبعث علي إلى بقيتهم، فقال: قد كان من أمرنا وأمر الناس ما قد رأيتم، فقفوا حيث شئتم حتى تجتمع أمة محمد ﷺ، بيننا وبينكم أن لا تسفكوا دماً حراماً، أو تقطعوا سبيلاً، أو تظلموا ذمة، فإنكم إن فعلتم فقد نبذنا إليكم الحرب على سواءٍ، إن الله لا يحب الخائنين، فقالت له عائشة: يا ابن شداد، فقد قتلهم، فقال: والله ما بعث إليهم حتى قطعوا السبيل وسفكوا الدَّمَ واستحلوا أهل الذمة، فقالت: آللهِ؟ قال: آللهِ الذي لا إله إلا هو لقد كان. قالت: فما شيء بلغني عن أهل الذمة يتحدثونه، يقولون: ذو الثُّدَي وذو الثدي؟ قال: قد رأيته وقمت مع علي عليه في القتلى، فدعا الناس فقال: أتعرفون هذا؟ فما أكثر من جاء يقول: قد رأيته في مسجد بني

فلان يصلي، ورأيته في مسجد بني فلان يصلي، و لم يأتوا فيه بثبْت يُعرف إلا ذلك، قالت: فما قول علي حين قام عليه كما يزعم أهل العراق؟ قال: سمعته يقول: صدق ا لله ورسوله، قالت: هل سمعت منه أنه قال غير ذلك؟ قال: اللهم لا، قالت: أجل، صدق ا لله ورسوله، يرحم ا لله علياً، إنه كان من كلامه لا يرى شيئاً يعجبه إلا قال صدق ا لله ورسوله، فيذهب أهل العراق يكذبون عليه ويزيدون عليه في الحديث.

مناظرة عمرو بن عبيد:

روى ابن قتيبة[1] بسنده عن قريش بن أنس: قال: سمعت عمرو بن عبيد يقول: يؤتى بي يوم القيامة، فأقام بين يدي ا لله فيقول لي: لم قلت: إنّ القاتل في النار؟ فأقول: أنت قلته، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾ [سورة النساء: ٩٣] قلت له: وما في البيت أصغر مني ـ أرأيت إن قال لك قد قلت: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [سورة النساء: ٤٨] من أين علمت أني لا أشاء أن أغفر؟ قال: فما استطاع أن يرد علي شيئاً.

مناظرة أبي حنيفة للخوارج:

حكى أبو معاذ البلخي أن أبا حنيفة كان يقول: أهل الكوفة كلهم موالي؛ لأن الضحاك بن قيس (١٢٩هـ) الشيباني الحروري دخل الكوفة وأمر بقتل الرجال كلها، فخرج إليه أبوحنيفة في قميص ورداء، وقال:

(١) تأويل مختلف الحديث ص:٨٣.

أريد أن أكلمك! قال: تكلم. قال: لم أمرت بقتل الرجال؟ قال: إنهم مرتدون. قال: أكان دينهم غير ماهم عليه فارتدوا حتى صاروا إلى ما هم عليه، أم كان هذا دينهم؟ قال: أعد ما قلت، فأعاد. فقال الضحاك: أخطأنا، فغمدوا سيوفهم، ونجا الناس[(١)].

وقال الإمام أبو الفضل الكرماني: لما دخل الخوارج الكوفة ورأيهم تكفير كل من أذنب وتكفير من لم يوافقهم ـ فقيل لهم: هذا ـ يعني أبا حنيفة ـ شيخ هؤلاء، فأخذوا الأمام وقالوا: تب من الكفر. فقال: أنا تائب من كفركم. فأخذوه فقال لهم: بعلم قلتم أم بظن؟ قالوا: بظن. قال: إن بعض الظن إثم، والإثم ذنب فتوبوا من الكفر. قالوا: تب أنت أيضاً من الكفر. قال: أنا تائب من كل كفر[(٢)].

إن الله (تعالى) قد يترك العقوبة تكرماً:

قال الأصمعي:[(٣)] جاء عمرو بن عبيد إلى أبي عمرو بن العلاء، فقال: يا أبا عمرو، ويخلف الله ما وعده؟ قال: لا. قال: أفرأيت من أوعده الله على عمل عقاباً، أيخلف الله وعده فيه؟ فقال أبو عمرو بن العلاء: من العجمة أتيت يا أبا عثمان، إن الوعد غير الوعيد، إن العرب لا

---

(١) عقود الجمان في مناقب الإمام أبي حنيفة النعمان ـ لمحمد بن يوسف الصالحي ص:٢٨١.

(٢) عقود الجمان ص : ٢٨١.

(٣) الحجة ـ الأصبهاني ٧٣/٢ .

تعد عاراً ولا خلفاً أن تعد شراً ثم لا تفعله، ترى ذلك كرماً وفضلاً، وإنما الخلف أن تعد خيرا ثم لا تفعله، قال: فأوجدني هذا في كلام العرب؟ قال: نعم، أما سمعت إلى قول الأول:

ولا يُرهب ابن العم ما عشتُ صولتي ولا أنا أخشى صولة المتهدِّد

وإني وإن أوعدته ووعدته لمخلف ميعادي ومنجز موعدي

وفي رواية[1] أن أبا عمرو قال : إن الكريم إذا وعد وفى، وإذا توعَّد عفا، أما سمعت إلى قول الشاعر، فذكره... فقال له عمرو: شغلك يا أبا عمرو الإعراب عن معرفة الصواب.

قال أبو الشيخ، عبد الله بن محمد أبو محمد الأنصاري حافظ أصبهان: «حكي لي عن يحيى بن معاذ (٢٥٨هـ) قال: الوعد والوعيد حق، فالوعد حق العباد على الله، ضمن لهم إذا فعلوا كذا أن يعطيهم كذا، ومن أولى بالوفاء من الله. والوعيد حقه على العباد؛ قال: لا تفعلوا كذا فأعذبكم، ففعلوا، فإن شاء عفا، وإن شاء أخذ؛ لأنه حقه، وأولاهما بربنا تبارك وتعالى العفو والكرم إنه غفور رحيم.

ومما يدل على ذلك ويؤيده خبر كعب بن زهير حين أوعده رسول الله ﷺ، فحين جاءه تائباً عفا عنه، وكان في عفوه دليل أن إطلاقه القول كان باستثناء، وإن لم يكن ذلك مسموعاً منه؛ لأن ذلك لو لم يكن كذلك كان يؤدي إلى الكذب، وحاشا رسول الله ﷺ من ذلك. وفيه يقول كعب بن زهير:

---

(١) انظر: تاريخ العلماء النحويين ـ المفضل التنوخي ص : ١٤٤-١٤٥ .

أُنبئت أن رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمول

فأُخبر أنه قد أوعد ثم رجا منه العفو، وفي ذلك دليل على أن ذلك لم يكن عند العرب خُلْفاً، إذ كان في باطنه استثناء. وكذلك سبيل آي الوعيد عندنا»(١).

المناظرة في لعن العصاة:

وجَّه عمر بن العزيز إلى بقية من الخوارج في ناحية الموصل عون بن عبد الله مناظراً لهم، فقال لهم: كنتم تطلبون من يعمل بعمل عمر بن الخطاب، فلما جاءكم كنتم أول من نفر عنه. قالوا: صدقت، لكنه لم يتبرأ من الذين كانوا قبله، و لم يلعنهم. قال: ما عهدكم بلعن هامان؟ قالوا: ما لعناه قط. قال لهم: أيسعكم أن تتركوا وزير فرعون المنفذ لأمره، الذي بنى له الصرح، ولا يسع عمر بن عبد العزيز أن يعمل بالحق، ولا يلعن أهل قبلته إن كانوا أخطأوا في شيء، أو عملوا فيه بغير الحق؟!فانقطعوا.

فلما بلغ عمر بن عبد العزيز ذلك سُرَّ به وقال له: ما أُحب أن أوجه إليهم غيرك رجلاً، ثم قال له: كيف فطنت لهامان و لم تذكر فرعون؟ قال: تخوفت إن ذكرت فرعون أن يقولوا: قد لعناه(٢).

---

(١) الحجة ـ الأصبهاني ٢/٧٤-٧٥ .

(٢) انظر : عيون المناظرات ص : ١٩٩-٢٠٠.

مناظرة الخوارج في التحكيم:

روى ابن أبي الوليد الطيالسي قال: قدم الضحاك الشاري ـ وهو من الخوارج ـ الكوفة فقال لأبي حنيفة: تب. فقال: مم أتوب؟! قال: من قولك بتجويز الحكمين. فقال له أبو حنيفة: تقتلني أو تناظرني؟ قال: أناظرك عليه. قال: فإن اختلفنا في شيء مما تناظرني عليه فمن يحكم بيني وبينك؟ قال: اجعل أنت من شئت. فقال أبوحنيفة لرجل من أصحاب الضحاك: اقعد فاحكم بيننا فيما اختلفنا فيه، ثم قال للضحاك: أترضى هذا بيني وبينك حاكماً؟ قال: نعم. قال أبوحينفة: فأنت قد جوزت التحكيم. فانقطع الضحاك[1].

المناظرة في القـــــدر

أهل السنة والجماعة يؤمنون بقدر الله (تعالى)، ويقولون: هو سر الله (تعالى) في خلقه، لم يطلع على ذلك نبي مرسل ولا ملك مقرب، ومن لوازم ذلك أن الله (تعالى) خالق كل شيء، أفعال العباد وغيرها من المخلوقات، وعالم بكل شيء، وكل شيء عنده في كتاب، لا راد لأمره، ولا معقب لحكمه، يعلم ما كان وما يكون وما سيكون.

وخالف أهلَ السنة في هذا الأمر طائفتان متقابلتان؛ هما القدرية والجبرية، الأولى نفت أن يكون الله خالقاً لأفعال العباد، بل هم الخالقون

(١) عقود الجمان في مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان ـ لمحمد بن يوسف الصالحي ص: ٢٦٥ .

لأفعالهم، والثانية غلت في إثبات القدر حتى عطلت الأمر والنهي، وأحكام الشرع، وصار المطيع والعاصي سواءً، وجرت بين الطائفتين وبين أهل السنة المناظرات والمواقف التي ظهر فيها الحق، وقامت الحجة.

كلام القدرية بدعة محدثة:

ناظر سني قدرياً، فرفع السني نعله، وأظهر الاحتياط، فسأله القدري عن سبب ذلك، فقال: بلغني أن ناساً في عهد رسول الله ﷺ يقال لهم القدرية كان يسرقون نعال الصحابة، قال له القدري: ومتى كان القول بالقدر في عهد النبي ﷺ قال: فمن أين أتيتم به، فقطعه[(١)].

نفر من قدر الله إلى قدر الله:

روى البخاري في صحيحه[(٢)] عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أن عمر بن الخطاب ﷺ خرج إلى الشام حتى إذا كان بسَرْغ لقيه أمراء الأجناد؛ أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه، فأخبروه أن الوباء قد وقع بأرض الشام. قال ابن عباس: فقال عمر: أُدعُ لي المهاجرين الأولين، فدعاهم فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء قد وقع في الشام، فاختلفوا، فقال بعضهم: قد خرجنا لأمر ولا نرى أن نرجع عنه، وقال بعضهم: معك بقية الناس وأصحاب رسول الله ﷺ ولا نرى أن تُقْدِمَهُم على هذا الوباء، فقال: ارتفعوا عني، ثم قال: ادعوا لي الأنصار، فدعوهم فاستشارهم فسلكوا

(١) انظر : عيون المناظرات ص : ٢٩٤.

(٢) ١٠/١٧٩ كتاب الطب ـ باب ما يذكر في الطاعون ح : ٥٧٢٩ ، وانظر : صحيح مسلم ٤/١٧٤٠ كتاب السلام ـ باب الطاعون ... ح : ٢٢١٩ .

سبيل المهاجرين، واختلفوا كاختلافهم فقال: ارتفعوا عني، ثم قال: ادع لي من كان هاهنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح فدعوتهم فلم يختلف عليه رجلان، فقالوا: نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء، فنادى عمر في الناس أني مُصَبِّحٌ على ظهر فأصبحوا عليه، فقال أبو عبيدة بن الجراح: أفراراً من قدر الله؟! فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة، نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله، أرأيت إن كانت لك إبل هبطت وادياً له عُدْوتان إحداهما خصيبة والأخرى جَدْبة، أليس إن رعيت الخصيبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله؟! قال: فجاء عبد الرحمن وكان متغيباً في بعض حاجته فقال: إن عندي في هذا علماً، سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا سمعتم به بأرض فلا تَقْدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه. قال: فحمد الله عمر ثم انصرف».

قال صاحب عيون المناظرات بعد أن أورد هذه القصة: «فلما رأى أبو عبيدة هذا من قوله وتنظيره سلم، وعلم أنه الحق حتى أتى عبد الرحمن ابن عوف فشفاهم بالنص عن النبي ﷺ ووافق ما أراد عمر ﷺ، وكأن أبا عبيدة ﷺ إنما نزع للحديث: «إن ما أخطأك لم يكن ليصيبك»(١)

---

(١) انظر: سنن أبي داود ٥/٧٥ كتاب السنة ـ باب في القدر ح: ٤٦٩٩، وسنن الترمذي ٦/٣١٨ أبواب القدر ـ باب ما جاء في الإيمان بالقدر خيره وشره ح: ٢١٤٥ وقال أبوعيسى: وهذا حديث لا نعرفه إلا من حديث عبد الله بن ميمون وعبد الله بن ميمون منكر الحديث ، وسنن ابن ماجه ١/٣٠ كتاب المقدمة ـ باب في القدر ح: ٧٧، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه ١/١٩ ح : ٦٢ ، ومسند الإمام أحمد ٥/٣١٧ .

وهذا لا ينافي ما أراد عمر؛ لأن زوالهم عن الوباء هو الذي أصابهم، والوباء هو الذي أخطأهم، فتحصل من هذه المناظرة أن الاكتساب لا ينافي التوكل، وأن لا يحتج العبد بالقدر إلا بعد الاكتساب والاجتهاد»(١)

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وناظر عمر أبا عبيدة فاستظهر عليه بالحجة فتبعه، ثم جاء عبد الرحمن بن عوف بالنص، فارتفع الإشكال»(٢).

التحذير من الخوض في القدر بالباطل:

روى أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري بسنده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن سائلاً سأله عن القدر؟ فقال: طريق دقيق لا تمش فيه. فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن القدر. فقال: بحر عميق لا تخض فيه. فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن القدر؟ فقال: سر خفي الله لا تفشه. فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن القدر؟ فقال علي رضي الله عنه يا سائل: إن الله (تعالى) خلقك كما شاء أو كما شئت؟ فقال: كما شاء. قال: إن الله (تعالى) يبعثك يوم القيامة كما شئت أو كما يشاء؟ فقال: كما يشاء. فقال: يا سائل، لك مشيئة مع الله أو فوق مشيئته، أو دون مشيئته؟ فإن قلت: مع مشيئته ادعيت الشركة معه، وإن قلت: دون مشيئته استغنيت عن مشيئته، وإن قلت: فوق مشيئته كانت مشيئتك غالبة على مشيئته. ثم قال: ألست تسأل الله العافية؟ فقال: نعم. فقال:

---

(١) عيون المناظرات ص: ١٦٤.

(٢) فتح الباري ١٨٧/١٠ (بتصرف).

فعمَّاذا تسأله العافية؟ أمن بلاء هو ابتلاك به، أو من بلاء غيره ابتلاك به؟ قال: من بلاء ابتلاني به. فقال: ألست تقول: لا حول ولا قوة إلا با لله العلي العظيم. قال: بلى. قال: تعرف تفسيرها؟ فقال: لا يا أمير المؤمنين، علمني مما علمك ا لله. فقال: تفسيره: إن العبد لا قدرة له على طاعة ا لله ولا على معصيته إلا با لله عز وجل. يا سائل، إن ا لله يسقم ويداوي، منه الداء ومنه الدواء، اعقل عن ا لله، فقال السائل: عقلت. فقال له: الآن صرت مسلماً، قوموا إلى أخيكم المسلم وخذوا بيده[(١)].

وقيل لعلي ﷺ: إن هاهنا رجلاً يتكلم في المشيئة. قال: وقال له: يا عبد ا لله، خلقك ا لله عز وجل لما شاء أو لما شئت؟ قال: بل لما شاء. قال: فيمرضك إذا شاء أو إذا شئت؟ قال: بل إذا شاء. قال: فيشفيك إذا شاء أو إذا شئت؟ قال: إذا شاء. قال: فيميتك إذا شاء أو إذا شئت؟ قال: إذا شاء. قال: فيدخلك حيث شاء أو حيث شئت؟ قال: حيث شاء. قال: وا لله لو قلت غير هذا لضربت الذي فيه عيناك بالسيف. قال ثم تلا: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [سورة المدثر: ٥٦].[(٢)]

ونحوه عن علي أنه مرَّ بنفر من أصحابه فقالوا له: يا أمير المؤمنين، إن هذا يقول إن أفعاله تكون بمشيئته. فقال له علي ﷺ: أخبرني: هل ملكك ا لله شيئاً فأنت تملكه أم لا؟ فقال: نعم، ملكني صلاتي وصيامي وحجي

---

(١) التبصير في الدين ص : ٨٧-٨٨ وانظر نحوه في كتاب الشريعة للآجري ص : ٢٠٢ ، والنيسابوري من أشهر مفسري خراسان توفي سنة ٤٠٦هـ وهو من شيوخ البيهقي.

(٢) شرح السنة ٧٠٧/٤-٧٠٨ برقم : ١٣١٠ ، وانظر : الحجة ٢٤/٢-٢٥ برقم : ٩

وجهادي وعتق رقيقي، وطلاق نسائي. فقال علي: أشيئاً مع الله تملكه أم شيئاً دون الله تملكه؟ قال: إني لا أسمع. فقال علي: إني لأتكلم بلسان عربي مبين، إن زعمت أنك تملكه مع الله فقد جعلت مع الله مالكاً، وإن زعمت أنك تملكه من دون الله، فقد جعلت من دون الله مالكاً. وفي رواية قال علي: وأيها قلت أخذت الذي فيه عيناك، فبهت وانقطع[١].

وفي هذه المعاني يقول الشافعي رحمه الله:[٢]

ما شئتَ كان وإن لم أشأ ... وما شئتُ إن لم تشأ لم يكن
خلقتَ العباد على ما علمت ... ففي العلم يجري الفتى والمسن
على ذا مننتَ وهذا خذلتَ ... وهذا أعنتَ وذا لم تعن
فهذا سعيد وهذا شقي ... وهذا قبيح وهذا حسن

وروي أن علياً ﷺ مر بقدري وهو يتكلم في القدر فقال له: أبالله تقدر أم مع الله أم دون الله؟ فسكت الرجل ولم يعلم بما يجيب، فقال له رضي الله عنه: إن قلت: دون الله كفرت، وإن قلت: مع الله أشركت، وإن قلت: بالله أصبت. فقال الرجل: بالله أقدر. فقال له: لو قلت غيرها ضربت عنقك[٣].

---

(١) حز الغلاصم ص:١١٣-١١٤ وقال الفقيه أبو القاسم عبد الرحمن بن الحسن بن الحباب: كل ذلك وردت عنه رضي الله عنه بالأسانيد الصحاح والأقوال الواضحة.

(٢) التبصير في الدين ص : ٨٨

(٣) انظر : عيون المناظرات ص : ١٧٦.

وروي[(١)] عنه ﷺ أن قائلاً قال له عند انصرافه من صفين: أرأيت مسيرنا إلى صفين أبقضاء وقدر؟ فقال علي ﷺ: وا لله ما علونا جبلاً، ولا هبطنا وادياً، ولا خطونا خطوة إلا بقضاء وقدر. فقال الشيخ: عند الله أحتسب عنائي إذن، مالي أجر! فقال له: يا شيخ فإن هذا قول أولياء الشيطان وخصماء الرحمن، قدرية هذه الأمة ومجوسها، إن الله أمر تخييراً، ونهى تحذيراً، لم يُعص مغلوباً، ولم يُطع مكرهاً. فضحك الشيخ ونهض مسروراً، ثم قال:

أنت الإمام الذي نرجو بطاعته   يوم القيامة من ذي العرش رضوانا
أوضحت من ديننا ما كان ملتبساً   جزاك ربك عنا فيه إحسانا

المناظرة في معنى الظلم:

من عقيدة المسلم أن الله لا يظلم عباده شيئاً، قال (تعالى): ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾[سورة فصلت: ٤٦]، فهدايته للمؤمن هي محض فضله ومنته، وإضلاله للكافر هو محض عدله وقسطه.

قال عطاء بن أبي رباح: كنت عند ابن عباس فجاءه رجل فقال: يا أبا عباس، أرأيت من صدني عن الهدى، وأوردني الضلالة والردى، ألا تراه قد ظلمني؟!.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن كان الهدى كان شيء لك عنده فمنعكاه فقد ظلمك، وإن كان هو له يؤتيه من يشاء فلم يظلمك، قم لا تجالسني[(٢)].

(١) انظر : عيون المناظرات ص : ١٧٧ .
(٢) شرح السنة ٤/٦٧٠-٦٧١ برقم : ١٢٢٧.

وروى مسلم في صحيحه[(١)] عن يحيى بن يعمر عن أبي الأسود الدِّئَلي قال: قال لي عِمْران بن الحُصَيْن: أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه أشيء قُضي عليهم، ومضى عليهم مِنْ قَدَر ما سبق، أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم؟ فقلت: بل شيء قضي عليهم ومضى عليهم. فقال: أفلا يكون ظلماً؟ قال: ففزعت من ذلك فزعاً شديداً، وقلت: كل شيء خَلْقُ الله، ومِلْك يده، فلا يسأل عما يفعل وهم يسألون. فقال لي: يرحمكم الله، إني لم أُرِدْ بما سألتك إلا لأحزر عقلك، إن رجلين من مزينة أتيا رسول الله ﷺ فقالا: يا رسول الله، أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه، أشيء قضي عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق أو فيما يستقبلون به مما آتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم؟ فقال: لا، بل شيء قضي عليهم، ومضى فيهم، وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾[سورة الشمس: ٧-٨].

وروي[(٢)] نحوه عن جعفر الصادق، وذلك أن قدرياً دخل عليه فقال له: يا ابن بنت رسول الله، تعالى الله عن الفحشاء، فقال له جعفر الصادق: يا أعرابي وجلَّ ربنا أن يكون في ملكه ما لا يشاء. فقال القدري: يا ابن بنت رسول الله، أيحب ربنا أن يعصى؟ قال: يا أعرابي،

---

(١) ٤/٢٠٤١-٢٠٤٢ كتاب القدر ـ باب كيفية الخلق الآدمي ... ح : ٢٦٥٠ .

(٢) انظر : حز الغلاصم لابن الحاج القفطي ص : ١٨ .

أفيعصى ربنا قهراً؟ قال: يا ابن بنت رسول الله، أرأيت إن صدني عن الهدى، فسلك بي طريق الردى، أحسن بي أم أساء؟ فقال جعفر الصادق: إن منعك شيئاً هو لك فقد ظلم وأساء، وإن منعك شيئاً هو له فإنه يختص برحمته من يشاء، فأُفحم القدري، وبُهت، ولم يجد جواباً.

وروي[١] أن رجلاً سأل ابن عباس رضي الله عنهما فقال له: أمراد الله من خلقه أن يطيعوه، أم يعصوه؟ فقال: أراد منهم ما كان منهم.

فلما سأل الرجل عن الإرادة الكونية أجابه ابن عباس رضي الله عنهما بهذا الجواب الفصل؛ لأن ما يقع في هذا الكون يدخل تحت إرادة الله ومشيئته العامة، ولا يمنع أن يكون بعض ما يقع مما لا يحبه الله (تعالى) ولا يرضاه شرعاً، وإن أراده كوناً وقدراً كالكفر والمعاصي.

وأخرج البيهقي[٢] بسنده عن معمر قال: «بلغني أن عمرو بن العاص قال لأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما: وددتُ أني أجد من أخاصم إليه ربي، فقال أبو موسى: أنا. فقال عمرو : أيُقدِّر علي شيئاً ويعذبني ؟! فقال أبو موسى ﷺ: نعم، قال: لـمَ. قال: لأنه لا يظلمك. فقال: صدقت».

ويروى عن إياس بن معاوية المزني (١٢١هـ) قال: ما كلمتُ أحداً من أهل الأهواء بعقلي كله إلا القدرية، فإني قلت لهم: ما الظلم فيكم؟ فقال: أن يأخذ الإنسان ما ليس له. فقلت لهم: فإن الله على كل شيء

---

(١) عيون المناظرات ص : ١٨٦.

(٢) الاعتقاد ص : ١٤٩-١٥٠.

قدير، وفي رواية : فإن لله كل شيء[(١)]. وفي رواية قال إياس: ما كلمت أحداً بعقلي كله إلا صاحب القدر، قلت: ما الظلم في كلام العرب؟ قال: هو أن يأخذ الرجل ما ليس له، قلت: فإن الله له كل شيء[(٢)]. قال ابن تيمية رحمه الله: «وهذا قول كثير من أتباع الأئمة الأربعة وغيرهم»[(٣)].

القدرية بين الكفر والانقطاع:

قال أبو جعفر الخطمي: شهدت عمر بن عبد العزيز وقد دعا غيلان لشيء بلغه في القدر، فقال: ويحك يا غيلان، ما هذا الذي بلغني عنك؟ قال: يُكذب علي يا أمير المؤمنين، ويقال علي ما لم أقل. قال: ما تقول في العلم؟ قال: نَفَذَ العلم. قال: فأنت مخصوم، اذهب الآن فقل ما شئت، ويحك يا غيلان، إنك إن أقررت بالعلم خصمت، وإن جحدته كفرت، وإنك إن تُقرَّ به فتخصم خير لك من أن تجحد فتكفر[(٤)].

وقال الشافعي رحمه الله: ناظروا القدرية بالعلم، فإن أقروا به خصموا، وإن أنكروا كفروا[(٥)].

---

(١) السنة لعبد الله بن أحمد ص : ١٤٥ رقم : ٧٨٢ ، وانظر : شرح السنة ٦٩١/٤ رقم: ١٢٠٨، والشريعة ص :٢٢٠، والاعتقاد للبيهقي ص :١٥٠.

(٢) عيون الأخبار ١٤٣/٢.

(٣) منهاج السنة النبوية ٣٠٥/٢.

(٤) السنة لعبد الله بن أحمد ص : ١٤٥-١٤٦ برقم : ٧٨٤ ، وانظر : شرح السنة ـ اللالكائي ٧١٣/٤-٧١٤ برقم : ١٣٢٥.

(٥) شرح الطحاوية ٣٥٤/٢ .

وقال حوثرة بن أشرس (٢٣٢هـ): سمعت سلاماً أبا المنذر غير مرة يقول: سلوهم عن العلم، هل علم أو لم يعلم؟ فإن قالوا: علم، فليس في أيديهم شيء، وإن قالوا: لم يعلم، فقد حلت دماؤهم[١].

مناظرة نفاة العلم السابق:

قال عبد العزيز الكناني في كتابه الحيدة[٢]: وكان خلف ظهري وأنا في مجلس أمير المؤمنين، أطال الله بقاه، أناظر بشراً المريسي على ما ذكرته في هذا الكتاب، رجل يعرف بالكلام والنظر، فجعل كلما سكت بشر وانقطع يحرضه ويحضه على الكلام، وإذا أردت أن أتكلم لا يزال يهذي خلفي ويقرب رأسه من أذني؛ ليسمعني ويدهشني ويقطعني بذلك عن حجتي، فشكوت ذلك إلى المأمون فصاح به وأبعده عني، فلما قلت لبشر: ما من شيء كان أو هو كائن مما يحتاج الناس إلى معرفته وعلمه إلا وقد ذكره الله (تعالى) في كتابه عقله من عقله وجهله من جهله، أخذ ذلك الرجل يضرب بيده على فخذه ويقول: سبحان الله! تزعم أن كل ما هو كائن مما يحتاج إليه قد ذكره الله (تعالى) في كتابه، ما أعظم هذا! وكيف يعلم ما هو كائن فيذكره؟!

قال عبد العزيز: فالتفت إليه فقلت له: أنت جهمي قدري، وأنت تهذي دائماً. ثم أقبلت على المأمون فقلت: يا أمير المؤمنين؛ أطال الله بقاك، إن هذا الذي شكوت إليك أذاه منذ اليوم هو جهمي قدري، قد

---

(١) الحجة ٢/٧٧-٧٨.

(٢) ص: ١٣٦-١٤٠.

جمع الأمر من جهتين: ينكر أن الله (تعالى) يعلم ما يكون قبل أن يكون. فقال المأمون: هذا قوله. فقلت: إن رأى أمير المؤمنين، أطال الله بقاه، أن يأذن لي حتى أكذبه وأكسر قوله وأدحض حجته، وأبطل مذهبه بنص التنزيل الساعة، فقال المأمون: لهذا وقت غير هذا، ومجلس غير هذا تتكلم معه، ومع غيره في القدر خاصة. قال عبد العزيز: فقلت: يا أمير المؤمنين، لست أطول، إنما أحتج عليه بآية واحدة. فقال المأمون: قل ما تريد.

قال عبد العزيز: فأقبلت عليه، فقلت له: أتنكر أن الله يعلم ما يكون قبل كونه؟ قال: نعم أنا أنكر هذا. فقلت: والله يا أمير المؤمنين، لقد علم الله ما لم يكن، وما لا يكون، وما لو كان كيف كان يكون. فصاح الرجل: سبحانه الله ما أجراك على الكذب، الحمد لله الذي أخذك بلسانك، فقال لي المأمون: أعد هذا الكلام يا عبد العزيز، فقلت له: نعم والله، لقد علم الله ما لم يكن وما لا يكون وما لو كان كيف يكون. فقال المأمون يا عبد العزيز، هذا شيء تقوله من نفسك، أم شيء تحكيه عن غيرك؟ فقلت: هذا شيء أخبرنا الله به في كتابه الذي أنزله على نبيه ﷺ. فقال لي المأمون: وأين ذلك في كتاب الله (تعالى)؟ قال عبد العزيز: فقلت: قال الله عز وجل: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [سورة الأنعام: ٢٧-٢٨] في قولهم هذا. وهذا ما لم يكن، وما لا يكون؛ لأنهم لا يردون، لا هم ولا غيرهم، فأخبر (تعالى) بعلمه السابق

فيهم أنْ لو ردوا ما كانوا فاعلين، ولن يُرَدوا أبداً، فهذا يا أمير المؤمنين، ما لم يكن، وما لا يكون، وما لو كان كيف يكون. فقال لي المأمون: أحسنت يا عبد العزيز، وما قلت في يومك شيئاً أحسن، ولا أدق من هذا. فقلت: قد أكذبت وا لله أهل هذه المقالة، وكسرت قولهم، ودحضت حجتهم، وأبطلت مذهبهم بنص التنزيل بلا تأويل ولا تفسير.

ا لله هو الخالق لأفعال العباد:

تناظر سني وقدري في مسألة أفعال العباد، فقال القدري: أنا هو الخالق، والدليل أني أقطع هذه الثمرة إذا شئت، قالوا: فقطع ثمرة من شجرة، فقال له السني: ردها إلى موضعها كما كانت، فبهت القدري[١].

فالقادر على إبداع فصلها هو القادر على إبداع وصلها؛ لأن القادر على الشيء قادر على مثله وضده[٢].

القدر الكوني يُنازع بالقدر الشرعي:

وهذه هي النكتة التي غفل عنها كثير من الخائضين في القدر بالباطل، وهي التفريق بين الرضا بالقضاء، و بين التسليم له إن كان مخالفاً لمراد ا لله الشرعي كالكفر والمعاصي، أو مراد الإنسان الطبعي كالجوع والمرض ونحو ذلك؛ ولهذا قال عبد القادر الجيلاني رحمه ا لله:.«كثير من الناس إذا وصلوا إلى القضاء والقدر أمسكوا، إلا أنا فإني انفتحت لي فيه روزنة، فنازعت أقدار الحق بالحق للحق، والرجل من يكون منازعاً للقدر، لا من

(١) انظر : عيون المناظرات ص:٢١٦.

(٢) انظر : المرجع السابق ص : ٢١٧.

يكون موافقاً للقدر»[١]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بعد أن نقل هذا الكلام: «والذي ذكره الشيخ رحمه الله هو الذي أمر الله به ورسوله»[٢].

يروى أن عمر بن الخطاب ﷺ جيء برجل قد سرق وأراد أن يقطع عمر يده، فاحتج الرجل بالقدر، فقال عمر: أنت سرقت بقضاء الله وقدره، ونحن نقطع يدك بقضاء والله وقدره[٣].

وشكا جماعة من الصالحين ضرر الأتراك إلى أميرهم، فقال الأمير: ألستم تقولون: إن هذا بقضاء الله؟ وكيف أدفع عنكم قضاء الله؟! قالوا له: صاحب القضاء قال: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ [سورة البقرة: ٢٥١] فأفحموه[٤].

مناظرة أهل السنة لغيلان الدمشقي القدري

مناظرة داود بن أبي هند لغيلان :

عن سعيد بن عامر الضبعي قال: قال داود بن أبي هند (١٣٩هـ): أتيت الشام فلقيني غيلان، فقال: إني أريد أن أسألك عن مسألتين. قال: قلت: سلني عن خمسين مسألة، وأسألك عن مسألتين. قال: سل يا داود. قلت: أخبرني عن أفضل ما أعطي ابن آدم؟ قال: العقل. قلت: فأخبرني عن العقل ما هو؟ شيء ما مباح للناس، من شاء أخذه ومن شاء تركه، أو

(١) العبودية ص: ٥٢-٥٣ .
(٢) العبودية ص: ٥٣ .
(٣) انظر: منهاج السنة النبوية ـ ابن تيمية ٣/٢٣٤ .
(٤) انظر: عيون المناظرات ص : ٢١٧.

هو مقسوم؟ قال: فمضى ولم يجبني[١].

مناظرة إياس بن معاوية له:

قال أبو يحيى محمد بن عبد الله المقري: سمعت أبي يقول: كان غيلان يشتهي أن يلقى إياساً، وكان إياس يشتهي أن يلتقي مع غيلان، فاجتمعا بمنى، فتكلما. فقال غيلان: أنت إياس. وقال إياس: أنت غيلان. فقال إياس: أسألك عن مسألة واحدة، وتسألني عن مائة مسألة. فقال له أصحابه: قد أنصفك. قال: فسلني. قال: أخبرني ما خير شيء ذكر الله في الإنسان؟ قال: العقل. قال: فمقسوم هو أم مباح؟ فسكت، فلم يجبه. فقال له أصحابه: أجبه. فقام ولم يجبه، فقال: ويلكم، أتدرون عن أي شيء سألني؟ إن قلت: مباح قال: فما بالك لا تأخذه كله، وإن قلت: مقسوم رجعت إلى قوله[٢]. وهو الإقرار بأن الله (تعالى) قدر مقادير كل شيء، وخلقه على ما قدر.

مناظرة عمر بن عبد العزيز له:

قال أبو جعفر الخطمي: شهدت عمر بن عبد العزيز وقد دعا غيلان لشيء بلغه في القدر، فقال له: ويحك يا غيلان، ما هذا الذي بلغني عنك؟! قال: يكذب علي يا أمير المؤمنين، ويقال علي ما لم أقل. قال: ما تقول في العلم؟ قال: نفذ العلم. قال: أنت مخصوم، اذهب الآن وقل ما

(١) سير أعلام النبلاء ٦/٣٧٧ .

(٢) الحجة ـ الأصبهاني ٢/٧٨-٧٩ .

شئت. ويحك يا غيلان، إنك إن أقررت بالعلم خصمت، وإن جحدته كفرت، وإنك إن تقر به فتخصم خير لك من أن تجحده فتكفر، قال: ثم قال له: تقرأ يس؟ فقال: نعم. فقال له: ﴿ يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾. فقرأ: ﴿يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ إلى قوله: ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[سورة يس: ٧] قال: قف، كيف ترى؟ قال: كأني لم أقرأ هذه الآية يا أمير المؤمنين. قال: زد. فقرأ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ * وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾[سورة يس:٨-٩]. قال له عمر: قل: ﴿سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ * وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[سورة يس: ٩-١٠] قال: كيف ترى؟ قال: كأني لم أقرأ هذه الآيات قط، وإني أعاهد الله أن لا أتكلم في شيء مما كنت أتكلم فيه أبداً.

قال: اذهب، فلما ولى قال: اللهم إن كان كاذباً فيما قال فأذقه حر السلاح[(١)].

وفي رواية عند أبي بكر الآجري[(٢)] بسنده إلى عمرو بن مهاجر قال: بلغ عمر بن عبد العزيز أن غيلان بن مسلم يقول في القدر، فبعث إليه فحجبه أياماً، ثم أدخله عليه، فقال: غيلان، ما هذا الذي بلغني عنك؟

---

(١) السنة لعبد الله بن أحمد ص: ١٤٥-١٤٦ برقم: ٧٨٤، وشرح السنة ٤/٧١٣-٧١٥ برقم: ١٣٢٥.

(٢) الشريعة ص: ٢٢٨، وانظر: التنبيه والرد للملطي ص: ١٦٨، وحسَّنه الشيخ مقبل الوادعي في كتاب الجامع الصحيح في القدر ص: ٥٠٥.

قال عمرو بن مهاجر: فأشرت إليه أن لا يقول شيئاً، قال: فقال: نعم يا أمير المؤمنين، إن الله عز وجل قال: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا * إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا * إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[سورة الإنسان: ١-٣] قال: اقرأ آخر السورة: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا * يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[سورة الإنسان: ٣٠-٣١] ثم قال: ما تقول يا غيلان؟ قال: أقول قد كنت أعمى فبصرتني، وأصم فأسمعتني، وضالاً فهديتني. فقال عمر: اللهم إن كان عبدك غيلان صادقاً وإلا فاصلبه، فأمسك عن الكلام في القدر، فولاه عمر بن عبد العزيز دار الضرب بدمشق، فلما مات عمر ابن عبد العزيز رحمه الله ،وأفضت الخلافة إلى هشام تكلم في القدر، فبعث إليه هشام فقطع يده، فمر به رجل والذباب على يده، فقال له: يا غيلان، هذا قضاء وقدر؟ فقال: كذبت، لعمر الله ما هذا قضاء ولا قدر، فبعث إليه هشام فصلبه.

مناظرة هشام بن عبد الملك له:

قال أبو جعفر الخطمي في حكاية غيلان مع عمر بن عبد العزيز: فلم يتكلم زمن عمر، فلما كان يزيد بن عبد الملك كان رجلاً لا يهتم بهذا، ولا ينظر فيه. قال: فتكلم غيلان، فلما ولي هشام أرسل إليه، فقال له: أليس قد كنت عاهدت الله لعمر أن لا تتكلم في شيء من هذا أبدا؟ قال: أقلني، فوالله لا أعود. قال: لا أقالني الله إن أقلتك، هل تقرأ فاتحة الكتاب؟ قال: نعم. قال: اقرأ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[سورة الفاتحة: ٢] فقرأ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ

نَسْتَعِينُ﴾[سورة الفاتحة: ٢-٥]. قال: قف، عَلامَ استعنته؟ على أمر بيده لا تستطيعه إلا به، أو على أمر في يدك ـ أو بيدك؟ اذهبا به فاقطعا يديه ورجليه، واضربا عنقه، واصلباه[١].

مناظرة الأوزاعي له :

وناظر الأوزاعي غيلان الدمشقي في مجلس أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك:

قال الوليد بن هشام: بلغ هشام بن عبد الملك أن رجلاً قد ظهر يقول بالقدر وقد أغوى خلقاً كثيراً، فبعث إليه هشام فأحضره. فقال: ما هذا الذي بلغني عنك؟ قال: وما هو؟ قال: تقول إن الله لم يقدر على خلق الشر؟ قال: بذلك أقول، فأحضر من شئت يحاجني فيه، فإن غلبته بالحجة والبيان علمتَ أني على الحق، وإن هو غلبني بالحجة فاضرب عنقي. قال: فبعث هشام إلى الأوزاعي فأحضره للمناظرة. فقال له الأوزاعي: إن شئتَ سألتك عن واحدة، وإن شئتَ عن ثلاث، وإن شئت عن أربع؟ فقال: سل عما بدا لك. قال الأوزاعي: أخبرني عن الله عز وجل: هل تعلم أنه قضى على ما نهى؟ قال: ليس عندي في هذا شيء. فقلت: يا أمير المؤمنين هذه واحدة. ثم قلت له: أخبرني: هل تعلم أن الله حال دون ما أمر؟ قال: هذه أشد من الأولى. فقلت: يا أمير المؤمنين، هذه اثنتان، ثم قلت له: هل تعلم أن الله أعان على ما حرَّم؟ قال: هذه أشد

(١) السنة لعبد الله بن أحمد ص : ١٤٦، وشرح السنة ٧١٥/٤ برقم : ١٣٢٥ .

من الأولى والثانية. فقلت: يا أمير المؤمين، هذه ثلاث، قد حل بها ضرب عنقه. فأمر به هشام فضربت عنقه.

ثم قال للأوزاعي: يا أبا عمرو، فسِّر لنا هذه المسائل. فقال: نعم يا أمير المؤمنين، سألته: هل تعلم أن الله قضى على ما نهى؟ نهى آدم عن أكل الشجرة ثم قضى عليه بأكلها.

وسألته: هل يعلم أن الله حال دون ما أمر؟ أمر إبليس بالسجود لآدم ثم حال بينه وبين السجود.

وسألته: هل يعلم أن الله أعان على ما حرم؟ حرم الميتة والدم، ثم أعاننا على أكله في وقت الاضطرار إليه.

قال هشام: والرابعة ما هي يا أبا عمرو؟ قال: كنت أقول: مشيئتك مع الله أم دون الله؟ فإن قال: مع الله، فقد اتخذ مع الله شريكاً، أو قال: دون الله، فقد انفرد بالربوبية، فأيهما أجابني فقد حل ضرب عنقه بها.

قال هشام: حياة الخلق وقوام الدين بالعلماء[1].

مناظرة ربيعة بن عبد الرحمن لغيلان:

قال غيلان لربيعة بن عبد الرحمن: أترى الله يريد أن يعصى؟ قال له ربيعة: أترى الله يُعصى قهراً؟ فكأنما ألقمه حجراً[2].

---

(١) شرح السنة ٧١٨/٤-٧١٩ برقم: ١٣٣٠، وانظر: حز الغلاصم ص: ١١٢-١١٣، ومحاسن المساعي في مناقب الأوزاعي ص: ١٠٤ وما بعدها.

(٢) عيون المناظرات ص: ٢٠٥.

مناظرة ميمون بن مهران لغيلان:

حكي أن غيلان الدمشقي وميمون بن مهران اجتمعا بين هشام بن عبد الملك، فأمر غيلان أن يتكلم مع ميمون، فقال غيلان لميمون: أنت الذي تزعم أن الله أراد أن يعصى؟ فقال له ميمون: أفكان ما لا يريده؟ ومن وقع في ملكه ما لا يريده فهو عاجز.

فسكت غيلان ولم يجد جواباً، فقال له: أجبه، فلم يجبه. فقال له هشام: لا أقالني الله إن لم أقتلك، فأمر فقطعت أربعه ثم صلب[(١)].

مناظرة أبي إسحاق الإسفرائيني مع القاضي عبد الجبار:

قال عبد الجبار في ابتداء جلوسه للمناظرة: سبحان من تنزه عن الفحشاء. فقال أبو إسحاق مجيباً: سبحان من لا يقع في ملكه إلا ما يشاء. فقال عبد الجبار: أفيشاء ربنا أن يعصى؟ فقال أبو إسحاق: أيعصى ربنا قهراً؟ فقال عبد الجبار: أفرأيت إن منعني الهدى وقضى علي بالردى أحسن إلي أم أساء؟ فقال أبو إسحاق: إن كان منعك ما هو لك فقد أساء، وإن منعك ما هو له فيختص برحمته من يشاء. فانقطع عبد الجبار[(٢)].

المناظرة في التكليف بما لا يطاق

التكليف بما لا يطاق من الألفاظ المجملة، التي يجب فيها التفصيل؛ فهو يفسر بأحد شيئين : الأول: بما لا يطاق للعجز عنه، فهذا لم يُكلفه

(١) عيون المناظرات ص:٢٩٢-٢٩٣.

(٢) انظر: طبقات الشافعية ـ السبكي ٤/٢٦١-٢٦٢

الله أحداً. والثاني: يفسر بما لا يطاق للاشتغال بضده، فهذا هو الذي وقع فيه التكليف، كما في أمر العباد بعضهم بعضاً؛ فإنهم يفرِّقون بين هذا وهذا، فلا يأمر السيد عبده الأعمى بنقط المصاحف، ويأمره إذا كان قاعداً أن يقوم، ويُعلم الفرق بين الأمرين بالضرورة[1].

قال المبرد: عن أبي عثمان المازني قال: سئل علي بن موسى الرضا (٢٠٣هـ): أيكلف الله العباد ما لا يطيقون؟ قال: هو أعدل من ذلك قيل: فيستطيعون أن يفعلوا ما يريدون؟ قال: هم أعجز من ذلك[2].

وقال اللالكائي[3]: سمعت الحسين الإخباري يقول: قرأت في أخبار إبراهيم بن المهدي أنه حدَّث عن ذبية المدني ـ وكان استصحبه لما ولي دمشق ـ أنه كان سبب وروده العراق: أن المهدي أشخص من المدينة ثلاثين شيخاً ممن تكلم في القدر واشتهر به. قال: فكنت فيهم، فلما مثلنا بين يديه ضربهم بالسياط أجمعين وأخرني.

فلما قدمت قال : أراك صبياً، ألم يكن بالمدينة من هو أسنُّ منك تتم به العدة؟ قلت : جماعة يا أمير المؤمنين. فقال: إذن إنما قربت إليهم لأنك من مثلهم، ثم دعا بالسياط، فلما ضربت سوطاً، فقلت : يا أمير المؤمنين، نشدتك الله إلا أدنيتني إليك، أكلمك ولك رأيك.

---

(١) انظر : شرح الطحاوية ٦٣٩/٢ ، ومجموع فتاوى ابن تيمية ٣٠١/٨-٣٠٢ ، ٤٦٩ وما بعدها

(٢) سير أعلام النبلاء ٣٩١/١٩ .

(٣) شرح السنة ٧٢٠/٤-٧٢٣ رقم : ١٣٣٢ .

فقدمني فقلت: أنا رجل من أهل المدينة قطن أبي فيها، وهو من وادي القرى، وكان تاجراً ذا مال، فعلمني القرآن، ثم أمرني أن أغدو إلى حلقة ابن أبي ذئب، وأروح إلى ربيعة الرأي، فعنَّ لي شيخ لم أكن رأيته قط.

فقال لي: يا بني قد بلغت من العلم، وما أراك استبصرت في دينك. فقلت: وما ذاك يا عم؟ فقال: هل رأيت مقعداً قط؟ قلت: نعم. قال: فلو رأيت رجلاً كلفه صعود نخلة ما كنت تقول؟ قلت: جاهل. قال: فلو ضربه على قصوره عن صعودها؟ قلت: ظالم. فقال: يا بني هذا حلمك على إنسان، فكيف بالله سبحانه في عدله، أتقول: إنه يكلف عباده ما ليس في وسعهم، ثم يعاقبهم عليه مع قوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[سورة البقرة: ٢٨٦].

قلت: فتعدني يا أمير المؤمنين بالمقعد؟ قال ذبية: فضحك المهدي أمير المؤمنين، ثم أمر فطرح ثيابي عليَّ، فلما لبستُ أدناني، ثم قال: أجبني وأنت آمن. لو أنك في سفر فرأيت عليلاً في برية فاستطعم رجلاً فلم يطعمه، وتركه ومضى، ما كنت قائلاً؟ قلت: ظالم. قال: فهل علمت أن أحداً من خلق الله كان في برية عليلاً عادماً للطعام والشراب؟ قلت: كثيراً. قال: فإن دعا ربه أن ينجيه، هل كان الله سبحانه قادراً على أن يطعمه ويسقيه؟ قلت: اللهم نعم. قال: فهل تقول إن دعا ربه أن يطعمه ويرويه فلم يجب دعاءه ومات: إن الله ظلمه؟ قلت: لا. قال: فكيف

تقول لمن أقعدك مثل هـذا ؟ قـال: لأن الأشـياء كلهـا لله تعـالى لا عليـه، والتجوير على من الأشياء عليه لا له يا ذبية.

إن الإيمان إذا سكن القلب قبـل الاحتجـاج لم يخرجـه الاحتجـاج، وإذا سكن الحجاج قبل الإيمان كان متنقلاً متى حاج من هـو أحـج منـه، فقلت : يا أمير المؤمنين، قد وا لله ثلج بحجاجك صدري، وأنا تائب، فأَمَر لي بجائزة وكسوة وخلى سبيلي.

حمال يقطع النظام في مسألة تكليف ما لا يطاق:

قال أبو عثمان المازني (٢٤٧هـ): كـان بمـرو حمـال يحمـل القـت[(١)]، وكان يقول: ألا تجمع بيني وبين النظام، كلما مرَّ بي يقول هذا، فمـرَّ بـي يوماً والنظام عندي، فقلت للنظام: قد آذاني هذا مما يقول لي: اجمـع بيـني وبين النظام، فقلت له: هذا النظام. فطرح الكارة[(٢)]، ثم جـاء إلى النظـام، فقال: سل، فقال له النظـام: كلـف ا لله العبـاد مـا لا يطيقـون؟ فقـال لـه الحمال: كلفهم ما لا يطيقون إلا به. قال: فانقطع النظام ومضى الحمـال، فقال النظام: ما دريت وا لله أي شيء أرد عليه[(٣)].

المناظرة في الاستطاعة :

الذي عليه عامة أهل السنة والجماعة أن للعبد قدرة هي منـاط الأمـر والنهي، وهذه تكون قبل الفعل، لا معه، فهي من جهـة الصحـة والوسـع والتمكن وسلامة الآلات، وبهـا يتعلق الخطـاب. وأمـا القـدرة الـتي هـي

(١) القت : الرطب من علف الدواب . انظر : لسان العرب ٧١/٢ مادة قت .
(٢) الكارة : ما يحمل على الظهر من الثياب. انظر : لسان العرب ١٥/٥ مادة كور.
(٣) الحجة ـ الأصبهاني ٧٨/٢.

التوفيق والتي لا يجوز أن يوصف العبد بها، فهذه تكون مع الفعل، وهي ليست شرطاً في التكليف[(١)].

في فنون ابن عقيل قال عميد المُلْك: قدم أبو المعالي فكلّم أبا القاسم ابن برهان في العباد: هل لهم أفعال؟ فقال أبو المعالي: إن وجدت آية تقتضي ذا فالحجة لك. فتلا: ﴿وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾ [سورة المؤمنون: ٦٣] ومدَّ بها صوته، وكرر: ﴿هم لها عاملون﴾ وقوله: ﴿لو اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [سورة التوبة: ٤٢] أي كانوا مستطيعين. فأخذ أبو المعالي يستروح إلى التأويل، فقال: والله إنك بارد، تتأول صريح كلام الله لتصحح بتأويلك كلام الأشعري، وأكله ابن برهان بالحجة، فبهت[(٢)].

الفرق بين الأمر الكوني والأمر الشرعي:

قال الأستاذ أبو الحجاج يوسف بن موسى الضرير (٥٢٠هـ) صاحب رسالة التنبيه والإرشاد: حضرني يوماً بعض أحبار اليهود فتكلم في التعديل والتجوير، وجاء بتخليط كثير، وكان مما أحاله وأنكره أن يكون الله (تعالى) يأمر بما لا يريد كونه. فقلت له: أليس قد أمر الخليل أن يذبح ابنه؟ فقال: بلى. فقلت: فهل أراد ذبحه؟ فقال: لا. فانقطع لوقته، وأمسك لحينه[(٣)].

وهذا من باب أن الله (تعالى) يأمر شرعاً ما لا يريده كوناً، ويريد كوناً ما ينهى عنه شرعاً.

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ٦٣٣/٢.

(٢) سير أعلام النبلاء ٤٦٩/١٨.

(٣) انظر: عيون المناظرات ص: ٢٩٠-٢٩١.

الفصل الثاني

الجدل والمناظرة في باب النبوات

مناظرة البراهمة في إنكارهم النبوة:

البراهمة ينكرون النبوات والرسالات، وعمدتهم في دفعها أنه لما صحَّ أن الباري عز وجل حكيم كان بعث الرسل إلى من يعلم أنه لا يصدقه، بل يكذبه، عبثاً وسفهاً يتنزه الله عنه، فوجب نفي النبوة لأجل تنزيه الله (تعالى) عن العبث والسفه، وقالوا أيضاً إن كان الله تعالى إنما بعث الرسل إلى الناس ليخرجهم بهم من الضلال إلى الإيمان، فقد كان أولى به في حكمته، وأتم لمراده أن يضطر العقول إلى الإيمان به، قالوا: فبطل إرسال الرسل على هذا الوجه أيضاً[1].

وأيضاً ـ قالوا: الخلق مستغنون عن النبوات بما ركب الله فيهم من العقول والفهوم التي يميزون بها بين الأمر والنهي، والطاعة والمعصية، والحسن والقبيح، فليس في بعث الرسل مع ذلك حكمة، بل هو عبث يتنزه الله عنه، هكذا زعموا[2].

ويبين أبو محمد بن حزم رحمه الله طريقة مناظرة هؤلاء البراهمة، ودفع شبههم، فذكر أنه يقال لهم: إنكم اضطركم هذا الأصل الفاسد إلى موافقة المانية على أصولها في أن الحكيم لا يخلق من يعصيه، ولا من يكفر به، ويقتل أولياءه، وهم يقولون: إن الله (تعالى) خلق الخلق ليدلهم به على نفسه.

---

(١) انظر: الفصل ـ لابن حزم ١/١٣٧.

(٢) انظر: الموجز لأبي عمار الأباضي ١/٢٩٨-٢٩٩.

ويقال لهم: قد علمنا وعلمتم أن في الناس كثيراً يجحدون الربوبية والوحدانية، فقولوا: إنه ليس حكيماً من خلق دلائل لمن يدري أنه لا يستدل بها.

فإن قالوا: إنه قد استدل بها كثير، قيل لهم: وقد صدَّق الرسلَ أيضاً كثيرٌ.

فإن قالوا: إنه خلق الخلق كما شاء، قيل لهم: وكذلك بعث الرسل كما شاء، فبعثته (تعالى) الرسل هي بعض دلائله التي خلقها ليدل بها على المعرفة به، وعلى توحيده[(١)].

وطريقة أخرى في مناظرة القوم:

يقال لهم: لم أنكرتم بعث الرسل من الله (تعالى) إلى خلقه؟ فإن قالوا: لأنا وجدنا الخلق مستغنين عن كل علم، وعن كل أمر؛ لما يجدونه في عقولهم من المعرفة. فيقال لهم: ألستم تجدون تذكار العباد بعضهم لبعض، وتنبيه بعضهم بعضاً، وتعليمهم إياهم مما يزيد في علومهم وفي مخافتهم من الله، ومن مراعاتهم لطاعته وشكرهم على نعمائه؟

فإن زعموا أن ذلك مما لا يزيد في علوم العباد، ولا في مخافتهم من الله (تعالى) أبطلوا ما في عادة الخلق، وأحالوا ما توجبه العقول. فإن قالوا: بل قد يزيد ذلك في علوم العباد، وفي طاعتهم الله (تبارك وتعالى) ومراعاتهم لأمره، قيل لهم: فلم أنكرتم مع هذا أن يكون بعث الله عز

(١) انظر : الفصل ١٣٨/١.

وجل رسله إلى عباده على جهة التذكار لهم، والزيادة في الشرائع والنقصان منها على أقدار أزمانهم، ومصالح شؤونهم؟! وكيف قضيتم بأن بعث الرسل من الله (تعالى) لعباده ليس من الحكمة، وتحكمتم في ذلك؟! أو ليس تواتر رسل الله (تعالى) إلى خلقه وتجديد عهده إلى عباده على ألسنة رسله وتتابع وعظه، وتذكاره على أسماعهم مما يستدعي إلى طاعته ويندب إلى عبادته؟ وكيف يَدَعُ سبحانه الأمر المستدعي إلى طاعته، والزاجر عن معصيته إلى غيره من الأمر الذي زعمتم، من ترك بعث الرسل إليهم، حتى تحكمتم في ذلك وقضيتم بأنه جور وعبث غير حكمة؟![1].

ومما يدل على قوة ما ذكر أنه لو قدر وجود ملك أو سلطان قد خرج عليه بعض جنده في مخالفة أمره، فأرسل ذلك الملك إليهم رسولاً ليرجعوا عن مخالفة أمره ويرتدعوا عن معاندته، والخروج من طاعته، أليس هذا الوجه أولى بالحكمة والعدل والرفق والاستصلاح منه إذا هو باطشهم على غير إعذار منه إليهم، وأخذهم على غرة من غير إنذار منه لهم[2].

مناظرة اليهود في النسخ:

اليهود تقول: إن القول بنسخ الشرائع يلزم منه البداء على الله (تعالى) وهو فاسد باتفاق، فيلزم منه أنه لا ناسخ لشريعة موسى عليه السلام.

(١) انظر: الموجز لأبي عمار الأباضي ١/٢٩٩-٣٠٠.

(٢) انظر: المرجع السابق ١/٣٠٠.

والبداء هو استحداث عِلْمٍ لله (تعالى) لم يكن عالماً به قبل ذلك.

ذكر الأستاذ أبو إسحاق الإسفرائيني مناظرة جرت له مع يهودي أورد سؤالاً يروم به إحالة النسخ، وهو قوله: إذا كان بالرجل علة من الحرارة كان على الطبيب أن يداويه بالبرودات ولا يجوز أن يسقيه شيئاً من الأدوية الحارة، فإن فعله كان فيه هلاكه. كذلك إذا كان الخلق على شريعة من الشرائع وكان صلاحهم في ذلك إبقاؤهم على تلك الشريعة، وكان تنقلهم عنها إفساداً لهم والله (تعالى) لا يفعله.

قال الأستاذ رحمه الله : فقلت له: هذا كما قلت إذا كان الطبيب ناقصاً في الطب، لم يجز إلا ما قلت، فأما إذا كان طبيباً يدعي الحذقة والزيادة على ما عند الأطباء، قال وقد عرفتم أن هذا المريض محرور ولا يصح عندكم إلا بالبرودات، وأنا أعالجه بالأدوية الحارة ويبرأ كما يبرأ بالبرودات كان له الفضل، ويجب الإعراض عن كل طبيب لا يساويه، فتحير السائل، وقطع الكلام.

قال الأستاذ رحمه الله: ثم انتدب بيهودي آخر للكلام، فقال: أنا أجوز النسخ من طريق العقول، وأمنعه من طريق الشريعة. وقال: روينا عن موسى عليه السلام: لا نسخ لشريعتي وهي لازمة لكم ما دامت السموات والأرض. كما روينا المعجزات وما جرى بينه وبين أعدائه، فإن لم يثبت ما رويناه في نسخ الشريعة، لم يثبت ما رويناه من المعجزات.

فقلت: أما ما رويتموه من المعجزات والمقالات فصحيح على ما رويتموه، مقبول منكم على ما ذكرتموه ولم يقع بينكم خلاف فيه، واجتمعتم على ذلك في كل الروايات، ولم يثبت لكم مثله في المنع من

النسخ بل اختلفتم فيه، فروى خلق كثير من بني إسرائيل جواز النسخ، وآمنوا بعيسى عليه السلام وكذبوكم فيما رويتم، وإذا وقع الخلاف بينكم سقطت الروايات ووجب طلب الدليل على الصحيح.

فقال: إن الذين آمنوا بعيسى وجوزوا النسخ طائفة قد ارتدوا عن دين موسى عليه السلام وأنكروا ما عرفوه.

فقلت له: ما دعواك عليهم أنهم ارتدوا إلا مثل دعواهم عليكم أنكم ارتددتم، فلا يقطع بقول واحد منكم على الاختلاف، ولا يصح إلا بدلالة أخرى، وقد ثبت ذلك بما سواه.

قال الأستاذ: فلم يزد عليه[١].

طريقة أخرى في مناظرتهم:

يقال لهم: هل أنتم ـ اليوم ـ على ملة موسى عليه السلام ؟ فإن قالوا: نعم. قلنا لهم: أليس في التوراة أن من مس عظماً، أو وطئ قبراً، أو حضر ميتاً عند موته فإنه يصير من النجاسة في حال لا مخرج له منها إلا برماد البقرة التي كان الإمام الهاروني يحرقها؟ فلا يمكنهم مخالفة ذلك؛ لأنه نصٌّ ما يتداولونه.

فنقول لهم: فهل أنتم اليوم على ذلك؟ فيقولون: لا نقدر عليه. فنقول لهم: فلم جعلتم أن من مس العظم، والقبر والميت فهو طاهر يصلح للصلاة وحمل المصحف، والذي في كتابكم بخلافه؟ أما إن قالوا: لأنا

(١) انظر : عيون المناظرات ص : ٢٦٥-٢٦٦.

عدمنا أسباب الطهارة وهي: رماد البقرة، والإمام المطهر المستغفر. قلنا: فهل ترون هذا الأمر مع عجزكم عن فعله مما تستغنون في الطهارة عنه أم لا؟ فإن قالوا: نعم قد نستغني عنه، فقد أقروا بالنسخ لتلك الفريضة، لحال اقتضاها هذا الزمان، وإن قالوا: لا نستغني في الطهارة عن ذلك الطهور، فقد أقروا بأنهم الأنجاس أبداً ما داموا لا يقدرون على سبب الطهارة...[1]

طريقة أخرى في مناظرتهم:

يقال لهم: هل كان قبل نزول التوراة شرع أم لا؟ فإن جحدوا كذبوا بما نطق به الجزء الثاني من السفر الأول من التوراة، إذ شرع الله (تعالى) على نوح عليه السلام القصاص في القتل، وهذا قوله: "سافك دم الإنسان فليحكم بسفك دمه؛ لأن الله (تعالى) خلق الآدمي بصورة شريفة".

وبما يشهد به الجزء الثالث من السفر الأول من التوراة، إذ شرع الله على إبراهيم عليه السلام ختانة المولود في اليوم الثامن من ميلاده، وهذه وأمثالها شرائع؛ لأن الشرع لا يخرج عن كونه: أمراً أو نهياً من الله (تعالى) لعباده، سواء نزل على لسان رسول أو كتب في أسفار، أو ألواح أو غير ذلك، فإذا أقروا بأنْ قد كان شرع. قلنا لهم: ما تقولون في التوراة، هل أتت بزيادة على تلك الشرائع أم لا؟

---

(١) انظر : إفحام اليهود ـ السموءل ص: ٩٣-٩٤.

فإن لم تكن أتت بزيادة فقد صارت عبثاً، إذ لا زيادة فيها على ما تقدم، و لم تغن شيئاً، فلا يجوز أن تكون صادرة عن الله (تعالى)، فيلزمكم أن التوراة ليست من عند الله (تعالى) وذلك كفر على مذهبكم، وإن كانت التوراة أتت بزيادة، فهل في تلك الزيادة تحريم ما كان مباحاً أم لا؟ فإن أنكروا ذلك بطل قولهم من وجهين:

أحدهما: أن التوراة حرمت الأعمال الصناعية في يوم السبت بعد أن كان ذلك مباحاً، وهذا بعينه هو النسخ.

الثاني: أنه لا معنى للزيادة في الشرع إلا تحريم ما تقدمت إباحته، أو إباحة ما تقدم تحريمه.

فإن قالوا: إن الحكيم لا يحظر شيئاً ثم يبيحه؛ لأن ذلك إن جاز مثله كان كمن أمر بشيء وضده.

فالجواب: أن من أمر بشيء وضده في زمانين مختلفين غير مناقض بين أوامره، وإنما يكون كذلك لو كان الأمران في وقت واحد.

فإن قالوا: إن التوراة حظرت أموراً كانت مباحة من قبل و لم تأت بإباحة محظور. والنسخ المكروه: هو إباحة المحظور؛ لأن من أُبيح له شيء فامتنع عنه، وحظره على نفسه فليس بمخالف، وإنما المخالف: من مُنع من شيء فأتاه؛ لاستباحته المحظور.

فالجواب: أن من أحلَّ ما حظره الشرع في طبقة المحرم لما أحله الشرع، إذ كل منهما قد خالف المشروع... فإن جاز أن يأتي شرع

التوراة بتحريم ما كان إبراهيم عليه السلام ومن تقدمه على استباحته، فجائز أن تأتي شريعة أخرى بتحليل ما كان في التوراة محظوراً.

وأيضاً ـ فلا تخلو المحظورات من أن يكون تحريمها مفترضاً في كل الأزمنة؛ لأن الله (تعالى) يكره ذلك المحظور لعينه، وإما أن لا يكرهه لعينه، بل ينهى عنه في بعض الأزمنة، فإن كان الله (تعالى) ينهى عن عمل الصناعات في يوم السبت لعين السبت، فينبغي أن يكون هذا التحريم على إبراهيم ونوح وآدم أيضاً، لأن عين السبت كانت موجودة أيضاً في زمانهم، وهي علة التحريم، وإن كان ذلك غير محرم على إبراهيم ومن تقدمه فليس النهي عنه لعينه؛ أعني: في جميع أوقات وجود عينه، وإذا لزمكم أن تحريم الأعمال الصناعية في يوم السبت ليس بمحرم في جميع وجود أوقات السبت، فليس بممتنع أن يُنْسخ هذا التحريم في زمان آخر، وإذ ظهر قائم بمعجزات الرسالة وأعلام النبوة في زمن آخر بعد فترة طويلة، فجائز أن يأتي بنسخ كثير من أحكام الشريعة، سواء حظر مباحاتها أو أباح محظوراتها...(١)

طريقة أخرى في مناظرة اليهود في النسخ:

يقال لهم: أخبرونا عن تحريم السبت، هل هو تحريم لغيره من الأيام؟ فإن قالوا: لا. قيل لهم: وكيف جوزتم أن يحرم في يوم ما يحل في غيره من الأيام، ولم تجوزوا أن يحرم في شهر وفي دهر ما يحل في غيره من الشهور

---

(١) انظر: إفحام اليهود للسموءل ص: ٨٦-٨٩.

والدهور في شريعة واحدة، على لسان نبي واحد؟! وكيف إذا كان ذلك في شرائع شتى، على ألسنة أنبياء شتى؟ وهل أنكرتم علينا من تحريم شيء بعد تحليل، وتحليله بعد تحريم، إلا مثل هذا الذي قلتم في السبت دون غيره من الأيام سواء؟ وهذا مما لا يخفى على كل ذي لب.

ويقال لهم أيضاً: أوليس الله عز وجل قد خالف بين أحوال الناس وأحوال أزمانهم، فأحيا شيئاً مدة ثم أماته، وجعل شيئاً مواتاً مدة ثم أحياه، وجعل ليلاً ونهاراً، وشتاء وصيفاً، يكون واحد منهما في زمان ثم ينقضي، ويجيء مكانه خلافه، ويكون الإنسان فقيراً وقتاً، وغنياً وقتاً، وصحيحاً مرة، وسقيماً مرة، في أشباه ذلك من صنوف الأشياء التي خالف الله بها بين أحوال الناس، وقدّر كل شيء منها في زمان دون زمان، أفيجب بذلك أن يكون ما يوجد بهذا الاختلاف دليلاً على أن فاعله ذو بداوات، وأنه يحب شيئاً ثم يكرهه، وأنه يستحدث علماً لشيء لم يكن به عالماً؟ فإن قالوا: نعم ظهر جهلهم، ولزمهم مع ذلك أن لا ينكروا النسخ مع إجازة البداء فيه، وإن كان هذا كله لا يوجب البداء، ولا يدل على خلاف العلم، ولا على أن ذلك ليس من فعل حكيم، فما الفرق بين هذا وبين اختلاف الشرائع في أن لا يكون اختلافها دليلاً على البداء، أو على أنها ليست من فعل حليم؟!

هذا كله والتوراة التي في أيدي اليهود يقرأونها وهي تنطق بالنسخ وتفصح به، كالقول بأن الختان لم يكن مشروعاً ثم شرع بعد مولد

إسحاق، وأن الجمع بين الأختين كان حلالاً مطلقاً، وأن يعقوب جمع بين الأختين إلى أن حرم الله ذلك بحكم التوراة، وأن إسرائيل حرَّم على نفسه بعض المطعومات وقد كانت له حلالاً قبل ذلك، إلى غير ذلك مما شحنت به التوارة.

وقد يهرب بعضهم من هذا المضايقة والمحاصرة، فيقولون: لا نمنع من جواز وقوع النسخ في الشرائع عقلاً، ولكنا نأبى ذلك؛ لأن موسى عهد إلينا التمسك بالتوراة، وتحريم السبت دائماً، وأنه لا ناسخ لذلك كله.

فيقال لهم: من أين علمتم أن موسى عهد إليكم ذلك، فليس معهم إلا مجرد الدعوى التي يستطيعها كل مخالف لهم، فالنصارى يدعون أن عيسى عليه السلام أخبرهم بأن حكم التوراة منسوخ ببعثته ﷺ، وأهل الإسلام يقولون بأن حكم التوراة والإنجيل منسوخ ببعثة محمد ﷺ. فهل تنفصلون من النصارى، أو من أهل هذه الملة في دعواكم بفصل؟ فإن قالوا: الفصل بيننا وبينهم أنهم جامعونا على موسى ولم نجامعهم على عيسى، ولا على محمد عليهم السلام. قيل لهم: وعلى أنهم جامعوكم على موسى أنه رسول الله، لم يجامعوكم على ما ادعيتم عليه من القول بعدم النسخ مطلقاً، فكان إيمان المؤمنين بموسى وعيسى حجة قاطعة لأهل الطائفتين الذين لم يؤمنوا بمحمد ﷺ؛ فآمن أهل الإسلام بجميع الأنبياء والرسل، وفرَّق غيرهم من ملل الكفر بين أنبياء الله ورسله، فكانوا بذلك من الكافرين، قال (تعالى): ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ

وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا * وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [سورة النساء: ١٥٠-١٥٢] فأسعد الطوائف بموسى وعيسى وإبرهيم هم أتباع محمد ﷺ.

فإن ادعوا أن النقل جاءهم بما يؤكد دعواهم الكاذبة، قيل لهم: ومتى اتصل لكم النقل بما ادعيتم من ذلك فيما بينكم وبين موسى عليه السلام مع ما لا تشكون فيه من غلبة بختنصر على بيت المقدس، وتحريق أسفار التوراة، وسائر ما في أيدي بني إسرائيل من كتب التوراة، ومن قتل جميع رجالهم. وسبي من سبى من صبيانهم، فكيف يصح مع هذا نقل ما نقل إليكم من ألفاظ التوراة، وغير التوراة حتى تتيقنوا أنه لا زيادة فيه ولا نقصان؟!

مع أن ألفاظ التوراة مشاهدة بأنها من تأليف لسان إنسان بعد موسى عليه السلام يخبر بما كان من أمر موت موسى عليه السلام وعهده إلى يوشع بن نون، وحزن بني إسرائيل عليه وبكائه عليه، فكيف يشكل على عاقل مع ذلك كله أن هذه التوراة ليست من كلام موسى، ولا مما أنزله الله على موسى بحرفه ولفظه، وقد يكون فيها بعض الحق لكنه مختلط بباطل كثير لا يتميز، أضف إلى ذلك ما بين نسخ التوراة من الاختلاف والتعارض ما يقطع أن يد التحريف قد طالتها، أو قلم الحاقدين قد عبث بها[1].

(١) انظر: كتاب الموجز لأبي عمار عبد الكافي الأباضي ٢/٣٣٣-٣٤٠.

مناظرة النصارى في النسخ:

ناظر مسلم طائفة من النصارى في مسألة النسخ، فادعت النصارى امتناع النسخ للشرائع والأحكام، فقال لهم المسلم: أتقرون أن أولاد آدم عليه السلام الذين خرجوا من ظهره كانوا يتزوجون أخواتهم؟ قالوا: نعم، وقصة قابيل وهابيل في ذلك شهيرة. قال: فما حكم إنجيلهم؟ قالوا: تحريم ذلك علينا. قال: هذا هو حقيقة النسخ من غير مزيد. فانقطعوا، وهم أشد إبعاداً عن القرابة في التزويج[(١)].

مناظرة اليهود في اختصاصهم با لله (تعالى):

فهم يزعمون أن ا لله (سبحانه وتعالى) يُحبهم دون جميع الناس، ويُحب طائفتهم وسلالتهم، وأن الأنبياء والصالحين لا يختارهم ا لله إلا منهم، وأن الجنة مقصورة عليهم، وقد أبطل ا لله (تعالى) هذا الزعم في مثل قوله: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [سورة البقرة: ٩٤-٩٥].

وقوله (تعالى): ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [سورة المائدة: ١٨] وقوله (تعالى): ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ

---

(١) انظر: عيون المناظرات ص: ٢٩٩-٣٠٠.

عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [سورة الجمعة: ٦-٧]. وقد مرَّ بيان معنى هذه الآيات في الموضع الخاص بالجدل في القرآن الكريم.

فيقال لهم: ما قولكم في أيوب النبي ﷺ ؟ أتقرون بنبوته؟ فيقولون: نعم. فيقال لهم: هل هو من بني إسرئيل؟ فيقولون: لا. فيقال لهم: ما تقولون في جمهور بني إسرائيل، أعني التسعة أسباط والنصف الذين أغواهم يربعام بن نباط الذي خرج على ولد سليمان بن داود عليهما السلام وصنع لهم الكبشين من الذهب وعكف على عبادتهما جماعة بني إسرائيل وأهل جميع ولاية دار ملكهم الملقبة يومئذ بشومرون إلى أن جرت الحرب بينهم وبين السبطين والنصف الذين كانوا مؤمنين مع ولد سليمان في بيت القدس، وقتل في معركة واحدة خمسائة ألف إنسان، فما تقولون في أولئك القتلى بأسرهم وفي التسعة أسباط والنصف، هل كان الله يحبهم لأنهم إسرائيليون؟ فيقولون: لا؛ لأنهم كفار. فيقال لهم: أليس عندكم في التوراة أنه لا فرق بين الدخيل في دينكم وبين الصريح النسب؟ فيقولون: بلى؛ لأن التوراة ناطقة بهذا: إن الأجنبي والصريح النسب منكم سواء عند الله.

فإذا اضطررناهم إلى الإقرار بأن الله لا يحب الضالين منهم، ويحب المؤمنين من غير طائفتهم، ويتخذ أنبياء وأولياء من غير سلالتهم، فقد نفوا ما ادعوه من اختصاص محبة الله (سبحانه وتعالى) بطائفتهم من بين المخلوقين [(١)].

---

(١) إفحام اليهود ـ السموءل ص : ١٢١-١٢٣.

مناظرة اليهود وإلزامهم الإيمان بمحمد ﷺ:

اتفق أن اجتمع للمناظرة بعض أهل العلم مع يهودي يزعم أنه من أهل النظر والدليل، فألزمه المسلم صحة نبوة محمد ﷺ بما ظهر على يديه من الخوارق المنقولة تواتراً، وإلا ألزمه الكفر بنبوة موسى عليه السلام إن هو كفر بنبوة محمد ﷺ إذ الطريق في الإثبات واحد (١) وتزيد معجزة نبينا محمد ﷺ بأنها أقرب وأكثر، ومشاهدة الآية العظمى وهي القرآن العظيم أبقاه الله (تعالى) معجزة دائمة على وجه الدهر إلى قيام الساعة.

فقال اليهودي: أنا أقر بصحة نبوته ورسالته لما وقع من هذه الدلائل، لكني أخصصها بالعرب فلا تلزمنا نحن.

فقال له المسلم: فالآن وجب عليك الدخول في الإسلام؛ لأنك أقررت بنبوته، والنبي لا يكون إلا صادقاً، وقد قال النبي ﷺ: «بعثت إلى الأحمر والأسود» (٢) ونطق كتابه بأنه بعث إلى الناس كافة (٣)، ولا يمكنك إنكار هذا؛ لأن قتاله لكم، وسبي ذراريكم وأموالكم على الدخول في الدين منقول بالتواتر. فانقطع اليهودي (٤).

---

(١) طرق إثبات النبوة لا تقتصر على المعجزة، بل المعجزة إحدى طرق إثبات النبوة، أي أن هناك طرقاً أخرى كثيرة ومتنوعة؛ منها: صدق الرسل، واتفاق أحوال الرسول ظاهراً وباطناً، وتبشير بعضهم ببعض، إلى غير ذلك من الطرق والأمارات التي تعرف بها صحة النبوة.

(٢) انظر: صحيح مسلم ١/٣٧٠-٣٧١ كتاب المساجد ح: ٥٢١، ومسند الإمام أحمد ٤/٤١٦، ٥/١٤٥، ١٤٨، ١٦٢.

(٣) من ذلك قوله تعالى: وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ... [سورة سبأ: ٢٨] وقوله: قل يـأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا... [سورة الأعراف: ١٥٨].

(٤) انظر: عيون المناظرات ص: ٢٩٨-٢٩٩.

قال صاحب عيون المناظرات [(١)] : «وهذه المناظرة قاطعة للعيساوية أتباع أبي عيسى الأصبهاني [(٢)] من اليهود».

مناظرة اليهود في عموم الرسالة:

قال أحمد بن عبد الصمد الخزرجي (٥٨٢هـ): «وقد ناظرني يوماً أحد أحبار اليهود وأهل الذكاء منهم في هذا، فقال: هذا كله صحيح [(٣)] ، لا أجد اعتراضاً عليه، غير أنه قال: سأقيم لبني إسرائيل و لم يكن محمد إلا إلى العرب. فقلت له: ما على الأرض أحد يجهل أن محمداً قال: بعثت إلى الأبيض والأسود، والحر والعبد، والذكر والأنثى، وهذا كتابه ينطق أنه مبعوث إلى الخلق كافة، فلو أمكنك أن تقول: إنما ادعى أنه مبعوث إلى العرب خاصة لكانت لك حجة. فقال: لا يمكنني ولا غيري دفع ذلك، وبذلك أخبرنا أسلافنا من اليهود عنه أنه قال: بعثت إلى الخلق كافة، إلا فرقة من فرق اليهود يقال لها العيسوية، ولسنا على شيء مما هم عليه، ثم عطف على يهودي إلى جنبه وقال له: نحن قد جرى نشؤنا على اليهودية، وبا لله ما أدري كيف نتخلص من هذا العربي، وإن أقل ما يجب علينا أن نأخذ به أنفسنا النهي عن ذكره بسوء» [(٤)] .

وهذه المناظرة ذكرها ابن القيم في هداية الحيارى، لكن بأوسع مما تقدم، و لم يصرح باسم صاحبها، فلعله اطلع على نسخة أخرى من مقامع

---

(١) ص : ٢٩٩.

(٢) في كتاب الملل والنحل : أبوعيسى الأصفهاني.

(٣) وهو كون محمد ﷺ رسول الله.

(٤) مقامع الصلبان ـ الخزرجي ص : ١٢٠-١٢٢.

الصلبان، أو على كتاب آخر للخزرجي ذكرها فيه كاملة، ثم اختصرها في مقامع الصلبان[1].

قال ابن القيم رحمه الله ـ بعد أن ذكر مناظرة جرت له مع بعض علماء اليهود، وسيأتي ذكره قريباً ـ[2]: وقريب من هذه المناظرة ما جرى لبعض علماء المسلمين مع بعض اليهود ببلاد المغرب. قال له المسلم: في التوراة التي بأيديكم إلى اليوم أن الله قال لموسى: "إني أقيم لبني إسرائيل من إخوتهم نبياً مثلك أجعل كلامي على فيه، فمن عصاه انتقمت منه" قال له اليهودي: ذلك يوشع بن نون. فقال المسلم: هذا محال من وجوه: أحدها: أنه قال عندك في آخره التوراة: "أنه لا يقوم في بني إسرائيل نبي مثل موسى". الثاني: أنه قال: "من إخوتهم" وإخوة بني إسرائيل إما العرب وإما الروم، فإن العرب بنو إسماعيل والروم بنو العيص، وهؤلاء إخوة بني إسرائيل، فأما الروم فلم يقم منهم نبي سوى أيوب، وكان قبل موسى، فلا يجوز أن يكون هو الذي بشرت به التوراة، فلم يبق إلا العرب وهم بنو إسماعيل وهم إخوة بني إسرائيل، وقد قال الله في التوراة حين ذكر إسماعيل جد العرب:"إنه يضع فسطاطه في وسط بلاد إخوته" وهم بنو إسرائيل، وهذه بشارة بنبوة ابنه محمد الذي نصب فسطاطه، وملك أمته في وسط بلاد بني إسرائيل وهي الشام التي هي مظهر ملكه كما تقدم من قوله: "وملكه بالشام".

---

(١) انظر : ما ذكره محقق مقامع الصلبان في هامش ص :١٢٠-١٢١.

(٢) هداية الحيارى ص : ١٠٥-١٠٦.

فقال له اليهودي: فعندكم في القرآن: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾[سورة الأعراف: ٨٥]، ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾[سورة الأعراف: ٦٥]، ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾[سورة الأعراف: ٧٣] والعرب تقول: يا أخا بني تميم، للواحد منهم، فهكذا قوله: " أقيم لبني إسرائيل من إخوتهم".

قال المسلم: الفرق بين الموضعين ظاهر، فإنه من المحال أن يقال: إن بني إسرائيل إخوة بني إسرائيل، وبني تميم إخوة بني تميم، وبني هاشم إخوة بني هاشم، هذا ما لا يعقل في لغة أمة من الأمم، بخلاف قولك: زيد أخو بني تميم، وهو أخو عاد، وصالح أخو ثمود أي واحد منهم، فهو أخوهم في النسب، ولو قيل عاد أخو عاد، وثمود أخو ثمود، ومدين أخو مدين لكان نقصاً، وكان نظير قولك بنو إسرائيل إخوة بني إسرائيل، فاعتبار أحد الموضعين بالآخر خطأ صريح.

قال اليهودي: فقد أخبر أنه سيقيم هذا النبي لبني إسرائيل، ومحمد إنما أقيم للعرب ولم يقم لبني إسرائيل، فهذا الاختصاص يشعر بأنه مبعوث إليهم لا إلى غيرهم.

قال المسلم: هذا من دلائل صدقه، فإنه ادعى أنه رسول الله إلى أهل الأرض كتابيهم وأميهم، ونص الله في التوراة على أنه يقيمه لهم لئلا يظنوا أنه مرسل إلى العرب خاصة. والشيء يخص بالذكر لحاجة المخاطب إلى ذكره؛ لئلا يتوهم السامع أنه غير مراد باللفظ العام ولا داخل فيه، وللتنبيه على أن ما عداه أولى بحكمه، ولغير ذلك من المقاصد، فكان في

تعيين بني إسرائيل بالذكر إزالة لوهم من توهم أنه مبعوث إلى العرب خاصة، وقد قال (تعالى): ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾[سورة القصص: ٤٦] وهؤلاء قومه و لم ينف ذلك أن يكون نذيراً لغيرهم، فلو أمكنك أن تذكر عنه أنه ادعى أنه رسول إلى العرب خاصة لكان حجة، فأما وقد نطق كتابه وعرف الخاص والعام بأنه ادعى أنه مرسل إلى بني إسرائيل وغيرهم فلا حجة لك.

قال اليهودي: إن أسلافنا من اليهود كلهم على أنه ادعى ذلك، ولكن العيسوية منا تزعم أنه نبي العرب خاصة ولسنا نقول بقولهم، ثم التفت إلى يهودي معه، فقال: نحن قد جرى شأننا على اليهودية، وتا لله ما أدري كيف التخلص من هذا العربي، إلا أنه أقل ما يجب علينا أن نأخذ به أنفسنا النهي عن ذكره بسوء.

مناظرة ابن القيم لبعض علماء اليهود:

هذه المناظرة ذكرها ابن القيم رحمه الله في مواضع من كتبه[(١)]، فقال رحمه الله في كتابه: هداية الحيارى[(٢)]: وقد جرت لي مناظرة بمصر مع أكبر من يُشير إليه اليهود بالعلم والرياسة، فقلت له في أثناء الكلام: أنتم بتكذيبكم محمداً ﷺ قد شتمتم الله أعظم شتيمة. فعجب من ذلك،

---

(١) مثل كتاب هداية الحيارى ص : ١٠٤، وكتاب : زاد المعاد ٣/٦٣٩-٦٤٢، وكتاب: التبيان في أقسام القرآن ١/٣٢٨-٣٣٣ .

(٢) ص : ١٠٤ .

وقال: مثلك يقول هذا الكلام؟! فقلت له: اسمع الآن تقريره: إذا قلتم: إن محمداً ملك ظالم قهر الناس بسيفه، وليس برسول من عند الله، وقد أقام ثلاثاً وعشرين سنة يدَّعي أنه رسول الله أرسله إلى الخلق كافة، ويقول: أمرني الله بكذا ونهاني عن كذا، وأوحى إلي كذا، ولم يكن من ذلك شيء، ويقول: إنه أباح لي سبي ذراري من كذبني وخالفني، ونساءهم، وغنيمة أموالهم، وقتل رجالهم، ولم يكن من ذلك شيء، وهو يدأب في تغيير دين الأنبياء، ومعاداة أممهم، ونسخ شرائعهم، فلا يخلو إما أن تقولوا: إن الله سبحانه كان يطلع على ذلك ويشاهده ويعلمه، أو تقولوا: إنه خفي عنه ولم يعلم به، فإن قلتم: لم يعلم به نسبتموه إلى أقبح الجهل وكان مَنْ علم ذلك أعلم منه، وإن قلتم: بل كان ذلك كله بعلمه ومشاهدته واطلاعه عليه، فلا يخلو إما أن يكون قادراً على تغييره، والأخذ على يديه ومنعه من ذلك، أو لا؛ فإن لم يكن قادراً فقد نسبتموه إلى أقبح العجز المنافي للربوبية، وإن كان قادراً وهو مع ذلك يُعِزُّه وينصره ويؤيده ويعليه، ويعلي كلمته، ويجيب دعاءه، ويمكنه من أعدائه، ويظهر على يديه من أنواع المعجزات والكرامات ما يزيد على الألف، ولا يقصده أحد بسوء إلا أظفره به، ولا يدعوه بدعوة إلا استجابها له، فهذا من أعظم الظلم والسفه الذي لا يليق نسبته إلى آحاد العقلاء، فضلاً عن رب الأرض والسماء؛ فكيف وهو يشهد له بإقراره على دعوته، وبتأييده، وبكلامه، وهذه عندكم شهادة زور وكذب.

فلما سمع ذلك قال: معاذ الله، أن يفعل الله هـذا بكـاذب مفـتر، بـل هو نبي صادق من اتبعه أفلح وسعد. قلـت: فمـا لـك لا تدخـل في دينـه؟ قال: إنما بعث إلى الأميين الذين لا كتـاب لهـم، وأمـا نحـن فعندنـا كتـاب نتبعه. قلت له: غلبت كل الغلب، فإنه قد علم الخاص والعام أنه أخبر أنـه رسول الله إلى جميع الخلق، وأن من لم يتبعه فهو كافر من أهـل الجحيـم، وقاتل اليهـود والنصـارى وهـم مـن أهـل الكتـاب، وإذا صحـت رسالته وجب تصديقه في كل ما أخبر به، فأمسك ولم يحر جواباً.

مناظرة أخرى:

لا يسع عاقلاً أن يكذب نبياً ذا دعوة شائعة وكلمة صادقة، ويصـدق غيره؛ لأنـه لم يـر أحدهمـا، ولا شـاهد معجزاتـه، فـإذا اختـص أحدهمـا بـالتصديق، والآخـر بـالتكذيب، فقـد تعـين عليـه المـلام والازدراء عقـلاً، ونضرب لذلك مثالاً: وهو أنا إذا سألنا يهودياً عن موسى ـ عليه السلام ـ وهل رآه وعاين معجزاته؟ فهو ـ بالضرورة ـ يقر بأنه لم يشاهد شـيئاً مـن ذلك عياناً.

فنقول له: بماذا عرفت نبوة موسى وصدقه؟ فإن قـال: إن التواتـر قـد حقق ذلك، وشهادات الأمم بصحته دليل ثابت في العقل، كما قـد ثبـت عقلاً وجود بلاد، وأنهار لم نشاهدها، وإنما تحققنا وجودها بتواتر الأنبيـاء والأخبار. قلنا: إن هذا التواتر موجود لمحمد وعيسى عليهما السـلام كمـا هو موجود لموسى، فيلزمك التصديق بهما.

وإن قال اليهودي: إن شهادة أبي عندي بنبوة موسى هي سبب تصديقي بنبوته. قلنا: ولم كان أبوك عندك صادقاً في ذلك معصوماً عن الكذب، وأنت ترى الكفار - وهم عنده غير اليهود من المسلمين وغيرهم، وذلك من باب مجاراة الخصم - أيضاً يعلمهم آباؤهم ما هو كفر عندك؟ إما تعصباً من أحدهم لدينه وكراهية لمباينة طائفته، ومفارقة قومه وعشيرته. وإما لأن أباه وأشياخه نقلوه إليه، فتلقنه منهم معتقداً فيه الهداية والنجاة، فإذا كنت يا هذا قد ترى جميع المذاهب التي تكفرها قد أخذها أربابها عن آبائهم، كأخذك مذهبك عن أبيك، وكنت عالماً أنما هم عليه ضلال وجهل، فيلزمك أن تبحث عما أخذته عن أبيك، خوفاً من أن تكون هذه حالته. فإن قال: إن الذي أخذته عن أبي أصح مما أخذه الناس عن آبائهم، كان هذا تحكماً منه، وتشهياً، وتفريقاً بلا مفرق، وهي صفة ذميمة لا ينبغي لعاقل أن يتصف بها.

فلا تبقى لهم حجة بنبوة موسى إلا شهادة التواتر، وهذا التواتر موجود لعيسى ومحمد (عليهما الصلاة والسلام) كوجوده لموسى، وإذا كانوا قد آمنوا بموسى بشهادة التواتر بنبوته، فقد لزمهم التصديق بنبوة المسيح ومحمد عليهما السلام [(١)].

مناظرة أخرى:

قال بعض العلماء: قدم البصرةَ يهودي فناظر بها ناساً فقطعهم، فتقدم إليه شاب من المسلمين، فقال الشاب: فوجدت سبيله في المناظرة

(١) انظر : إفحام اليهود - السموءل ص : ٩١-٩٣ .

أن يقرر المناظرين على نبوة موسى عليه السلام فإذا أقروا جحد نبوة نبينا محمد ﷺ ويقول: نحن على ما اتفقنا عليه إلى أن نتفق على غيره فنقر به.

قال: فدنوت منه فقلت: ما تقول؟ فقال: أخبرني، أليس موسى نبياً؟ فقلت: إن الذي سألتني عنه ينقسم إلى قسمين: أحدهما: أني أُقر بنبوة موسى الذي أخبر بنبوته محمد ﷺ، وأمر باتباعه، وبشر به، فإن سألتني عنه فإني أُقر به، وإن سألتني عن موسى آخر لا يُقر بنبوة محمد عليه السلام، ولا بشَّر به، فلست أعرفه، ولا أُقر به. فانقطع اليهودي[1].

مناظرة مشابهة في قطع النصارى:

ذُكر أن نصرانياً ورد قرطبة وطلب المناظرة، فاتفق أن اجتمع به ابن الطلاع(٤٩٧هـ) ـ بعد حكاية طويلة ـ فقال له النصراني: ما تقول في عيسى؟ فقال له ابن الطلاع: لعلك تريد المبشر بمحمد ﷺ؟ فانقطع النصراني.

لأنه رأى إن أنكر له هذا الوصف كذب إنجيله، وكفر بعيسى على الحقيقة؛ لأنه إنما أقر بعيسى آخر، وإن أقر لزمه الدخول في الإسلام، لما وجب عليه عند إيمانه بعيسى من الإيمان بما بشر به وإلا فليس بمؤمن[2].

مناظرة أخرى مشابهة :

قال محمد الشنقيطي رحمه الله: «ذكر بعض العلماء أن نصرانياً قال لعالم من علماء المسلمين: ناظرني في الإسلام والمسيحية أيهما أفضل؟

---

(١) انظر : عيون المناظرات ص : ٢٢٠ .

(٢) انظر : عيون المناظرات ص : ٢٩٨ .

فقال العالم للنصراني: هلُمَّ إلى المناظرة في ذلك، فقال النصراني: المتفق عليه أحق بالاتباع أم المختلف فيه ؟ فقال العالم : المتفق عليه أحق بالاتباع من المختلف فيه ؟ فقال النصراني: إذن يلزمكم اتباع عيسى معنا، وترك اتباع محمد صلى الله عليهما وسلم ؛ لأننا نحن وأنتم نتفق على نبوة عيسى، ونخالفكم في نبوة محمد عليهما الصلاة والسلام، فقال المسلم: أنتم الذين تمتنعون من اتباع المتفق عليه؛ لأن المتفق عليه الذي هو عيسى قال لكم: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [سورة الصف: ٦] فلو كنتم متبعين عيسى حقاً لاتبعتم محمداً ﷺ، فظهر أنكم أنتم الذين لم تتبعوا المتفق عليه ولا غيره، فانقطع النصراني»[(١)].

مناظرة النصارى في بنوة عيسى عليه السلام:

يقال للنصارى: لم قلتم في المسيح: إنه ابن الله، أو إن فيه الروح اللاهوتي أو الطبيعة اللاهوتية؟.

فإن قالوا: قلنا ذلك بسبب ما يجري على يديه من إحياء الموتى، وإبراء المرضى، ما لا تحتمله طبيعة الإنسان ولا روح الإنسان. قيل لهم: فإن كنتم إنما قلتم ما قلتم من ذلك لهذه العلة، فينبغي لكم أن تقولوا في جميع مَنْ ظهر على يديه مثل هذه الأشياء بأن فيه من الروح اللاهوتي والطبيعة اللاهوتية، فهذا موسى عليه السلام تحدث على يديه العجائب العظيمة

(١) أضواء البيان ٢/١٠٨ .

والأمور الجليلة، فينبغي لكم أن تقولوا في موسى بمثل قولكم في المسيح[١].

مناظرة أخرى :

ذُكر أن المأمون جمع بين العتابي (٢٠٢هـ) وابن فروة النصراني، وقال لهما: تكلما وأوجزا. فقال العتابي لابن فروة: ما تقول في عيسى المسيح؟ قال: أقول: إنه من الله. قال: صدقت، ولكن من تقع على أربع جهات لا خامس لها، من كالبعض من الكل على سبيل التجزئ، أو كالولد من الوالد على سبيل التناسل، أو كالخل من الخمر على سبيل الاستحالة، أو كالصنعة من الصانع على سبيل الخلق من الخالق أم عندك شيء تذكره غير ذلك؟ قال ابن فروة: لا بد أن يكون أحد هذه الوجوه، فما أنت مجيبي إن تقلدت مقالة منها؟ قال العتابي: إن قلت: على سبيل التجزئ كفرت، وإن قلت: على سبيل التناسل كفرت، وإن قلت: على سبيل الاستحالة كفرت، وإن قلت: على سبيل الفعل كالصنعة من الصانع، والمخلوق من الخالق فقد أصبت. قال ابن فروة: فما تركت لي قولاً أقوله. وانقطع[٢].

ذكر صاحب عيون المناظرات[٣] أن العتابي إنما ألزمه الكفر في الأوجه الثلاثة، ما عدا الفعل من الفاعل؛ لأن كل وجه منها يؤدي إلى الحدوث والافتقار.

(١) انظر : الموجز لأبي عمار الأباضي ١/٣٤٩-٣٥٠.

(٢) عيون المناظرات ص : ٢١٣.

(٣) ص : ٢١٣.

مناظرة النصارى في الصلب:

يعتقد النصارى أن المسيح صلب وقتل، فيقال لهم: إن هذا الصلب والقتل إما أن يكون ضلالاً وإما أن يكون هدى، ومحال أن يكون هدى؛ فإنكم تكفرون من فعل ذلك، وتضللونهم؛ ولأجل ذلك الفعل حاق الغضب، وحاقت اللعنة على اليهود ـ بزعكم ـ فلم يبق إلا أن يكون ضلالاً.

وإذا كان ذلك فقد لزمكم أن الله فعل الضلال؛ فإنكم قد صرحتم بأن الله إنما فعل ذلك لأجل خطيئة آدم، ولم يرد الله أن ينتقم من آدم، ولا من أحد من ولده. وإنما أراد أن ينتقم من إله مثله. فقد صرحتم ونصصتم أن الله أراد الضلال وفعله على أقبح ما سُمع، وأشنع ما به يُتحدث، ثم إنا لا ندري مما يكون التعجب أكثر؟ من ذهاب عقولكم، أو من جهلكم بكتبكم[(١)].

مناظرة أخرى في الصلب:

يقال للنصارى: أنتم مدحتم شريعتكم بأنها مبنية على العفو والصفح، ثم مع ذلك تأبون أن يكون الله (تعالى) قد عفا عن آدم حين أكل من الشجرة؛ حتى قالوا: إن جميع بني آدم كانوا مرتهنين بمعصية أبيهم حتى فداهم المسيح بنفسه، بل لم يتصور عندهم عفو الله حتى انتقم من إله مثله، تعالى الله وتقدس عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

(١) انظر : الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ـ القرطبي ص : ٤٥٥-٤٥٦.

فعلى هذا يقال لهم: لا يخلو العفو من أن يكون هو الأولى مطلقــاً، أو الانتقام هو الأفضل، أو الحالة الثالثة. فإن كــان العفـو هـو الأولى، فلـمَ لم يعف الله (تعالى) عن آدم من غير أن يعاقبه وبَنِيه على مـا زعمتـم؟ وإن كان الانتقام هو الأولى، فلم لم ينتقم من آدم وبنيه مطلقاً؟

فلم يبق على هذا إلا أن الأولى: هو الحالـة الثالثـة، وهـو: الانتقـام في حال من يستحقه، والعفو في حـال أخـرى عـن مسـتحق العقـاب تفضـلاً وتكرماً، حسب ما يريده البارئ (تعالى).

وعلى المنهاج السديد والأمـر الرشـيد جـاءت شـريعتنا، فهـي كاملـة متمَّمَة، والحمد لله. ثم إذا كان العفو هـو الأولى والأفضـل، وبـه جـاءت شريعتكم، فلأي معنى تتركون شريعتكم الأولى؟! فقد اعترفتم بألسنتكم، وتناقضتم بأفعالكم، وكم لكم منها وكم[1].

قال القرطبي (٦٧١هـ)رحمه الله[2]: ولقد أحسن بعض عقلاء الشعراء في إفحام هؤلاء الأغبياء، فقال:

عجبي للمسيح بين النصارى ... وإلى أي والـــــد نسبوه

أسلموه إلى اليهود وقالـــوا ... إنهم بعد قتله صلبــــــوه

فإذا كان ما تقولون حقـــاً ... وصحيحاً فأين كـــان أبوه

حين حل ابنه رهين الأعـادي ... أتراهم قد أرضوه أم أغضبوه

(١) انظر : الإعلام ـ القرطبي ص :٤٥٣-٤٥٤.

(٢) انظر : الإعلام ص: ٤١٩ والأبيات ـ أيضاً ـ في الأجوبة الفاخرة للقرافي ص: ٥٨-٥٩.

فلئن كان راضياً بأذاهـــــم فاحمدوهم لأنهم عـــــذبوه
وإذا كان ساخطاً فاتركـــوه واعبــــدوهم لأنهم غـلبوه

مناظرة القاضي الباقلاني رحمه الله الروم في ديارهم:

بعث الملـك فناخسـرو بويـه إلى ملـك الـروم برسـالة حملهـا القـاضي أبابكر الباقلاني، وكـان في الرسـالة: وإنـي قـد بعثـت إليـك لسـان أهـل الأرض تعظيماً لك وتكرمة.

قال الباقلاني: فقـال لي: مـا معنـى هـذا الكـلام؟ فقلـت: إنـي رجـل أتكلم على حدوث العالم وإثبات محدثه، وصفاتـه الواجبـة لـه والمسـتحيلة عليه والجائزة في أحكامـه، وأتكلـم علـى الوحدانيـة، وأرد علـى البراهمـة والمنانية والمجوس واليهود والنصـارى، وأبـين صحـة مـا أدعيـه مـن ناحيـة العقل، وما يتعلق بــه مـن السـمع والتوقيـف، وأبـين ذلـك كلـه بالبرهـان اللائح، وأرد على الاثنتين والسبعين فرقة وأنصر حقي.

فقال لي: يا مسلم، اقعد عندي وأقاسمك في مملكتي. قلت: كنت أفعـل ذلك، غير أني محجور علي من جهة شرعي.

ثم ذكر الملك مسائل سأل عنها القاضي، ثم قال له: هل كان بينكـم وبين القمر صداقة أو معرفـة؟ كيـف رأيتمـوه، ولم يـره غـيركم؟ يعـني في انشقاقه آية للنبي ﷺ، فقال القاضي رحمه الله : فهل كـانت بينكـم وبـين المائدة صداقة أو معرفة، واليهود حاضرة تحلـف أنهـا لم تكـن، فمـا كـان جوابكم عن هذه فهو جوابنا عن القمر. فانقطع ما بيد ملـك الـروم فيمـا أورده من السؤال.

فدعا الملك للقاضي فلسفياً قد لبس الشعر حتى صار كالخنزير، فكلمه فقال له القاضي: ألست تزعم أن الأرض كرية؟ فقال: نعم. قال له القاضي: أفلا تنكر أن يُرى في هذا الإقليم ما لا يُرى في إقليم آخر، كالكسوف يُرى في موضع دون موضع، وكواكب السماء تُرى في موضع دون غيره، فلا تُنكر انشقاق القمر في إقليم دون غيره، فلما أقرَّ له بهذا قال له أصحابه: دعوناك لتردَّ عليه، لا لترد علينا وتنصره. فقال لهم: يجب أن ينصر الإنسان الحق(١).

وذكر ابن عساكر(٢) أن طاغية الروم عرض يوماً للقاضي أبي بكر بحديث الإفك لقصد التوبيخ به، فقال: أخبرني عن قصة عائشة زوج نبيكم، وما قيل فيها؟! قال له القاضي: هما اثنتان؛ قيل فيهما ما قيل، زوج نبينا، ومريم بنت عمران؛ فأما زوج نبينا فلم تلد، وأما مريم فجاءت بولد تحمله على كتفها، وكلٌّ قد برأها الله مما رُميت به، فانقطع الطاغية ولم يحر جواباً.

مناظرة الفخر الرازي رحمه الله للنصارى :

هذه مناظرة(٣) جرت بين الإمام الفخر الرازي ونصراني من أكابر

(١) انظر : عيون المناظرات ص : ٢٤٦-٢٤٨ ، وترتيب المدارك ٥٩٧/٤-٥٩٨ .

(٢) تبيين كذب المفتري ص : ٢١٩.

(٣) ذكرها الرازي في موضعين من تفسيره: أولهما في الجزء الثامن ص:٧٨، والثاني في الجزء الواحد والعشرين ص : ٢١٢، وطبعت مستقلة بتحقيق الدكتور عبد المجيد النجار . نشر دار الغرب الإسلامي. وهي مختصرة في عيون المناظرات ص : ٢٨٣-٢٨٧ .

علماء دين النصرانية يدعي التحقيق والتقرير لدينه، فذهب إليه الرازي، وجرت بينهما هذه المناظرة والتي انتهت بإسلام النصراني:

قال الرازي: فقال لي: ما الدليل على نبوة محمد؟

فقلت: كما نقل إلينا ظهور الخارق على يد موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء عليهم السلام نقل إلينا ـ أيضاً ـ ظهور الخارق على يد محمد عليه السلام. فإن رددنا التواتر أو قبلناه لكن قلنا: إن المعجزة لا تدل على الصدق، فحينئذ تبطل نبوة سائر الأنبياء. وإن اعترفنا بصحة التواتر، واعترفنا بدلالة المعجزة على الصدق، ثم إنهما حاصلان في حق محمد عليه السلام ، وجب الاعتراف قطعياً بنبوة محمد ﷺ ضرورة، لأنه عند الاستواء في الدليل لا بد من الاستواء في حصول المدلول.

فقال النصراني: إني لا أقول في عيسى إنه كان نبياً، بل أقول: إنه كان إلهاً. فقلت له: الكلام في النبوة لا بد وأن يكون مسبوقاً بمعرفة الإله، وهذا الذي تقوله باطل ويدل عليه وجوه:

الوجه الأول: أن الإله عبارة عن موجود واجب الوجود لذاته، بحيث لا يكون جسماً ولا متحيزاً ولا عرضاً[(١)]، وعيسى عبارة عن هذا الشخص البشري الجسماني الذي وجد بعد أن كان معدوماً، وقتل بعد

---

(١) تقدم بيان أن هذه الألفاظ لم ترد نصوص الكتاب والسنة بإثباتها ولا بنفيها، فهي من الألفاظ المجملة التي وردت في عبارات المتكلمين، والتي تحتمل حقاً وباطلاً، فالواجب ردها وعدم التكلم بها، واعتماد الألفاظ الشرعية بدلاً عنها، أو الاستفصال عن مراد المتكلم بها، فإن أراد بها حقاً قُبل، وإن أراد باطلاً رُدَّ .

أن كان حياً على قولكم، وكان طفلاً أولاً، ثم صار مترعرعاً ثم صار شاباً، وكان يأكل ويشرب، ويُحدث وينام، وقد تقرر في بدايه العقول أن المحدَث لا يكون قديماً، والمحتاج لا يكون غنياً، والممكن لا يكون واجباً، والمتغير لا يكون دائماً.

الوجه الثاني: في إبطال هذه المقالة أنكم تعترفون بأن اليهود أخذوه وصلبوه، وتركوه حياً على الخشبة، وقد مزقوا ضلعه، وأنه كان يحتال في الهرب منهم، وفي الاختفاء عنهم، وحين عاملوه بتلك المعاملات أظهر الجزع الشديد. فإن كان إلهاً أو كان الإله حالاً فيه، أو كان جزء من الإله حالاً فيه، فلمَ لم يدفعهم عن نفسه؟ ولم يهلكهم بالكلية؟ وأي حاجة به إلى إظهار الجزع منهم، والاختفاء والفرار عنهم؟ وبالله إنني لأتعجب جداً! إن العاقل كيف يليق به أن يقول هذا، ويعتقد صحته، وتكاد أن تكون بديهة العقل شاهدة بفساده؟.

الوجه الثالث: وهو أنه إما أن يقال بأن الإله هو هذا الشخص الجسماني المشاهد، أو يقال: حل الإله بكليته فيه، أو حل بعض الإله وجزء منه فيه، والأقسام الثلاثة باطلة:

أما الأول: فلأن إله العالم لو كان هو هذا الجسم، فحين قتله اليهود كان ذلك قولاً بأن اليهود قتلوا إله العالم، فكيف بقي العالم بعد ذلك من غير إله؟! ثم إن أشد الناس ذلاً ودناءة اليهود، والإله الذي تقتله اليهود لإله في غاية العجز.

أما الثاني: وهو أن الإله بكليته حل في هذا الجسم فهو ـ أيضاً ـ باطل فاسد؛ لأن الإله إن لم يكن جسماً ولا عرضاً امتنع حلوله في الجسم، وإن كان جسماً فحينئذ يكون حلوله في جسم آخر عبارة عن اختلاف أجزائه بأجزاء ذلك الجسم، وذلك يوجب وقوع التفرق في أجزاء ذلك الإله، وإن كان عرضاً كان محتاجاً إلى المحل، فكان الإله محتاجاً إلى غيره، وكل ذلك سخف ومحض الكفر.

وأما الثالث: وهو أنه حل فيه بعض من أبعاض الإله، وجزء من أجزائه، فذلك ـ أيضاً ـ محال؛ لأن ذلك الجزء إن كان معتبراً في الإلهية فعند انفصاله عن الإله وجب أن لا يبقى الإله إلهاً، وإن لم يكن معتبراً في الإلهية لم يكن جزءاً من الإله، فثبت فساد هذه الأقسام، فكان قول النصارى باطلاً.

الوجه الرابع في بطلان قول ذلك النصراني: ما ثبت بالتواتر أن عيسى عليه السلام كان عظيم الرغبة في العبادة والطاعة لله (تعالى)، ولو كان إلهاً لاستحال ذلك؛ لأن الإله لا يعبد نفسه. فهذه وجوه في غاية الجلاء والظهور، دالة على فساد قولهم.

ثم قلت للنصراني: وما الذي دلَّ على كونه إلهاً؟

فقال: الذي دلَّ عليه ظهور العجائب عليه من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، وذلك لا يمكن حصوله إلا بقدرة الله (تعالى) .

فقلت له: ذلك منقوض بوجوه:

الوجه الأول: تسلم أنه لا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول أم لا؟ فإن لم تسلم لزمك من نفي العالم في الأزل نفي الصانع.[(١)] وإن سلمت أنه لا يلزمك من عدم الدليل عدم المدلول. فأقول: لو جوزت حلول الإله في بدن عيسى عليه السلام فكيف عرفت أن الإله ما حل في بدني وبدنك، وفي بدن كل حيوان ونبات وجماد؟

فقال: الفرق ظاهر، وذلك لأني إنما حكمت بذلك الحلول لأنه ظهرت تلك الأفعال العجيبة عليه، والأفعال العجيبة ما ظهرت على يدي ولا على يدك، فعلمنا أن ذلك الحلول ههنا مفقود.

فقلت له: تبين الآن أنك ما عرفت معنى قولي: لا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول، وذلك إذا كان ظهور تلك الخوارق دالاً على حلول الإله في بدن عيسى عليه السلام، فعدم الخوارق مني ومنك ليس فيه إلا أنه لم يوجد ذلك الدليل. فإذا بينا أنه لا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول ثبت أنه لا يلزم من عدم ظهور تلك الخوارق مني ومنك عدم الحلول في حقي وحقك، بل وفي حق الكلب والسنور والفأر. وإن مذهباً يؤدي إلى القول بتجويز حلول ذات الله (تعالى) في بدن الكلب والذباب لفي غاية الخسة والرذالة، ومحض الكفر والضلالة.

---

(١) باعتبار أن العالم دليل على وجود الصانع الخالق، فلما كان منتفياً قبل أن يُخلق، أي أن له أولاً وبداية، فيؤدي ذلك إلى انتفاء وجود الصانع، وذلك باعتبار التسليم بأن انتفاء الدليل يؤدي إلى انتفاء المدلول. انظر : هامش مناظرة في الرد على النصارى ص : ٢٦ .

الوجه الثاني: إن قلب العصا حية أبعد في العقل من إعادة الميت حياً؛ لأن المشاكلة بين بدن الحي وبدن الميت أكثر من المشاكلة بين الخشبة وبين بدن الثعبان. وإذ لم يوجب قلب العصا حية كون موسى إلهاً، ولا ابناً للإله، فأن لا يدل إحياء الموتى على الإلهية أولى.

فقال النصراني: أما الجواب عما ذكرته أولاً من قضية التواتر فهو كما قلت، لكن أين التواتر؟ وهل الكلام إلا فيه؟ فإنا لا نسلم أن المعجز ظاهر على يد محمد بالتواتر، بخلاف سائر الأنبياء: فإنه لما نقل إلينا ذلك عنهم بالتواتر أجمعنا نحن وأنتم عليه، ولا كذلك ما نقل عن محمد، فإنه لو كان بالتواتر لما وقع الخلاف فيه بين أحد من الأمم، كما لم يقع الخلاف بينهم في الأشياء المتواترة، وإنما أنتم تدعون أنه بالتواتر بمجرد التحكم لا غير، بل يشبه تواتركم ما تدعونه من انشقاق القمر نصفين، و لم يرو هذا الحديث إلا واحد منكم وهو ابن مسعود. وكيف يصح في العقل أن تظهر معجزة لأن تكون آية للعالمين ينظر إليها الجميع فيهتدون بسببها على يد الذي ظهرت عليه ولا يراها إلا واحد من الخلق وهو ابن مسعود. فمن هذا الشبه تواتركم في جميع ما تدعونه من المعجزات.

وكذلك فإنكم نقلتم عن محمد أنه لم يصر نبياً إلا بعد أربعين سنة، وما ظهر عليه شيء من المعجزات إلا بعد ذلك، فكيف كان ذلك محجوباً عنه طول هذه المدة وهو في علم الله (تعالى) على زعمكم أنه نبي وأفضل الأنبياء، ومع ذلك لم يزل من حين ولد إلى أن بلغ وإلى أن صار شاباً

وكهلاً وشيخاً تارة في الرعاية، وتارة في التجارة إلى أربعين سنة، فأي مانع منع الله (تعالى) عن أن ينبئه من حين كان طفلاً، ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل من حين كان صغيراً، وتظهر على يديه المعجزات العظيمة الخارقة للعادة من حين كان صبياً؟ فلو كان السابق في علم الله (تعالى) أن محمداً نبي وأفضل الأنبياء لمنعه ذلك من أن يكون إلى أن صار له أربعون سنة مفلساً عن جميع ذلك، معطّلاً عن ذلك كله، فارغاً عنه، خالياً منه. فهل زعمتم أن الله (تعالى) لم يعلم أن محمداً يصير نبياً، ثم علم بعد ذلك؟ وهذا عين الكفر، أو تزعمون أنه كان قد علم ذلك ولكنه منعه مانع من إبليس أو غيره، أو نفس محمد باشتغالها بالدنيا إلى الأربعين، فيكون الله (تعالى) حينئذ مقهوراً على ذلك؟ وهذا أيضاً محض الضلال، أو تزعمون أن الله (تعالى) ما أراد أن يجعله نبياً، ثم تجددت له الإرادة بعد الأربعين، فبدا له أن يقربه بعد البعد، وأن يشرفه بعد الهوان؟ واعتقاد هذا غاية الجهل تعالى الله أن تجدد له صفة، أو تحدث له إرادة.

أما الجواب عن قولك بأن عيسى ما كان إلهاً، وأنه عبارة عن هذا الشخص البشري الجسماني الذي كان يأكل ويشرب ويحدث فنقول مسلم، ونحن -أيضاً- نقول كذلك، ولا نعتقد إلا ذلك: من أن عيسى الذي تعتقده أيها المسلم بهذه الصفة ما كان إلهاً بل كان بشراً، فإنه من المحال أن يعتقد في الشخص البشري الجسماني الآكل الشارب المحدَث أنه إله مقدس عن جميع ذلك، وكيف نعتقد الجمع بين النفي والإثبات،

والحق والباطل، والنور والظلمة؟ هذا لا يعتقده عاقل. وإنما صانع العالم هو القديم الأزلي الذي لا يكيف ولا يمثل، ويظهر لعباده كيفي يشاء، وفي أي صورة شاء، ويجوز تسمية تلك بأي اسم شريف؛ لأن العلم حاصل بأن المسمى غير الاسم، والصورة غير المعنى، فهذا لا بأس به إذا اعتقده طائفة منا، فإنكم معترفون بأن منكم طائفة تعتقد أن الإله صورة وجسم وجالس على العرش، وعلى الله تاج من ذهب، وفي رجله نعلان من ذهب، بل رويتم ذلك كله أو بعضه عن نبيكم في كتاب الآجري وعبد القادر الكيلاني[(١)] وغيرهما من أئمتكم الذين تعتقدون أنهم من خير الأمة وأعلمهم. ونقلتم ـ أيضاً ـ عن ابن عباس أنه فسر المقام المحمود بجلوس محمد مع ربه على العرش.[(٢)] ونقلتم ـ أيضاً ـ عن نبيكم أنه قال: إن الله ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا.[(٣)] والنزول والصعود إنما يطلق على الأجسام، فنسبتم إلى نبيكم أنه اعتقد في إله العالم أنه جسم، وأنه في كل ليلة يفتقر في تقريبه عباده ولطفه بهم إلى أنه ينزل ويصعد. ونقلتم عنه ـ

---

(١) ليس واحد من هؤلاء مشبهاً ولا ممثلاً، لكنَّ أهل الكلام ينسبون ذلك إلى أهل الإثبات زوراً وبهتاناً .

(٢) المشهور في تفسير المقام المحمود أنه الشفاعة الكبرى في أهل الموقف، وقيل: المراد به أخذه ﷺ بحلقة باب الجنة، وقيل: هو إعطاؤه لواء الحمد، وقيل: جلوسه على العرش، وتفسيره بالشفاعة هو الأصح؛ لثبوته في الصحاح. انظر : تفسير القرطبي ١٠/٣٠٩-٣١٢ ، وفتح الباري ٨/٤٠٠ .

(٣) حديث النزول ثابت وصحيح. انظر : صحيح مسلم ١/٥٢١-٥٢٣ كتاب صلاة المسافرين ـ باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل ... ح:٧٥٨ وما بعده.
ونزوله سبحانه كسائر صفاته، لا نعلم كيفيته، بل ينزل نزولاً يليق بجلاله سبحانه.
وانظر: كتاب شرح حديث النزول لشيخ الإسلام ابن تيمية.

أيضاً ـ أنه خلق آدم على صورته[(١)] ، وأنه مسح بيده على ثدي نبيكم فعلم علم الأولين والآخرين[(٢)] ، فأثبتم لله (تعالى) بذلك الجسم والصورة والأعضاء والجوارح والحركة والسكون، إلى غير ذلك من الأحاديث الموهمة للتشبيه والتجسيم، والموهمة [للتكييف][(٣)] والتمثيل.

ومنكم طائفة تعتقد أن الإله حل في الخمسة الأشباح، وهم صنف من الروافض، ومنكم ـ أيضاً ـ طائفة تعتقد أن الإله حل في علي. ومنكم طائفة تدعي المكاشفة والمشاهدة والأحوال الشريفة والأنفاس النفيسة، ومع ذلك تدعي ـ أيضاً ـ الاتحاد حتى نقل عن الحلاج (٣٠٩هـ) أنه كان يقول: "أنا من أهوى ومن أهوى أنا" وعن أبي يزيد (٢٦١ أو ٢٦٤هـ) أنه كان يقول: سبحاني ما أعظم شأني. وليس منا من اعتقد شيئاً من ذلك، بل طائفة منا تعتقد مثل ذلك في عيسى خاصة، وأما أنتم فقد يقوم

---

(١) حديث الصورة رواه البخاري في صحيحه ٣/١٢ كتاب الاستئذان ـ باب بدء السلام ح: ٦٢٢٧ ، ومسلم في صحيحه ٢٠١٧/٤ كتاب البر والصلة ـ باب النهي عن ضرب الوجه ح يلي :٢٦١٢ .

وهذا الحديث وإن احتمل وجوهاً من التفسير بإعادة الضمير إلى آدم، فهو على فرض إعادة الضمير إلى الله تعالى فمعناه أنه خلق آدم على صفاته من السمع والبصر والعلم، ولا يعني أن الصفة كالصفة، بل: ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ . انظر : فتح الباري ٤/١١ .

(٢) يعني بذلك حديث اختصام الملأ الأعلى، وهو في مسند الإمام أحمد ١٦٢/٥ ح : ٣٤٨٤ ط. أحمد شاكر، وصحح إسناده أحمد شاكر.

وهذه الرؤية منامية كما في الحديث، ولا شك أن باب الرؤية المنامية أوسع من باب اليقظية .

(٣) في الأصل : [للتكليف] ولعل الصحيح ما أثبته.

رجل منكم من وراء المحراث ويدعي ذلك وأضعافه، بل تعتقدون فيه أنه كذلك وأعظم من ذلك، بل ومن أجلاف الكرد والعرب ورعاة الإبل وسَقَط الناس وجهالهم من قد تلتف عليه جماعة بمجرد حسن الظن، وبمجرد التعصب فيظهرون لذلك شأناً عظيماً، ويدعي ما ادعاه أبو يزيد والحلاج وأعظم من ذلك بأضعاف مضاعفة. ثم إذا نقل حال ذلك النصاب إلى أئمتكم وعلمائكم أحسنوا الظن وقالوا: يسلم إليه حاله، فيفعلون ذلك تارة لجهلهم حيث أحسنوا الظن بمن يجب تكفيره، وتارة خوفاً من العامة إذا رأوهم عاكفين عليه، محبين له مع نسبتهم أولئك في الباطن إلى الدجاليه والحشوية وغير ذلك من الكفر والبدعة. وأما نحن فليس منا من ينطلي عليه ذلك ولا بعضه.

وأما الجواب عن صلب عيسى، فنحن لا نعتقد إلا صلب جسده الذي هو الصدف، لا اللب والجوهر الذي هو الروح، ونعتقد أن فعل الله (تعالى) به ذلك إشارة إلى خسة عالم الأجساد؛ تحريضاً على التجرد عنها بالعروج إلى عالم الأرواح زهداً في العالم الأدنى، ورغبة في العالم الأعلى؛ ولأن يقتدي الأدنى بالأعلى، فإذا رأى الأدنى أن الأعلى الذي له عند الله (تعالى) كل تلك المنزلة التي تجل عن الوصف قد ابتلي بذلك، وكان انتقاله من الدنيا على مثل هذا الحال، هان عليه كل ما يبتلى به من مصيبة، أو يحل به من آفة، وعمل على الزهد في الدنيا، والتجرد عن الخلق، والتوجه إلى الحق.

وأما الجواب عما ذكرته من أن الله (تعالى) لا يخلو: إما أن يكون حل كله في عيسى أو بعضه، فنحن لا نقول بذلك، بل ننكره ونكفر قائله، فإنا نقطع بأن الإله لا يتجزأ، ونقطع بأن الإله ما حل في عيسى. وإنما منا طائفة تدعي أنه لا يبعد أن تكون هذه الصورة العيسوية من الصور التي يتجلى فيها الرب (تعالى) لعباده، ويظهر فيها لخلقه سبحانه، وأنتم أيضاً من جملة من يعتقد ذلك، فإنكم رويتم عن محمد بأن الله (تعالى) يظهر لعباده يوم القيامة في صورة ينكرونها، فيقولون نعوذ بالله منك، ولكن نتمهل إلى أن يأتينا ربنا، ثم يظهر لهم في صورة يعرفونها، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعم[(١)]، وإذا لم يبعد ذلك في الآخرة فكيف يبعد أن يظهر كذلك لعباده في الدنيا في صورة عيسوية أو موسوية أو غير ذلك من الصور، فكيف لا يجوز ظهوره في الدنيا في صورة عيسوية قدسية معظمة روحانية مطهرة؟

ومع أن هذا الاعتقاد لا يعتقده إلا طائفة منا كما قدمنا ذكره، فأنتم قد رويتم عن محمد أنه هو الذي قال ذلك وأخبر به واعتقده في كتابه الذي لقبتموه بالصحيحين لقب البرودة، الصحيح لا يكون إلا واحداً، كما أن السقيم لا يكون إلا واحداً؛ لأنه ما بعد الصحة إلا السقم، والسقم شيء واحد فكذلك الصحة، كما أنه ما ثم إلا الحق والباطل،

(١) معنى الحديث من رواية البخاري في صحيحه ١١/٤٤٤-٤٤٥ كتاب الرقاق ـ باب الصراط جسر جهنم ح : ٦٥٧٣ .

والباطل شيء واحد فكذلك الحق. وكما أنه يقبح أن يقال: حقان وباطلان وسقمان، فكذلك القول في الصحيحين. والعجب أنكم انحصرتم في الاثنينية، ولم تتعدوا في العدد الذي ليس له واحد ولا حصر فتقولوا: ثلاثة صحاح، وأربعة صحاح، وخمسة صحاح، وإلى ما لا ينتهي، بل ارتبطتم على صحيحين اثنين، كأن لم يقبل العدد في شرعكم من الصحة [إلا][١] اثنين، فحصركم في هذا العدد اليسير، ونفى ما لا حصر له لغيركم من الأمم.

وأما الجواب عن مؤاخذتنا في أن المسيح ابن الله، فهذا لسنا نعتقده حقيقة، بل على سبيل التفخيم والتعظيم، كما أنكم تقولون: إبراهيم خليل الله مع أنه يتعالى عن الخلة، وتقولون: محمد حبيب الله مع أنه يتعالى عن المحبة التي هي عبارة عن الميل والحظ والشهوة، وإنما تذكرون ذلك في معرض التعظيم والتفخيم، فكذلك ما نحن فيه مما تقوله النصارى في عيسى، لا أنه ابن حقيقة، وأنه لا يبعد أن يشرف الله (تعالى) عبداً من العبيد على سائر خلقه، فيكون محله في الشرف والقرب محل الولد من الوالد، لا أن يكون ولداً على الحقيقة، ولا ولداً في نفس الأمر. فهذا معنى ما تقوله بعض النصارى في عيسى إنه ابن الله كما تقولون كلكم في إبراهيم إنه خليل الله، وفي محمد إنه حبيب الله، مع تعاليه (تعالى) عن الخلة والمحبة.

---

(١) في الأصل [إلى] ولعل الصحيح ما أثبته .

ومع أنكم أخبرتم في كتابكم عن الله (تعالى) أنه قال في اليهود: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ [سورة التوبة: ٣٠] وعن النصارى: ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾[سورة التوبة: ٣٠] فإنه لم يقل ذلك من اليهود إلا رجل واحد، وعلى تقدير أن يقول ذلك طائفة منهم في ذلك الوقت أو في هذا الوقت، إلا أنه لا يلزم من قول واحد في وقت ما قول الجميع في جميع الأوقات. وكذلك القول في النصارى، فإنه إذا أخبر الله (تعالى) بأن النصارى قالوا: المسيح ابن الله، لا يدل ذلك على أن الجميع قالوا ذلك القول، ولا أن ذلك صدر منهم في سائر الأزمان، فإنه ما قال: وقالت النصارى كلهم أجمعون، كما قال في حق الملائكة: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾[سورة الحجر: ٣٠] وإنما قال: وقالت النصارى: أي بعض منهم وفي وقت ما. ومع ذلك فإن ذلك البعض لم يقل إلا بتأويل، كما تأولتم الخليل والحبيب، فكذلك قالوا الابن، فأي أمر عظيم ترتب على ذلك حتى بالغتم في التشنيع على اليهود والنصارى، وناديتم عليهم على رؤوس الأشهاد بأن اليهود قالوا: عزير ابن الله، ولم يقل ذلك من اليهود إلا واحد، ومن النصارى إلا من عاند؟ فكيف يحل لكم أن تقولوا ذلك، وأن تشهدوا به، وتشغلوا به شرقاً وغرباً في جميع الآفاق؟ ثم إذا امتحنتم اليهود والنصارى في ذلك بالسؤال عنه ترونهم أبعد الناس عن اعتقاده وأدناهم إلى الإنكار له، مع الاعتراف لله (تعالى) بالتوحيد والتنزيه والتقديس ونفي التشبيه، لكن الله (تعالى) صادق فيما أخبر به من أن بعضاً منهم قال ذلك القول، وفي وقت ما،

وبتأويل ما، لكنكم أنتم أوهمتم الناس أن جميع اليهود والنصارى يقولـون ذلك في كل الأوقات، وأنهم يعتقدون ذلك حقيقـة، وذلـك منكـم فيهـم عين الافتراء، ومحض البهتان والزور.

أما الجواب عن قضية الدليل والمدلول، فكما هو لازم علينا فهو أيضـاً لازم عليكم، فإنه لو قيل: إن مسيلمة كان نبياً لعجزتم عن دفع هذا القائل على هذا التقدير؛ لأنكم إذا قلتم: فما الدليـل علـى أنـه كـان نبيـاً؟ كـان جوابه لكم: إن عدم الدليل لا يدل على عدم المدلول.

وأما الجواب عن قلب عصـا موسـى ثعبانـاً وأنـه أعجـب مـن إحيـاء عيسى الموتى فقد قلنا: نحن ما أظهرنا التعجب بمجرد ذلك من عيسى، بل ولأمور أخر لا تشبه إلا صنع الباري (تعالى) : من خلقه من الطين كهيئـة الطير، وعلم الغيـب، وظهـور الحكمـة والكتـاب والتـوراة والإنجيـل علـى لسانه، وإبراء الأكمه الأبرص، وإحياء الميت على يديه، وإلى غير ذلك من أمور أخر لا تحصى، لا يشبه شيء منها فعل الخلق، بـل هـي فعـل الخـالق (تعالى) ، ولا شك أن هذا المجموع أعظم وأكبر وأكثر وأعجب من قلـب العصا حية تسعى، فإن ذلك ربما يظهر مثله مـن السـحرة والملبسـين كمـا أظهر سحرة فرعون حتى خـاف موسـى خوفـاً شـديداً مـن ذلـك، وأمرٌ يشارك فيه السحرةُ والمشعبذةُ من أين يُشبه أمراً يتفرد به صـاحب القـدرة ومن له الخلق والأمر؟! هذا آخر جوابك والله أعلم.

فقال الفخر الرازي رحمه الله: خذ الجواب عن ذلك:

أما قولك أولاً من أنك لا تسلم أن المعجز حصل لنبينا بالتواتر، فهل تشك في وجود هذا القرآن الذي هو بين أيدينا الآن؟ فأي تواتر أصدق وأظهر من شيء تراه بعينك؟

خذ ما تراه ودع شيئاً سمعت به   في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

فهل تشك في وجود هذا القرآن؟

فقال: لا أشك في وجوده. فقال: وهل تشك في أن ذلك من غير محمد ﷺ ؟ فقال: هذا أشك فيه؛ لاحتمال أن يكون ساعده الغير، فأُلِّف إلى أن صار بهذه المثابة.

فقال له الإمام: لو كان كذلك لادعى كل من أعانه على ذلك أنه نبي أيضاً، وأنه نزل عليه هذا الكتاب، فإنه من المحال أن يُظهر مثلَ هذا الكتاب غيرُه ويسكتون عن ذلك حتى يدعي واحد منهم الأمر الذي خص به غيره، وتقر تلك الجماعة بأن الأمر كذلك.

ثم قال: وهل تشك في العجز عن الإتيان بمثله؟

فقال النصراني: أما الإتيان بمثله من جميع الوجوه فهو الإتيان بعينه، فيكون هو هو، وذلك تحصيل الحاصل، وهو محال، وأما الإتيان به من بعض الوجوه: في الفصاحة مثلاً، وفي النظم والنثر، أو الإيجاز والاختصار، أو في كونه يهدي إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال، فالعلوم الشريفة تشاركه في ذلك فهي مثله، وهو مثلها من بعض الوجوه.

فقال له الإمام الرازي: ليس من الإتيان بمثله إلا أن يظهر كتاب شريف فيه علم الأولين والآخرين على لسان رجل أمي لم يتقدم له

اشتغال بعلم البتة، ويدعي أنه كلام رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبه ليكون من المنذرين، ومن النبيين المرسلين، بأدلة باهرة، وحجج قاهرة، يبهر بأدلته جميع الملل والنحل، ويقهر بحججه جميع من خالف وبطل. فالمراد من الإتيان هو هذه المثلية لا ما ذكرته وذهبت إليه.

ثم قال: وأما قولك: ما المانع من نبوة محمد ﷺ في حال الصغر حتى بقي معطلاً عن النبوة ونشر الرسالة أربعين سنة؟ فالجواب: أن ظهور المملكة على من لم يكن ملكاً بل كان راعياً وحراثاً أو تاجراً أكثر عمره لأبلغ في إظهار القدرة ممن ورثها وراثة، أو أوتيها من أول عمره، ومبدأ زمانه، وأبلغ في التعجب من ذلك، فكيف وقد كان نبياً وآدم بين الماء والطين، وإنما لم تظهر نبوته للخلق إلا بعد الأربعين ومأخذ الحكمة في ذلك ما قدمنا ذكره.

ثم لا يلزم من تأخر ظهورها عليه أن لا يكون متصفاً بها وبما هو أعظم منها، ولا يلزم من أن من أوتي المملكة في الصغر يكون أعظم وأفضل ممن أوتي في الكبر، بل قد يكون الثاني أعظم وأفضل وأقدر من الأول، ما المانع من ذلك؟ فكذلك الحال في معنى النبوة والعلم والحكمة والعقل والمعرفة، فتقدم العطاء وتأخره لا يدل على الأفضلية، فلله الحكم في ذلك، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾[سورة الأنبياء: ٢٣].

ثم قال له: وأما قولك بأنكم نقلتم عن نبيكم الأحاديث الموهمة للتشبيه والتجسيم كيت وكيت، فاعلم أولا أن الحاكم مثلاً إذا ثبت عنده

عدالة رجل، فإنه كلما شهد عنده بشيء وجب عليه قبوله إلا أن يشهد بما يخالف المعقول، ويقدح في الأصول، فإنه ما يقبله بل يسقطه على الشهادة، ومع أنه إذا قبله في تلك الشهادات التي كان يشهدها عنده، فإنه ما يبني قطعاً وبتاً في نفس الأمر لاحتمال أن يكون كاذباً في تلك الشهادة من حيث الباطن، وإنما له حكم الظاهر والله يتولى السرائر، فكذلك أئمة العلم من ثبت عندهم تزكيته قبلوا روايته عن النبي ﷺ لما لم يخالف العقول ويقدح في الأصول، فأخبار الصفات التي رووها إنما أثبتها الأئمة في كتبهم لما ثبت عندهم من عدالتهم، لا أنهم حكموا وقطعوا بصحتها في نفس الأمر بل قالوا: روي عن النبي ﷺ كيت وكيت؛ لا أنهم قالوا: قطعنا بأن النبي ﷺ قال ذلك، وعلى تقدير أن يقول ذلك، فإنهم ما قالوا: إنه اعتقد ذلك لاحتمال أن يكون النبي ﷺ حكى ذلك حكاية عن غيره لا أنه اعتقده اعتقاداً.

ومع ذلك فإن كل حديث يخالف المعقول، ويقدح في الأصول زيفوه وأسقطوا رواته، وكل حديث احتمل تأويلاً حسناً، ومحملاً واضحاً أثبتوه على حاله، وذلك لا يؤدي إلى قدح كما زعمت لا في الرواة ولا في الأئمة، ولا في النبوة ولا في الأمة، بل يدل على عظم معرفتهم وكمال علمهم وعقلهم حيث أدغل[1] أئمة الضلال كل حديث مضل، ومع ذلك لم يقبلوا منها حديثاً واحداً بل مهدوا معياراً ومحكاً واضحاً، ثم عرضوا

---

(١) أدغل : أدخل في الأمر ما يفسده . انظر : قاموس المحيط ص : ١٢٩١ .

عليه، فما كان حقاً حققوه وما كان زيغاً أسقطوه، وكل حديث احتمل تأويلاً حسناً ومحملاً صالحاً أثبتوه وتكلموا عليه شرحاً وبحثاً وتحقيقاً وتحريراً.(١)

وأما قولك بأنه لا يبعد ظهور الحق (تعالى) لعباده في صورة حسنة مقرونة بالصلاح والصفات الكاملة والأخلاق المرضية، فلو قلنا: لا يبعد ظهور الحق لنا في هذه الصورة، فلعل شخصاً يدعي الإلهية وتكون تلك الصلاحية تلبيساً علينا، فيكون إبليس ظهر في تلك الصورة، أو رسول

(١) ما تقدم من كلام الرازي مخالف لما عليه أهل العلم والإيمان، ومبني على الظنون والأوهام، فليس معه كتاب ناطق، أو عقل صادق، وقد رد عليه شيخ الإسلام ابن تيمية في نقض تأسيس الجهمية، وتلميذه ابن القيم في الصواعق المرسلة. والأحاديث الواردة في الصفات كثير منها صحيح، ويؤيدها القرآن الكريم، ولا مهرب من قبولها، بل الواجب الانقياد لها، والتسليم بها، وهي على ما يليق بربنا (جلَّ وعلا) من غير تشبيه ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل. وتؤيلها أو تكذيبها هو الذي سلّط على المسلمين أمثال هذا النصراني وغيره من الملاحدة والباطنية حتى أوقعوهم في أعظم الكفر والضلال.

ولا يجد المتكلم فرقاً صحيحاً، ولا ضابطاً سالماً عن المعارض بين ما أوجب تأويله وبين غيره من النصوص، بل كل ما يذكره من دواعي التأويل في نصوص الصفات أمكن غيره ممن هو شر منه أن يذكر مثل هذه الدواعي وأكثر وأقوى في تأويل غيرها من النصوص مما يثبته هذا المتكلم. فلا يبقى إلا التشهي والتحكم الذي هو لازم كل مبتدع وصاحب هوى.

فأي شيء يمنع المتفلسف أن يؤول نصوص المعاد وحشر الأجساد، وأي شيء يمنع الباطني أن يؤول نصوص الأحكام والحلال والحرام، مع تأويله لنصوص المعاد وحشر الأجساد. فما أسوأ أثر التأويل على الإسلام وأهله؟.

لإبليس، أو أحد نوابه ويجر ذلك إلى عبادة من دون الله (تعالى) وذلك عين الكفر. ونحن لا ينبغي لنا أن نجوز ظهور صورة مخلوق لئلا يؤدي إلى السفسطة والتلبيس، فكيف ينبغي لنا أن نجوز ظهور الحق (تعالى) في صورة خلقه، (تعالى) الله عن ذلك علواً كبيراً؟

وأما قولك بأن طائفة منكم مجسمة مشبهة حشوية سكنوا الزوايا وادعوا المشيخة من غير علم، وطائفة أخرى يقولون بالحلول والاتحاد، فمسلم، لكن ليسوا هم منا حقيقة، بل تدعي أنت أنهم منا، ونحن ندعي أنهم خارجون عنا، فلا يكون ذلك قدحاً فينا ولا طعناً علينا، كيف ونبينا عليه السلام يقول: من خاننا فليس منا[1]. وأي خيانة أعظم ممن لبس على المسلمين، وأكل الدنيا بالدين، وأظهر للناس أنه على طريقة الصديقين، وهو في الباطن حريص على صحبة الملوك والسلاطين؟

وأما قولك بأن تسمية عيسى ابن الله كتسميتنا إبراهيم خليل الله ومحمداً حبيب الله، وتشنيعنا عليكم وعلى اليهود بذلك، فالجواب عنه: أن الله (تعالى) أخبرنا عن اليهود بأنهم قالوا: عزير ابن الله، وأخبرنا عن النصارى بأنهم قالوا: المسيح ابن الله، ونحن فما زدنا ولا أنقصنا، وما قلنا: كل اليهود قالوا ذلك أو في كل الأوقات، ولا كل النصارى قالوا ذلك أو في كل الأوقات، بل قلنا كما قال الله (تعالى): ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾[سورة التوبة: ٣٠] ولم نتعرض إلى نبي آخر،

(١) لعله يقصد حديث: من غشنا فليس منا. رواه مسلم في صحيحه ٩٩/١ كتاب الإيمان - باب قول النبي ﷺ من غشنا فليس منا ح: ١٠١، والإمام أحمد في مسنده ٥٠/٢.

لا إلى كل ولا البعض، فأخبرنا كما أخبر (تعالى) عنهم. ونعلم بأن الله (تعالى) إذا أخبر أن اليهود والنصارى قالوا ذلك، لا يلزم أن يكون ذلك إخباراً عن الكل، ولا في كل وقت.

وأما حديث النبوة والخلة والمحبة، فالفرق ظاهر؛ لأن الله (تعالى) نزه نفسه عن الوالدية والولدية بقوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾[سورة الإخلاص: ٣] ولم ينزه نفسه عن الخلة والمحبة، فإن سائر أنبيائه وأوليائه أخلاؤه وأحباؤه بمعنى التشريف والتعظيم. ولا يجوز أن يقال: إنهم أبناؤه وأولاده على معنى ذلك لالتباسه بالباطل، فإن نسبته إلى الوالدية لا يحتمل إلا الحقيقة، فإنه لا يقال: فلان ولد فلان وابنه إلا بمعنى أنه ولده حقيقة، وإنه لا يحل لذلك، بخلاف مقام الخلة والمحبة، فإنه يلزم من انفصال الولد عن دار الوالد بعد اتصاله به مع بقائه على الولدية، ولا يلزم من انفصال الخليل والحبيب عن الخليل والحبيب بعد اتصاله به مع بقائه على الخلة والمحبة؛ ولأن الولدية مشعرة بالجنسية، ولا كذلك الخلة والمحبة فهذا الفرق بين جواز تسمية المقرب بخليل الله وحبيب الله، وعدم جواز تسميته بابن الله وولد الله.

ثم قال له: وأما قولك: صلب جسد عيسى دون معناه، فهذا هذيان أيضاً؛ لأنه تحصيل الحاصل، وتحصيل الحاصل محال، فكان هذياناً، فإنه أبداً لا يصلب إلا الجسد، سواء كان كافراً أو مؤمناً، مطيعاً أو عاصياً أو شيطاناً، فإنه أبداً لا يصلب منه إلا الجسد، وأما الروح فحية باقية يذهب بها عالمها: إما إلى عليين أو إلى سجين، فأي مزية تبقى لعيسى على غيره فيما ذكرت وهولت؟

فإن قلت: الفرق ظاهر، فإن عيسى لما صلب بقي زماناً يتكلم كما كان قبل الصلب. قلنا: تلك معجزة كباقي المعجزات، فأي مزية له على غيره من الأنبياء المؤيدين بالمعجزات من جنس تلك المعجزة وغيرها، فإنه على تقدير أن يكون ما ذكرت صحيحاً كان ذلك معجزة: وأما نحن فنقطع بكذب ذلك، فإن الله (تعالى) أخبرنا في كتابه بقوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾[سورة النساء: ١٥٧] أي التبس ذلك عليهم حتى ظنوه عيسى ولم يكن عيسى، بل إما شيطاناً أو إنساناً ألقي عليه شبه ما إضلالاً لهم.

وأما قضية الدليل والمدلول، فمسيلمة وإن لم تقم الدلالة على نبوته، لكن قامت الأدلة على كفره وكذبه، فالأدلة هنا حاصلة غير مفقودة، بخلاف ما نحن فيه، فإن هناك وإن لم يقم الدليل على أنا لسنا كذلك من مشاركتنا لعيسى في حلول الرب (تعالى) فينا، لكن لم يقم الدليل أيضاً على عكسه، فيبقى الأمر مشتركاً بيننا وبين عيسى عليه السلام على رغمكم.

وأما قضية ترجيح معجزات عيسى من كونها أفعالاً ربانية وآيات إلهية فهو كذلك، لكن ظهور مثل ذلك على يد العبد في معرض التشريف والتقريب هداية لقوم وإضلالاً لآخرين لا يلزم أن يكون الذي ظهر على يديه إلهاً، لما ذكرنا من جره إلى التلبيس والوقوع في الكفر. **فانقطع النصراني، وقال: غلبتني وأفحمتني.**

فقال الفخر الرازي: إذ اعترفت بذلك تعيَّن عليك الرجوع إلى ديني دين الإسلام، والاعتراف بأنه خير الأديان.

فقال: لا أفعل ذلك؛ لأني أعتقد أن في علماء ديني من يزيد عليك في العلم والحكمة والعقل والمعرفة، إذا ناظرته لم يغلب، بل ربما غلبك وأفحمك.

فقال له الفخر: وهذا الاعتقاد هو الذي يمنع أرباب سائر الأديان أن ينقادوا إلى الحق، وأن يعترفوا بالصواب، فإن ما منهم أحد إلا ويعتقد أن في علماء دينه من هو كذلك، فينصد عن الحق بسبب ذلك الاعتقاد الفاسد، وذلك محال، فإن من المحال التسلسل إلى غير النهاية، ومعتقدكم هذا يؤدي إلى التسلسل، وهو أن يعتقد الإنسان أن ما من شبهة إلا ولها جواب، وما من جواب إلا وله شبهة، وذلك محال لتسلسله إلى غير حد ومقطع ينتهي إليه، ومن ادعى غير ذلك فقد خرج عن العقل بالكلية، وإذا ثبت حده ومقطعه، وانتهى البحث إلى الحد والمقطع، فلا يبقى وراء ذلك إلا العناد ومحض المكابرة.

ثم قال له الفخر: أسألك عن ما تعتقده من دينك بعد أن لم تقبل ديني، ألا أخبرتني عن قاعدة أساس دينك، ومعتمد علمك وإيمانك ويقينك بعد الذي تقدم ذكره.

فقال النصراني: قاعدة ديننا مبنية على تكذيب محمد، والعمل على عداوته حتى لو وجد في عصرنا لقتلناه أنجس قتلة، ولو أظفرنا الله بملوك أمته وعلمائهم وأئمتهم لتقربنا إلى الله (تعالى) بذبحهم وسلخ جلودهم وجلود عبادهم وزهادهم وسائر صلحائهم. ولو وقع بأيدينا كل كتاب

لهم من الكتب التي يسمونها بالعلم والحكمة والمعرفة، وكتب التفسير والحديث، وصحف القرآن لمزقنا الجميع وألقيناها في سنادس البول والغائط. ونحن فمتى لم نعتقد أن فعل ذلك من أعظم العبادات وأفضل القربات، لم يصح لنا دين النصرانية ولا نتحقق بشيء منه، كل ذلك لتغالينا في ديننا، ولاعتقادنا صحته وسقم غيره، ولهذا نعمل صورة محمد على هيئة بدوي راع، ونعلم الأطفال من صغرهم عداوته والفرار منه، ونأمرهم بسبه وشتمه والتبصق في وجهه، وليس لنا شغل عقيب كل قربى يتقرب بها إلا الدعاء على المسلمين بالخذلان وتسليط العذاب العاجل والآجل عليهم، وسلب المملكة والسلطة منهم، وسلب القهر والقدرة والحكم والخلافة وسلب العز والجاه والأمر والعظمة. ومتى غُصبنا بالإسلام فلا يجوز لنا ذلك إلا بشرط أن نسعى في الباطن في هلاك المسلمين وسب دينهم ونبيهم.

فقال له الرازي رحمه الله: فعلى الذي يودكم وبال ما تفعلونه، وعلى الذي يؤاكلكم ويعاشركم بالصحبة والمودة مثل ذلك، بل وعلى الذي يلبسكم ثوب العز أعظم من ذلك، لأنه كمن أعان على قتل محمد ﷺ وتمزيق كتابه، وإهلاك أمته، وقد قال الله (تعالى) في حقه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ منهم﴾[سورة المائدة: ٥١] وقال (تعالى): ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾[سورة الممتحنة: ١] فكل من ألبسهم ثوب العز، أو وادهم وأحبهم، أو قربهم وأدناهم، أو استعان

بهم في أموره، أو استغاث بهم في مهماته، فلا جرم يصير الله ورسوله عدواً له بأن يخذله ولو عند موته وفي قبره، وفي الآخرة يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه وفصيلته التي تؤويه.

ثم قال الرازي رحمه الله: لولا الذمة ووصية النبي ﷺ إيانا بحفظ الذمة بيننا وبينكم لتقربت إلى الله (تعالى) في هذه الساعة بقتلك شر قتلة.

فقال النصراني: بقيت أسئلة أوردها عليك عن صاحبي هذا فإنه يهابك من إعظام، فإن أجبتني عنها علمت أنك على الحق. فقال له: قل ما بدا لك.

فقال له: قد ثبت أن عيسى في السماء وهو حي، وثبت أن محمداً في الأرض، بل ومدفون في بطنها، وميت في جملة الموتى، وثبت أنه يلقب بروح الله وبكلمته ولا كذلك محمد، وثبت أن عيسى خلق من غير نطفة بل بمحض القدرة من غير شيء من هذه الأجسام الدنيئة، وظهر في بطن امرأة مؤمنة صديقة عظيمة القدرة، ولا كذلك محمد، فإنه خلق من نطفة كافر، وخرج من بطن كافرة. وثبت أن عيسى ما اشتغل بشيء من حظوظ النفس كما اشتغل به محمد: من الاشتغال بشهوة الجماع، والتكثر من النساء، ومن الجماع، وغير ذلك من الشهوات، ولا كذلك عيسى فإنه ما التذ بشيء سوى العلم والحكمة والمعرفة والمحبة والشوق الهائم، والذكر الدائم، والتفكر اللازم تعظيماً لأمر الله، واستغراقاً في معرفته ﷻ، وفناء في محبته سبحانه، فصرف جميع الأوقات إلى ذلك فقط، لا إلى أكل وشرب، ولا إلى جماع وشهوة نفس.

ولأن عيسى رفع إلى السماء قبل أن يوجد محمد بستمائة سنة، فهو من ذلك الوقت إلى الآن وإلى أن تقوم الساعة في حضرة القدس ومقام الأنس، مع كونه متجرداً عن حظوظ النفس، وحيلان الطبع، وتدبير البدن، وعلائق الجسد، وعوائق الدنيا والخلق والشيطان والنفس، منزه عن جميع ذلك، مقدس عنه، ولا كذلك محمد فإنه عاش نحو ستين سنة: منها أربعون سنة كان فيها من جملة عوام الناس، وعشرون ميز عنهم فيها، وأين تلك العشرون سنة المشوبة بأشغال الدنيا والنفس، وتحصيل المنصب بالسيف وغيره بالنسبة إلى مدة عمر عيسى من حين ولد إلى أن رفع، وإلى اليوم، وإلى قيام الساعة؟! ألف وستمائة سنة ما شاب زمانه ذلك بشائبة من هذه الشوائب، إلا التأله التام والتجرد الكامل في الله وبالله.

ثم إنه قد ثبت بأن محمداً كان يدعو إلى الهداية بالسيف والعسف، فكل من دخل في طاعته آمنه على نفسه وأهله وماله، ومن أعرض عنه قتله وأخذ أهله وماله. والدعوة إلى الهداية لا تكون بهذه المثابة، فإن ذلك حال ملوك الدنيا وجبابرتها، لا حال ملوك الآخرة الذين هم الأنبياء والأولياء، والذين هم العلماء والحكماء الداعون إلى الله (تعالى) بالمعجزات القاهرة، والبراهين الباهرة من أدلة العلم والحكمة والحجج العقلية القاطعة، كما كان يدعو عيسى ومن قبله من الأنبياء والأصفياء من عهد آدم إلى ظهور عيسى.

ثم إنه قد ثبت أنكم رويتم عن محمد أحاديث كثيرة موهمة للتشبيه، فكيف يليق صدور مثلها من النبوة، وما بعث الأنبياء إلا لرفع التشبيه،

وإثبات التقديس والتنزيه، ثم ما كفى أنه قال ذلك حتى إنه لم يُشر إلى رفع إيهام التشبيه، وإثبات التقديس والتنزيه بقرينة يذكرها عقيب قوله ذلك، ثم ما كفى سكوته على ذلك حتى إن الصحابة أيضاً ما كان فيهم أحد عنده نظر ولا فهم وبصيرة فيسأله عن تفسير حديث من تلك الأحاديث، ليقع البحث في شرح ذلك، فتحصل الفائدة لهم ولمن بعدهم.

وعلى تقدير أن تحتجوا بأن الرواة أخطأوا في النقل عن محمد أو تعمدوا كذباً وافتراء، أليس القرآن مقطوعاً به عندكم؛ فكم فيه من الآيات الموهمة للتشبيه كقوله (تعالى): ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[سورة طه: ٥] حتى كررتم ذلك في كتابكم في مواضع شتى، وكذلك قوله: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[سورة الفجر: ٢٢] وكذلك قوله: ﴿وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [سورة الزمر: ٢٧] وكذلك: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [سورة ص: ٧٥] وكذلك قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾[سورة البقرة: ٢١٠] وكذلك: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾[سورة الأنعام: ١٥٨] وكذلك قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[سورة القصص: ٨٨] وهذا يقتضي على زعمكم أن كل شيء يهلك، وكذلك هو (تعالى) يهلك إلا وجهه فقط، وهذا عين الكذب والافتراء على الله (تعالى)، فإن العرش والكرسي لا تهلك، وكذلك اللوح والقلم، وكذلك الجنة، وكذلك فعل الخير، وكذلك ذات البارئ (تعالى) وصفاته، فكيف تقولون: كل شيء هالك إلا وجهه، ما استثنيتم منه إلا الوجه فقط.

وكذلك ذكركم الحروف المقطعة في أوائل السور كقوله: الم، المص، الر، المر، كهيعص، طه، طسم، يس، حـم، حم عسق، ص والقرآن، ن و[القلم][(١)]، ق والقرآن. كل هذه حروف على حدتها، والحرف على حدته ماذا فيه من المعنى حتى يذكر، وقد ثبت أن الكتب المنزلة ما نزلت إلا ليفهم معناها، وأي معنى يفهم من ذكر الحرف الواحد، إلا إذا كان الواضع قد وضع لكل معنى حرفاً بذاته، فمتى ذكر ذلك الحرف فهم ذلك المعنى، وأين الوضع هنا؟ هل سُمع في اللغة بأن كل حرف من هذه الحروف كان في قديم الزمان موضوعاً لمعنى كما وضع اسم الصلاة لهذه الأفعال المخصوصة، ووضع اسم الزكاة والصوم والحج لهذه الأمور المعلومة؟ ليس الأمر كذلك.

ثم ما كان في الصحابة أحد سأله عن معنى حرف من هذه الحروف، فإنه بعث إليهم، ولا يخاطبهم بشيء إلا ليفهموه، وما لا يفهمونه سألوا عنه، فكيف كان فيهم هذا الجمود العظيم والطبع الغليظ إلى هذا الحد، حتى إنهم لم يكن فيهم ولا شخص واحد عنده فهم ويقظة يسأله عن معنى حرف من هذه الحروف؟ ولا شيء عن آيات الصفات وأخبار الصفات الموهمة للتشبيه في أنه ما معنى ذلك، وما تفسيره؟ فكيف وقع العظيم بعدهم في مثل ذلك وأمثاله، وامتلأت الكتب من شرح ذلك وتفسيره وتأويله وحقائقه وأسراره، ولم يقع شيء من ذلك في عصرهم،

(١) في الأصل [القرآن] والصحيح ما أثبته.

فهل هو منعهم عن ذلك؟ وإذا كانوا هم بليدي الخاطر بالمرة حتى إذا لم يفهموا، لم يسألوا أيضاً، وظنوا أن الجهل با لله خير من العلم به، وكذلك الجهل بأسرار كتابه خير من العلم بها، هذا ومن أعظم الجهل الجهل بالجهل، ومتى ظنوا ذلك كانوا جهالاً، وكانوا جاهلين بجهلهم، فكيف صلحوا لصحبة النبوة وأمانة الرسالة؟

ثم إن محمداً قد عَلِمَ أنكم تفترقون بعده ثلاثاً وسبعين فرقة بسبب الأحاديث التي قالها، والآيات المتشابهة التي نقلها، فَلِمَ لم يرفع تلك الإيهامات التي أوقعت الأمة في الغلو حتى افترقوا وابتدعوا وشبهوا وغيروا وعطلوا وألحدوا وتزندقوا، وقد ثبت عندكم أنه ما أرسل إلا رحمة للعالمين، وأنه هدى ونور، ومن يكون بهذه المثابة كيف يلقي بين أمته كلاماً يقعون بسببه في ظلمة البدع، وفي تيه التشبيه والرفض، مع قدرته على أن يدعهم على بيضاء نقية لا يبقى بينهم خلاف ولا نزاع، ولا يكفر بعضهم بعضاً، ويلعن بعضهم بعضاً كما هو حالكم فيما بينكم، وما منكم طائفة إلا وتكفر الأخرى، أو تبدعها أو تلعنها.

ثم إن خير فرقكم الفرقة الواحدة التي تزعمون أنها السنة والجماعة، ومع هذا قد افترقت أيضاً إلى فرق شتى، كل فرقة منها تطعن في الأخرى بل وتكفرها: فالأشعري يكفر الحنبلي، وينسبه إلى الحشو والتشبيه، وكذلك الحنبلي في حق الأشعري، هذا في الاعتقاد، وأما في المذهب: فالحنفي يطعن على إمامكم الشافعي، وينسبه إلى الغلط والخطأ العظيم في

أمور شتى، من جملتها أن يتزوج الرجل بابنته من الزنا.[(١)] وكذلك الشافعية تطعن في الحنفية وتنسبهم إلى الخطأ في أمور شتى من جملتها إباحة النبيذ والوضوء به[(٢)]، وجواز صلاة الرجل وعلى دبره من الغائط قدر الكف[(٣)]. وكذلك طعنكم على إمامكم مالك في أمور شتى، ومن جملتها إباحة أكل لحم الكلب[(٤)]، وكذلك طعنكم على إمامكم أحمد. وإذا كان الحال فيما بينكم كذلك وأنتم على زعمكم الفرقة الناجية فيكف حال الغير؟

ثم إن منكم طائفة اعتزلت أهل العلم والحكمة والفهم والمعرفة، وادعت أنها على الحق، وأنها هي الواصلة إلى الله (تعالى)، وتنظر إلى العلماء بعين المقت والاحتقار، وبعين الازدراء والإهانة، ليس لهم علم وعمل إلا الغناء والرقص والدف والشبابة، مع الشحاتة من كل بر وفاجر، وأكل ما حضر، كأنهم ابتدعوا لأنفسهم شريعة بذاتها ما بعث بها نبي، ولا أنزل بها كتاب، فأي نبي بعث بغناء ورقص، أو أرسل بدف وشبابة؟ وأي كتاب نزل من السماء بذلك؟ فليس لهم في ذلك مستند سوى ميل العوام إليهم وتعصبهم لهم. ثم إن هؤلاء مع ما هم فيه من الجهل العظيم ينسبون أئمتهم إلى النقص والتقصير. وهذا منهم يقتضي

---

(١) انظر شرح هذه المسألة في : المهذب ـ لأبي إسحاق الشيرازي ٤٣/٢ .

(٢) انظر شرح هذه المسألة في : حاشية رد المحتار ١٨١/١ .

(٣) انظر شرح هذه المسألة في : تبيين الحقائق ٧٣/١ .

(٤) انظر شرح هذه المسألة في : مواهب الجليل لشرح مختصر خليل ٢٣٦/٣ .

بأن الشريعة التي نقلتموها عن محمد غير الشريعة التي هم عليها. وأما أنتم فنسبتموهم إلى الجهل والزندقة، فكل منكم يقدح في الآخر، فهذا حال خياركم فكيف حال الأشرار؟

وبعد، فإن ما من ملة إلا وتقطع بأنها هي المحقة وغيرها المبطلة، فبأي شيء يتميز ذلك إذا كان الجميع مشتركين في الاستدلال بالأدلة القطعية؟ وعلى تقدير أن يُعلم ذلك بالمعجزة، فإذا ثبت أن السحر مشارك للمعجزة في التخييل فكيف يتميز المعجز من السحر؟

فقال الفخر الرازي رحمه الله: أما حديث رفع عيسى عليه السلام إلى السماء، وبقائه حياً إلى اليوم، وخلقه من غير نطفة، وتجرده عن علائق النفس، وانشغاله بحضرة القدس، وكونه روحاً وكلمة، فكل ذلك يدل على الأفضلية لا على الإلهية، وكون محمد ﷺ ليس كذلك فليس دليلاً على عدم النبوة، بل على المفضولية. وأنت يا نصراني، ما ذكرت ذلك في حق عيسى في معرض التفضيل بين عيسى ومحمد، بل في معرض إثبات الإلهية أو كونه ابن الإله، أو غير ذلك من صفات الإلهية، وفي معرض الدليل على عدم نبوة محمد ﷺ. ولما كان الدليل غير مطابق للمدلول فالسؤال لم يستحق الجواب، على أنا نجيبك تبرعاً لا وجوباً، فنقول:

أما قولك: إن عيسى عليه السلام رفع إلى السماء، وهو حي إلى الآن وإلى قيام الساعة، وكون محمد مدفوناً ميتاً في بطن الأرض، فذلك وإن كان دليلاً على أفضلية عيسى من وجه واحد، لكنه دليل على أفضلية نبينا

محمد ﷺ من وجوه متعددة، وذلك أن أفضليته إنما تعتبر بالنفع المتعدي لا بالنفع القاصر، فعيسى عليه السلام وإن كان في ذلك المحل الرفيع إلا أن نفعه قاصر على نفسه، ثم ما كفى ذلك حتى إن حالته تلك صارت سبباً لكفر النصارى حتى اتخذوه إلهاً. وأما حال نبينا ﷺ فإن موته ودفنه في الأرض ربما كفى أن يكون رحمة للعالمين لئلا يسلط على من أعرض عنه عذاب الاستئصال، كما سلط على الأمم الذين أعرضوا قبلنا، كلما كان مدفوناً بين أظهرنا، حتى إن زيارة قبره كل عام صارت دعوة منه بالنظر إلى من نظر إلى قبره، والتبرك لمن تبرك بحرمه وحضرته. فلا جرم أن ظهر ببركة ضريحه كل إمام في العلم وقدوة في العمل، كل منهم يصلح أن ينوب عن كل نبي مرسل وملك مقرب بالمجاهدة والعبادة في إصلاح الأمة بأنواع الهداية[(١)]، وأين ثمرة رفع عيسى إلى السماء في حق أمته إلى ثمرة دفن النبي في الأرض في حق أمته؟ انظر ما بين تلك التي كانت سبباً لكفر النصارى، وبين هذه الثمرة التي كانت سبباً لكمال هداية المسلمين المؤمنين الموحدين، وسبباً لعلم العلماء الراسخين، وسبباً لكمال صفات الصديقين المكاشفين المخاطبين المؤيدين بروح القدس.

ثم إن كان جسم محمد مدفوناً في الأرض فروحه في أعلى عليين، والاعتبار بالروح الذي هو الساكن لا الجسد الذي هو المسكن.

---

(١) ما تقدم من كلام الرازي من الغلو الذي نهى عنه النبي ﷺ وحذر أمته منه، وهو من فتنة عبادة القبور والتبرك بها، ولا شك أن النبي ﷺ أطيب الخلق وأفضلهم حياً وميتاً، وأن زيارة قبره ـ من غير شد الرحال ـ مشروعة، وهي قربة من القرب.

ثم إن عيسى وإن كان بعروجه إلى السماء قد تجرد عن علائق الدنيا، وحظوظ النفس، إلا أنه لم يتجرد أيضاً عن الجسد، فجسده معه في السماء. وأما نبينا ﷺ فإن عروجه إلى العالم الأعلى قد تجرد عن جميع الأشياء وعن جسده أيضاً، فأين تجرد عيسى من تجرد النبي ﷺ ؟ وأين سكنى سماء الدنيا من سكنى الفردوس الأعلى والحضرة الأسمى؟

وأما كون عيسى عليه السلام روح الله وكلمته فهو متروك الظاهر عقلاً؛ لأن من المحال أن يكون الجسد روحاً وكلمة، ولا شك أن عيسى كان جسداً. ومن المحال أن يكون الله (تعالى) مركباً من روح فتصير عيسى، والأجزاء الأخرى تصير منها أشياء أخرى، فيذهب الرب ويبقى المربوب رباً، وذلك محال، فكان القول بظاهر ذلك محالاً. وإذا ثبت أنه متروك الظاهر حمل على التأويل. وتأويل كون عيسى عليه السلام روح الله أنه إضافة تشريف، كما يقال: بيت الله، وناقة الله. فكونه روح الله أي روح شرَّفه الله (تعالى) ، أي روح أهل الله، وروح صفوة الله. وكذلك قوله: وكلمته، أي لاشتماله على معرفة الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل، فكان كلمة الله لذلك، وكل الأنبياء يشاركونه في ذلك، في كونه روح الله، وفي كونه كلمة الله؛ لاشتمال جميعهم على المعنى الذي اشتمل عليه عيسى، أو بعضه، أو أكثر منه.

أما كونه خلق من غير نطفة، فليس الاعتبار بالأجساد بل بالمعاني، فأصل الكل آدم، وآدم خلق من تراب، فالجسد لَحَق المعنى، فقد يكون اللَّحَق كثيفاً والجوهر الذي فيه لطيفاً شريفاً، وقد يكون اللَّحَق شريفاً

ويكون فيه حجر ومدر، فالاعتبار إذاً بالروح والمعنى لا بالجسد والصورة، فما علينا حينئذ أن يكون جسده خلق من نطفة أو غير ذلك.

وأما أن عيسى لم يشتغل بشيء من لذات البطن والفرج ولا كذلك محمد ﷺ، فالجواب: أن من اشتغل بالأزواج على قصد أن ينفي عنه تهمة الربوبية ـ ولم تنتف عن عيسى بسبب تركه ذلك ـ فهو أعظم وأفضل ممن ترك الزوج وصار حفرة حتى وقع فيه سائر النصارى باتخاذه رباً وإلهاً وابن الإله.

وأما الجواب عن كون محمد ﷺ دعا الناس إلى الهدى بالسيف والقهر، فإنما كان ذلك عندما كانوا يجحدون المعجزات والأدلة الظاهرة الباهرة، ولا خلاف أن من عاند البرهان، لم يبق له إلا المقاتلة بالسيف والسنان.

وأما الجواب عن الأحاديث والآيات الموهمة للتشبيه، فاعلم أنه إذا ثبت عند كل عاقل مثلاً أن الجدار جماد لا حي، ثم يوصف بعد ذلك بالإرادة في قوله (تعالى): ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ﴾[سورة الكهف: ٧٧] علم قطعاً بضرورة العقل أن وصفه بالإرادة إنما هو على سبيل المجاز لا على سبيل الحقيقة. وكذلك إذا علم أن القرية جدران لا روح لها، وأن الله (تعالى) قال فيها: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾[سورة يوسف: ٨٢] علم قطعاً أن سؤال القرية مجاز لا حقيقة، وإنما المراد: واسأل أهل القرية، فكذلك إذا علم أن البارئ (تعالى) منزه عن الجسمية والعرضية والحد والجهة والأعضاء والجوارح والحركة

والسكون، ومنزه عن الميل والحظ والنفور والرقة، ثم إنه وصف بعد ذلك بالمحبة والرضا والسخط والرحمة، أو بالحركة والجارحة علم قطعاً أن إطلاق ذلك عليه مجاز لا حقيقة، بل من باب التنبيه بالمثمر على الثمرة.

وأما كونه ﷺ لم يشرح شيئاً من ذلك، ولا سأله عنه أحد من الصحابة فلأنه لما قال لهم مثلاً: ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ﴾ [سورة الكهف: ٧٧] فلو قال لهم: اعلموا أن الجدار جماد لا إرادة له، لكان ذلك قبيحاً؛ لأنه معلوم بضرورة العقل. وكذلك لو سألوه أن هل للجدار إرادة أم لا؟ لكان أيضاً قبيحاً. فكذلك إذا ثبت أن إله العالم منزه عن الجوهرية والعرضية، ثم قال (تعالى): ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾[سورة الزمر: ٦٧] علم قطعاً أن المراد به القوة والقدرة لا العضو ولا الجارحة، فإن القدرة والقوة ليست لليمين الذي هو الصورة والجسد، بل للمعنى الذي هو القوة والقدرة، فهل كان يليق به ﷺ أن يقول لهم: اعلموا أن معنى يمينه إنما هو القدرة لا العضو والجارحة الذي هو الشكل والصورة. وقد علم ﷺ أنهم يعلمون ذلك ويتحققونه. وكذلك ما كان يليق بهم أن يقولوا له: ما معنى اليمين هنا، لأنه يصير كأنهم عدلوا من المفهوم والمعلوم عندهم فهمه وعلمه إلى السؤال عن الكيفية، والكيفية في ذات الإله محال، فكان السؤال عما لا ينبغي السؤال عنه بعد فهم ما ينبغي فهمه محالاً. وكذلك وصفه (تعالى) بالرحمة والرأفة والحنو والشفقة، كل ذلك يدل حقيقة عن الرقة الجنسية، وهو على الله

(تعالى) محال، وإنما المقصود التنبيه على ثمرة الرحمة، وثمرة الرأفة والشفقة، فعبر عن الثمرة بالمثمر تنبيهاً على الثمرة[(١)].

ثم إن النبي ﷺ إنما لزمه أن يبين للناس ما اختلفوا فيه، فبين لهم، لكن لم يلزمه أن يعصم الرواة عن الخطأ والنسيان، ولا لزمه أن يزيد في عمره إلى قيام الساعة حتى إنه كلما اختلفوا بعده في شيء قال لهم: ليس الأمر كذلك، ولا لزمه أن يذكر كل ما ذكره العلماء من أمته بعده إلى قيام الساعة: من تفسير كتاب الله (تعالى)، وشرح حديثه ﷺ، فإنه

---

(١) ما تقدم من كلام الرازي من الجواب عن النصوص الموهمة للتشبيه هو على مذهب المتكلمين، وهو من أئمتهم في ذلك، كما يظهر ذلك في سائر كتبه وكتبهم. أما النصوص فليست ـ ولله الحمد ـ موهمة للتشبيه كما يزعمون، حتى تحتاج إلى هذا التأويل والتحريف، الذي أخرجها عن معانيها التي وضعت لها، والتي يفهمها كل عربي القلب واللسان، وبسبب هذا المذهب التحريفي للنصوص والذي بدأ بتأويل بعض نصوص الصفات، وهي الصفات الاختيارية كما هو عند الأشاعرة، تسلّط عليهم وعلى الإسلام الفلاسفة والملاحدة الباطنيون، فوسّعوا في دائرة التأويل مستندين إلى الحجج والشبه ذاتها، حتى عطّلوا نصوص الأحكام، والحلال والحرام، واتسع الخرق على الراقع. والواجب التزام نصوص الكتاب والسنة، وفهمها على مقتضى فهم السلف الصالح الذين هم أعمق علماً، وأقل تكلفاً، وأرسخ قدماً.

فالأسماء والصفات ـ ومنها الصفات الاختيارية ـ ثابتة لله تعالى بمقتضى النصوص، من غير تشبيه ولا تكييف، ومن غير تعطيل ولا تحريف. فالتنزيه الحقيقي للرب تعالى هو إثبات ما أثبته لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ من غير تقصير ولا تعدٍّ، لا الخوض في ذلك بالعقول المدخولة، والخواطر الممسوخة. وفي هذا السلامة وأي سلامة، مع العلم والإحكام.

لو لزمه ذلك لفعله، ولما كان للعلماء بعده مزية في العلم على العامة، ولا ثواب في القيام به، ولكان كلام الله أحق بأن يشرح جميع ذلك، وما كان يبقى لأحد حاجة بالرسل، وكان الله قادراً على أن يهدي الجميع من غير إنزال أيضاً، بل وكان قادراً على أن يخلقهم في الجنة من غير كلفة ومشقة، لكن الحكمة الإلهية اقتضت خلق الأسباب والمسببات، والنبي ﷺ بلّغ وأوضح، وشرح وأفصح وما أبقى، وإنما الخلاف نشأ بسبب الخلل الواقع في الرواة عنه من بعده، فوقع الاختلاف، وكثر الخبط، وظهرت البدع بسبب ذلك.

ثم الذي أوردته علينا هو بعينه وارد عليكم: فإنه وإن وقعت البدع بيننا بسبب نقل الرواة، فقد شملكم الكفر المحض جيمعاً بسبب تجرد عيسى كل ذلك التجرد، وبسبب عروجه إلى السماء وإقامته هناك، وبسبب ما ظهر على يديه من المعجزات التي تشبه فعل الخالق (تعالى) من إحياء الموتى، وخلق الطير من الطين في الحال والساعة، وبسبب النقل الفاسد من أئمتكم فيما أنزل الله (تعالى) على رسوله. وإذا كانت هذه الضلالات لا تنسب إلى عيسى، فكيف ينسب إلى نبينا خطأ بسبب الرواة؟

وأما الجواب عن الحروف المقطعة[1] فإنه يحتمل أن تكون الحكمة في ذكرها تهويلاً على الخلق ليبقى العقل والقلب دائماً مشتغلاً بالفكر في

---

(١) الحروف المقطعة التي في أوائل السور، وقع الخلاف فيها، ومداره على قولين: الأول: أنها مما استأثر الله بعلمه. والثاني: أنها مما يُعلم معناه، واختلف هؤلاء في تفسيرها على أقوال؛ =

ذلك والبحث عنه، ولئلا يذهب الوهم في ذلك إلى تقدير أمر عظيم إلا ويظن أن وراء ذلك ما هو أعظم منه: تارة فيما يتعلق بعظمته، وتارة فيما يتعلق بسعة ملكه وعظم عالمه، وتارة فيما يتعلق بوعده ووعيده، وتارة فيما يتعلق بجنته وناره.

وأما أن الصحابة لم يسألوا الرسول ﷺ عن شرحها ومعناها، فلأن مهابة الرسول وجلالته إلى غير غاية ونهاية، وقد علموا أن الله (تعالى) في كتابه سراً لا يطلع عليه إلا نبي مرسل أو ملك مقرب، وله في كل كتاب سر لا يطلع عليه إلا هو، لا نبي مرسل ولا ملك مقرب، فقالوا: يحتمل أن

= أهمها : أنها أسماء للسور، وقيل : إنها فواتح افتتح الله بها كتابه. وقيل : إنها حروف من حروف المعجم استغني بذكر بعضها في أوائل السور عن ذكر بواقيها.

وقد تكلم بعض العلماء في الحكمة من إيرادها في أوائل السور : فقالوا : ذكرت لتفتح أسماع المشركين إذ تواصوا بالإعراض عن القرآن، حتى إذا أصغوا أسماعهم تلي عليهم المؤلّف منه.

وقيل : لإظهار عجز الخلق عن معارضة القرآن بمثله، فإنه وإن كان من جنس حروفهم التي يتخاطبون بها، لكنهم لا يستطيعون الإتيان بمثله . وهذا اختيار طائفة من العلماء المحققين.

ومما يؤيد أن لهذه الحروف معاني أنه لم ينقل عن أحد المخاطَبين في عصر التنزيل؛ سواء من المسلمين أو من المشركين ـ وقد كانوا أحرص الناس على معارضة القرآن والطعن فيه ـ أنه سأل عن معنى هذه الحروف، أو اعترض بها ، مما يدل على أنها جارية على معهودهم في الخطاب، وأن معانيها مفهومة لديهم.

انظر : تفسير الطبري ١/٢٠٥ وما بعدها ط. شاكر ، وتفسير القرطبي ١/١٥٤ وما بعدها، وعمدة التفسير لابن كثير ١/٩٢-٩٣ .

يكون الرمز والإشارة بهذه الحروف المقطعة إلى أنها تلك الأسرار أو بعضها، ولأنهم لم يروا النبي ﷺ يتكلم في معناها ولم يذكر شرحها، بل يذكرها في معرض التلاوة فقط، فغلب على ظنهم أن الأمر هو ذلك، فلذلك سكتوا عنه.

وأما الجواب عن تكفير الأشعرية للحنابلة، والحنابلة للأشعرية، فليس ذلك تكفيراً حقيقة بل تبديعاً. فقصد الأشعري تنزيه الرب (تعالى) وتقديسه، والمبالغة في إجلاله وتعظيمه، والفرار من التشبيه. وقصد الحنابلة الفرار من الوقوع في البدع، وخوف الخروج عما كان عليه السلف الصالح.

وأما الجواب عن المطاعن في أئمة المذهب، فإن الإئمة إنما أفتوا بأن مقتضى ظاهر الآية والخبر في تلك المسائل ذلك، لا أنهم قطعوا بصحته في نفس الأمر. ثم وما المانع أن يكون ذلك حقاً في نفس الأمر؟[1]

وأما الطائفة التي اعتزلت عن العلماء، وادعت الفقر، واشتغلت بالغناء والرقص، والدف الشبابة، فالجواب أن أولئك ليسوا ممن يعتمد عليهم في الدين: لا في علم، ولا في بيان حكم، ولا في آية منزلة، ولا خبر مروي، ولا في تهذيب خلق، ولا في سلوك طريق، ولا في أصل من أصول الدين، ولا في فرع من فروع المسلمين. وإذا كان كذلك فأي التفات وأي اعتبار لهؤلاء آمنوا أو كفروا، أطاعوا أو عصوا؟

(١) الحق في نفس الأمر واحد، ولا يمنع أن يكون كل مجتهد مثاباً على اجتهاده وإن أخطأ، أو أنه مصيب في طروق سبل الاجتهاد، لا إصابة الحق، فالمصيب واحد والمثاب كثير.

وأما الجواب على أن محمداً ﷺ أقام في نبوته عشرين سنة مشوبة بأمور الدنيا، ولعيسى ألف ومائتا سنة حياً في صفاء الأنس، وخلاصة حضرة القدس، فساعة من ساعات محمد ﷺ التي كانت سبباً لهداية أمته خير وأفضل من ألف سنة ضل بها دين النصرانية.

وأما الجواب عن قولك: لم انحصرتم في الاثنينية حتى لقبتم كتابكم في الحديث بالصحيحين، فاعلم أن قولنا: هذا كتاب صحيح، لم نرد به الانحصار في الكتابين، فإن غيرهما من الكتب الصحيحة كثير، وإنما أطلق هذا الاسم على هذين الكتابين، فصار اسماً علماً عليهما، لا أنه ليس ثمة صحيح غيرهما.

وأما الجواب عن قولك: إنه ما من أمة من الأمم، ولا ملة من الملل إلا ويُدعى أنها هي المحقة وغيرها المبطلة بالأدلة القاطعة، والحجج الباهرة، وإذا كان كذلك، فبأي شيء نتبين رجحانكم على الغير؟ فاعلم أن إحدى الحِكم في إرسال الرسل هو أن يكون الرسول حَكَمًا بين خلق الله (تعالى) إذا ادَّعوا جميعهم ذلك، فتعرض أدلتهم على ذلك النبي الذي تميز عن جميعهم، ورجح على سائرهم بالعلم والعقل، فأي دليل يرجحه ذلك الشارع كان هو على الحق وغيره على الباطل. وإنما تعرف نبوة النبي بالحكم الذي جعله الله فينا وهو العقل، فتعرض معجزاته على الحكم، فمتى كان الذي أتى به معجزاً ولم يكن سحراً، علمنا أنه نبي مرسل لا شيطان رجيم، ولا كاهن، ولا شاعر.

وأما الجواب عن قولـك: إنـه إذا كـانت المعجـزة تشـارك السـحر في التخييل، فبأي شيء يفرق بين المعجز والسـحر؟ فـالجواب عنـه أن إبطـال السحر مما لم يعجز عنه العلمـاء وخـواص الحكمـاء، ولا كذلـك المعجـز، فإنه يعجز عن إبطاله جميع الخلائق. فلمـا ظهـر محمـد ﷺ وأُظهـر المعجـز على يديه، ولم يكن في زمانـه وإلى هـذا الوقـت مـن أبطـل عليـه معجـزة واحدة، فضلاً عن ألف ألف معجزة، علمنا أن الذي ادعاه محمد ﷺ كان معجزاً ولم يكن سحراً، وكذلك غيره من الأنبياء.

هذا آخر الجواب والله أعلم، فآمن على يديه ذلك النصراني، وصـار منه إماماً في العلم يقتدى به.

القرآن من عند الله (تعالى):

قال وحيد الدين خان يحكي واقعة رواها العالم الهندي الدكتور عنايـة الله المشرقي، حيـث قـال: «كـان ذلـك يـوم أحـد، مـن أيـام سـنة تسـع وتسعمائة وألف وكانت تمطر بغزارة، وخرجت من بيتي لقضاء حاجة ما، فـإذا بـي أرى الفلكـي المشـهور السـير جيمـس جيـنز ـ الأسـتاذ بجامعــة كمبردج ـ ذاهباً إلى الكنيسة، والإنجيـل والشمسـية تحـت إبطـه، فدنـوت منه، وسلمت عليه، فلم يرد علي، فسلمت عليه مرة أخرى، فسألني: ماذا تريد مني؟ فقلت لـه: أمريـن، يـا سـيدي، الأول هـو: أن شمسـيتك تحـت إبطك رغم شدة المطر. فابتسم السير جيمس وفتـح شمسـيته علـى الفـور. فقلت له: وأما الأمر الآخر، فهو: ما الذي يدفـع رجـلاً ذائـع الصيـت في

العالم ـ مثلك ـ أن يتوجه إلى الكنيسة؟ وأمام هذا السؤال توقف السير جيمس لحظة، ثم قال: عليك اليوم أن تأخذ شاي المساء عندي. وعندما وصلت إلى داره في المساء، خرجت ليدي جيمس في تمام الساعة الرابعة بالضبط، وأخبرتني أن السير جيمس ينتظرني. وعندما دخلت عليه في غرفته، وجدت أمامه منضدة صغيرة موضوعة عليها أدوات الشاي. وكان البروفيسور منهمكاً في أفكاره. وعندما شعر بوجودي سألني: ماذا كان سؤالك؟ ودون أن ينتظر ردي، بدأ يلقي محاضرة عن تكوين الأجرام السماوية، ونظامها المدهش، وأبعادها وفواصلها اللامتناهية، وطرقها، ومدارتها وجاذبيتها، وطوفان أنوارها المذهلة، حتى إنني شعرت بقلبي يهتز بهيبة الله وجلاله، وأما السير جيمس فوجدت شعر رأسه قائماً، والدموع تنهمر من عينيه، ويداه ترتعدان من خشية الله، وتوقف فجأة. ثم بدأ يقول: يا عناية الله، عندما ألقي نظرة على روائع خلق الله يبدأ وجودي يرتعش من الجلال الإلهي، وعندما أركع أمام الله وأقول له: إنك لعظيم، أجد أن كل جزء من كياني يؤيدني في هذا الدعاء، وأشعر بسكون وسعادة عظيمين، وأحس بسعادة تفوق سعادة الآخرين ألف مرة، أفهمت يا عناية الله خان، لماذا أذهب إلى الكنيسة؟

ويضيف العلامة عناية الله قائلاً: لقد أحدثت هذه المحاضرة طوفاناً في عقلي، وقلت له: يا سيدي لقد تأثرت جداً بالتفاصيل العلمية التي رويتموها لي، وتذكرت بهذه المناسبة آية من آي كتابي المقدس، فلو

سمحتم لي لقرأتها عليكم، فهز رأسه قائلاً: بكل سرور، فقرأت عليه الآية التالية:

﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ * وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[سورة فاطر: ٢٧-٢٨].

فصرخ السير جيمس قائلاً: ماذا قلت؟ إنما يخشى الله من عباده العلماء؟ مدهش! وغريب وعجيب جداً!! إن الأمر الذي كشفتُ عنه دراسة ومشاهدة استمرت خمسين سنة، من أنبأ محمداً به؟ هل هذه الآية موجودة في القرآن حقيقة؟ لو كان الأمر كذلك، فاكتب شهادة مني أن القرآن كتاب موحى من عند الله.

ويستطرد السير جيمس جينز قائلاً: لقد كان محمداً أمياً، ولا يمكنه أن يكشف عن هذا السر بنفسه، ولكن الله هو الذي أخبره بهذا السر..مدهش..! وغريب، وعجيب جداً!!(١)

المناظرة في عصمة الأئمة :

عصمة غير الأنبياء يقول بها الشيعة وبعض المتصوفة، وهي من مخازيهم التي خالفوا بها جماعة المسلمين.

قال الإمام تقي الدين أبو العز صاحب الأسرار العقلية: ومما قرع سمعي من مناظرة بعض المشائخ الذين أدركتهم أنه ناظر بعض الإمامية في

---

(١) الإسلام يتحدى ص: ١٥٢-١٥٣ وأحال المعرِّب القصة إلى مجلة النقوش الباكستانية العدد الخاص بالشخصيات الإسلامية ـ شخصية العلامة عناية الله المشرقي ص:١٢٠٨-٩.

إضافة الغواية إلى الله (تعالى)، فاستدل هذا الشيخ بقوله (تعالى) في قصة نوح الطَّيْلا: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾[سورة هود: ٣٤] ففي هذه الآية إضافة الإغواء إلى الله (تعالى). فلم يجد الإمامي جواباً، وعجز عن التأويل. فقال الإمامي الرافضي: أخطأ نوح الطَّيْلا، فغضب الشيخ، وترك المجلس، وقال: لا نجلس في موضع يُخْطَأُ فيه على الأنبياء، فلقيه بعض أئمة عصره، وفريد دهره، فقال له: لقد أمكنتك معه فرصة فتركتها، هذا الرجل يقول بالإمام المعصوم، فإذا لم تثبت عصمة النبي من الخطأ فيما تصح نسبته إلى الله (تعالى) فبأي طريق تثبت عصمة الإمام الذي هو نائبه وخليفته[(١)] .

مناظرة أخرى في عصمة الإمام:

هذه طريقة أخرى يمكن أن يُقطع بها من يقول بعصمة الإمام، وهو أن يقال لهم: بم عرفتم وجوب عصمة الإمام؟ هل عرفتموها بقوله أم بدليل آخر؟

فإن قالوا: عرفناها بقوله. قيل لهم: قوله لا يكون حجة إلا بعد العلم بعصمته، وعصمته على قولكم لا تعرف إلا من قوله، فهذا محض الدور، وهو باطل.

وإن قالوا: عرفناها بدليل آخر. قلنا لهم: الدليل إما أن يكون شرعياً أو عقلياً. فإن قالوا: عرفناها بالدليل الشرعي. قلنا لهم: الشرع ـ على

---

(١) انظر : عيون المناظرات ص : ٢٨٧-٢٨٨.

قولكم ـ لا يعرف إلا من قول الإمام، وقوله لا يكون حجة إلا بعد معرفة عصمته، فهذا ساقط كسابقه.

وإن قالوا: عرفناها بالدليل العقلي. قلنا لهم: العقول لا اعتماد عليها عندكم. فإن قالوا: ما ألزمتمونا به في عصمة الإمام فهو لازم لكم في عصمة النبي. قلنا: كلا وحاشا فإنا عرفنا عصمة النبي بالعقل، وصدقه لظهور المعجز وغيره عليه، لا من قوله، وأنتم لا اعتماد لكم على العقول، ولا معجزة لإمامكم، فكان الإلزام متوجها عليكم وظهر الفرق بيننا[(١)].

مناظرة أخرى في عصمة الإمام :

مذهب التعليمية من الباطنية القول بأنه لا بد في كل عصر من إمام معصوم، قائم بالحق، يرجع إليه في التعليم، وحل الإشكالات النقلية والعقلية، واتفقوا على أنه يساوي النبي في العصمة[(٢)].

وقد صوَّر لنا أبو حامد الغزالي رحمه الله كيفية مناظرة هؤلاء التعليمية وإفحامهم بعد مقدمة جاء فيها: والحاصل أنه لا حاصل عند هؤلاء ـ يعني التعليمية ـ ولا طائل لكلامهم، ولولا سوء نصرة الصديق الجاهل، لما انتهت تلك البدعة ـ مع ضعفها ـ إلى هذه الدرجة، ولكن شدة التعصب، دعت الذابين عن الحق إلى تطويل النزاع معهم في مقدمات كلامهم، وإلى مجاحدتهم في كل ما نطقوا به، فجاحدوهم في

---

(١) الإفحام لأفئدة الباطنية الطغام ـ يحيى العلوي ص : ٦٤-٦٥

(٢) انظر : المرجع السابق ص : ٦٠ .

دعواهم: الحاجة إلى التعليم والمعلّم، ودعواهم أنه: لا يصلح كل معلّم، بل لا بد من معلّم معصوم، وظهرت حجتهم في إظهار الحاجة إلى التعليم والمعلّم، وضعف قول المنكرين في مقابلته، فاغتر بذلك جماعة، وظنوا أن ذلك من قوة مذهبهم وضعف مذهب المخالفين لهم، و لم يفهموا أن ذلك لضعف ناصر الحق، وجهله بطريقه، بل الصواب الاعتراف بالحاجة إلى المعلّم، وأنه لا بد وأن يكون المعلّم معصوماً، ولكن معلمنا هو محمد ﷺ، فإذا قالوا : هو ميت. فنقول: فمعلمكم غائب، فإذا قالوا: معلمنا قد علَّم الدعاة، وبثهم في البلاد، وهو ينتظر مراجعتهم إن اختلفوا، أو أشكل عليهم مشكل. فنقول: ومعلمنا قد علّم الدعاة وبثهم في البلاد، وأكمل التعليم؛ إذ قال الله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة المائدة: ٣] وبعد كمال التعليم لا يضر موت المعلّم، كما لا يضر غيبته(١).

مناظرة الرافضة في غيبة الإمام :

قال كثير عزّة الرافضي:(٢)

---

(١) المنقذ من الضلال ص : ١١٠-١١١ .

(٢) الفرق بين الفرق ص :٤٢-٤٣، وانظر : عيون الأخبار ١٤٤/٢.

ألا قل للوصي فدتك نفسي أطلت بذلك الجبل المُقاما
أضرَّ بمعشر والَوْك منا وسمَّوك الخليفة والإماما
وعادَوْا فيك أهل الأرض طُرًّا مقامُك عندهم ستين عاما
وما ذاق ابن خولة طعم موت ولا وارت له أرضٌ عظاما
لقد أمسى بمجرى شِعْب رضْوى تراجعه الملائكة الكلاما
وإن له لرزقاً كلَّ يوم وأشربة يُعلُّ بها الطعاما

فأجابه عبد القاهر البغدادي بقوله:(١)

لقد أفنيت عمرك بانتظار لمن وارى الترابُ له عظاما
فليس بشِعْب رضواء إمامٌ تراجعه الملائكةُ الكلاما
ولا منْ عنده عسل وماء وأشربة يعل بها الطعاما
وقد ذاق ابن خولة طعمَ موتٍ كما قد ذاق والده الحِمَامَا
ولو خَلَدَ امرؤ لعلوِّ مجدٍ لعاش المصطفى أبداً وداما

مناظرة الباطنية في تأويل نصوص الشرع:

الباطنية عمدوا إلى إبطال الشرع بتحريف نصوصه وتغيير معانيه: فالصلاة عندهم: كشف الأسرار، والصيام: كتمها، والاحتلام: مشاهدة السر في غير محله، والغسل: تجديد المعاهدة، والطهور: التبرئ عن اعتقاد كل مذهب سوى متابعة الإمام. والكعبة: النبي، وبابها: علي، والطواف: هو الطواف بمحمد إلى تمام الأئمة السبعة، والقيامة: قيام السامع الناسخ للشرع، والمغير للأمر، وهو محمد بن إسماعيل. والمعاد: عود كل شيء إلى

(١) الفرق بين الفرق ص :٤٣.

أصله. والنار: أغلال الشرع والتكاليف، والجنة: فكها والخلاص منها، إلى غير ذلك من الهذيان، والتهويس ودعوى الكذب والافتراء والبطلان[(١)].

فيقال لهؤلاء: ما طريقكم في هذه التأويلات الشنيعة والتحريفات السخيفة؟ فإما أن يقولوا: العقل، أو الوضع، أو السماع من لفظ الإمام المبلّغ للشرع عندهم.

فإن قالوا: عرفنا ذلك من جهة العقل، قيل لهم: هذا خطأ؛ لأن العقل -ضرورياً كان أو نظرياً- لا اعتماد عليه عندكم، إضافة إلى كونه بمعزل عن وضع هذه الألفاظ ودلالتها على معانيها.

فإن قالوا: عرفنا ذلك من جهة الوضع، قيل لهم: وهذا ـ أيضاً ـ باطل؛ لأن هذه الألفاظ لم توضع لما ذكرتموه، وإنما وضعت لمعانيها المفهومة في اللسان العربي، وليس ما زعمتموه من التحريفات مما يفهم منها في وضع اللسان، لا حقيقة ولا مجازاً، فإن قالوا: إنما سمعناه من جهة الإمام المعصوم . قيل لهم: وهذا فاسد من وجهين:

أما الأول: فلما تقدم من بطلان عصمة الأمام، وإذا بطل أن يكون معصوماً، فلعل ما قاله خطأ وضلال، فلا يمكن الاعتماد عليه.

وأما الثاني: فلفظ الإمام ليس بأشد تصريحاً من هذه الألفاظ التي حرفتموها، وقلتم لها بواطن، وهي رموز إلى الأسرار؛ فما يؤمنكم أن

(١) انظر : الإفحام لأفئدة الباطنية ـ العلوي ص:٧٢-٧٣ ، والاعتصام ـ للشاطبي ١/٢٥٢-٢٥٣

لفظ الإمام ـ أيضاً ـ له باطن، وهو رمز إلى أسرار لم تطلعوا عليها، ولا نؤمن لكم بما فهمتموه من ظاهر لفظه.

فإن زعموا أنه صرح بذلك المعنى، وقال: إنه نص فيه، لا رمز لي فيه. قلنا: لا نأمن أن يكون قوله: إنه نص فيه، لا رمز لي فيه، هو أيضاً رمز إلى سر لم تطلعوا عليه، ولا يزال يصرح بلفظ ونحن نقول: لسنا ممن يغتر بالظواهر، فلعل تحت مقالته رمزاً وسراً.

فإن أنكر الباطني قلنا له: إن تحت إنكارك أيضاً رمزاً لم يطلع عليه أحد، فإن حلف بالطلاق الثلاث: أني ما قصدت إلا الظاهر، وما لي رمز. قلنا له: تحت طلاقك أيضاً رمز وسر، وإنما أنت مضمر شيئاً، ومظهر خلافه. **وهذا يفحمهم ويقطع شجارهم**.

فإن قالوا: هذا يؤدي إلى حسم باب التفهيم بالكلام. قلنا: إن مذهبكم هذا هو الذي أدى إلى هذه الشناعة، فإن أكثر القرآن في وصف الجنة والنار، والحشر والنشر، وسائر الأمور الدينية، والتكاليف الشرعية، تضمنها ما هو ظاهر فيه، أو نص، ومع ذلك قلتم: بأنها ليست على ظاهرها، وإنما هي أسرار ورموز. فليت شعري: أي فرق بين تصريح صاحب الشريعة بهذه الأمور التي ذكرنا في أمور العبادات وفي أحوال المعاد، وبين قول إمامكم: إني ما أريد إلا الظاهر من كلامي، فإذا جاز في صاحب الشريعة أن يسمعنا الظاهر من القرآن والسنة وأن يكون مراده غير ظاهره، جاز في إمامكم المعصوم ـ بزعمكم ـ أن يكون مضمراً

خلاف ما يُظهر لكم، وضد ما تفهمون، ولو أكد لكم ذلك بالأيمان المغلظة، وهذا ما لا محيص لهم عنه [(١)].

مناظرة أخرى:

ويقال لهم: هب أنا سلمنا لكم هذه البواطن المموهة، والتأويلات المكذوبة، فأخبرونا عن حكمها في الشرع: هل يجب إخفاؤها عن الخلق، أو يجب إبداؤها لهم؟.

فإن قلتم: يجب إبداؤها إلى كل أحد. قلنا لهم: فلم كتمها صاحب الشريعة و لم يبدها للخلق، ولا أظهرها على أحد من أصحابه ولا لغيرهم، حتى درج العصر الأول و لم يسمعوا من حديثها همساً، فكيف استجاز كتمان هذا الدين خاصة، وهي عندكم من أجل علوم الشريعة، وأعظم مقاصدها وقد قال (تعالى): ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[سورة المائدة: ٦٧]. وقال (تعالى) مبيناً أن الدين لا يحل كتمانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾[سورة آل عمران: ١٨٧].

فإن قالوا: إنه يجب إخفاؤها. قلنا لهم: وما وجب إخفاؤه كيف حلَّ لهم إفشاؤه، فقد افتضحتم وخنتم بإفشاء سر الله الأعظم، وإبداء السر ممن اطلع عليه من أعظم الجنايات، فلولا أن صاحب الشريعة عرف سراً ومصلحة في إخفاء هذه البواطن لما أخفاها، فما دهاكم على إفشاء هذا

---

(١) انظر : الإفحام لأفئدة الباطنية ـ العلوي ص : ٧٤-٧٥ (بتصرف) .

السر، ولم خرقتم الحجاب، وهل هذا إلا خروج عن الدين، ومخالفة لصاحب الشريعة، وهدم لما أسسه، وهذا حشد عليهم.

فإن زعموا أن هذا السر لا يجوز إفشاؤه إلى عوام الخلق؛ ولهذا لم يفشه رسول الله ﷺ إليهم، ولكن من حق النبي أن يفشيه إلى خاصته الذي هو وصيه وخليفته، وقد أفشاه النبي ﷺ إلى علي دون غيره.

قلنا لهم: وعلي، هل أفشاه إلى الخاصة والعامة؟ فإن فعل خان وعصى وهو ـ عندكم ـ معصوم لا يجوز عليه العصيان.

فإن قالوا: بل أفشاه إلى خاصته وخليفته من بعده، وهكذا حتى انتهى إلى إمام الزمان. قيل لهم: إذا كان الأمر كذلك، فلم انتهى هذا السر إلى هؤلاء الجهال والعوام حتى تناطقوا به، وشُحنت به التصانيف، وتداولته الألسنة، فلا بد أن يقال: إن واحداً من الخلفاء عصى وأفشى السر إلى غير أهله، فانتشر، وهذا يبطل مذهبكم في عصمة الأئمة، ويلزمكم الاعتراف بوقوع المعاصي منهم.

فإن قالوا: الخليفة لا يذكره لأحد حتى يأخذ عليه العهد في كتمانه. قلنا: هذا الخليفة ذكره لخليفة آخر مثله فهو لا يحتاج إلى أخذ العهد؛ لأنه معصوم لا يفشي السر، وإن كان ذكره لغيره، فهذا منه خيانة؛ لأنه وضع السر في غير موضعه، وهذا يبطل القول بعصمته[1].

(١) انظر : كتاب الإفحام ـ العلوي ص : ٧٨-٧٩.

مناظرة الرافضة في الطعن على الخلفاء الراشدين

مناظـــرة السَّفّاح لأحد الرافضة:

ووقف رجل بين يدي السفاح بالمصحف قد علقه في عنقه في أول خطبة خطبها السفاح. فقال السفاح: من تذكر؟ فقال الرجل: أبوبكر قد ظلمك؟ قال: نعم في ميراث فاطمة. قال له: وعمر؟ قال: نعم. قال: وعثمان؟ قال: نعم. قال: وعلي؟ فسكت[(١)].

قال صاحب عيون المناظرات[(٢)]: «وهذه المناظرة عجيبة، انقطع فيها الرافضي؛ لأن المنع لو كان ظلماً لما أقره علي ﷺ حين أفضى الأمر إليه».

ثم إن علياً ﷺ لو سكت عن هذا الأمر وغيره مدة الخلفاء الثلاثة تقيةً، كما تزعم الرافضة، فما باله يستديم السكوت بعد أن أفضت الخلافة إليه، وارتفعت أسباب الخوف، ومراعاة الجانب، لم يكن ذلك إلا لأن ما كان عليه الخلفاء الثلاثة هو نفس ما تركهم عليه نبيهم ﷺ، وهو الحق الذي لا مرية فيه، فبطل بذلك زعم الرافضة أن علياً كان أحق بالخلافة من الثلاثة، لكنه منع حقه ظلماً وعدواناً، وسكت هو خوفاً وتقية.

---

(١) انظر : عيون المناظرات ص : ٢٩٦.

(٢) ص : ٢٩٦.

مناظـــرة المأمون لعلي بن موسى الرضى:

قال المأمون لعلي بن موسى الرِّضى: بم تدَّعون هذا الأمر؟ قال: بقرابة علي من النبي ﷺ، وبقرابة فاطمة رضي الله عنها. فقال المأمون: إن لم يكن هاهنا شيء إلا القرابة، ففي خَلَف رسول الله ﷺ من أهل بيته من هو أقرب إليه من علي، ومن هو في القرابة مثله، وإن كان بقرابة فاطمة من رسول الله، فإن الحق بعد فاطمة للحسن والحسين، وليس لعلي في هذا الأمر حق وهما حيان، وإذا كان الأمر على ذلك، فإن علياً قد ابتزهما جميعاً وهما حيان صحيحان، واستولى علي على ما لا يجب له، فما أحار علي بن موسى نطقاً.[1]

مناظرة أبي حنيفة لشيطان الطاق:

كان أبوحنيفة رحمه الله جالساً في مسجد الكوفة فجاء شيطان الطاق (نحو ١٨٠هـ) الرافضي، فقال له: يا أبا حنيفة من أشد الناس؟ فقال أبو حنيفة: أما على قولنا فأشد الناس علي بن أبي طالب، وأما عندكم فهو أبوبكر الصديق. فقال شيطان الطاق: هذا مقلوب. فقال أبوحنيفة: نحن نقول: أشد الناس علي؛ لأنه علم أن الحق لأبي بكر فسلمه له، وأنتم تقولون: كان الحق لعلي ولكن أخذه منه أبوبكر، ولم يكن لعلي قوة لاسترداده منه، فصار أبوبكر قاهراً إياه! فتحير الرافضي وخرج[2].

---

(١) عيون الأخبار ٢/١٤٠-١٤١.

(٢) عقود الجمان ص : ٢٧٧.

مناظرة ابن الحداد المالكي لأبي العباس الرافضي:

قال ابن الحداد: ودخلت يوماً على أبي العباس (٢٩٨هـ) ، فأجلسني معه في مكانه وهو يقول لرجل: أليس المتعلم محتاجاً إلى المعلم أبداً؟ فعرفت أنه يريد الطعن على الصديق في سؤاله عن فرض الجدة[(١)] ، فبدرتُ وقلت: المتعلم قد يكون أعلم من المعلم وأفقه وأفضل لقول النبي عليه السلام: «رب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ...»[(٢)] ثم معلم الصغار القرآن يكبر أحدهم ثم يصير أعلم من المعلم. قال: فاذكر من عام القرآن وخاصه شيئاً؟ قلت: قال (تعالى): ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ﴾[سورة البقرة: ٢٢١] فاحتمل المراد بها العام، فقال (تعالى): ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴾[سورة المائدة: ٥] فعلمنا أن مراده بالآية الأولى خاص، أراد: ولا تنكحوا المشركات غير الكتابيات من قبلكم حتى يؤمن، قال: ومن هن

(١) رواه مالك في الموطأ ٥١٣/٢ كتاب الفرائض ـ باب ميراث الجدة ح : ٤ ، وأبو داود في سننه ٣١٦/٣-٣١٧ كتاب الفرائض ـ باب في الجدة ح : ٢٨٩٤ ، والترمذي في سننه ٢٨٠/٦-٢٨١ أبواب الفرائض ـ باب ما جاء في ميراث الجدة ح : ٢١٠١-٢١٠٢ ، وابن ماجه في سننه ٩٠٩/٢-٩١٠ كتاب الفرائض ـ باب ميراث الجدة ح : ٢٧٢٤ ، وصححه الحاكم ٣٣٨/٤ ، وقال الحافظ في التلخيص الحبير ٨٢/٣ : وإسناده صحيح لثقة رجاله إلا أن صورته مرسل، فإن قبيصة لا يصح له سماع من الصديق، ولا يمكن شهوده للقصة، قاله ابن عبد البر بمعناه .

(٢) رواه الترمذي في سننه ٣٠٦/٧ أبواب العلم ـ باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع ح: ٢٦٥٨ وحسنه، والإمام أحمد في مسنده ١٨٣/٥ ، وابن ماجة في سننه ٨٥/١ المقدمة ـ باب من بلغ علما ح : ٢٣١ وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه ٤٥/١ ح: ١٨٨ .

المحصنات؟ قلت: العفائف. قال: بل المتزوجات. قلت: الإحصان في اللغة: الإحراز، فمن أحرز شيئاً فقد أحصنه، والعتق يحصِّن المملوك؛ لأنه يحرُزُه عن أن يجري عليه ما على المماليك، والتزويج يحْصِن الفرج؛ لأنه أحرزه عن أن يكون مباحاً، والعفاف إحصان للفرج. قال: ما عندي الإحصان إلا التزويج. قلت له: منزل القرآن يأبى ذلك، قال: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾[سورة التحريم: ١٢] أي أعفته وقال: ﴿مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ﴾[سورة النساء: ٢٥] وهن عندك قد يكن عفائف. قلت: سمَّاهُنَّ بمتقدم إحصانهن قبل زناهن، قال (تعالى): ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ﴾[سورة النساء: ١٢] وقد انقطعت العصمة بالموت، يريد اللاتي كن أزواجكم، قال: يا شيخ أنت تلوذ. قلت: لست ألوذ، أنا المجيب لك، وأنت الذي تلوذ بمسألة أخرى، وصحتُ: ألا أحد يكتب ما أقولُ وتقولُ. قال: فوقى الله شرَّه. وقال: كأنك تقول: أنا أعلم الناس. قلت: أما بديني فنعم. قال: فما تحتاج إلى زيادة فيه؟ قلت: لا، قال: فأنت إذاً أعلم من موسى إذ يقول: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ﴾[سورة الكهف: ٦٦] قال: هذا طعن على نبوة موسى، موسى ما كان محتاجاً إليه في دينه، كلا، إنما كان العلم الذي عند الخضر دنياوياً: سفينةً خرقها، وغلاماً قتله، وجداراً أقامه، وذلك كله لا يزيد في دين موسى، قال: فأنا أسالك. قلت: أوْرِد وعلي الإصدارُ بالحق بلا مثْنويَّة(١)، قال: ما تفسير الله؟ قلت: ذو الإلهية. قال: وما هي؟ قلت: الربوبية. قال: وما الربوبية؟ قلت: المالك الأشياء كلها. قال: فقريش في

---

(١) أي بلا استثناء.

جاهليتها كانت تعرف الله؟ قلت: لا. قال: فقد أخبر الله (تعالى) عنهم أنهم قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ﴾[سورة الزمر: ٣] قلت: لما أشركوا معه غيره، قالوا، وإنما يَعْرِفُ الله من قال: إنه لا شريك له. وقال (تعالى): ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾[سورة الكافرون: ١-٢] فلو كانوا يعبدونه ما قال: ﴿لا أعبد ما تعبدون﴾ إلى أن قال: فقلت: المشركون عبدة الأصنام الذين بعث النبي ﷺ إليهم علياً ليقرأ عليهم سورة براءة، قال: وما الأصنام؟ قلت: الحجارة. قال: والحجارة أتعبد؟ قلت: نعم، والعزى كانت تعبد وهي شجرة، والشِّعرى كانت تعبد وهي نجم. قال: فالله يقول: ﴿أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى﴾ [سورة يونس: ٣٥] فكيف تقول: إنها الحجارة؟ والحجارة لا تهتدي إلا إذا هُديت؛ لأنها ليست من ذوات العقول. قلت: أخبرنا الله أن الجلود تنطق وليست بذوات عقول. قال: نسب إليها النطق مجازاً. قلت: منزل القرآن يأبى ذلك. فقال: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ﴾[سورة يس: ٦٥] إلى أن قال: ﴿قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[سورة فصلت: ٢١] وما الفرق بين جسمنا والحجارة؟ ولو لم يُعقّلنا لم نعقل، وكذا الحجارة إذا شاء أن تعقل عقلت[(١)].

مناظرة أبي علي ابن شاذان لأبي عبد الله ابن المعلّم الشيعي:

وذُكر أن أبا علي بن شاذان (٤٢٥هـ) كان من أهل العلم، إلا أنه لم يكن قرأ عربية، فناظر يوماً أبا عبد الله بن المعلم، وكان زعيم الإمامية وكان من أهل العربية، فوقعت بينهما المناظرة في أن النبي ﷺ، هل يورث

(١) سير أعلام النبلاء ١٤/٢١٠-٢١٤

أم لا ؟ فالإمامية تقول بالوراثة، وجمهور الأمة يمنعون ذلك. فقال ابن شاذان: لا يورث. فطالبه ابن المعلم بالدليل. فقال: قوله ﷺ: «إنا معشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة»(١).

فقال ابن المعلم: ما ذكرت إنما هو صدقةً، نصب على الحال، فيقتضي ذلك أن ما تركه على وجه الصدقة لا يورث عنه، وما تركه على غير وجه الصدقة يورث عنه. فقال له ابن شاذان: أنا لا أعلم فرقاً بين النصب والرفع، ولا أحتاج هنا إلى ذلك، فإنه لا شك عندي وعند كل عاقل أن فاطمة رضي الله عنها كانت من أفصح العرب، وأعلمهم بالفرق بين النصب والرفع، وكذلك العباس وهو مستحق الميراث لو كان موروثاً، وعلي من أفصح قريش.

وقد طلبت فاطمة ميراث أبيها رضي الله عنها فأجابها أبوبكر رضي الله عنه بهذا اللفظ على وجه فهمت منه أنه لا ميراث لها، فانصرفت عن الطلب، وفهم ذلك العباس، وعلي وسائر الصحابة، فلم يعترض أحد بهذا الاعتراض، وكذلك أبوبكر المحتج به وهو من أفصح العرب لم يورد من هذا اللفظ إلا ما يقتضي المنع، ولو كان اللفظ لا يقتضي المنع لما أورده ولا تعلق به. فإما أن لا يكون النصب يقتضي ما قلته إن كانت الرواية

(١) رواه البخاري في صحيحه ٧/٣٣٥-٣٣٦ كتاب المغازي - باب حديث بني النضير... ح: ٤٠٣٣، ٤٠٣٤ ، ٤٠٣٦، ومسلم في صحيحه ٣/١٣٧٩-١٣٨٣ كتاب الجهاد - باب قول النبي ﷺ لا نورث ما تركناه فهو صدقة ح : ١٧٥٨-١٧٦٢ .

بالنصب، أو يقتضيه فلا بد أن تكون الرواية بالرفع، وادعاؤك النصب باطل. فأفحم ابن المعلم[(١)].

ويعلم بهذه المناظرة بطلان قول الروافض وقدحهم في الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم بسبب هذه النكتة[(٢)].

مناظرة أبي الحسن البخاري للشريف المرتضى:

جاء في ترجمة أبي علي الحسين بن الخضر بن محمد البخاري الحنفي الفشيديزجي (٤٢٤هـ) أن الشريف المرتَضَى الشيعي ناظره في خبر: " ما تركنا صدقة " فقال للمرتضى : إذا صيرتَ " ما " نافية خلا الحديث من فائدة، فكل أحد يدري أن الميت يرثه أقرباؤه، ولا تكون تركته صدقة، ولكن لما كان المصطفى بخلاف الأمة، بيَّن ذلك، وقال : " ما تركناه صدقة "[(٣)].

مناظرة أخرى:

سأل رافضي سنياً: ما تقول في حق الصحابة؟ فأجاب: أقول فيهم ما قال الله (تعالى) في كتابه، عنى به قوله: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾[سورة البينة: ٨] فقال الرافضي: إنهم بدلوا بعد النبي ﷺ . فقال السني: ﴿وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾[سورة الأحزاب: ٢٣] ونحن لا نقول بإله يخبر بشيء ولا يعلم أنه يتغير بعد ذلك[(٤)].

---

(١) انظر : عيون المناظرات ص : ٢٩٥-٢٩٦.

(٢) انظر : عيون المناظرات ص : ٢٩٦.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٧/٤٢٥ .

(٤) الدين الخالص ـ محمد صديق خان ٣/٣٨١ .

مناظرة في التفضيل:

عن أبي صالح الفراء قال: قلت ليوسف بن أسباط: ما تقول في رجل قال: أنا أحب أبابكر وعمر رضي الله عنهما وأجد لعلي ﷺ من المحبة أكثر مما أجد لهما؟ فقال: هذا كذب. قلت: وكيف يكون كذباً والرجل يكون له أولاد، فربما كان للصغير أشد حباً من الكبير؟ فقال: تلك محبة في غير الله، ولو كانت لله كان تكون المحبة والتفضيل سواء. قلت: فأهجره؟ قال: نعم، فإن هجرتك له خير من كلامك(١).

معناه أن من استحق التفضيل يستحق المحبة، فيكون له من المحبة بقدر ما له من التفضيل، وعليه فأفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي. وترتيبهم في الخلافة هو ترتيبهم في الفضل، واستحقاق المحبة سواء بسواء.

مناظرة ابن الحداد المالكي لأبي عبد الله الشيعي:

التقى أبو عثمان سعيد بن محمد بن صبيح الحداد (٣٠٢هـ) شيخ المالكية وصاحب سحنون أبا عبد الله الشيعي (٢٩٨هـ) فقال له: يا شيخ، بم كنت تقضي؟ فقال الشيعي: بالكتاب والسنة. قال فما السنة؟ قال: السنة السنة. قال ابن الحداد: فقلت للشيعي: المجلس مشترك أم خاص؟ قال: مشترك. فقلت: أصل السنة في كلام العرب: المثال. قال الشاعر:(٢)

---

(١) رسالة في الرد على الرافضة ـ لأبي حامد محمد المقدسي ص: ٣٩١.

(٢) هو ذو الرمة، والبيت في ديوانه ٢٩/١ من قصيدته التي مطلعها:

ما بال عينك منها الماء ينسكب   كأنه من كلى مفرية سَرِبُ

وقوله: سنة وجه: أي صورة وجه. غير مقرفة: أي ليست بهجينة، بل هي عتيقة كريمة. والندب: الأثر من الجراح.

تريك سنة وجهٍ غير مُقْرِفَةٍ ملساءَ ليس بها خالٌ ولا نَدَبُ

أي صورة وجه ومثاله. والسنة محصورة في ثلاث: الائتمار بما أمر به النبي ﷺ والانتهاء عما نهى عنه، والائتساء بما فعل. فقال الشيعي: فإن اختلف عليك النقل، وجاءت السنة من طرق؟ قلت: أنظر إلى أصح الخبرين، كشهود عدول اختلفوا في شهادة. قال: فلو استووا في الثبات؟ قلت: يكون أحدهما ناسخاً للآخر. قال: فمن أين قلتم بالقياس؟ قلت: من كتاب الله: ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [سورة المائدة: ٩٥] فالصيد معلومة عينه، فالجزاء أمرنا أن نمثّله بشيء من النَّعم، ومثله في تثبيت القياس: ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ منهم﴾[سورة النساء: ٨٣] والاستنباط غير منصوص. ثم عطف على موسى القطان فقال: أين وجدتم حد الخمر في كتاب الله، تقول: اضربوه بالأردية وبالأيدي ثم بالجريد؟[1] فقلت أنا: إنما حُدَّ قياساً على حد القاذف؛ لأنه إذا شرب سكر، وإذا سكر هذى، وإذا هذي افترى[2]، فأوجب عليه ما يؤول إليه أمره. قال: أو لم يقل رسول الله ﷺ: «وأقضاكم علي...» فساق له موسى تمامه وهو: «وأعلمكم بالحلال والحرام معاذ، وأرأفكم أبوبكر، وأشدكم في دين الله عمر»[3] قال:

---

(١) ثبت ذلك من حديث أنس عند البخاري ١٢/٦٥-٦٦ كتاب الحدود ـ باب الضرب بالجريد والنعال ح: ٦٧٧٥-٦٧٧٧، ٦٧٧٩، وصحيح مسلم ٣/١٣٣١ كتاب الحدود ـ باب حد الخمر ح يلي: ١٧٠٦.

(٢) أخرجه مالك في الموطأ ٢/٨٤٢ كتاب الأشربة ـ باب الحد في الخمر ح: ٢، والحاكم في مستدركه ٤/٣٧٥ وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) رواه الترمذي في سننه ٩/٣٤٤ أبواب المناقب ـ باب مناقب أهل بيت النبي ﷺ ح: ٣٧٩٣، وباب مناقب معاذ وزيد وأبي بن كعب وأبي عبيدة ح: ٣٧٩٤ وقال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث قتادة إلا من هذا الوجه، وابن ماجه في سننه ١/٥٥ المقدمة ح: ١٥٤ وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه ١/٣١ ح: ١٢٥، والحاكم في مستدركه ٣/٤٢٢ وصححه ووافقه الذهبي.

كيف يكون أشدهم وقد هرب بالراية يوم خيبر؟ قال موسى: ما سمعنا بهذا. فقلت: إنما تحيز إلى فئة فليس بفار.

وقال في: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾[سورة التوبة: ٤٠] إنما نهاه النبي ﷺ عن حزنه؛ لأنه كان مسخوطاً. قلت: لم يكن قوله إلا تبشيراً بأنه آمِنٌ على رسول الله وعلى نفسه، فقال أين نظير ما قلت؟ قلت: قوله لموسى وهارون: ﴿لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾[سورة طه: ٤٦] فلم يكن خوفهما من فرعون خوفاً بسخط الله.

ثم قال: يا أهل البلدة: إنكم تبغضون علياً؟ قلت: على مُبْغِضِه لعنة الله. فقال: صلى الله عليه. قلت: نعم، ورفعت صوتي: صلى الله عليه وسلم؛ لأن الصلاة في خطاب العرب الرحمة والدعاء، قال: ألم يقل رسول الله ﷺ: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى» قلت: نعم، إلا أنه قال: «إلا أنه لا نبي بعدي».[1] وهارون كان حجة في حياة موسى، وعلي لم يكن حجة في حياة النبي، وهارون كان شريكاً، أفكان علي شريكاً للنبي ﷺ في النبوة؟ وإنما أراد التقريب والوزارة والولاية. قال: أوليس هو أفضل؟ قلت: أليس الحق متفقاً عليه؟ قال: نعم. قلت: قد ملكتَ مدائنَ قبل مدينتنا، وهي أعظم مدينة، واستفاض عنك أنك لم تُكْرِه أحداً على مذهبك، فاسلك بنا مسلك غيرنا، ونهضنا[2].

(١) أخرجه البخاري ١١٢/٨ كتاب المغازي ـ باب غزوة تبوك ح: ٤١٦، ومسلم في صحيحه ١٨٧٠/٤ فضائل الصحابة ـ باب من فضائل علي بن أبي طالب ح: ٢٤٠٤ وما بعده.

(٢) سير أعلام النبلاء ٢٠٨/١٤-٢١٠.

مناظـرة شعريـــة:

كان كثير عزة (١٠٧هـ) رافضياً على مذهب الكيسانية الذين ادعـوا حياة محمد بن الحنفية، ولم يصدقوا بموته[١]، قال كثير في قصيدة له:[٢]

ألا إن الأئمة مـــن قريش ... ولاة الحق أربعة ســــــواء
علي والثلاثة مـــن بنيـــه ... هم الأسباط ليس بهم خفـاء
فسبط سبط إيمان وبـــــر ... وسبط غَيَّبتْه كربـــــــلاء
وسبط لا يذوق الموت حتى ... يقود الخيل يَقْدُمُها اللـــواء
تغيَّب لا يُرى فيهم زمـــاناً ... برضوى عنده عسل ومـــاء

فأجابه عبد القاهر البغدادي على أبياته هذه بقوله:[٣]

ولاة الحق أربعـــة ولـــكن ... لثاني اثنين قد سبق العلاء
وفاروق الورى أضحى إماماً ... وذو النورين بَعْدُ له الولاء
علي بعدهم أضحى إمامـــاً ... بترتيبي لهم نزل القضـــاء
ومبغض من ذكرنـــاه لعينٌ ... وفي نار الجحيم له الجـزاء
وأهل الرفض قوم كالنصارى ... حيارى مـــا لحيرتهم دواء

وقال كثير أيضاً:[٤]

برئت إلى الإله مـن ابن أروى ... ومن دين الخوارج أجمعينا

---

(١) انظر : الفرق بين الفرق ص : ٤١.

(٢) الفرق بين الفرق ص : ٤١ ، وعيون الأخبار ٢/١٤٤-١٤٥

(٣) الفرق بين الفرق ص :٤٢.

(٤) الفرق بين الفرق ص :٤٢.

ومن عمر برئت ومن عتيـــق غداة دعا أميرَ المؤمنيـــا

وقد أجابه عبد القاهر البغدادي بقوله:(١)

برئت من الإله ببغض قـــوم بهم أحيا الإلـــهُ المؤمنينـــا
وما ضر ابنَ أروى منك بغضٌ وبغضُ البرِّ دينُ الكافـــرينا
أبوبكـــــر لنا حقاً إمـــــــام على رغْم الروافض أجمعينا
وفاروق الورى عمــر بحـــقٍ يقال لـــه أمير المؤمنيـــــا

مناظرة في الاحتجاج بالسنة:

روى البخاري في صحيحه(٢) عن علقمة عن عبد الله بن مسعود قال: «لعن الله الواشمات والموتشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله. فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب: فجاءت فقالت: إنه بلغني أنك لعنت كيت وكيت، فقال: وما لي لا ألعن من لعن رسولُ الله ﷺ ومن هو في كتاب الله. فقالت: لقد قرأتُ ما بين اللوحين فما وجدتُ فيه ماتقول. قال: لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه، أما قرأت: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[سورة الحشر: ٧] قالت: بلى. قال: فإنه قد نهى عنه. قالت: فإني أرى أهلك يفعلونه. قال: فاذهبي فانظري، فذهبت فنظرت فلم تر من حاجتها شيئاً. فقال: لو كانت كذلك ما جامعتها».

---

(١) الفرق بين الفرق ص :٤٢.

(٢) ٨/٦٣٠ كتاب التفسير ـــ باب: ﴿وما أتاكم الرسول فخذوه﴾ ح: ٤٨٨٦، ومسلم في صحيحه ٣/١٦٧٨ كتاب اللباس ـ باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة...ح: ٢١٢٥.

وروى ابن بطة[1] بسنده إلى حبيب بن أبي نضلة المالكي قال: لما بني هذا المسجد مسجد الجامع، قال: وعمران بن حصين جالس فذكروا عنده الساعة، فقال رجل من القوم: يا أبا نجيد، إنكم لتحدثوننا أحاديث ما نجد لها أصلاً في القرآن. قال: فغضب عمران بن حصين، وقال للرجل: قرأت القرآن؟ قال: نعم. قال: فهل وجدت فيه صلاة المغرب ثلاثاً، وصلاة العشاء أربعاً والغداة ركعتين، والأولى أربعاً والعصر أربعاً؟ قال: فممن أخذتم هذا الشأن ألستم عنا أخذتموه وأخذناه عن نبي الله ﷺ وعنا أخذتموه، أو عن من أخذتم في كل أربعين درهماً درهم، وفي كذا وكذا شاة كذا وكذا، ومن كذا وكذا بعير كذا وكذا، أوجدتم هذا في القرآن؟ قال: لا. قال: فعمن أخذتم هذا؟ ألستم عنا أخذتموه؟ وأخذناه عن نبي الله ﷺ وأخذتموه عنا. قال: فهل وجدتم في القرآن: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾[سورة الحج: ٢٩] وجدتم طوفوا سبعاً، واركعوا خلف المقام ركعتين، هل وجدتم هذا في القرآن، عمن أخذتموه؟ ألستم أخذتموه عنا، وأخذناه عن رسول الله ﷺ وأخذتموه عنا؟! قالوا: بلى. قال: فوجدتم في القرآن لا جَلَب ولا جَنَب ولا شغار[2] في الإسلام، أوجدتم هذا في القرآن؟ قالوا:

(١) الإبانة ١/٢٣٣-٢٣٥

(٢) الجلب : يكون في شيئين: أحدهما في الزكاة، وهو أن يقْدم العامل على أهل الزكاة فينزل موضعاً، ثم يرسل من يجلب إليه الأموال من أماكنها ليأخذ صدقتها، فنُهي عن ذلك، وأُمر أن تؤخذ صدقاتهم على مياههم وأماكنهم. الثاني : أن يكون في السباق، وهو أن يتْبع الرجلُ فرسه فيزجره، ويجلب عليه، ويصيح حاثاً له على الجري، فنُهي عن ذلك. انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ١/٢٨١.

=

لا. قال عمران: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا جلب ولا جنب ولا شغار في الإسلام. قال: أوما سمعتم الله (تعالى) قال لأقوام في كتابه: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴾[سورة المدثر: ٤٢-٤٤] حتى بلغ: ﴿شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾[سورة المدثر: ٤٨] قال حبيب: أنا سمعت عمران يقول: الشفاعة نافعة دون من يسبحون.

وفي مستدرك الحاكم[(١)] عن الحسن أنه قال: بينما عمران بن حصين يحدث عن سنة نبينا ﷺ إذ قال له رجل: يا أبا نجيد، حدثنا بالقرآن، فقال له عمران: أنت وأصحابك يقرءون القرآن، أكنت محدثي عن الصلاة وما فيها وحدودها؟ أكنت محدثي عن الزكاة في الذهب والإبل والبقر، وأصناف المال؟ ولكن قد شهدتُ وغبتَ أنت، ثم قال: فرض علينا رسول الله ﷺ في الزكاة كذا وكذا، وقال الرجل: أحييتني أحياك الله، قال الحسن: فما مات ذلك الرجل حتى صار من فقهاء المسلمين.

وروى الحافظ الدار قطني بسنده إلى عباد بن العوام قال : قدم علينا شريك بن عبد الله، فقلنا له: يا أبا عبد الله، إن عندنا قوماً من المعتزلة،

= والجنب: يكون في السباق بأن يجْنُب فرساً إلى فرسه الذي يسابق عليه، فإذا فتر المركوب تحول إلى المجنوب. وفي الزكاة : بأن ينزل العامل بأقصى مواضع أصحاب الصدقة، ثم يأمر بالأموال أن تجنب إليه، أي تحضر. فنُهوا عن ذلك، وقيل فيه غير ذلك. انظر : المرجع السابق ١/٣٠٣.

والشغار: من أنكحة الجاهلية، وهو أن يقول الرجل للرجل زوجني أختك أو ابنتك، أو من تلي أمرها، حتى أزوجك أختي أو ابنتي أو من ألي أمرها، ولا يكون بينهما مهر، وقيل له شغار لارتفاع المهر بينهما، من شغر الكلب إذا رفع إحدى رجليه ليبول. انظر : المرجع السابق ٢/٤٨٢.

(١) ١/١٠٩-١١٠ كتاب العلم ، وانظر : جامع بيان العلم ٢/٢٣٤.

ينكرون هذه الأحاديث: إن الله عز وجل ينزل إلى سماء الدنيا[١] ، وإن أهل الجنة يرون ربهم[٢] فحدثني شريك بنحو من عشرة أحاديث في هذا، وقال: أما نحن فأخذنا ديننا عن أبناء التابعين عن أصحاب رسول الله ﷺ، فهم عمن أخذوا؟[٣] .

المناظرة في براءة القرآن من التناقض

مناظرة لأبي الهذيل العلاف:

أتى أبا الهذيل العلاف رجل فقال له : أشكل علي أشياء من القرآن فقصدت هذا البلد، فلم أجد عند أحد ممن سألته شفاء لما أردته، فلما خرجت في هذا الوقت قال لي قائل: إن بغيتك عند هذا الرجل، فاتق الله وأفدني، فقال أبو الهذيل: فماذا أشكل عليك؟ قال: آيات من القرآن توهمني أنها متناقضة، وآيات توهمني أنها ملحونة. قال: فماذا أحب إليك؛ أن أجيبك بالجملة أو تسألني عن آية آية ؟ قال: بل تجيبني بالجملة. فقال أبو الهذيل: هل تعلم أن محمداً كان من أوسط العرب، غير مطعون عليه في لغته، وأنه كان عند قومه من أعقل العرب ، فلم يكن مطعوناً

---

(١) حديث النزول رواه أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد، انظر مثلاً: صحيح البخاري ٢٩/٣ كتاب التهجد ـ باب الدعاء والصلاة من آخر الليل : ١١٤٥ .

(٢) أحاديث رؤية المؤمنين ربهم تعالى ثابتة في الصحاح والسنن والمسانيد، انظر مثلا : صحيح مسلم ١٦٣/١ وما بعدها ـ كتاب الإيمان ـ باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم ... وباب معرفة طريق الرؤية ح : ١٨٠ وما يليه من أحاديث.

(٣) كتاب الصفات ـ الدار قطني ص : ٤٣ ، ورواه عبد الله بن أحمد في كتاب السنة والبيهقي في الأسماء والصفات ص : ٤٥١ ، وانظر : سير أعلام النبلاء ٢٠٨/٨ .

عليه؟ فقال اللهم نعم. قال أبو الهذيل: فهل تعلم أن العرب كانوا أهل جدل؟ قال: اللهم نعم. قال: فهل اجتهدوا في تكذيبه؟ قال: اللهم نعم. قال: فهل تعلم أنهم عابوا عليه بالمناقضة أو باللحن؟ قال: لا. قال أبو الهذيل: فتدع قولهم مع علمهم باللغة وتأخذ بقول رجل من الأوساط. قال: فأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، قال: كفاني هذا. وانصرف، وتفقه في الدين[(١)].

مناظرة الإمام أحمد للزنادقة:

قالت الزنادقة في قوله (تعالى): ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾[سورة المدثر: ٤٢-٤٣] وفي قوله (تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾[سورة الماعون: ٤] قالوا: إن الله قد ذم قوماً كانوا يصلون فقال: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ وقال في قوم إنهم إنما دخلوا النار لأنهم لم يكونوا يصلون فشكوا في القرآن من أجل ذلك، وزعموا أنه متناقض.

قال الإمام أحمد رحمه الله: «وأما قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ عنى بها المنافقين: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾[سورة الماعون: ٥] حتى يذهب الوقت. ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾[سورة الماعون: ٦] يقول: إذا رأوهم صلوا، وإذا لم يروهم لم يصلوا.

وأما قوله: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾[سورة المدثر: ٤٢-٤٣] يعني الموحدين المؤمنين، فهذا ما شكت فيه الزنادقة»[(٢)].

(١) انظر : فرق وطبقات المعتزلة ص : ٥٦

(٢) الرد على الجهمية والزنادقة ـ أحمد بن حنبل ص : ٨٩ .

وشكّت الزنادقة في ذكر خلق الإنسان في القرآن، حيث قال (تعالى): ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾[سورة فاطر: ١١] ثم قال: ﴿مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾[سورة الصافات: ١١] ثم قال: ﴿مِنْ سُلَالَةٍ﴾[سورة المؤمنون: ١٢] ثم قال: ﴿مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾[سورة الحجر: ٢٦] ثم قال: ﴿مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾[سورة الرحمن: ١٤] فقالوا: هذا تلبيس ينقض بعضه بعضاً.

قال الإمام أحمد رحمه الله: «نقول: هذا بدء خلق آدم، خلقه الله أول بدء من تراب، ثم من طينة حمراء وسوداء وبيضاء، ومن طينة طيبة وسبخة، فكذلك ذريته: طيب وخبيث، أسود وأحمر وأبيض، ثم بلّ ذلك التراب فصار طيناً، فذلك قوله: ﴿من طين﴾ فلما لصق الطين بعضه ببعض، فصار طيناً لازباً، بمعنى لاصقاً، ثم قال: ﴿من سلالة من طين﴾. يقول: مثل الطين إذا عصر انسل من بين الأصابع، ثم نتن فصار حمأ مسنوناً فخلق من الحمأ، فلما جف صار صلصالاً كالفخار، يقول: صار له صلصلة كصلصلة الفخار، له دوي كدوي الفخار. فهذا بيان خلق آدم.

وأما قوله: ﴿مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾[سورة السجدة: ٨] فهذا بدء خلق ذريته، من سلالة يعني النطفة إذا انسلت من الرجل. فذلك قوله: ﴿من مَّاء﴾ يعني النطفة: ﴿مهين﴾ يعني ضعيف. فهذا ما شكت فيه الزنادقة»[(١)].

مناظرة في الاستدلال بالمنامات:

الأدلة عند أهل السنة والجماعة تنحصر في الكتاب والسنة والإجماع والقياس وما يترتب على هذه من الاستصحاب والمصالح المرسلة والعرف

---

(١) الرد على الجهيمة والزنادقة ص : ٨٩-٩٠.

ونحو ذلك. أما الاستدلال بالمنامات على أمر شرعي، فلا يعرف إلا عند غلاة المتصوفة والمتشيعة ونحوهم من الباطنية وغيرهم؛ وذلك لأن المنامات ليست معصومة كرؤى الأنبياء، بل يداخلها تلبيس الشيطان، وحديث النفس؛ ولهذا لا بد من عرضها على الشرع لإجازتها.

يروى أن شريك بن عبد الله(١٧٧هـ) القاضي دخل على المهدي، فلما رآه قال: علي بالسيف والنطع. قال: ولم يا أمير المؤمنين؟ قال: رأيت في منامي كأنك تطأ بساطي وأنت معرض عني، فقصصتُ رؤياي على من عبرها، فقال لي: يظهر لك طاعة، ويضمر معصية.

فقال له شريك: والله، ما رؤياك برؤيا إبراهيم الخليل عليه السلام، ولا أن معبرك بيوسف الصديق عليه السلام، فبالأحلام الكاذبة تضرب أعناق المؤمنين؟! فاستحيى المهدي، وقال: اخرج عني، ثم صرفه وأبعده[(١)].

المناظرة في المنهج

لأهل السنة والجماعة منهج متميز يعتمد على كتاب الله (تعالى) وسنة نبيه ﷺ وإجماع الأمة، ويستدلون أيضاً بالعقل الصريح، والفطرة السليمة. وهم وقّافون مع النص في الأمور التي لا مساغ للاجتهاد فيها؛ مثل مسائل الغيب، لا يدخلون في ذلك بأهوائهم، ولا يتكلفون العبارات المموهة، والتأويلات البعيدة.

فهذا المنهج السليم الموافق للنقل الصحيح والعقل الصريح هو الذي بفضله استطاع أهل السنة أن يقطعوا ألسنة المناوئين للإسلام وأهله، من الكفار والزنادقة والمبتدعة، ولم يتسلط أحد عليهم فيلزمهم بلوازم باطلة،

(١) الاعتصام ـ الشاطبي ١/٢٦١-٢٦٢ .

أو يحشرهم في مضايق حرجة، كما حدث ذلك للمبتدعة بعضهم مع بعض، وبعضهم مع الملاحدة والكفار. وقد وضح لنا ذلك فيما مرَّ من مناظرات ومجادلات، على نحو ما صنع عبد العزيز الكناني والإمام أحمد (رحمهما الله).

وإليك بعض المواقف التي تؤكد ما تقدم بيانه:

قال زكريا الساجي: سمعت محمد بن إسماعيل، سمعت حسين بن علي الكرابيسي يقول: جاءت أم بشر المريسي إلى الشافعي، فقالت: يا أبا عبد الله، أرى بشراً يهابك ويحبك، وإذا ذُكرت عنده أجلّك، فلو نهيته عن هذا الرأي الذي هو فيه، فقد عاداه الناس عليه، ويتكلم في شيء يواليه الناس عليه ويحبونه. فقال الشافعي لها: أفعل. فشهدتُ الشافعي، وقد دخل عليه بشر فقال الشافعي لبشر: أخبرني عما تدعو إليه، أكتاب ناطق، أم فرض مفترض، أم سنة قائمة، أم وجوب عن السلف البحث فيه والسؤال؟ فقال بشر: ليس فيه كتاب ناطق، ولا فرض مفترض، ولا سنة قائمة، ولا وجوب عن السلف البحث فيه، إلا أنه لا يسعنا خلافه، فقال الشافعي: أقررت على نفسك بالخطأ، فأين أنت عن الكلام في الفقه والأخبار، يواليك الناس وتترك هذا؟ قال: لنا نَهْمَة فيه، فلما خرج بشر. قال الشافعي: لا يفلح[(١)].

وقال علي بن محمد بن أبان القاضي: حدثنا أبو يحيى زكريا الساجي حدثنا المزني قال: قلت إن كان أحد يخرج ما في ضميري وما تعلق به خاطري من أمر التوحيد فالشافعي، فصرتُ إليه وهو في مسجد مصر،

---

(١) تاريخ بغداد ٥٩/٧، وانظر: سير أعلام النبلاء ٣١/١٠-٣٢.

فلما جثوت بين يديه قلت: هجس في ضميري مسألة في التوحيد، فعلمت أن أحداً لا يعلم علمك، فما الذي عندك؟ فغضب ثم قال: أتدري أين أنت؟ قلت: نعم. قال هذا الموضع الذي أغرق الله فيه فرعون. أَبَلَغَكَ أن رسول الله ﷺ أمر بالسؤال عن ذلك؟ قلت: لا، قال: هل تكلم فيه الصحابة؟ قلت: لا. قال: تدري كم نجماً في السماء؟ قلت: لا. قال: فكوكب منها: تعرف جنسه، طلوعه، أفوله، ممَّ خلق؟ قلت: لا. قال: فشيء تراه بعينك من الخلق لست تعرفه، تتكلم في علم خالقه؟ ثم سألني عن مسألة في الوضوء فأخطأت فيها، ففرَّعها على أربعة أوجه، فلم أصب في شيء منه. فقال: شيء تحتاج إليه في اليوم خمس مرات تدع علمه وتتكلف علم الخالق، إذا هجس في ضميرك ذلك فارجع إلى الله وإلى قوله (تعالى): ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ * إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[سورة البقرة: ١٦٣-١٦٤] فاستدِلَّ بالمخلوق على الخالق، ولا تتكلفْ علمَ ما لم يبلغه عقلُك. قال: فتبتُ.(١)

ورواه الذهبي على نحو آخر عن المزني أنه قال: كنت أنظر في الكلام قبل أن يقدم الشافعي، فلما قدم أتيته فسألته عن مسألة من الكلام، فقال لي: تدري أين أنت؟ قلت: نعم في مسجد الفسطاط قال لي: أنت في تاران قال عثمان: وتاران موضع في بحر القلزم لا تكاد تسلم منه سفينة ـ ثم ألقى علي مسألة في الفقه، فأجبت فأدخل شيئاً أفسد جوابي فأجبت

(١) سير أعلام النبلاء ١٠/٣١-٣٢ .

بغير ذلك، فأدخل شيئاً أفسد جوابي، فجعلت كلما أجبت بشيء، أفسده، ثم قال لي: هذا الفقه الذي فيه الكتاب والسنة وأقاويل الناس يدخله مثل هذا، فكيف الكلام في رب العالمين، الذي فيه الزلل كثير؟ فتركت الكلام وأقبلت على الفقه(١).

ومرت معنا قصة الشيخ الأذرمي في مناظرته لابن أبي دؤاد، ومما جاء فيها: أن الواثق قال لابن أبي دؤاد: سله، فقال الشيخ: المسألة لي، فأْمُرْه أن يجيبني. فقال: سل، فأقبل الشيخ على ابن أبي دؤاد يسأله، فقال: خبِّرني عن هذا الأمر الذي تدعو الناس إليه، أشيء دعا إليه رسول الله ﷺ ؟ قال:لا. قال: فشيء دعا إليه أبوبكر الصديق ﷺ بعده؟ - ثم ذكر عمر وعثمان وعلياً، وفي كل مرة يقول ابن أبي دؤاد : لا. قال الشيخ: فشيء لم يدع إليه رسول الله ﷺ ولا أبوبكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي رضي الله عنهم تدعو إليه أنت الناس؟ ليس يخلو أن تقول: علموه أو جهلوه. فإن قلت: علموه وسكتوا عنه، وسعنا وإياك من السكوت ما وسع القوم. فإن قلت: جهلوه وعلمته أنت، فيا لكع ابن لكع يجهل النبي ﷺ والخلفاء الراشدون رضي الله عنهم شيئاً وتعلمه أنت وأصحابك. قال المهتدي: فرأيت أبي وثب قائماً ودخل الحيرى، وجعل ثوبه في فيه، فضحك، ثم جعل يقول: صدق، ليس يخلو من أن تقول: علموه أو جهلوه، فإن قلت: علموه وسكتوا عنه وسعنا من السكوت ما وسع

(١) سير أعلام النبلاء ١٠/٢٥-٢٦ ، وانظر : مناقب الشافعي للبيهقي ١/٤٥٨.

القوم، وإن قلنا جهلوه وعلمته أنت، فيا لكع ابن لكع، يجهل النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم شيئاً تعلمه أنت وأصحابك؟ ثم قال: يا أحمد. فقلت: لبيك، فقال: لست أعنيك، إنما أعني ابن أبي دؤاد، فوثب إليه، فقال: أعط هذا الشيخ نفقته وأخرجه عن بلدنا».

قال ابن طاهر: حكى لي أصحابنا أن السلطان ألْب أرسلان (٤٦٥هـ) قدم هَرَاةَ ومعه وزيره نظام الملك (٤٨٥هـ)، فاجتمع إليه أئمة الحنفية وأئمة الشافعية للشكوى من الأنصاري وهو أبو إسماعيل الهروي (٤٨١هـ)، ومطالبته بالمناظرة فاستدعاه الوزير، فلما حضر قال: إن هؤلاء قد اجتمعوا لمناظرتك، فإن يكن الحق معك رجعوا إلى مذهبك، وإن يكن الحق معهم رجعت أو تسكت عنهم، فوثب الأنصاري وقال: أناظر على ما في كمي. قال: وما في كمك؟ قال: كتاب الله ـ وأشار إلى كمه اليمين ـ وسنة رسول الله ـ وأشار إلى كمه اليسار ـ وكان فيه الصحيحان. فنظر الوزير إليهم مستفهماً لهم، فلم يكن فيهم من ناظره من هذا الطريق.[١]

المناظرة في الاختلاف

الاختلاف في العقائد أعظم من الاختلاف في الأحكام:

قال يهودي لعلي رضي الله عنه: ما نفضتم أيديكم من تراب دفن نبيكم حتى قلتم: منا أمير ومنكم أمير[٢]. فقال له أمير المؤمنين: ما جفت أقدامكم من فلْق البحر حتى قلتم: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾[سورة الأعراف: ١٣٨] فانقطع

(١) سير أعلام النبلاء ١٨/ ٥١٠-٥١١ .

(٢) يعني قصة السقيفة، وقد تقدم تخريجها. وانظر: صحيح البخاري ٧/ ١٩-٢٠ كتاب فضائل الصحابة ـ باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذاً خليلا ... ح : ٣٦٦٨ .

اليهودي، و لم يجد جواباً؛ لأن "منا أمير ومنكم أمير"، ليس فيه ما يهدم الدين، وإنما الطامة العظمى ما أتى به اليهود من الكفر ثم عبدوا العجل بإثر ذلك[1].

مناظـــرة أخـــرى:[2]

قال المأمون لمرتد إلى النصرانية: خبرنا عن الشيء الذي أوحشك من ديننا بعد أنسك به واستيحاشك مما كنت عليه، فإن وجدت عندنا دواء دائك تعالجت به، وإن أخطأ بك الشفاء ونبا عن دائك الدواء كنت قد أعذرت و لم ترجع على نفسك بلائمة، وإن قتلناك قتلناك بحكم الشريعة، وترجع أنت في نفسك إلى الاستبصار والثقة، وتعلم أنك لم تقصر في اجتهاد، و لم تفرط في الدخول من باب الحزم. قال المرتد: أوحشني ما رأيت من كثرة الاختلاف فيكم. قال المأمون: لنا اختلافان: أحدهما: كالاختلاف في الأذان والتكبير في الجنائز، والتشهد، وصلاة الأعياد، وتكبير التشريق، ووجوه القراءات، ووجوه الفتيا، وهذا ليس باختلاف، إنما هو تخيُّر وسَعَة وتخفيف من المحنة، فمن أذّن مثنى وأقام مثنى لم يخطّئ من أذن مثنى وأقام فرادى، ولا يتعايرون بذلك، ولا يتعايبون، والاختلاف الآخر كنحو اختلافنا في تأويل الآية من كتابنا، وتأويل الحديث مع اجتماعنا على أصل التنزيل، واتفاقنا على عين الخبر،

---

(١) انظر : عيون المناظرات ص : ١٦٧ .

(٢) عيون الأخبار ٢/١٥٤-١٥٥.

فإن كان الذي أوحشك هذا حتى أنكرت هذا الكتاب، فقد كان ينبغي أن يكون اللفظ بجميع التوراة والإنجيل متفقاً على تأويله كما يكون متفقاً على تنزيله، ولا يكون بين جميع اليهود والنصارى اختلاف في شيء من التأويلات، وينبغي للك ألا ترجع إلا إلى لغة لا اختلاف في تأويل ألفاظها، ولو شاء الله أن ينزل كتبه ويجعل كلام أنبيائه وورثة رسله لا يحتاج إلى تفسير لفعل، ولكنا لم نر شيئاً من الدين والدنيا دفع إلينا على الكفاية، ولم يكن تفاضل، وليس على هذا بنى الله الدنيا. قال المرتد: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن المسيح عبد، وأن محمداً صادق، وأنك أمير المؤمنين حقاً.

الفصل الثالث

الجدل والمناظرة في باب السمعيات

المناظرة في الملائكة:

قال سفيان بن عيينة في بعض مجالسه: بلغني عن رسول الله ﷺ أنه قال: قال الله عز وجل للملائكة: إذا همَّ عبدي بحسنة فاكتبوها واحدة فإن عملها فاكتبوها عشراً، وإذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها، فإن عملها فاكتبوها واحدة، فقال رجل: يا أبا محمد، الملكان يعلمان الغيب؟ فضج الناس، وجعل سفيان يسكتهم، فلما سكتوا، قال لهم: لا يعلمان الغيب، ولكن إذا هم العبد بحسنة فاح منه رائحة المسك، فيعلمان أنه قد هم بالحسنة، وإذا هم بالسيئة فاح منه رائحة النتن، فيعلمان أنه قد هم بالسيئة[1].

وهذا الجواب من سفيان رحمه الله محمول على أنه وقف فيه على خبر؛ لأنه مما لا يعلم إلا بالخبر الشرعي[2].

هل الملائكة عاقلة؟:

ذكر الشيخ محمد سلطان المعصومي الخجندي أنه اجتمع بالشيخ حامد الفقي رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر في منزل رئيس القضاة الشيخ عبد الله بن الحسن، وأخيه الشيخ عمر بن الحسن، والشيخ عبد الله بن الجاسر، والشيخ محمود شويل، والشيخ عبد الرحمن إمام

---

(١) انظر : عيون المناظرات ص : ١٩٦ .

(٢) انظر : عيون المناظرات ص : ١٩٦ .

مسجد ابن عباس رضي الله عنهما في الطائف، والشيخ عبد العزيز بن الشيخ رئيس القضاة وغيرهم. فقال المعصومي: فقلت له: يا أخي الشيخ حامد، لماذا كتبت في مجلتك كلاماً مضراً بدين الإسلام، فقلتَ: إن الملائكة لا عقل لهم، وإن سجودهم لآدم سجود كوني لا تعبدي ولا اختياري، ففتحت بذلك للزنادقة والملحدين باب الطعن في دين الإسلام وفي الوحي والقرآن على مصراعيه، وقد كنتُ كتبتُ إليك بالبريد (مسجَّلا) تنبيهاً على هذه الغلطة.

فأنكر وصول كتابي إليه، وكذلك أنكر كتابته في المجلة أن الملائكة لا عقل لهم. فأحضر الشيخ في القرآن: إن الملائكة لهم عقول، فنحن لا نتجاوز ما في القرآن. فقلت له: هل نفى الله (تعالى) في القرآن عقل الملائكة؟ فكيف تجاوزت ما في القرآن؟ والحال أن الله (تعالى) يقول في صفة الملائكة وجبريل عليه السلام منهم: ﴿شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ﴾[سورة النجم: ٥-٦] والمرة حصافة العقل ورصانته، فالملائكة رصناء العقول، وحصيفوا العقول. فلهذا قد جعلهم الله (تعالى) رسله إلى رسله من البشر لتبليغ وحيه وأمره. واتفق المشايخ الحاضرون على تصديق قولي. فقلت: يا أخي حامد، نحن نعلم أنك عالم فاضل، ولكن الجواد قد يكبو، والصارم قد ينبو، والرجوع إلى الحق من شأن أهل الإنصاف، فارجع إلى الحق وأصلح خطأك، فإن من أخلاق أهل الدين والعلم الرجوع إلى الحق وترك الخصام واللجاج.

فاعترف الأخ حامد بخطئه، ووعد بأنه سيصلحه بما ينشره في مجلته في أقرب فرصة حينما يرجع إلى مصر[١]. لكنه لم يفعل[٢].

ثم إن الشيخ محمود شويل المدني اجتمع بالشيخ محمد حامد الفقي في منزل رئيس القضاة الشيخ عبد الله بن الحسن بعد تلك المناظرة بسنتين، وتناقش معه في هذه المسألة، ودعاه إلى الإنصاف والرجوع إلى الحق، فعاند الفقي وأصر على قوله، فحمل ذلك الشيخ شويل على تأليف رسالة سماها: القول الفصل في حقيقة سجود الملائكة واتصافهم بالعقل[٣].

مناظرة في الروح:

قال نصراني متفلسف لبعض المسلمين: ألستم تزعمون أن الروح إذا خرجت من الجسد يُصعد بها إلى عليين إن كانت سعيدة، أو يُنزل بها إلى سجين إن كانت شقية؟ قال: نعم. قال: فأنا أجعل شخصاً في إناء رصاص، وأفرغ عليه من الرصاص، فهذه الروح من أين تخرج إذا مات؟ قال له المسلم: إذا ناديته وهو في إناء الرصاص أيسمع صوتك؟ قال: نعم. قال: من أين وصل إليه صوتك؟ من هناك تخرج روحه. فانقطع النصراني[٤].

---

(١) تنبيه النبلاء من العلماء إلى قول حامد الفقي إن الملائكة غير العقلاء ــ محمد سلطان المعصومي الخجندي ص: ٢٨-٢٩.

(٢) انظر: المرجع السابق ص: ٢٩.

(٣) انظر: المرجع السابق ص: ٣٠. وطبعت مع رسالة المعصومي هذه.

(٤) انظر: عيون المناظرات ص: ٢١٨.

وهذا الجواب على سبيل الإلزام، وإلا فكيفية خروج الروح من الأمور التي اختص الله (تعالى) بعلمها، قال (تعالى): ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[سورة الإسراء: ٨٥].

مناظرة في إنكار المعاد:

مذهب جماهير النصارى ومن ينتسب إلى التدين منهم: أن الخلق لا بد أن يجتمعوا في القيامة، وأن عيسى محاسبهم، فينعم ويعذب، لكن ليس عذاباً بنيران وسلاسل وأغلال. وغير ذلك مما نعتقده نحن المسلمين، وليس نعيماً - أيضاً - بمأكول ومشروب، والتذاذ بنكاح.

فيقال لمنكر ذلك من النصارى ومن شابههم من الملاحدة: لا يخلو أن ما تنكره إما من جهة العقل، أو من جهة الشرع، فإن قالوا: من جهة العقل، قلنا له: كذبت وأخطأت، فإن العقل لا يدل على استحالة ذلك. بل يدل على جوازه، إذ ليس في ذلك إلا أن الذي خلقنا أول مرة، ومكننا أن نتنعم نعيماً محسوساً، ونتألم ألماً محسوساً قادر على أن يعيدنا بعد أن يفنينا كما بدأنا.

فإن الإعادة إنما هي خلق ثان، ومن قدر على الخلق الأول قدر على الخلق الثاني. وهذا معلوم بنفسه، فهو إذن فعل ممكن في نفسه، ليس من قبيل الممتنع، والله (تعالى) قادر على كل ممكن، فيجب وصفه بالقدرة على ذلك. فإن قالوا: إن كان في الجنة أكل وشراب ونكاح ولباس، فيلزم عليه أن يكون في الجنة غائط وبول وولادة وتمزيق الثياب وتخريقها.وكل ذلك محال أن يكون في الجنة.

قلنا لهم: هذا جهل، ولا يلزم شيء مما ذكرتم فيها. بل نقول: هناك أكل وشرب، وليس هنالك غائط ولا بول، وهذا غير منكر، إذ لا يلزم في كل طعام أن يكون له فضلة، ولو سلمنا أن تكون له فضلة لما لزم أن يكون فضلة مستقذرة، بل قد تكون فضلات كثيرة طيباً يتطيب به، وشراباً يشرب. مثل المسك؛ فإنه دم حيوان أو رجيعه، أو العسل؛ فإنه فضل حيوان معروف، وليس شيء من ذلك مستقذراً، بل هو مستطاب مستلذ، ولا يبعد أن تكون فضلات الجنة هكذا، بل هو هكذا. وقد جاء على لسان الصادق: أن أهل الجنة لا يبولون ولا يتغوطون، إنما هو عرق يجري من أجسادهم مثل المسك[(١)].

وأما الحمل فلا يلزم شيء منه، إذ قد نجد من النساء: العواقر وهن اللواتي لا يلدن، فكذلك نساء أهل الجنة لا يلدن، ولا يحضن[(٢)].

---

(١) انظر : صحيح مسلم ٤/٢١٨٠-٢١٨١ كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ـ باب في صفات الجنة وأهلها ح : ٢٨٣٥ .

(٢) ذكر الحافظ ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿ولهم فيها أزواج مطهرة ﴾[سورة البقرة: ٢٥] عن ابن عباس أنه قال: مطهرة من القذر والأذى، وقال مجاهد: من الحيض والغائط والبول والنخام والبزاق والمني والولد. وذكر رواية الطبري بسنده عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال: المطهرة: التي لا تحيض. ثم ذكر حديثاً رواه الحافظ ابن مردويه عن النبي ﷺ قال: من الحيض والغائط والنخامة والبزاق. وقال ابن كثير: هذا حديث غريب، وقد رواه الحاكم في مستدركه بسنده وقال صحيح على شرط الشيخين. قال ابن كثير : وهذا الذي ادعاه ـ أي الحاكم ـ فيه نظر، وذلك لتضعيف أبي حاتم البستي أحد رواته، ثم قال ابن كثير : والأظهر أن هذا من كلام قتادة . انظر: تفسير ابن كثير ١/٦١ .

وأما اللباس فلا يتمزق ولا يفنى، وفي لباس بني إسرائيل في المفاز دليل على بطلان ما يحيل هذا السائل، فالذي يُبقي الثياب إلى مدة قادر على أن يبقيها أبد الآبدين .

وهذه أمور لا ينكرها إلا كل غبي جاهل ليس له معقول حاصل، فإذا دلَّ العقل على جوازه، فينبغي أن يستدل على وقوع ذلك، ووجوده بكلام الصادقين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

ثم يقال لمنكر ذلك شرعاً: لا يصح أن تستدل على إنكارك بشيء من كلام الأنبياء، إذ لا تجده، لا في التوراة ولا في الإنجيل فضلاً عن القرآن(١) .

مناظرة الجهمية في بقاء الجنة والنار:

قال الإمام أحمد رحمه الله: فزعموا أن الله هو قبل الخلق، فصدقوا. وقالوا: يكون الآخرَ بعد الخلق فلا يبقى شيء، ولا أرض ولا جنة ولا نار، ولا ثواب ولا عقاب، ولا عرش ولا كرسي. وزعموا أن شيئاً مع الله لا يكون، هو الآخر كما كان، فأضلوا بهذا بشراً كثيراً.

وقلنا: أخبرنا الله عن الجنة ودوام أهلها فيها، فقال: ﴿لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ﴾[سورة التوبة: ٢١] فإذا قال جلَّ وجهه: ﴿مقيم﴾ وقال: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾[سورة النساء: ٥٧] وقال: ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ﴾[سورة الرعد: ٣٥] فإذا قال الله: دائم لا ينقطع أبداً. وقال: ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾[سورة الحجر: ٤٨] وقال: ﴿وَإِنَّ الْآخِرَةَ

(١) انظر: الإعلام - القرطبي ص:٤٣٣-٤٣٤

هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾[سورة غافر: ٣٩] وقال: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[سورة العنكبوت: ٦٤] وقال: ﴿مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾[سورة الكهف: ٣] وقال: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[سورة آل عمران: ١٠٧] وقال: ﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾[سورة الواقعة: ٣٢-٣٣] ومثله في القرآن كثير.

وذكر أهل النار فقال: ﴿لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾[سورة فاطر: ٣٦] وقال: ﴿أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي﴾[سورة العنكبوت: ٢٣] وقال: ﴿لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾[سورة الأعراف: ٤٩] وقال: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾[سورة الزخرف: ٧٧] وقال: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ﴾[سورة إبراهيم: ٢١] وقال: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾[سورة البينة: ٦] وقال: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [سورة النساء: ٥٦] وقال: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾[سورة السجدة: ٢٠] وقال: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ﴾[سورة الهمزة: ٨] ومثله في القرآن كثير.

وأما السماء والأرض فقد بادتا؛ لأن أهلها صاروا إلى الجنة والنار، وأما العرش فلا يبيد ولا يذهب لأنه سقف الجنة والله عليه فلا يهلك ولا يبيد.

وأما قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[سورة القصص: ٨٨] وذلك أن الله أنزل: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾[سورة الرحمن: ٢٦] قالت الملائكة: هلك أهل الأرض

وطمعوا في البقاء، فأنزل الله آية يخبر عن أهل السموات وأهل الأرض أنهم يموتون، فقال: ﴿كل شيء﴾ من الحيوان ﴿هالك﴾ يعني ميت ﴿إلا وجهه﴾ أنه حي لا يموت، فأيقنوا عند ذلك بالموت[(١)].

مناظرة في طعام الناس في الموقف:

ذكر الذهبي[(٢)] عن عبد الرحمن بن عبد الله الزهري قال: حج الخليفة هشام فدخل الحرم متكئاً على يد سالم مولاه، ومحمد بن علي بن الحسين(الباقر) جالس، فقال: يا أمير المؤمنين، هذا محمد بن علي، فقال: المفتون به أهل العراق؟ قال: نعم. قال: اذهب إليه فقل له: يقول لك أمير المؤمنين: ما الذي يأكل الناس ويشربون إلى أن يُفصل بينهم يوم القيامة؟ فقال له محمد: يحشر الناس على مثل قُرْصَة النقي[(٣)]، فيها الأنهار مفجرة. فرأى هشام أنه قد ظفر. فقال: الله أكبر، اذهب إليه فقل له: ما أشغلهم عن الأكل والشرب يومئذ! ففعل. فقال: قل له: هم في النار أشغل، ولم يشغل أن قالوا: ﴿أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾[سورة الأعراف: ٥٠].

مناظرة في عذاب النار:

ذكر الأستاذ أبو إسحاق الإسفرائيني رحمه الله مناظرة جرت له مع ملحد يدعي التقدم في علم الطبيعة، فأورد الملحد عليه سؤالاً تورده

(١) الرد على الجهمية والزنادقة ص:١٤٦-١٤٨.

(٢) سير أعلام النبلاء ٤/٤٠٥.

(٣) النقي : الخبز الحواري. انظر: النهاية لابن الأثير ٥/١١٢ .

الملاحدة في إنكارهم دوام العذاب في المعاد على ما يعتقده أهل التوحيد بالبرهان والتصديق لما جاء به المرسلون، وهو قولهم:

من زعم أنا لو بنينا داراً من حديد، وأوقدنا فيها أنواع الوقود ثم طرحنا فيها إنساناً ليبقى ـ مع غاية الحرارة والاحتراق ـ حياً، كان خارجاً عن المعقول، فكيف بمن يزعم أنه يبقى حياً على طول الدوام مع ما يناله من الآلام.

فقال له الأستاذ: إن أريتك ذلك في نفسك، رجعت عن سؤالك، أو دمت في ضلالك؟ قال: بل أرجع عنه.

ثم أورد الأستاذ رحمه الله ما حاصله أن الإنسان يبتلع من العروق واللحم الخشن ما لو طبخ هو ولحم معدة الإنسان في قدر لذاب لحم معدته قبل ما يبتلعه من ذلك، فما بال تلك العروق تذوب بنار معدته ولا تذوب معدته بتلك النار[١].

قال صاحب عيون المناظرات[٢]: ويتنزل على ما قاله الأستاذ: ابتلاع النعامة للحديد، ثم تذيبه نار كبدها، وتلقيه على ما شوهد، فما بال تلك النار التي تذيب الحديد لا تذيب معدة النعامة[٣].

---

(١) انظر: عيون المناظرات ص :٢٥٦-٢٥٧.

(٢) ص: ٢٥٧.

(٣) انظر خصائص النعامة في: حياة الحيوان الكبرى للدميري ٣٥٨/٢، وعجائب المخلوقات للقزويني ص: ٤٦٣، وموسوعة الحيوان ص: ١٥٥.

فأجاب الملحد بما حاصله: أن المعدة على تركيب خاص تدفع عن نفسها تلك الحرارة، وتبقى على الحياة وما ينالها من الآلام في بعض الأوقات.

فقال الأستاذ: فيلزمك أن تجوز بقاء أهل النار على تلك الحرارة المفرطة، والآلام الموجعة بضرب خاص من التركيب. فانقطع الملحد[(١)].

مناظرة الزنادقة في تبديل جلود أهل النار يوم القيامة:

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله في قوله (تعالى): ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾[سورة النساء: ٥٦] قالت الزنادقة: فما بال جلودهم التي عصت قد احترقت، وأبدلهم جلوداً غيرها؟ فلا نرى إلا أن الله يعذب جلوداً لم تذنب حين يقول: ﴿بدلناهم جلودا غيرها﴾ فشكوا في القرآن، وزعموا أنه متناقض.

فقلت: إن قول الله (تعالى): ﴿بدلناهم جلودا غيرها﴾ ليس يعني جلوداً غير جلودهم، وإنما بدلناهم جلوداً غيرها، تبديلها تجديدها؛ لأن جلودهم إذا نضجت جددها الله، وذلك لأن القرآن فيه خاص وعام، ووجوه كثيرة وخواطر يعلمها العلماء[(٢)].

---

(١) انظر: عيون المناظرات ص: ٢٥٧.

(٢) انظر : الرد على الجهمية ـ أحمد بن حنبل ص : ٨٦ .

المناظرة في كلام الناس يوم القيامة:

ومن تشكيك الزنادقة في القرآن الكريم قولهم في قوله (تعالى): ﴿هَذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ * وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [سورة المرسلات: ٣٥-٣٦] ثم قال في آية أخرى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾[سورة الزمر: ٣١] قالوا: كيف يكون هذا من الكلام المحكم؟! فزعموا أن هذا الكلام ينقض بعضه بعضاً، فشكوا في القرآن.

فيقال لهم: هذا أول ما تبعث الخلائق على مقدار ستين سنة لا ينطقون، ولا يؤذن لهم في الاعتذار فيعتذرون، ثم يؤذن لهم في الكلام فيتكلمون، فذلك قوله: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾[سورة السجدة: ١٢] فإذا أذن لهم في الكلام فتكلموا واختصموا، فذلك قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾[سورة الزمر: ٣١] عند الحساب وإعطاء المظالم، ثم يقال لهم بعد ذلك: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ﴾[سورة ق: ٢٨]. فإن العذاب مع هذا القول كائن(١).

مناظرة الزنادقة في كلام أهل النار:

قالت الزنادقة في قوله (تعالى): ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾[سورة الإسراء: ٩٧] وقوله: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾[سورة الأعراف: ٥] قالوا: كيف يكون هذا من الكلام المحكم؟ فشكوا في القرآن من أجل تلك.

---

(١) انظر : الرد على الجهمية ـ أحمد بن حنبل ص : ٨٦-٨٧ .

فتفسير ذلك: إنهم أول ما يدخلون النار يكلم بعضهم بعضاً، وينادون: ﴿يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾[سورة الزخرف: ٧٧] ويقولون: ﴿رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾[سورة إبراهيم: ٤٤] و: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾[سورة المؤمنون: ١٠٦] فهم يتكلمون حتى قال لهم: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾[سورة المؤمنون: ١٠٨] فصاروا عمياً وبكماً وصماً، وينقطع الكلام، ويبقى الزفير والشهيق، فهذا تفسير ما شكّت فيه الزنادقة من قول الله[١].

المناظرة في الشفاعة في عصاة الموحدين:

روى مسلم في صحيحه[٢] عن يزيد الفقير قال: كنت قد شغفني رأي من رأي الخوارج[٣]، فخرجنا في عِصابة ذوي عدد نريد أن نحج، ثم نخرج على الناس[٤]، قال: فمررنا على المدينة، فإذا جابر بن عبد الله يُحدِّث القوم ـ جالسٌ إلى سارية ـ عن رسول الله ﷺ، قال: فإذا هو قد ذكر الجهنّمِيين. قال: فقلت له: يا صاحبَ رسول الله، ما هذا الذي تُحدِّثون؟ والله يقول: ﴿إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾[سورة آل عمران: ١٩٢] و: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾[سورة السجدة: ٢٠] فما هذا الذي تقولون؟! قال: فقال: أتقرأ القرآن؟ قلت: نعم. قال: فهل سمعت بمقام

(١) انظر: الرد على الجهمية ـ أحمد بن حنبل ص: ٨٧-٨٨.

(٢) ١/١٧٩-١٨٠ كتاب الإيمان ـ باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، يلي الحديث رقم: ١٩١

(٣) وهو تكفير مرتكب الكبيرة وتخليده في النار.

(٤) أي نُظهر مذهب الخوارج وندعو إليه.

محمد ﷺ - يعني الذي يبعثه فيه - قلت: نعم. قال: فإنه مقام محمد ﷺ المحمود الذي يُخرج الله به من يُخرج. قال: ثم نعت وضع الصراط ومرّ الناس عليه. قال: وأخاف أن لا أكون أحفظ ذاك، قال: غير أنه قد زعم[1] أن قوماً يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها، قال: يعني فيخرجون كأنهم عيدان السماسم[2] قال: فيدخلون نهراً من أنهار الجنة فيغتسلون فيه، فيخرجون كأنهم القراطيس[3] فرجعنا قلنا: ويحكم، أترون الشيخ[4] يكذب على رسول الله ﷺ ؟! فرجعنا، فلا والله ما خرج منا غير رجل واحد»[5].

وفي رواية[6] قال يزيد الفقير: قلت لجابر، يا أصحاب رسول الله إنكم تزعمون أن قوماً يخرجون من النار والله يقول: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا﴾[سورة المائدة: ٣٧] وإنكم تجعلون العام خاصاً. قال: فاقرأ ما قبلها، فإذا هي في الكفار.

---

(١) أي قال.

(٢) جمع سمسم، والسمسم إذا تركت عيدانه في الشمس ليؤخذ حبها تراها دقاقاً سوداء كأنها محترقة، قاله ابن الأثير، ثم قال: وطالما تطلبت معنى هذه الكلمة وسألت عنها فلم أر فيها شافياً، وأجبت فيها بمقنع. قال: وما أشبه أن تكون هذه اللفظة محرفة، وربما كانت: كأنهم عيدان الساسم، وهو خشب أسود كالأبنوس. النهاية في غريب الحديث ٢/٤٠٠.

(٣) شبههم بالقراطيس، وهي جمع صحيفة، وذلك لشدة بياضهم.

(٤) يعني جابراً، وهو استفهام إنكار

(٥) أي أنهم رجعوا عن رأي الخوارج غير واحد منهم.

(٦) شرح السنة ٦/١٠٩٦، قال المحقق سنده ثقات إلى ابن أبي حاتم.

وفي مسند[(١)] الإمام أحمد عن طلق بن حبيب(قبل المائة) قال: كنت من أشد الناس تكذيباً بالشفاعة حتى لقيت جابر بن عبد الله فقرأت عليه كل آية ذكرها الله (تعالى) فيها خلود أهل النار، فقال: يا طلق، أتراك أقرأ لكتاب الله مني وأعلم بسنة رسول الله ﷺ، فاتضعت له، فقلت: لا والله، بل أنت أقرأ لكتاب الله مني، وأعلم بسنته مني. قال: فإن الذي قرأت أهلها هم المشركون، ولكن قوم أصابوا ذنوباً فعذبوا بها ثم أخرجوا، صُمَّتا ـ وأهوى بيديه إلى أذنيه ـ إن لم أكن سمعت رسول الله ﷺ يقول يخرجون من النار، ونحن نقرأ ما تقرأ.

واستدلال جابر من عدة وجوه:

أحدهما: كونه أعلم بالكتاب والسنة من السائل؛ إذا أنه من أصحاب رسول الله ﷺ .

الثاني: كونه أعرف بمعاني النصوص للسبب المتقدم.

الثالث: تفسير النصوص بعضها ببعض، فالسنة تفسِّر القرآن وتبينه.

الرابع: دعاؤه على نفسه بالصمم فيه معنى المباهلة، وهذا من يقينه بما يقول وما يسمع.

وهذا الاستدلال من جابر ﷺ يؤكد حقيقة كبرى، وهي أن فهم الصحابة رضي الله عنهم لنصوص الكتاب والسنة يزيح الإشكالات، ويقطع الاحتمالات، وهو يقدم على كل رأي لا سيما إذا اجتمعوا، أو لم يكن لهم مخالف من بينهم، وقد فعل ذلك ابن عباس رضي الله عنه في

(١) ٣٣٠/٣ وانظر: شرح السنة ١٠٩٥/٦- ١٠٩٦ رقم: ٢٠٥٣-٢٠٥٤ .

مناظرته مع الخوارج حين قال لهم: جئتكم من عند أصحاب رسول الله ﷺ وليس فيكم منهم أحد، ومن عند ابن عم رسول الله ﷺ وعليهم نزل القرآن وهم أعلم بتأويله [١].

المناظرة في الوعيد:

كان عمرو بن عبيد يقول بالوعيد فقال له أبو عمرو بن العلاء: أنت يا أبا عثمان رجل فصيح اللسان ليس لك علم بمعاني كلام العرب، لا تعد العافي مخلفاً ثم أنشد:

وما يرهب المولى ولا الجار صولتي   ولا أخشى من سورة المهدد
وإني وإن أوعدته أو وعدته لمخلف   إيعادي ويصدق موعدي [٢]

وقال سفيان بن عيينة : فقدم علينا عمرو بن عبيد ومعه رجل تابع له على هواه، قال: فدخل عمرو بن عبيد الحِجْر فصلّى فيه، وخرج صاحبه وقام على عمرو بن دينار وهو يحدث هذا ـ أي حديث يخرج قوم من النار فيدخلون الجنة ـ عن جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ فرجع إلى عمرو بن عبيد فقال: يا ضال، أما كنت تخبر أنه لا يخرج أحد من النار؟! قال: بلى. قال: فهو ذا عمرو بن دينار يزعم أنه سمع جابر بن عبد الله يقول قال: رسول الله ﷺ : يخرج قوم من النار فيدخلون الجنة. قال:

---

(١) جامع بيان العلم ١٢٧/٢ .

(٢) شرح السنة ١٠٨١/٦-١٠٨٢ رقم : ٢٠٣٠ ، وتقدم ذكر الاختلاف في ألفاظ هذين البيتين، ص: ٧٩٠

فقال عمرو بن عبيد: لهذا معنى لا تعرفه. قال: فقال الرجل: وأي معنى يكون لهذا. قال: وفك ثوبه من يديه وفارقه[١].

وذكر ابن قتيبة[٢] أن أبا عمرو بن العلاء وعمرو بن عبيد اجتمعا، فقال عمرو: إن الله وعد وعداً وأوعد إيعاداً، وإنه منجز وعده ووعيده. فقال له أبو عمرو: أنت أعجم! لا أقول إنك أعجم اللسان، ولكنك أعجم القلب! أما تعلم، ويحك، أن العرب تعد إنجاز الوعد مَكْرُمة، وترك إيقاع الوعيد مكرمة، ثم أنشده:

وإني وإن أوعدته أو وعدته لمخلف إيعادي ومنجز موعدي

(١) شرح السنة ١٠٩٣/٦ رقم: ٢٠٤٨ ، وانظر تأريخ بغداد ١٧٧/١٢.

(٢) عيون الأخبار ١٤٢/٢.

الخـــاتمـة

الخاتمة

وفي خاتمة هذه الدراسة أُحب أن أسجل النقاط التالية، والتي تمحضت عنها أبواب الرسالة وفصولها :

١- أن الجدل والمناظرة من العبارات المترادفة، أي التي تكون بمعنى واحد، وإن كان بعض أهل العلم فرَّق بينهما؛ حيث جعلوا الجدل مذموماً بإطلاق، والمناظرة بخلافه، والصحيح ـ وهو الذي عليه العمل في هذه الدراسة ـ أنهما بمعنى واحد، وكلاهما قد يستعمل في الحق، وفي الباطل، وذلك بحسب مقصد كل من المتجادلين والمتناظرين، وما يدليان به من الحجج.

٢- المناظرة الصحيحة يكون الغرض منها تحقيق الحق، ودفع الشبه، وكسر الخصم المبطل بقصد نصرة الحق، وتمحيص الأدلة، وتحصيل ملكة ودربة تعين المرء على إقامة الحق عن طريق الجدل والمناظرة، إلى غير ذلك من الأغراض الفاضلة.

والمناظرة الفاسدة يكون الغرض منها دحض الحق، وإظهار الباطل على عادة الكفار والمعاندين، وكسر الخصم، وإفحامه بأي سبيل كان، وطلب الشهرة بتحدي العلماء ومعارضتهم، إلى غير ذلك من الأغراض الدنيئة .

٣- للجدل فوائد عالية، من أبرزها : تحقيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإحقاق الحق، وإقامة الصواب، وكسر الباطل وأهله، وتثبيت

المؤمنين بإظهار علو الإسلام، وقوة حجته، وضعف حجج خصومه، والوصول إلى الحق بالطرق العلمية مجردة عن الأهواء، وتأييد صحيح المنقول بصريح المعقول.

٤- الجدل صناعة تكاد تكون فطرية، وظاهرة إنسانية عامة؛ لا يخلو منها مجتمع من المجتمعات، بل هي موجودة في غير النوع البشري كالملائكة والجن، وإنما العلماء استخرجوا لهذه الصناعة قوانين، وضوابط، وأسماء، وألقاباً تعرف بها.

٥- المجتمعات الإسلامية كغيرها من المجتمعات كان ـ ولا يزال ـ لها نصيب من الجدل والمناظرات، وذلك لأسباب متنوعة ترجع في جملتها إلى ما يدسه أعداء الإسلام من المشركين، والمنافقين، واليهود، والنصارى وغيرهم من ملل الكفر والضلال والابتداع من الوساوس والشبه.

٦- كان الجدل السمة الغالبة على أهل الكلام، بل صار شعاراً لهم، وقد ذُكر في أسباب تسمية علم الكلام أنه إدارة الكلام بين أطراف النزاع، وذلك أسوة بالمنطق عند الفلاسفة. ومن أكبر المسائل التي جرى فيها الجدل : مسائل التوحيد، والصفات، والقدر .

٧- كان لأهل السنة في الجدل ـ على منهج الحق والصواب ـ القِدْح المعلّى، والحظ الأوفى، ولهم في جميع ميادين الجدال مواقف مشهورة،

ومساع محمودة مشكورة، حيث تصدوا لأهل الباطل من جميع الطوائف وفي كل الأزمنة بالحجة الواضحة، والدليل القاطع، مبينين صدق، ما لديهم وقوته، وزيف ما لدى خصومهم المبطلين، وأن الإسلام يملك من قوة الحجة، ووضوح البرهان ما لا قِبَل لأحد من أهل الباطل بكسره، أو التشكيك فيه.

٨- أن نصوص الكتاب والسنة التي فيها ذكر الجدل جاءت على ضربين: أحدهما : فيه الأمر بالجدال والحث عليه، والإخبار بأنه طريقة للأنبياء في تبليغ الدعوة والدفاع عنها. والثاني: فيه النهي عن الجدال والتحذير منه، والإخبار بأنه طريقة للكفار في دحض الحق وتقرير الباطل.

ونظر المحققون من أهل العلم إلى هذه النصوص مجتمعة؛ النصوص التي فيها الأمر بالجدال والحث عليه، والنصوص التي فيها النهي عنه والتحذير منه، فعلموا أنها كلها حق وصدق، ولا تعارض بينها بحمد الله، فعلموا يقيناً أن الجدال المأمور به غير الجدال المنهي عنه، فقالوا: الجدال نوعان: محمود ومذموم. وعلى ذلك تتنزل نصوص الكتاب والسنة وأقوال السلف وعلماء الأمة، ويزول ما قد يشتبه على بعض الناس من أقوال بعض السلف التي فيها النهي عن الجدال والتحذير منه، ويتبين مقصودهم بذلك على ما مرَّ بيانه.

٩- وعليه، فالمناظرة والمجادلة لأهل الكفر والضلال والابتداع من الأمور

الجائزة شرعاً، وقد تجب، إذا ظهرت مصلحته؛ مِنْ إسلام من يُرجى إسلامه، أو هداية مبتدع ضال، أو كسر مبطل متلدد، أو تثبيت موافق متردد .

١٠- للقرآن الكريم خصائص متميزة، وأساليب متنوعة في جدال الخصوم وقطعهم، إذ هو حجة الله التي لا تُغلب، ونوره الذي لا يُحجب، وهو الرسالة الخاتمة، والدعوة الباقية.

والقرآن ـ أيضاً ـ هو المرجع الصحيح في تدوين وحفظ مجادلات الأنبياء مع أممهم، ومجادلات أهل الإيمان مع خصومهم.

١١- والرسول ﷺ قد تأثر جداً بأسلوب القرآن الكريم في الجدل، وهذا شيء طبيعي، فقد كان خلقه القرآن؛ يرضى لرضاه، ويسخط لسخطه، ويتأدب بآدابه، ويلتزم بأحكامه في شأنه كله، ومن ذلك الدعوة والمجادلة ونحوهما؛ ولهذا اختلطت طريقته بطريقة القرآن وتأثرت بها.

وكان لصحابته الكرام في الجدل ـ أيضاً ـ نصيب عظيم، وذلك بفضل متابعتهم، وصدق تأسيهم به ﷺ ، فهم أعلى الناس به شبهاً في العلم والنظر، والمناظرة، والجدل والمجادلة، وإقامة الحجة وإصابة الحق.

١٢- ولأجل أن تخرج المجادلة والمناظرة على منهج صحيح، وطريق سديد؛ تقل فيه الأخطاء، ويتميز الصحيح من الفاسد، كان لا بد من

وضع قواعد وآداب للمناظرة يحتكم إليها الخصوم، ويلتزمون بها، وإلا كانت المجادلة مجرد تصادم لا يوصل إلى صواب، ولا يحصل فيه مقنع.

١٣- والباب الأخير من الرسالة اشتمل على سرد ما وقفتُ عليه من مناظرات العلماء، والتي فيها نصر للإسلام وأهله، مصنفاً لها بحسب مسائل الاعتقاد، مع بيان مذهب أهل الحق في هذه المسألة أو تلك، الأمر الذي يبين قدرة علماء الإسلام - على مرِّ العصور، وكرِّ الدهور - على بيان الحق، ودفع ما يضاده من مختلف المذاهب والمشارب، فهم ترس الإسلام، والذائدون عن حياضه بكل غال ونفيس، آمرين بالمعروف، ناهين عن المنكر، مجادلين بالتي هي أحسن.

هذا ما تيسر ذكره في هذا الموضع، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

فهـــرس المصَادر وَالمـَراجع

١- آداب البحث والمناظرة ـ الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ـ مكتبة ابن تيمية بالقاهرة ـ مكتبة العلم بجدة ـ (بدون تاريخ الطبعة ورقمها).

٢- آداب الحوار والمناظرة ـ المستشار علي جريشة ـ دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ـ الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م ـ مصر .

٣- آداب الشافعي ومناقبه ـ أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ـ خدمة/عبد الغني عبد الخالق ـ مكتبة التراث الإسلامي ـ سوريا ـ (بدون تاريخ الطبعة).

٤- الإبانة عن أصول الديانة ـ أبو الحسن الأشعري ـ تحقيق/ د. فوقية حسين محمود ـ دار الأنصار ـ الطبعة الأولى ـ ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م ـ مصر .

٥- الإبانة عن شريعة الفرق الناجية ومجانبة الفرق المذمومة ـ أبو عبد الله بن محمد بن بطة العكبري ـ تحقيق/ رضا بن نعسان معطي ـ دار الراية للنشر والتوزيع ـ الطبعة الأولى ـ ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م ـ الرياض .

٦- أبجد العلوم (الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم) ـ صديق بن حسن القنوجي ـ دار الكتب العلمية ـ منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٧٨م ـ دمشق.

٧- أبحاث المؤتمر السنوي السادس لتاريخ العلوم عند العرب (الترجمة ومدى تأثيرها في تحول الجدل الديني إلى اهتمام بالبحث العلمي والفلسفي) محمد عبد الرحمن مرحبا ـ معهد التراث العلمي العربي ـ ١٩٨٤م ـ سوريا (بدون رقم الطبعة) .

٨- ابن حزم ومنطق أرسطو (أعمال ندوة الفكر العربي والثقافة اليونانية) ـ سالم يفوت ـ مطبعة النجاح الجديدة ـ جامعة محمد الخامس ـ الطبعة الأولى ـ ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م ـ الدار البيضاء ـ المغرب .

٩- الأجوبة الفاخرة - شهاب الدين أحمد بن إدريس المالكي المعروف بالقرافي - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م - بيروت .

١٠- الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان - علاء الدين علي بن بلبان الفارسي - خدمة/كمال الدين يوسف الحوت - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م - بيروت.

١١- إحصاء العلوم - الفارابي - تحقيق/ د. عثمان أمين - مكتبة الأنجلو المصرية - الطبعة الثانية - ١٩٦٨م - مصر .

١٢- الإحكام في أصول الأحكام - أبو محمد علي بن حزم الظاهري - خدمة/ أحمد شاكر - مطبعة العاصمة - القاهرة (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .

١٣- أحمد بن حنبل إمام أهل السنة - عبد الحليم الجندي - المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - مطابع الأهرام التجارية - ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م - مصر (بدون رقم الطبعة).

١٤- إحياء علوم الدين - أبو حامد محمد بن محمد الغزالي - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

١٥- أخبار القضاة - وكيع محمد بن خلف بن حيان - عالم الكتب - بيروت (بدون تاريخ الطبعة ورقمها).

١٦- أخبار المدينة النبوية - أبو زيد عمر بن شبة النميري البصري (ضمن مجموعة مؤلفات الشيخ عبد الله الدويش) المجلد السادس - إشراف عبد العزيز المشيقح - دار العليان - القصيم (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

١٧- الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة - أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري - خدمة/ محمد زاهد الكوثري - مكتبة القدسي - مطبعة السعادة - ١٣٤٩هـ - مصر (بدون رقم الطبعة).

١٨- الاختيارات الفقهية من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ــ اختيار/ العلامة علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عباس البعلي الدمشقي ــ تحقيق/ محمد حامد الفقي ـ مطبعة السنة المحمدية ـ ١٣٦٩هـ ـ ١٩٥٠هـ ـ مصر (بدون رقم الطبعة) .

١٩- أخلاق العلماء ـ الآجري ... انظر : من أخلاق العلماء .

٢٠- الأدب المفرد ـ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ــ خدمة/ محمد هشام البرهاني ــ وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف بدولة الإمارات العربية المتحدة ـ المطبعة العصرية ومكتبتها ـ دولة الإمارات (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

٢١- الأربعين في أصول الدين ـ فخر الدين الرازي ــ مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ـ الطبعة الأولى ـ ١٣٥٣هـ ـ الهند .

٢٢- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ـ إمام الحرمين الجويني ــ تحقيق/ د. محمد يوسف موسى وعلي عبد المنعم عبد الحميد ـ مكتبة الخانجي ـ مطبعة السعادة ـ ١٣٦٩هـ ـ ١٩٥٠م ـ مصر (بدون رقم الطبعة).

٢٣- أساس التقديس في علم الكلام ـ فخر الدين الرازي ــ وبذيله الدرة الفاخرة في تحقيق مذهب الصوفية والمتكلمين والحكماء في وجود الله تعالى وصفاته ونظام العالم ـ لملا عبد الرحمن الجامي ـ مطبعة كردستان العلمية ـ مصر ـ ١٣٢٨هـ (بدون رقم الطبعة).

٢٤- أسباب النزول ـ أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري ــ دار الكتب العلمية ـ ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م ـ بيروت (بدون رقم الطبعة).

٢٥- استخراج الجدل من القرآن الكريم ـ ناصح الدين عبد الرحمن بن نجم المعروف بابن الحنبلي ـ تحقيق/ د. زاهر بن عوّاض الألمعي ـ مؤسسة الرسالة ـ الطبعة الأولى ــ ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م ـ بيروت .

٢٦- الاستيعاب في معرفة الأصحاب ـ أبو عمر يوسف بن عبد البر ــ تحقيق/ علي محمد البجاوي ـ مكتبة نهضة مصر ومطبعتها ـ مصر (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

٢٧- أسد الغابة في معرفة الصحابة ـ أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني المعروف بابن الأثير ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

٢٨- أسس المنطق الصوري ومشكلاته ـ د. محمد علي أبو ريان ـ ود. علي عبد المعطي محمد ـ دار النهضة العربية للطباعة والنشر ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٧٦م ـ بيروت.

٢٩- الإسلام يتحدى ـ وحيد الدين خان ـ دار البحوث العلمية ـ تعريب/ ظفر الإسلام خان ـ تحقيق/ د. عبد الصبور شاهين ـ نشر الشركة المتحدة للتوزيع ـ الطبعة السادسة ـ ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م ـ بيروت .

٣٠- الأسماء والصفات ـ أبوبكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ـ خدمة/ محمد زاهد الكوثري ـ مطبعة السعادة ـ مصر (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

٣١- إشارات المرام من عبارات الإمام ـ كمال الدين أحمد البياضي الحنفي ـ تحقيق/ يوسف عبد الرزاق ـ شركة ومكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده ـ الطبعة الأولى ـ ١٣٦٨هـ ـ ١٩٤٩م ـ مصر.

٣٢- الاشتقاق ـ أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد ـ تحقيق/ عبد السلام محمد هارون ـ مكتبة الخانجي ـ مطبعة السنة المحمدية ـ الطبعة الأولى ـ ١٣٧٨هـ ـ ١٩٥٨م ـ مصر.

٣٣- الإصابة في تمييز الصحابة ـ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ـ مطبعة السعادة ـ الطبعة الأولى ـ ١٣٢٨هـ ـ مصر.

٣٤- أصول الحوار ـ إعداد/ الندوة العالمية للشباب الإسلامي ـ الطبعة الثانية ـ ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م ـ المطابع العالمية ـ الرياض .

٣٥- أصول الدين (معالم أصول الدين) ـ فخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي ـ خدمة/ طه عبد الرؤوف سعد ـ الناشر مكتبة الكليات الأزهرية ـ مصر (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

٣٦- الأصول والفروع ـ أبو محمد علي بن حزم الأندلسي ـ تحقيق/ محمد عاطف العراقي وآخرين ـ نشر دار النهضة العربية ـ مطبعة حسان ـ الطبعة الأولى ـ ١٩٨٧م ـ القاهرة .

٣٧- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ـ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ـ المطابع الأهلية للأوفست ـ ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م ـ الرياض (بدون رقم الطبعة).

٣٨- الاعتصام ـ أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي ـ المكتبة التجارية الكبرى ـ مطبعة السعادة ـ مصر (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

٣٩- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ـ فخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي ـ ومعه المرشد الأمين إلى اعتقادات فرق المسلمين والمشركين لطه عبد الرؤوف سعد و مصطفى الهواري ـ مكتبة الكليات الأزهرية ـ شركة الطباعة الفنية المتحدة ـ ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م القاهرة (بدون رقم الطبعة).

٤٠- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث ـ أبوبكر أحمد بن الحسين البيهقي ـ خدمة/ أحمد عصام الكاتب ـ منشورات دار الآفاق الجديدة ـ الطبعة الأولى ـ ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م ـ بيروت .

٤١- إعجاز القرآن ـ أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني ـ تحقيق/ السيد أحمد صقر ـ دار المعارف ـ الطبعة الثالثة ـ ١٩٧٢م ـ مصر .

٤٢- الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام وإثبات نبوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام ـ الإمام القرطبي ـ تحقيق/ أحمد حجازي السقا ـ دار التراث العربي ـ تاريخ الإيداع ١٩٨٠م (بدون رقم الطبعة).

٤٣- أعلام العرب في العلوم والفنون ـ عبد الصاحب عمران الدجيلي ـ مطبعة النعمان ـ الطبعة الثانية ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م ـ النجف .

٤٤- أعلام المغرب العربي ـ عبد الوهاب بن منصور ـ المطبعة الملكية بالرباط ـ ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م ـ المغرب (بدون رقم الطبعة) .

٤٥- إعلام الموقعين عن رب العالمين ـ أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية ـ خدمة/ طه عبد الرؤوف سعد ـ دار الجيل ـ بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

٤٦- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ـ ابن قيم الجوزية ـ تحقيق/ محمد حامد الفقي ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ ١٣٥٧هـ ـ ١٩٣٩م ـ مصر (بدون رقم الطبعة).

٤٧- الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ مطبعة دار الكتب المصرية ـ الطبعة الأولى (بدون تاريخ الطبعة).

٤٨- الإفحام لأفئدة الباطنية الطغام ـ يحيى بن حمزة العلوي ـ تحقيق/ فيصل بدير عون ـ منشأة المعارف ـ مصر (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

٤٩- إفحام اليهود وقصة إسلام السموأل ورؤياه النبي صلى الله عليه وسلم ـ السموأل بن يحيى المغربي ـ تحقيق/ د. محمد عبد الله الشرقاوي ـ مكتبة الزهراء ـ جامعة القاهرة ـ دار الجيل ـ الطبعة الثالثة ـ ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م ـ بيروت .

٥٠- كتاب الأموال ـ أبو عبيد القاسم بن سلام ـ تحقيق/ د. محمد عمارة ـ دار الشروق ـ الطبعة الأولى ـ ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م ـ بيروت.

٥١- إنباه الرواة على أنباه النحاة ـ أبو الحسن علي بن يوسف القفطي ـ تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم ـ مطبعة دار الكتب المصرية ـ الطبعة الأولى ـ١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢م ـ مصر.

٥٢- الانتصار والرد على ابن الروندي الملحد ـ أبو الحسين عبد الرحمن بن محمد الخياط تحقيق/ د. نيبرج ـ مطبعة دار الكتب المصرية ـ ١٣٤٤هـ ـ ١٩٢٥م ـ مصر (بدون رقم الطبعة).

٥٣- الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهم وذكر عيون من أخبارهم وأخبار أصحابهم للتعريف بجلالة أقدارهم ـ أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري ـ مكتبة القدسي ـ مطبعة المعاهد ـ ١٣٥٠هـ ـ مصر (بدون رقم الطبعة).

٥٤- الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ـ القاضي أبو بكر بن الطيب الباقلاني ـ تحقيق/ محمد زاهد بن الحسن الكوثري ـ مؤسسة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع ـ مطبعة السنة المحمدية ـ الطبعة الثانية ـ ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٣م ـ مصر .

٥٥- أوائل المقالات في المذاهب المختارات ـ أبو عبد الله محمد بن محمد النعمان العكبري الملقب بالشيخ المفيد ـ ويليه شرح عقائد الصدوق له ـ خدمة/ فضل الله الشهير بالزنجاني ـ المطبعة الحيدرية ـ الطبعة الثالثة ـ ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م ـ النجف .

٥٦- الإيضاح لقوانين الاصطلاح في الجدل الأصولي الفقهي ـ أبو محمد يوسف بن عبد الرحمن بن الجوزي الحنبلي ـ تحقيق/ د. فهد بن محمد السدحان ـ مكتبة العبيكان ـ الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م ـ الرياض .

٥٧- إيضاح المبهم من معاني السلم في المنطق ـ الشيخ أحمد الدمنهوري ـ ويليه شرح العلامة الأخضري على سلمه المذكور ـ المطبعة الميمنية ـ ١٣٠٨هـ ـ مصر (بدون رقم الطبعة).

٥٨- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ـ إسماعيل باشا بن محمد أمين ـ مكتبة الإسلامية والجعفري تبريزي ـ الطبعة الثالثة ـ ١٣٧٨هـ ـ طهران.

٥٩- إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عزّ وجلّ - أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري - تحقيق/ محيي الدين عبد الحميد رمضان - مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق - ١٣٩٠هـ - ١٩٧١م - دمشق (بدون رقم الطبعة) .

٦٠- الإيمان - الحافظ أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي (ضمن أربع رسائل) تحقيق/ محمد ناصر الدين الألباني - المطبعة العمومية - دمشق (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

٦١- أيها الولد - أبو حامد محمد بن محمد الغزالي - تحقيق/ علي محيي الدين علي القرة داغي - دار الاعتصام - الطبعة الثانية - تاريخ الإيداع ١٩٨٣م - مصر.

٦٢- الباعث على إنكار البدع والحوادث - أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة - تحقيق/ عثمان أحمد عنبر - دار الهدى - مطبعة السعادة - الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م - مصر.

٦٣- بدائع الفوائد - أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية - دار الكتاب العربي - إدارة الطباعة المنيرية - بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

٦٤- البداية والنهاية - الحافظ أبو الفداء ابن كثير - مكتبة المعارف - الطبعة الأولى ١٩٦٦م - بيروت.

٦٥- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع - محمد بن علي الشوكاني - مطبعة السعادة - الطبعة الأولى ١٣٤٨هـ مصر .

٦٦- البرهان في علوم القرآن - بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي - تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم - دار المعرفة - الطبعة الثانية - بيروت (بدون تاريخ الطبعة).

٦٧- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس علمائها وأمرائها وشعرائها وذوي النباهة فيها ممن دخل إليها أو خرج عنها - أحمد بن يحيى بن أحمد الضبي - مطبعة روخس - ١٨٨٤هـ - مدينة مجريط (بدون رقم الطبعة).

٦٨- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ـ الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ـ تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم ـ المكتبة العصرية ـ بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

٦٩- بيان تأسيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية أو نقض تأسيس الجهمية ـ أبو العباس أحمد بن تيمية ـ تصحيح وتعليق/ محمد بن عبد الرحمن بن قاسم ـ مطبعة الحكومة ـ الطبعة الأولى ١٣٩١هـ ـ مكة المكرمة .

٧٠- تاج التراجم ـ أبو الفداء زين الدين قاسم بن قُطْلوبغا السودُوني ـ تحقيق/ محمد خير رمضان يوسف ـ دار القلم ـ الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م ـ دمشق.

٧١- تاريخ الأمم والملوك ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ـ تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم ـ دار سويدان ـ بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

٧٢- تاريخ بغداد ـ للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

٧٣- تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم حتى القرن الخامس الهجري ـ منير الدين أحمد ـ دار المريخ ـ ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م ـ الرياض (بدون رقم الطبعة).

٧٤- تاريخ الجدل ـ محمد أبو زهرة ـ دار الفكر العربي ـ مطابع الدجوي ـ الطبعة الثانية ١٩٨٠م ـ القاهرة.

٧٥- تاريخ الجهمية والمعتزلة ـ جمال الدين القاسمي الدمشقي ـ مؤسسة الرسالة ـ الطبعة الأولى ـ ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م ـ بيروت .

٧٦- تاريخ دمشق ـ الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن المعروف بابن عساكر ـ صورة من نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق ـ خدمة/ الشيخ محمد بن رزق الطرهوني ـ مكتبة الدار ـ ١٤٠٧هـ ـ المدنية المنورة.

٧٧- تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم ـ القاضي أبو المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر التنوخي المعري ـ تحقيق/ د. عبد الفتاح الحلو ـ إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ مطابع الهلال للأوفست ـ ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م ـ الرياض (بدون رقم الطبعة) .

٧٨- تاريخ الفكر الفلسفي (الفلسفة اليونانية) ـ د. محمد علي أبو ريان ـ الجزء الأول ـ دار المعرفة الجامعية ـ الطبعة الخامسة ١٩٨٠م ـ مصر .

٧٩- تاريخ الفكر الفلسفي ـ (أرسطو والمدارس المتأخرة) ـ د. محمد علي أبو ريان ـ الجزء الثاني ـ دار النهضة العربية ـ الطبعة الرابعة ـ ١٩٧٦م ـ بيروت .

٨٠- تاريخ الفلسفة اليونانية ـ يوسف كرم ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ الطبعة الثانية ـ ١٣٦٥هـ ـ ١٩٤٦م ـ القاهرة .

٨١- التاريخ الكبير ـ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ـ المكتبة الإسلامية ـ تركيا (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

٨٢- تأويل مختلف الحديث ـ أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ـ خدمة/ محمد زهري النجار ـ دار الجيل ـ ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م ـ بيروت (بدون رقم الطبعة).

٨٣- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين ـ أبو المظفر الأسفراييني ـ تحقيق/ محمد زاهد الكوثري ـ مكتبة الخانجي ـ ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥م ـ مصر (بدون رقم الطبعة).

٨٤- التبيان في أقسام القرآن ـ محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ـ خدمة/ محمد زهري النجار ـ نشر المؤسسة السعيدية بالرياض ـ مطابع الدجوي ـ تاريخ الإيداع ١٩٧٩م (بدون رقم الطبعة).

٨٥- تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق ـ فخر الدين عثمان بن علي الزيلعي الحنفي ـ دار المعرفة للطباعة والنشر ـ الطبعة الثانية ـ مصوَّر عن المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق ـ ١٣١٣هـ مصر.

٨٦- تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري ـ أبو القاسم علي بن محمد الحسن بن هبة الله بن عساكر ـ مطبعة التوفيق ـ ١٣٤٧هـ ـ دمشق (بدون رقم الطبعة).

٨٧- تجديد علم المنطق في شرح الخبيصي على التهذيب ـ عبد المتعال الصعيدي ـ المطبعة النموذجية ـ الطبعة الخامسة ـ مصر (بدون تاريخ الطبعة).

٨٨- تجريد التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ـ أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري ـ مكتبة القدسي ـ مصر (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

٨٩- تحرير القواعد المنطقية ـ محمود بن محمد الرازي، على شرح الرسالة الشمسية لعمر بن علي القزويني المعروف بالكاتبي ـ مطبعة البابي الحلبي ـ الطبعة الثانية ١٣٧٦هـ ـ ١٩٤٨م مصر .

٩٠- تحريم النظر في كتب أهل الكلام ـ ابن قدامة المقدسي ـ تحقيق/ جورج المقدسي ـ شركة لوزاك ـ ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٢م ـ لندن (بدون رقم الطبعة).

٩١- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ـ أبو العلي محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري ـ خدمة/ عبد الرحمن محمد عثمان ـ مطبعة الفجالة الجديدة ـ الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م ـ القاهرة .

٩٢- التحف في مذهب السلف ـ محمد بن علي الشوكاني ـ مطبوعات الجامعة الإسلامية ـ مطبعة المدني ـ جدة (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

٩٣- تذكرة الحفاظ ـ أبو عبد الله شمس الدين الذهبي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

٩٤- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ـ القاضي عياض ـ تحقيق/ د. أحمد بكير محمود ـ منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

٩٥- ترجمة الإمام أحمد (من تاريخ الإسلام) ـ الحافظ الذهبي ـ تحقيق/ أحمد محمد شاكر ـ دار المعارف ـ ١٣٦٥هـ ـ مصر (بدون رقم الطبعة) .

٩٦- ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي صاحب أضواء البيان ـ عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ـ دار الهجرة للنشر والتوزيع ـ الطبعة الثانية ١٤١١هـ ـ الرياض .

٩٧- ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان ـ محمد بن إبراهيم الوزير اليمني الصنعاني ـ مطبعة المعاهد ـ ١٣٤٩هـ ـ مصر (بدون رقم الطبعة).

٩٨- تطور الجدل بعد هيجل (الكتاب الأول جدل الفكر) د. إمام عبد الفتاح إمام ـ دار التنوير للطباعة والنشر ـ الطبعة الأولى ١٩٨٤م ـ بيروت .

٩٩- التعريفات ـ أبو الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني ـ الدار التونسية ـ ١٩٧١م ـ تونس (بدون رقم الطبعة).

١٠٠- تعليق على الرسالة الموضوعة في آداب البحث ـ كلاهما من وضع / أحمد مكي ـ مطبعة جمعية النشر والتأليف الأزهرية ـ الطبعة الأولى ١٣٥٣هـ ـ ١٩٣٥م ـ مصر.

١٠١- تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل ـ محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي ـ تحقيق/ خالد العك ومروان سوار ـ دار المعرفة ـ الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م ـ بيروت.

١٠٢- تفسير سورة الإخلاص ـ تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ـ خدمة/ د. عبد العلي عبد الحميد حامد ـ الدار السلفية ـ الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م ـ بومباي ـ الهند.

١٠٣- تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير ـ دار الحديث ـ الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م ـ القاهرة .

١٠٤- التفسير الكبير ـ الإمام الفخر الرازي ـ دار الحديث العلمية ـ الطبعة الثانية ـ طهران (بدون تاريخ الطبعة).

١٠٥- التفكير المنطقي بين المنهج القديم والمنهج الحديث ـ د. عبد اللطيف محمد العبد ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ دار العلم للطباعة ـ تاريخ الإيداع ١٩٧٧م ـ القاهرة (بدون رقم الطبعة).

١٠٦- التقريب لحد المنطق والمدخل إليه ـ بالألفاظ العامة والأمثلة الفقهية ـ أبو محمد علي بن حزم ـ تحقيق/ د. إحسان عباس ـ منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

١٠٧- التكملة لوفيات النقلة ـ زين الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري ـ تحقيق/ د. بشار عواد معروف ـ مؤسسة الرسالة ـ الطبعة الثانية ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م ـ بيروت.

١٠٨- تلبيس إبليس ـ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ـ تحقيق/ د. السيد الجميلي ـ الناشر الكتاب العربي ـ الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م ـ بيروت.

١٠٩- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير ـ الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ـ خدمة/ السيد عبد الله هاشم اليماني المدني بالمدينة المنورة ـ ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م (بدون معلومات أخرى).

١١٠- تلخيص كتاب الاستغاثة المعروف بالرد على البكري ـ أبو العباس أحمد بن تيمية ـ وبهامشه كتاب الرد على الأخنائي له ـ المطبعة السلفية ـ ١٣٤٦هـ ـ مصر (بدون رقم الطبعة).

١١١- تلخيص كتاب الجدل ـ ابن رشد ـ تحقيق/ د. تشارلس بتروث ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ١٩٧٩م ـ القاهرة (بدون رقم الطبعة).

١١٢- التمهيد في الرد على الملحدة المعطلة والرافضة والخوراج والمعتزلة ـ أبو بكر محمد بن الطيب بن الباقلاني ـ خدمة/ محمود محمد الخضيري ومحمد عبد الهادي أبو ريدة ـ دار الفكر العربي ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ ١٣٦٦هـ ـ ١٩٤٧م ـ القاهرة (بدون رقم الطبعة).

١١٣- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ـ أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري ـ تحقيق/ مصطفى العلوي ومحمد البكري ـ المطبعة الملكية ـ ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م ـ الرباط (بدون رقم الطبعة).

١١٤- تنبيه النبلاء من العلماء إلى قول حامد الفقي إن الملائكة غير عقلاء ـ محمد سلطان المعصومي الخجندي ـ المطبعة السلفية ١٣٧٤هـ ـ القاهرة (بدون رقم الطبعة).

١١٥- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ـ أبو الحسن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي الشافعي ـ تقديم وتعليق/ محمد زاهد الكوثري ـ مكتبة المتنبي ببغداد ـ ومكتبة المعارف ببيروت ـ ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م (بدون رقم الطبعة).

١١٦- التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل ـ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني ـ تحقيق/ محمد ناصر الدين الألباني ـ الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة الإرشاد ـ المطابع الأهلية للأوفست ـ الطبعة الثانية ـ ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م ـ الرياض.

١١٧- تهافت الفلاسفة ـ الإمام الغزالي ـ تحقيق/ د. سليمان دنيا ـ دار المعارف ـ الطبعة الرابعة ـ مصر (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

١١٨- تهذيب التهذيب ـ الحافظ أحمد بن علي بن حجر ـ دار صادر ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ـ مصورة عن طبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بحيدر آباد ـ الهند ـ ١٣٢٥هـ .

١١٩- تهذيب الكمال في أسماء الرجال ـ جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي ـ مؤسسة الرسالة ـ تحقيق/ د. بشار عواد معروف ـ الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م ـ بيروت.

١٢٠- توشيح الديباج وحلية الابتهاج ـ بدر الدين القرافي ـ تحقيق/ أحمد الشتيوي ـ دار الغرب الإسلامي ـ الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م ـ بيروت.

١٢١- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ـ مطبعة المدني ـ ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م ـ مصر (بدون رقم الطبعة).

١٢٢- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ــ السعدي ــ طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة الإرشاد ـ المطابع الأهلية للأوفست ـ ١٤١٠هـ ـ الرياض.

١٢٣- جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله ـ أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي ـ دار الفكر ـ بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

١٢٤- جامع البيان في تفسير القرآن ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ـ دار المعرفة ــ الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م ـ بيروت .

١٢٥- جامع الرسائل ـ شيخ الإسلام ابن تيمية ـ تحقيق/ د. محمد رشاد سالم ـ مطبعة المدني ـ الطبعة الثانية ـ ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م ـ مصر .

١٢٦- الجامع الصحيح في القدر ـ أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي ــ مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

١٢٧- الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير الحافظ جلال الدين السيوطي ــ دار الطباعة العامرة ـ ١٢٨٦هـ ـ مصر (بدون رقم الطبعة).

١٢٨- الجامع الصغير في أحاديث البشير ــ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ـ دار الفكر ـ الطبعة الأولى ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م ـ بيروت .

١٢٩- جامع العلوم في اصطلاحات الفنون -الملقب بدستور العلماء ــ القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمدي فكري ـ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ الطبعة الثانية ـ ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م (مصورة عن مطبعة دائرة المعارف النظامية ـ حيدر آباد دكن الهند).

١٣٠- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم ـ أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين ابن رجب الحنبلي ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ــ الطبعة الرابعة ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م ـ مصر .

١٣١- الجامع لأحكام القرآن ـ أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ـ دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ـ ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م ـ القاهرة (بدون رقم الطبعة).

١٣٢- الجامع لشعب الإيمان ـ أبوبكر أحمد بن الحسين البيهقي ـ تحقيق/ د. عبد العلي عبد الحميد حامد ـ الدار السلفية ـ الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م ـ بومباي ـ الهند .

١٣٣- الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ـ ضياء الدين عبد الله بن أحمد الأندلسي المالقي المعروف بابن البيطار ـ مكتبة المثنى ـ بغداد (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

١٣٤- الجرح والتعديل ـ أبو محمد عبد الرحمن بن الإمام أبي حاتم محمد بن إدريس التميمي ـ دار الكتب العلمية ـ الطبعة الأولى ١٣٧٢هـ ـ ١٩٥٢م ـ بيروت (مصورة عن طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد ـ الدكن ـ الهند).

١٣٥- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ـ أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ـ تحقيق/ د. علي بن حسن بن ناصر وآخرين ـ دار العاصمة ـ الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ـ الرياض.

١٣٦- الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية ـ محيي الدين أبو محمد عبد القادر بن محمد ابن أبي الوفاء القرشي الحنفي ـ تحقيق/ د. عبد الفتاح محمد الحلو ـ مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر ـ ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م ـ دار العلوم ـ الرياض.

١٣٧- حاشية الجرجاني على تحرير القواعد المنطقية ـ محمود بن محمد الرازي ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ الطبعة الثانية ١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٨م ـ مصر .

١٣٨- حاشية رد المحتار ـ لمحمد أمين الشهير بابن عابدين ، على الدر المختار شرح تنوير الأبصار في فقه مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان ـ شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ـ الطبعة الثانية ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م ـ مصر.

١٣٩- الحبائك في أخبار الملائك ـ الحافظ جلال الدين السيوطي ـ خدمة/ عبد الله الصديق ـ مطبعة دار التأليف ـ مصر (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

١٤٠- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة ـ أبو القاسم إسماعيل بن محمد ابن الفضل التميمي الأصبهاني ـ تحقيق/ محمد ربيع بن هادي عمير المدخلي ـ دار الراية ـ الطبعة الأولى ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م ـ الرياض .

١٤١- حزُّ الغلاصم في إفحام المخاصم عند جريان النظر في أحكام القدر ـ شيت بن إبراهيم بن حيدرة المعروف بابن الحاج القفطي ـ تحقيق/ عبد الله البارودي ـ مؤسسة الكتب الثقافية ـ الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م ـ بيروت.

١٤٢- حكاية المناظرة في القرآن مع بعض أهل البدعة ـ أبو محمد عبد الله بن أحمد ابن محمد المقدسي موفق الدين ابن قدامة ـ تحقيق/ عبد الله بن يوسف الجديع ـ مكتبة الرشد ـ الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م ـ الرياض .

١٤٣- حكمة الغرب ـ برتراند رسل ـ ترجمة د. فؤاد زكريا ـ عالم المعرفة ـ المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م ـ الكويت (بدون رقم الطبعة).

١٤٤- حكم الله الواحد الصمد في حكم الطالب من الميت المدد ـ أبو عبد الكريم محمد سلطان المعصومي الخجندي الحنفي السلفي ـ مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ـ مصر (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

١٤٥- الحلة السيراء ـ لابن الأبار (محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي) تحقيق/ د. حسين مؤنس ـ الشركة العربية للطباعة والنشر ـ الطبعة الأولى ١٩٦٣م ـ القاهرة .

١٤٦- حلية الأولياء وطبقات الفقهاء ـ الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني ـ الناشر دار الكتاب العربي ـ الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م ـ بيروت .

١٤٧- الحوار مع أهل الكتاب أسسه ومنهاجه في الكتاب والسنة ـ خالد بن عبدالله القاسم ـ دار المسلم للنشر والتوزيع ـ الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ـ الرياض .

١٤٨- حياة الحيوان الكبرى ـ الشيخ كمال الدين الدميري ـ بهامشه كتاب عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات لزكريا بن محمد بن محمود القزويني ـ المكتبة التجارية الكبرى ـ توزيع دار الفكر ـ بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

١٤٩- الحيدة ـ عبد العزيز بن يحيى الكناني ـ تحقيق/ د. جميل صليبا ـ مطبعة الترقي ـ ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م ـ دمشق (بدون رقم الطبعة).

١٥٠- الخرشي على مختصر سيدي خليل ـ محمد الخرشي المالكي ـ دار صادر ـ بيروت (مصورة عن دار الطباعة الزهراء ببولاق مصر ١٣١٨هـ).

١٥١- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ـ عبد القادر بن عمر البغدادي ـ تحقيق/ عبد السلام هارون ـ الهيئة العامة للكتاب ـ مكتبة الخانجي ـ الطبعة الثانية ـ مصر (بدون تاريخ الطبعة).

١٥٢- خصائص القرآن الكريم ـ د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي ـ مكتبة الحرمين ـ الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ ـ الرياض .

١٥٣- الخصائص الكبرى أو كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب ـ جلال الدين عبد الرحمن الدين السيوطي ـ تحقيق/ د. محمد خليل هراس ـ دار الكتب الحديثة ـ مطبعة المدني ـ مصر.

١٥٤- خلاصة تهذيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال ـ الحافظ صفي الدين أحمد ابن عبد الله الخزرجي الأنصاري ـ مكتب المطبوعات الإسلامية ـ حلب ـ الطبعة الثانية ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م ـ بيروت .

١٥٥- خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل ـ الإمام محمد بن إسماعيل البخاري ـ خدمة/ أبي محمد سالم بن أحمد بن عبد الهادي السلفي وأبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني الإبياني ـ مكتبة التراث الإسلامي ـ القاهرة (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

١٥٦- دائرة المعارف ـ بطرس البستاني ـ مؤسسة مطبوعاتي إسماعيليان ١٢٩٥هـ ـ ١٨٧٨م ـ طهران (بدون رقم الطبعة).

١٥٧- درء تعارض العقل والنقل ـ أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ـ تحقيق/ د. محمد رشاد سالم ـ طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م ـ الرياض .

١٥٨- دراسات في تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية وآثار رجالها ـ عبده الشمالي ـ دار صادر ـ الطبعة الخامسة ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م ـ بيروت .

١٥٩- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ـ الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني ـ تحقيق/ محمد سيد جاد الحق ـ دار الكتب الحديثة ـ مطبعة المدني ـ مصر (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

١٦٠- دلائل التوحيد ـ محمد جمال الدين القاسمي ـ جمعية النشر والتأليف الأزهرية ـ الطبعة الثانية ـ مصر (بدون تاريخ الطبعة).

١٦١- دلائل النبوة ـ أبو نعيم الأصبهاني ـ تحقيق/ محمد رواس قلعه جي ـ المكتبة العربية ـ الطبعة الأولى ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م حلب .

١٦٢- دلائل النبوة ـ البيهقي ـ تحقيق/ عبد الرحمن محمد عثمان ـ دار النهضة للطباعة ـ الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م ـ مصر .

١٦٣- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ـ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ـ تحقيق/ د. عبد المعطي قلعجي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ دار الريان للتراث ـ مصر ـ الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م ـ مصر .

١٦٤- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ـ برهان الدين إبراهيم بن علي ابن محمد بن فرحون اليعمري المالكي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

١٦٥- الدين الخالص ـ السيد محمد صديق خان القنوجي ـ مكتبة دار التراث ـ القاهرة (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

١٦٦- ديوان الأعمش ـ دار صادر ـ ١٩٦٦هـ ـ بيروت (بدون رقم الطبعة).

١٦٧- ديوان امرئ القيس - تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم - دار المعارف - الطبعة الثانية ١٩٦٤م - مصر .

١٦٨- ديوان امرئ القيس - دار بيروت للطباعة والنشر - ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م بيروت (بدون رقم الطبعة) .

١٦٩- ديوان جرير - دار بيروت للطباعة والنشر - ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م - بيروت (بدون رقم الطبعة).

١٧٠- ديوان ذي الرمة (غيلان بن عقبة العدوي) - شرح أبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي - رواية أبي العباس ثعلب - تحقيق/ د. عبد القدوس أبو صالح - مطبعة طربين - ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م - دمشق (بدون رقم الطبعة) .

١٧١- ديوان الصنعاني - الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني - مطبعة المدني - الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ - القاهرة .

١٧٢- ديوان عامر بن الطفيل - رواية أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري عن أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب - دار صادر - دار بيروت للطباعة والنشر ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م (بدون رقم الطبعة).

١٧٣- ديوان النابغة الذبياني - تحقيق/ كرم البستاني - دار بيروت للطباعة والنشر - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م - بيروت (بدون رقم الطبعة).

١٧٤- الذيل على طبقات الحنابلة - زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت (بدون رقم الطباعة وتاريخها).

١٧٥- ربيع الفكر اليوناني - عبد الرحمن بدوي - وكالة المطبوعات - الكويت - دار القلم - الطبعة الخامسة ١٩٧٩م - بيروت .

١٧٦- رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد - تحقيق/ محمد حامد الفقي - مطبعة الأشرف - ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م - فيصل آباد - باكستان (بدون رقم الطبعة).

١٧٧- الرد على الجهمية ـ الإمام أحمد بن حنبل ـ تحقيق/ د. عبد الرحمن عميرة ــ دار اللواء ـ ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م ـ الرياض (بدون رقم الطبعة).

١٧٨- الرد على الجهمية ـ أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي ـ تحقيق/ زهير الشاويش ـ المكتب الإسلامي ـ الطبعة الرابعة ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م ـ بيروت ـ دمشق.

١٧٩- الرد على المنطقيين ـ أبو العباس أحمد بن تيمية ـ إدارة ترجمان السنة ــ الطبعة الثانية ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م ـ لاهور ـ باكستان .

١٨٠- الرسالة ـ الإمام محمد بن إدريس الشافعي ـ بتحقيق/ أحمد محمد شاكر ــ دار الكتب العلمية ـ بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .

١٨١- الرسالة التدمرية (مجمل اعتقاد السلف) ـ شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية ـ طبعة جامعة الإمام محمد بن الإسلامية ــ كلية الشريعة ــ المطابع الأهلية للأوفست ـ ١٣٩٦هـ ـ الرياض (بدون رقم الطبعة).

١٨٢- رسالة في الرد على الرافضة ـ أبو حامد محمد المقدسي ـ تحقيق/ عبد الوهاب خليل الرحمن ـ الدار السلفية ـ الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م ـ الهند .

١٨٣- رغبة الآمل من كتاب الكامل ـ سيد بن علي المرصفي ــ مكتبة دار البيان ــ الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م ـ بغداد .

١٨٤- رفع الملام عن الأئمة الأعلام ـ شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ــ مؤسسة مكة للطباعة والإعلام ــ توزيع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ــ الطبعة الخامسة ــ ١٣٦٩هـ ـ مكة المكرمة .

١٨٥- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ـ أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي ـ إدارة الطباعة المنيرية ــ دار إحياء التراث العربي ــ بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

١٨٦- الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام ـ أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن الخثعمي ـ خدمة/ طه عبد الرؤوف سعد ــ مكتبة الكليات الأزهرية ـ تاريخ الإيداع ١٩٧٢م ـ مصر (بدون رقم الطبعة).

١٨٧- رياض الصالحين - أبو زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي ـ تحقيق/ عبد العزيز رباح وأحمد يوسف الدقاق ـ دار المأمون مكتبة المنار ـ الطبعة العاشرة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م - الأردن .

١٨٨- الرياض النضرة في مناقب العشرة المبشرين بالجنة ـ أبو جعفر أحمد الشهير بالمحب الطبري - دار الندوة الجديدة - الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م - بيروت .

١٨٩- رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وأفريقية وزهادهم وعبادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم - أبو بكر عبد الله بن أبي عبد الله المالكي - مكتبة النهضة المصرية - الطبعة الأولى (بدون تاريخ الطبعة).

١٩٠- زاد المسير في علم التفسير ـ أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ـ المكتب الإسلامي للطباعة والنشر - الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م - بيروت .

١٩١- زاد المعاد في هدي خير العباد - ابن قيم الجوزية ـ خدمة شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط - مكتبة المنار الكويت ـ مؤسسة الرسالة ـ الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م بيروت .

١٩٢- سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام - محمد بن إسماعيل الأمير اليمني الصنعاني - خدمة/ فواز أحمد زمرلي وإبراهيم محمد الجمل ـ دار الكتاب العربي - الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م - بيروت.

١٩٣- سلسلة الأحاديث الصحية وشيء من فقهها وفوائدها ـ محمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي - بيروت - دمشق (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

١٩٤- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ـ محمد ناصر الدين الألباني - المجلد الخامس - مكتبة المعارف ـ الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م ـ الرياض .

١٩٥- سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر - السيد محمد خليل المرادي ـ مكتبة المثنى ببغداد - المطبعة الميرية العامرية ببولاق - ١٣٠١هـ - مصر (بدون رقم الطبعة).

١٩٦- السنة ـ الإمام عبد الله بن أحمد بن حنبل ـ تحقيق/ أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ـ دار الكتب العلمية ـ تيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

١٩٧- السنة ـ أبوبكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال ـ تحقيق/ د. عطية الزهراني ـ دار الراية للنشر والتوزيع ـ الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م ـ الرياض .

١٩٨- سنن الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه ـ تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي ـ مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ـ تاريخ الإيداع ١٩٧٢م ـ مصر (بدون رقم الطبعة).

١٩٩- سنن أبي داود ـ الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ـ ومعه كتاب معالم السنن للخطابي ـ خدمة عزت عبيد الدعاس وعادل السيد ـ دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع ـ الطبعة الأولى ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م ـ سوريا ـ لبنان .

٢٠٠- سنن الترمذي ـ أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ـ تعليق/ عزت عبيد الدعاس ـ مطابع الفجر الحديثة ـ الطبعة الأولى ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م ـ حمص .

٢٠١- سنن الدار قطني ـ علي بن عمر الدارقطني ـ وبذيله التعليق المغني على الدارقطني لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي ـ مكتبة المتنبي ـ القاهرة ـ عالم الكتب ـ بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

٢٠٢- سنن الدارمي ـ الإمام أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي ـ بعناية/ محمد أحمد دهمان ـ دار إحياء السنة النبوية (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

٢٠٣- السنن الكبرى ـ أبوبكر أحمد بن الحسين البيهقي ـ مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ـ الطبعة الأولى ١٣٥٥هـ ـ حيدر آباد الدكن ـ الهند .

٢٠٤- سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي ـ دار الحديث ـ ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م ـ القاهرة (بدون رقم الطبعة).

٢٠٥- سؤال في حديث النزول وجوابه أو شرح حديث النزول - شيخ الإسلام ابن تيمية - تحقيق/ محمد بن عبد الرحمن الخميس - دار العاصمة - الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م - الرياض .

٢٠٦- سير أعلام النبلاء - شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي - تحقيق/ شعيب الأرنؤوط وآخرين - مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م - بيروت .

٢٠٧- سيرة الإمام أحمد بن حنبل - أبو الفضل صالح بن أحمد بن حنبل - تحقيق/ د. فؤاد عبد المنعم أحمد - مؤسسة شباب الجامعة - ١٤٠١هـ - ١٩٨١م - مصر (بدون رقم الطبعة).

٢٠٨- السيرة الحلبية - علي بن برهان الدين الحلبي الشافعي - المكتبة الإسلامية - ١٣٢٠هـ - لبنان (بدون رقم الطبعة).

٢٠٩- السيرة النبوية - ابن هشام - مع شرح أبي ذر الخشني - تحقيق/ د. همام سعيد ومحمد أبو صعيليك - مكتبة المنار - الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م - الأردن.

٢١٠- السيرة النبوية - أبو الفداء إسماعيل بن كثير - تحقيق/ مصطفى عبد الواحد - دار الفكر - الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م - بيروت .

٢١١- السير والمغازي - محمد بن إسحاق المطلبي الشهير بابن إسحاق - تحقيق/ د. سهيل زكار - دار الفكر - الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م - بيروت.

٢١٢- الشامل في أصول الدين - إمام الحرمين الجويني - تحقيق/ علي سامي النشار وآخرين - منشأة المعارف - مصر (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

٢١٣- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية - محمد بن محمد مخلوف - دار الكتاب العربي - مصورة عن طبعة المطبعة السلفية ومكتبتها - الطبعة الأولى ١٣٤٩هـ - مصر

٢١٤- شذرات الذهب في أخبار من ذهب - أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي - المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

٢١٥- شرح أشعار الهذليين - صنعة/ أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري - تحقيق/ عبد الستار أحمد فراج - مكتبة دار العروبة - مطبعة المدني - مصر (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

٢١٦- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم - أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي - تحقيق/ د. أحمد سعد حمدان - دار طيبة للنشر والتوزيع - الرياض (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

٢١٧- شرح البيجوري على الجوهرة المسمى تحفة المريد على جوهرة التوحيد - إبراهيم البيجوري - الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية - ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م - القاهرة (بدون رقم الطبعة).

٢١٨- شرح التفتازاني على متن العقائد النسفية - وبهامشه حاشية المولى مصلح الدين مصطفى الكستلي - شركة صحافية مطبعة - ١٣٢٦هـ (بدون رقم الطبعة).

٢١٩- شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري - إعداد/ عبد الرحمن البرقوني - دار الأندلس للطباعة والنشر - ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م - بيروت (بدون رقم الطبعة).

٢٢٠- شرح ديوان المتنبي - وضعه/ عبد الرحمن البرقوني - دار الكتاب العربي - بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

٢٢١- شرح السنة - الإمام البغوي - تحقيق/ شعيب الأرناؤوط وزهير الشاويش - دار بدر - القاهرة (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

٢٢٢- شرح العقيدة الطحاوية - القاضي علي بن علي بن أبي العز الحنفي - تحقيق/ د. عبد الله بن عبد المحسن التركي وشعيب الأرناؤوط - مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م - بيروت.

٢٢٣- شرح العلامة الأخضري على السلم في ذيل إيضاح المبهم من معاني السلم في المنطق للشيخ أحمد الدمنهوري ـ المطبعة الميمنية ـ ١٣٠٨هـ ـ مصر (بدون رقم الطبعة).

٢٢٤- شرح منح الجليل على مختصر العلامة خليل ـ العلامة الشيخ محمد عليش ـ وبهامشه حاشيته المسماة تسهيل منح الجليل ـ المطبعة الكبرى ١٢٩٤هـ ـ مصر (بدون رقم الطبعة).

٢٢٥- شرح المقاصد ـ مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني ـ تحقيق/ عبد الرحمن عميرة ـ مكتبة الكليات الأزهرية ـ القاهرة (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

٢٢٦- شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد ـ تحقيق/ الشيخ حسن تميم ـ دار مكتبة الحياة ـ ١٩٦٣م ـ بيروت (بدون رقم الطبعة).

٢٢٧- شرح الولدية في آداب البحث والمناظرة ـ عبد الوهاب بن حسين بن ولي الدين الآمدي ـ والمتن لمحمد المرعشي المعروف بساجقلي زاده ـ ومعه شرح للعلامة محمد بن حسين المعروف بملا عمر زاده ـ المطبعة الجمالية ـ ١٣٢٩هـ ـ مصر (بدون رقم الطبعة).

٢٢٨- شرف أصحاب الحديث ـ أبوبكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي ـ تحقيق/ د. محمد سعيد خطيب أوغلي ـ دار إحياء السنة النبوية ـ ١٩٧١هـ (بدون رقم الطبعة وبلدها).

٢٢٩- الشريعة ـ الإمام أبوبكر محمد بن الحسن الآجري ـ تحقيق/ محمد حامد الفقي ـ مطبعة السنة المحمدية ـ ١٣٦٩هـ ـ ١٩٥٠م ـ مصر (بدون رقم الطبعة).

٢٣٠- الشعر والشعراء أو طبقات الشعراء ـ أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ـ تحقيق/ د. مفيد قميحة ـ دار الكتب العلمية ـ الطبعة الأولى ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م ـ بيروت.

٢٣١- الشفاء (المنطق - الجدل) ابن سينا - تحقيق/ د. أحمد فؤاد الأهواني - الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية - ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م - القاهرة (بدون رقم الطبعة).

٢٣٢- الشفاء - القاضي عياض بن موسى اليحصبي - تحقيق/ محمد أمين قرة علي وآخرين - دار الوفاء للطباعة والنشر - دمشق (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

٢٣٣- الصارم المسلول على شاتم الرسول - تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية - تحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد - دار الكتب العلمية - ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨ - لبنان (بدون رقم الطبعة).

٢٣٤- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية - إسماعيل بن حماد الجوهري - تحقيق/ أحمد عبد الغفور عطار - دار العلم للملايين - الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م بيروت .

٢٣٥- صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير) بتحقيق محمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي - الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م - بيروت .

٢٣٦- صحيح سنن ابن ماجه - محمد ناصر الدين الألباني - مكتب التربية لدول الخليج - خدمة/ زهير الشاويش - الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م - الرياض.

٢٣٧- صحيح مسلم - الإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري - تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء الكتب العربية عيسى الحلبي البابي وشركاه - الطبعة الأولى ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م - مصر.

٢٣٨- صحيح مسلم بشرح النووي - دار الفكر - الطبعة الثالثة ١٣٨٩هـ - ١٩٧٨م - بيروت.

٢٣٩- الصفات - الحافظ علي بن عمر الدارقطني - تحقيق/ عبد الله الغنيمان - مكتبة الدار - الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ - مصر .

٢٤٠- الصفدية - أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية - تحقيق/ د. محمد رشاد سالم - مكتبة ابن تيمية - الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ - القاهرة.

٢٤١- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة - أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزية - تحقيق/ د. علي بن محمد الدخيل الله - دار العاصمة - الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - الرياض .

٢٤٢- صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام - جلال الدين السيوطي - وبذيله مختصر السيوطي لكتاب نصيحة أهل الإيمان في الرد على منطق اليونان لتقي الدين الدين ابن تيمية - تعليق/ علي سامي النشار - مطبعة السعادة - مكتبة الخانجي - الطبعة الأولى - مصر (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

٢٤٣- الضعفاء الكبير - أبو جعفر محمد بن عمر بن موسى بن حماد العقيلي المكي - تحقيق/ د. عبد المعطي أمين قلعجي - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م - بيروت.

٢٤٤- ضعيف الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير) - تحقيق/ محمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي - الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م - بيروت .

٢٤٥- ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة - عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني - دار العلم - الطبعة الثانية ١٤٠١هـ - ١٩٨١م - بيروت - دمشق.

٢٤٦- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع - شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي - منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

٢٤٧- طبقات الأولياء - سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن الملقن المصري - تحقيق/ نور الدين شريبة - مكتبة الخانجي - مطبعة دار التأليف - الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م مصر.

٢٤٨- طبقات الحفاظ - الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي - تحقيق/ علي محمد عمر - مكتبة وهبة - مطبعة الاستقلال الكبرى - الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م - مصر .

٢٤٩- طبقات الحنابلة - القاضي أبو الحسين محمد بن أبي يعلى - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

٢٥٠- طبقات الشافعية ـ تقي الدين أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري المعروف بابن الصلاح ـ هذبه ورتبه/ الإمام محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي ـ تحقيق/ محيي الدين علي نجيب ـ دار البشائر الإسلامية ـ الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م ـ بيروت.

٢٥١- طبقات الشافعية ـ جمال الدين عبد الرحمن الأسنوي ـ تحقيق/ عبد الله الجبوري ـ دار العلوم للطباعة والنشر ـ ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م ـ الرياض (بدون رقم الطبعة).

٢٥٢- طبقات الشافعية ـ أبو بكر بن أبي قاضي شهبة الدمشقي ـ خدمة/ د. الحافظ عبد العليم خان ـ مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ـ الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م ـ حيدر آباد الدكن الهند.

٢٥٣- طبقات الشافعية الكبرى ـ تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي ـ تحقيق/ محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو ـ مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ـ الطبعة الأولى ـ مصر (بدون تاريخ الطبعة).

٢٥٤- الطبقات الكبرى ـ ابن سعد ـ دار صادر ـ بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

٢٥٥- طبقات المعتزلة ـ أحمد بن يحيى بن المرتضى ـ تحقيق/ سُوسنّة ديفلّد ـ فلزر ـ الناشر فرانز شتاينر فيسبادن ـ ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦١م ـ لبنان (بدون رقم الطبعة).

٢٥٦- طبقات المفسرين ـ محمد بن علي الداوودي ـ دار الكتب العلمية ـ الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م ـ بيروت .

٢٥٧- طبقات النحويين واللغويين ـ أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي ـ تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم ـ دار المعارف ـ ١٩٧٣م ـ مصر .

٢٥٨- طريق الهجرتين وباب السعادتين ـ ابن قيم الجوزية ـ خدمة/ محب الدين الخطيب ـ المطبعة السلفية ومكتبتها ـ الطبعة الثانية ١٣٧٥هـ ـ القاهرة.

٢٥٩- العبر في خبر من غبر ـ الحافظ الذهبي ـ تحقيق/ د. صلاح الدين المنجد ـ دائرة المطبوعات والنشر ـ ١٩٦٠م ـ الكويت (بدون رقم الطبعة).

٢٦٠- العبودية ـ شيخ الإسلام ابن تيمية ـ المكتب الإسلامي ـ الطبعة الرابعة ١٣٩٧هـ ـ بيروت.

٢٦١- العثمانية ـ أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ـ تحقيق/ عبد السلام محمد هارون ـ دار الكتاب العربي ـ ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥م ـ مصر (بدون رقم الطبعة).

٢٦٢- عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ـ زكريا القزويني ـ تحقيق/ فاروق سعد ـ دار الآفاق الجديدة ـ الطبعة الثانية ١٩٧٧م ـ بيروت.

٢٦٣- العدة في أصول الفقه ـ القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء البغدادي ـ تحقيق/ أحمد بن علي سير المباركي ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .

٢٦٤- العقد الفريد ـ عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ـ خدمة/ أحمد أمين وآخرين ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ الطبعة الثانية ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٦م ـ القاهرة.

٢٦٥- عقود الجمان في مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان ـ محمد بن يوسف الصالحي الدمشقي ـ مطبعة المعارف الشرفية ـ ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤ ـ الهند (بدون رقم الطبعة).

٢٦٦- عقيدة السلف وأصحاب الحديث ـ أبو عثمان إسماعيل عبد الرحمن بن إسماعيل الصابوني ـ تحقيق/ بدر البدر ـ الدار السلفية ـ الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م ـ الكويت.

٢٦٧- عقيدة السلف وأصحاب الحديث ـ أبو عثمان إسماعيل الصابوني ـ تحقيق/ أبي عبد الله نبيل بن سابق السبكي ـ دار طيبة ـ الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ـ الرياض.

٢٦٨- علماء ومفكرون عرفتهم ـ الجزء الثالث ـ محمد المجذوب ـ دار الاعتصام ـ مصر (بدون تاريخ الطبعة).

٢٦٩- علم البحث والمناظرة ــ طاش كبري زاده (ضمن : رسالتان : ١- طبقات المجتهدين لابن كمال باشا ٢- علم البحث والمناظرة لطاش زاده) تحقيق/ أبي عبد الرحمن بن عقيل ـ مطبعة الجبلاوي ـ ١٣٧٩هـ ـ مصر (بدون رقم الطبعة).

٢٧٠- العلو للعلي الغفار في صحيح الأخبار وسقيمها ــ الحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ـ خدمة/ عبد الرؤوف علي يوسف ــ مطبعة جماعة أنصار السنة بعابدين ـ ١٣٥٧هـ ـ ١٩٣٨م ـ مصر (بدون رقم الطبعة).

٢٧١- عمدة التفسير : عن الحافظ ابن كثير ــ اختصار وتحقيق/ أحمد شاكر ــ دار المعارف ـ ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٧م ـ مصر (بدون رقم الطبعة) .

٢٧٢- عمدة القاري شرح صحيح البخاري ـ بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العيني ـ إدارة الطباعة المنيرية ـ بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

٢٧٣- عيون الأخبار ـ أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ــ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر (مصورة عن طبعة دار الكتب) مصر (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

٢٧٤- عيون المناظرات ـ أبو علي عمر السكوني ـ تحقيق/ سعد غراب ــ منشورات الجامعة التونسية ـ ١٩٧٦هـ ـ تونس (بدون رقم الطبعة).

٢٧٥- العيون والمحاسن ـ أبو عبد الله محمد بن محمد النعمان الملقب بالمفيد (بدون معلومات أخرى).

٢٧٦- غاية النهاية في طبقات القراء ـ شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد الجزري ــ عني بنشره/ ج. برجستراسر ــ دار الكتب العلمية ــ الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ ــ ١٩٨٢م ـ بيروت.

٢٧٧- الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل ـ عبد القادر الجيلاني ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ـ المطبعة المصرية ـ ١٢٨٨هـ ـ مصر.

٢٧٨- الغياثي (غياث الأمم في التياث الظلم) ـ أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني ـ تحقيق/ د. عبد العظيم الذيب ـ الشؤون الدينية القطرية ـ الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ ـ قطر.

٢٧٩- الغيث المسجم في شرح لامية العجم ـ الشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ـ دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م ـ بيروت.

٢٨٠- فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ـ الحافظ أحمد بن علي حجر العسقلاني ـ تحقيق/ الشيخ عبد العزيز بن باز ـ خدمة/ محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب ـ المطبعة السلفية ومكتبتها ـ القاهرة ١٣٨٠هـ.

٢٨١- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ـ محمد بن علي الشوكاني ـ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ الطبعة الثالثة ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م ـ بيروت.

٢٨٢- الفتوى الحموية الكبرى ـ شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ـ تقديم محمد عبد الرزاق حمزة ـ مطبعة المدني ـ ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م ـ القاهرة (بدون رقم الطبعة).

٢٨٣- الفتوحات المكية ـ لابن عربي ـ دار صادر ـ بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

٢٨٤- فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية ـ محمد صالح الزركان ـ دار الفكر ـ بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

٢٨٥- الفرق بين الفرق ـ عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي التميمي ـ تحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد ـ دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت (بدون رقم الطباعة وتاريخها).

٢٨٦- الفرقان بين الحق والباطل ـ شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية ـ مكتبة عبد العزيز السلفية ـ مطبعة المدني ـ تاريخ الإيداع ١٩٨١م ـ مصر (بدون رقم الطبعة).

٢٨٧- فرق وطبقات المعتزلة (المنية والأمل في شرح كتاب الملل والنحل تأليف/ القاضي عبد الجبار الهمذاني جمعه أحمد بن يحيى بن المرتضى) تحقيق/ د. علي سامي النشار، وعصام الدين محمد علي ـ دار المطبوعات الجامعية ـ ١٩٧٢م (بدون رقم الطبعة وبلدها).

٢٨٨- الفروع ـ الشيخ شمس الدين المقدسي أبو عبد الله محمد بن مفلح ـ ويليه تصحيح الفروع لأبي الحسن علي بن سليمان المرداوي الصالحي ـ راجعه/ عبد الستار أحمد فراج ـ عالم الكتب بيروت ـ الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ ـ بيروت.

٢٨٩- الفصل في الملل والأهواء والنحل ـ أبو محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم ـ تحقيق/ د. محمد إبراهيم نصر ، ود. عبد الرحمن عميرة ـ شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع ـ الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م ـ الرياض .

٢٩٠- فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ـ لثلاثة من العلماء : أبو القاسم البلخي ـ والقاضي عبد الجبار ـ والحاكم الجشمي ـ تحقيق/ فؤاد سيد ـ الدار التونسية ـ ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٤م ـ تونس (بدون رقم الطبعة).

٢٩١- فقه السيرة ـ محمد الغزالي ـ دار الكتب الحديثة ـ الطبعة السابعة ١٩٧٦م ـ مصر.

٢٩٢- الفقيه والمتفقه ـ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي ـ خدمة/ الشيخ إسماعيل الأنصاري ـ دار إحياء السنة النبوية ـ مصر ـ دار الكتب العلمية ـ ١٣٩٥هـ ـ بيروت ١٩٧٥م (بدون رقم الطبعة).

٢٩٣- الفسلفة الإغريقية ـ د. محمد غلاب ـ مطبعة البيت الأخضر ـ الطبعة الأولى ١٩٣٨م ـ القاهرة .

٢٩٤- الفلسفة اليونانية ـ شارل قرنر ـ ترجمة تيسير شيخ الأرض ـ منشورات دار الأنوار ـ الطبعة الأولى ١٩٦٨م ـ بيروت.

٢٩٥- الفلسفة اليونانية - د. كريم متى - مطبعة الإرشاد - ١٩٧١م - بغداد (بدون قم الطبعة).

٢٩٦- الفهرست للنديم - أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب المعروف بالوراق ــ تحقيق/ رضا -تجدد- (بدون معلومات أخرى).

٢٩٧- فوات الوفيات والذيل عليها - محمد بن شاكر الكتبي ــ تحقيق/ د. إحسان عباس - دار الثقافة - بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

٢٩٨- الفوائد البهية في تراجم الحنفية - لأبي الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي ــ تصحيح/ محمد بدر الدين النعساني - مطبعة السعادة ــ الطبعة الأولى ١٣٢٤هـ ــ مصر .

٢٩٩- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة - محمد بن علي الشوكاني ــ تحقيق/ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي - مطبعة السنة المحمدية ــ الطبعة الأولى ١٣٨٠هـ ــ ١٩٦٠م - مصر .

٣٠٠- فيصل التفرقة بين الإسلام والزندق - أبو حامد الغزالي - تحقيق/ د. سليمان دنيا - دار إحياء الكتب العربية - الطبعة الأولى ١٣٨١هـ - ١٩٦١م - مصر .

٣٠١- في ظلال القرآن - سيد قطب - الطبعة الخامسة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م ــ (بدون اسم المطبعة وبلدها).

٣٠٢- قاموس الغذاء والتداوي بالنبات (موسوعة غذائية صحية عامة) أحمد قدامة ــ دار النفائس - الطبعة الخامسة - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٩م - بيروت .

٣٠٣- القاموس المحيط - مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ــ تحقيق/ مكتب التراث في مؤسسة الرسالة - مؤسسة الرسالة - الطبعة الثانية - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ــ بيروت.

٣٠٤- القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي - دار الجيل - بيروت - مكتبة المعارف - الرياض (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

٣٠٥- قانون التأويل - أبو حامد محمد بن محمد الغزالي - تحقيق/ محمد زاهد الكوثري - مكتب نشر الثقافة الإسلامية - الطبعة الأولى ١٣٥٩هـ - ١٩٤٠م (بدون اسم بلد الطبعة).

٣٠٦- القرآن العظيم : هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين - محمد صادق عرجون - مكتبة الكليات الأزهرية - دار الاتحاد العربي للطباعة - ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م - مصر (بدون رقم الطبعة).

٣٠٧- قصة الفلسفة اليونانية - أحمد أمين - زكي نجيب محمود - مطبعة دار الكتب المصرية - الطبعة الثانية - ١٩٣٥م - مصر .

٣٠٨- القواعد الحسان لتفسير القرآن - عبد الرحمن بن ناصر السعدي - مكتبة المعارف - ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م - الرياض (بدون رقم الطبعة).

٣٠٩- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى - محمد صالح العثيمين - نشر مكتبة الكوثر الإسلامية - مطابع السفراء للأوفست - ١٤٠٦هـ - الرياض (بدون رقم الطبعة).

٣١٠- القواعد النورانية الفقهية - شيخ الإسلام ابن تيمية - تحقيق/ محمد حامد الفقي - مطبعة السنة المحمدية - الطبعة الأولى ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م - القاهرة .

٣١١- الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية المعروفة بالقصيدة النونية - شمس الدين ابن قيم الجوزية - إدارة ترجمان السنة - مطبعة معارف لاهور - ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م - باكستان.

٣١٢- الكافية في الجدل - إمام الحرمين الجويني - تحقيق/ د. فوقية حسين محمود - مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه - القاهرة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م - القاهرة.

٣١٣- الكامل في التاريخ - أبو الحسن علي بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير - دار صادر للطباعة والنشر - ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م - بيروت (بدون رقم الطبعة).

٣١٤- الكامل في ضعفاء الرجال ـ أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني ـ تحقيق/ لجنة من المختصين ـ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م ـ بيروت (بدون رقم الطباعة).

٣١٥- الكامل في اللغة والأدب ـ أبو العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد ـ مؤسسة المعارف ـ بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

٣١٦- كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة ـ الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ـ تحقيق/ حبيب الرحمن الأعظمي ـ مؤسسة الرسالة ـ الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م ـ بيروت .

٣١٧- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ـ المولى مصطفى بن عبد الله القسطنطني الرومي الحنفي ـ المعروف بحاجي خليفة ـ دار الفكر ـ ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م ـ بيروت (بدون رقم الطبعة).

٣١٨- الكليات ـ أبو البقاء الحسيني الكفوي ـ المطبعة العامرة ـ ١٢٧٨هـ ـ مصر (بدون رقم الطبعة).

٣١٩- اللباب في تهذيب الأنساب ـ عز الدين بن الأثير الجزري ـ مكتبة المثنى ـ بغداد (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

٣٢٠- لسان العرب ـ أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي ـ دار صادر ـ بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

٣٢١- لسان الميزان ـ الحافظ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني ـ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٧١م ـ ١٣٩٠هـ مصورة عن مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية الهند ـ حيدر آباد ١٣٣٠هـ .

٣٢٢- الماتريدية دراسة وتقويماً ـ أحمد بن عوض الله الحربي ـ دار العاصمة للنشر والتوزيع ـ النشرة الأولى ١٤١٣هـ ـ الرياض .

٣٢٣- مباحث في علوم القرآن ـ مناع القطان ـ مكتبة المعارف ـ الطبعة الثامنة ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م ـ الرياض .

٣٢٤- المبسوط ـ شمس الدين السرخسي ـ دار المعرفة للطباعة والنشر ـ الطبعة الثانية ـ بيروت (بدون رقم الطبعة).

٣٢٥- مجلة الأزهر ـ العدد السادس ـ تاريخ جمادى الآخرة ١٣٦٤هـ ، والعدد التاسع ـ تاريخ رمضان ١٣٦٤هـ .

٣٢٦- مجلة الهداية ـ العدد ١٠٠ ـ السنة التاسعة ـ جمادى الثانية ١٤٠٦هـ .

٣٢٧- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ـ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ـ دار الكتاب العربي ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٦٧م ـ بيروت .

٣٢٨- مجموعة تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية ـ إعداد/ عبد الرحمن شرف الدين ـ مطبعة ق ـ ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٤م ـ بمباي ـ الهند (بدون رقم الطبعة).

٣٢٩- مجموعة الرسائل الكبرى ـ شيخ الإسلام ابن تيمية ـ مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح ـ ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦ ـ مصر (بدون رقم الطبعة).

٣٣٠- مجموعة الرسائل والمسائل ـ شيخ الإسلام ابن تيمية ـ لجنة التراث العربي ـ تعليق/ السيد محمد رشيد رضا (بدون معلومات أخرى).

٣٣١- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ـ جمع وترتيب/ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ـ مكتبة المعارف ـ الرباط (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

٣٣٢- مجموع المتون في مختلف الفنون ـ عني بنشره/ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري ـ الشؤون الدينية ـ قطر ـ مؤسسة دار العلوم للطباعة والنشر ـ الدوحة (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

٣٣٣- محاسن المساعي في مناقب الإمام أبي عمرو الأوزاعي ـ زين الدين بن تقي الدين بن عبد الرحمن الخطيب ـ خدمة/ الأمير شكيب أرسلان ـ منشورات دار مكتبة الحياة ـ ١٩٦٧م ـ بيروت (بدون رقم الطبعة).

٣٣٤- محاضرات في تاريخ العلوم - د. فؤاد سزكين - مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م - الرياض (بدون رقم الطبعة).

٣٣٥- محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين - فخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي ــ وبذيله تلخيص المحصل لنصير الدين الطوسي ــ خدمة/ طه عبد الرؤوف سعد - مكتبة الكليات الأزهرية - مصر (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

٣٣٦- محنة الإمام أحمد بن محمد بن حنبل - تقي الدين عبد الغني بن عبد الواحد بن علي المقدسي - تحقيق/ د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ــ هجر للطباعة والنشر والتوزيع - الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م - مصر .

٣٣٧- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة - محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية - اختصره/ الشيخ محمد بن الموصلي ــ مكتبة الرياض الحديثة ــ الرياض (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

٣٣٨- مختصر العلو للعلي الغفار - للحافظ الذهبي - اختصار وتعليق/ محمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي - الطبعة الأولى ١٤٠١هـ - ١٩٨١م - دمشق - بيروت .

٣٣٩- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ــ ابن قيم الجوزية ــ تحقيق/ دار الكتاب العربي - ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م - بيروت (بدون رقم الطبعة).

٣٤٠- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ــ أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي عفيف الدين اليافعي اليمني المكي - الطبعة الأولى بمطبعة دائرة المعارف النظامية - حيدر آباد الدكن - الهند - ١٣٧٧هـ - مؤسسة الأعظمي ــ بيروت .

٣٤١- مروج الذهب ومعادن الجوهر - أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي - دار الأندلس - بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

٣٤٢- المستدرك على الصحيحين - أبو عبد الله الحاكم النيسابوري - وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي - مكتبة المطبوعات الإسلامية - حلب (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

٣٤٣- المستصفى من علم الأصول - أبو حامد محمد بن محمد الغزالي - المطبعة الأميرية ببولاق - الطبعة الأولى ١٣٢٢هـ - مصر.

٣٤٤- المسك الأذفر في نشر مزايا القرن الثاني عشر والثالث عشر - محمود شكري الألوسي - تحقيق/ د. عبد الله الجبوري - دار العلوم للطباعة والنشر - ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م (بدون اسم بلد الطبعة).

٣٤٥- مسند أبي داود الطيالسي - دار الكتاب اللبناني - دار التوفيق - الطبعة الأولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف بالنظامية - الهند - حيدر آباد الدكن - ١٣٢١هـ .

٣٤٦- مسند أبي يعلى الموصلي - أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي - تحقيق/ إرشاد الحق الأثري - دار القبلة جدة - مؤسسة علوم القرآن - الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م - بيروت .

٣٤٧- مسند الإمام أحمد بن حنبل - المكتب الإسلامي - دار صادر - بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

٣٤٨- المسند للإمام أحمد بن محمد بن حنبل - خدمة/ أحمد محمد شاكر - دار المعارف - ١٣٧١هـ - ١٩٥١م - مصر .

٣٤٩- المسند - الحافظ أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي - تحقيق/ حبيب الرحمن الأعظمي - عالم الكتب بيروت - مكتبة المتنبي - القاهرة (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

٣٥٠- مشاهير علماء نجد وغيرهم - عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ - دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر - الطبعة الثانية ١٣٩٤هـ - المملكة العربية السعودية.

٣٥١- مشكاة المصابيح ـ ولي الدين محمد بن عبد الله الخطيب العمري التبريزي ـ بتحقيق/ محمد ناصر الدين الألباني ـ منشورات المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ـ الطبعة الأولى ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦١م ـ سوريا ـ لبنان.

٣٥٢- المصباح المنير في شرح غريب الشرح الكبير للرافعي ـ أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ـ تصحيح/ مصطفى السقا ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ـ مصر (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

٣٥٣- المصنف ـ أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني ـ تحقيق/ حبيب الرحمن الأعظمي ـ من منشورات المجلس العلمي (بدون معلومات أخرى).

٣٥٤- المصنف في الأحاديث والآثار ـ الحافظ عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ـ تحقيق/ مختار أحمد الندوي ـ الدار السلفية ـ الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م ـ الهند.

٣٥٥- المطالب العالية عن العلم الإلهي ـ فخر الدين الرازي ـ تحقيق/ د. أحمد حجازي السقا ـ دار الكتاب العربي ـ الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م ـ بيروت.

٣٥٦- المعارف ـ أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ـ تحقيق/ د. ثروت عكاشة ـ دار المعارف ـ الطبعة الثانية ـ مصر (بدون تاريخ الطبعة).

٣٥٧- معالم السنن ـ أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي البستي ـ وهو شرح سنن الإمام أبي داود ـ المكتبة العلمية ـ الطبعة الثانية ـ ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م ـ بيروت.

٣٥٨- معترك الأقران في إعجاز القرآن ـ الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ـ تحقيق/ علي محمد البجاوي ـ دار الفكر العربي ـ دار الثقافة العربية للطباعة ـ تاريخ الإيداع ١٩٦٩م ـ بيروت .

٣٥٩- المعتمد في أصول الدين ـ القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد الفراء الحنبلي ـ تحقيق/ د. وديع زيدان حداد ـ دار المشرق ـ ١٩٨٦م ـ بيروت (بدون رقم الطبعة).

٣٦٠- المعجزة الكبرى القرآن ـ محمد أبو زهرة ـ دار الفكر العربي ـ دار غريب للطباعة ـ القاهرة (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

٣٦١- معجم الأدباء المعروف بإرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ــ شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي ـ عناية/ د. س. مرجليوث ـ مطبعة هندية بالموسكي ــ الطبعة الثانية ـ ١٩٢٤م ـ مصر .

٣٦٢- معجم الأدباء ـ ياقوت الحموي ـ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ــ الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م ـ بيروت.

٣٦٣- معجم البلدان ـ أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي ــ تحقيق/ فريد عبد العزيز الجندي ـ دار الكتب العلمية ـ الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م ـ بيروت .

٣٦٤- المعجم الفسلفي ــ د. جميل صليبا ــ دار الكتاب اللبناني ــ الطبعة الأولى ١٩٧١م ـ بيروت .

٣٦٥- المعجم الفلسفي ـ مجمع اللغة العربية ـ الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ــ ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م ـ القاهرة (بدون رقم الطبعة).

٣٦٦- المعجم الكبير ـ الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ــ تحقيق/ حمدي عبد المجيد السلفي ـ مطبعة الأمة ـ بغداد (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

٣٦٧- معجم مقاييس اللغة ـ أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ــ تحقيق/ عبد السلام محمد هارون ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ـ الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م مصر.

٣٦٨- معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية ـ عمر رضا كحالة ـ مكتبة المثنى ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

٣٦٩- معرفة علوم الحديث ــ الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ النيسابوري ـ خدمة/ د. السيد معظم حسين ـ جمعية دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد الهند ـ منشورات المكتبة العلمية بالمدينة المنورة ــ الطبعة الثانية ١٣٩٧هـ ــ ١٩٧٧م .

٣٧٠- معيد النعم ومبيد النقم ـ تاج الدين عبد الوهاب السبكي ـ تحقيق/ محمد علي النجار وآخرين ـ دار الكتاب العربي ـ الطبعة الأولى ١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٨م ـ مصر .

٣٧١- المغازي - محمد بن عمر الواقدي - تحقيق/ د. مارسدن جونس - عالم الكتب - الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م - بيروت .

٣٧٢- المغني - موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي - تحقيق/ د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ود. عبد الفتاح الحلو - هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان - الطبعة الثانية ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م - القاهرة .

٣٧٣- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة - ابن قيم الجوزية - مكتبة الرياض الحديثة - الرياض (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

٣٧٤- المفردات في غريب القرآن - أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل الراغب الأصفهاني - المطبعة الميمنية - ١٣٢٤هـ - مصر (بدون رقم الطبعة).

٣٧٥- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم - أحمد عمر بن إبراهيم القرطبي - مخطوطة - مركز الملك فيصل -تحت الرقم : ١٤٨٦٢ .

٣٧٦- المقابسات - أبو حيان التوحيدي - تحقيق/ حسن السندوبي - المكتبة التجارية الكبرى - المطبعة الرحمانية - الطبعة الأولى ١٣٤٧هـ - ١٩٢٩م - مصر.

٣٧٧- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين - أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري - تحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد - مكتبة النهضة المصرية - الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م - القاهرة.

٣٧٨- مقامع الصلبان - أحمد بن عبد الصمد الخزرجي - تحقيق/ عبد المجيد الشرفي - الشركة التونسية لفنون الرسم - ١٩٧٥م - تونس (بدون رقم الطبعة).

٣٧٩- مقدمة ابن خلدون - دار الشعب (بدون معلومات أخرى) .

٣٨٠- المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد - برهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن مفلح - تحقيق/ د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين - مكتبة الرشد - الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م - الرياض .

٣٨١- الملل والنحل - أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني - تحقيق/ محمد سيد كيلاني - دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع - ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م - بيروت (بدون رقم الطبعة).

٣٨٢- من أخلاق العلماء - لمجهول، وهو من المعاصرين، كان قاضياً لدمياط بمصر - وفي مقدمته تلخيص كتاب الآجري: أخلاق العلماء - والكتاب بدون أي معلومات إلا أن منه نسخة في المكتبة المركزية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية تحت التصنيف١٨‚٢١٨ أ م أ

٣٨٣- من أسرار البلاغة في القرآن الكريم - محمود السيد شيخون - مكتبة الكليات الأزهرية - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م - مصر (بدون رقم الطبعة).

٣٨٤- مناظرات جرت في بلاد ما وراء النهر في الحكمة والخلاف وغيرهما بين الإمام فخر الدين الرازي وغيره - مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - الطبعة الأولى ١٣٥٥هـ - حيدر آباد - الهند.

٣٨٥- مناظرة ابن تيمية لطائفة الرفاعية - تقديم وتعليق/ عبد الرحمن دمشقية - دار طيبة للنشر والتوزيع - الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - الرياض.

٣٨٦- مناظرة بين الإسلام والنصرانية لمناقشة العقيدة الدينية بين مجموعة من رجال الفكر من الديانتين الإسلامية والنصرانية - دار الوطن للنشر - دار أولي النهى - الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة الإرشاد - الرياض (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

٣٨٧- مناظرة في الرد على النصارى - فخر الدين الرازي - تحقيق/ د. عبد المجيد النجار - دار الغرب الإسلامي - ١٩٨٦م - بيروت (بدون رقم الطبعة).

٣٨٨- المناظرة الكبرى بين الشيخ رحمة الله الهندي والدكتور القسيس فندر - تحقيق/ د. محمد عبد القادر خليل - دار ابن تيمية للنشر والتوزيع والإعلام - الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - الرياض.

٣٨٩- مناقب الإمام أحمد بن حنبل - أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي - تحقيق/ د. عبد الله بن عبد المحسن التركي - مكتبة الخانجي - الطبعة الأولى - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م - مصر.

٣٩٠- مناقب الشافعي - أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي - تحقيق/ السيد أحمد صقر - مكتبة دار التراث - دار النصر للطباعة - الطبعة الأولى ١٣٩١هـ - ١٩٧١م - القاهرة .

٣٩١- مناهج الأدلة في عقائد الملة - ابن رشد - تحقيق/ د. محمود قاسم - مكتبة الأنجلو المصرية - مطبعة مخيمر - مصر (بدون رقم الطبعة وتاريخية).

٣٩٢- مناهج البحث عند مفكري الإسلام - د. علي سامي النشار - دار المعارف - مطبعة المصري - الطبعة الثانية ١٩٦٥م - مصر .

٣٩٣- مناهج الجدل في القرآن الكريم - د. زاهر بن عواض الألمعي - مطابع الفرزدق التجارية - الرياض (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

٣٩٤- مناهل العرفان في علوم القرآن - محمد عبد العظيم الزرقاني - دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه - دار إحياء التراث العربي - بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

٣٩٥- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم - أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي - مطبعة دائرة المعارف العثمانية - الطبعة الأولى ١٣٥٩هـ - حيدر آباد - الهند.

٣٩٦- المنجد في الأعلام - دار المشرق - الطبعة السادسة عشرة ١٩٨٨م - بيروت.

٣٩٧- منحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي أبي داود مذيلاً بالتعليق المحمود على منحة المعبود - أحمد عبد الرحمن البنا الشهير بالساعاتي - المطبعة المنيرية بالإزهر - الطبعة الأولى ١٣٧٢هـ - مصر .

٣٩٨- منشورات جامعة حلب ـ معهد التراث العلمي ـ أبحاث المؤتمر السنوي السادس لتاريخ العلوم عند العرب ـ تحرير د. خالد ماغوط ـ محمد علي خياطة ـ ١٩٨٤م ـ حلب (بدون رقم الطبعة).

٣٩٩- منطق أرسطو ـ تحقيق/ عبد الرحمن بدوي ـ الجزء الثاني ـ الناشر مكتبة النهضة المصرية ـ مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٤٩م ـ القاهرة (بدون رقم الطبعة).

٤٠٠- المنطق الحديث ومناهج البحث ـ د. محمود قاسم ـ دار المعارف ـ الطبعة الخامسة ١٩٦٧م ـ مصر .

٤٠١- المنطق الصوري والرياضي ـ عبد الرحمن بدوي ـ وكالة المطبوعات ـ الطبعة الخامسة ١٩٨١م ـ الكويت .

٤٠٢- المنطق المنظم في شرح الملوي على السلم ـ عبد المتعال الصعيدي ـ مطبعة السعادة ـ الطبعة الثانية ـ مصر (بدون تاريخ الطبعة).

٤٠٣- المنطق وطرائق العلم العامة ـ جميل صليبا وكامل عيّاد ـ مكتبة العلوم والآداب ـ مطبعة الكشاف ـ ١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٨م ـ بيروت (بدون رقم الطبعة).

٤٠٤- المنطق والفكر الإنساني ـ د. عبد السلام محمد عبده ـ مطبعة لطفي ـ ١٩٧٩م ـ مصر (بدون رقم الطبعة).

٤٠٥- المنقذ من الضلال ـ أبو حامد الغزالي ـ مطبعة ابن زيدون ـ الطبعة الثانية ١٣٥٣هـ ـ ١٩٣٤م ـ دمشق.

٤٠٦- منهاج السنة النبوية ـ أبو العباس أحمد ابن تيمية ـ تحقيق/ د. محمد رشاد سالم ـ طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م ـ الرياض.

٤٠٧- منهاج الطالبين وعمدة المفتين في الفقه ـ أبو زكريا يحيى بن شرف النووي الشافعي ـ مطبعة دار إحياء الكتب العربية ـ ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦٠م ـ مصر (بدون رقم الطبعة).

٤٠٨- المنهاج في ترتيب الحجاج - أبو الوليد الباجي - تحقيق/ عبد المجيد تركي - دار الغرب الإسلامي - الطبعة الثانية ١٩٨٧م - بيروت .

٤٠٩- المنهج الجدلي عند هيجل - إمام عبد الفتاح إمام دار المعارف ١٩٦٩م - مصر (بدون رقم الطبعة).

٤١٠- المنية والأمل - القاضي عبد الجبار الهمذاني - تحقيق/ د. عصام الدين محمد علي - دار المعرفة الجامعية للطباعة والنشر - ١٩٨٥م - الإسكندرية (بدون رقم الطبعة).

٤١١- المهذب في فقه مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه وأرضاه - الموفق أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزآبادي الشيرازي - شركة مكتبة أحمد بن سعد بن بنهان - أندونيسيا. (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

٤١٢- موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان - الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي - تحقيق/ محمد عبد الرزاق حمزة - المطبعة السلفية ومكتبتها (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

٤١٣- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية - تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي المقريزي - دار صادر - بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

٤١٤- الموافقات في أصول الشريعة - أبو إسحاق الشاطبي - خدمة محمد عبد الله دراز -دار الفكر العربي - بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

٤١٥- موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول - شيخ الإسلام ابن تيمية - تحقيق/ محمد محيي الدين عبدالحميد، ومحمد حامد الفقي - مطبعة السنة المحمدية - الطبعة الثانية ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م - مصر.

٤١٦- المواقف في علم الكلام - عبد الرحمن بن أحمد الإيجي - عالم الكتب - بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

٤١٧- مواهب الجليل لشرح مختصر خليل ــ أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المعروف بالحطاب ـ مكتبة النجاح ـ طرابلس ـ ليبيا ــ مطابع دار الكتاب العربي ـ بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

٤١٨- الموجز ـ أبو عمار عبد الكافي الأباضي ـ آراء الخوارج الكلامية ــ خدمة/ د. عمار الطالبي ـ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ــ ١٣٩٨هـ ــ ١٩٧٨م الجزائر (بدون رقم الطبعة).

٤١٩- موسوعة اصطلاحات العلوم الإسلامية، المعروف بكشاف اصطلاحات الفنون ـ الشيخ المولوي محمد أعلى بن علي التهانوي ـ خياط ـ بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

٤٢٠- موسوعة الحيوان ـ دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع ــ دمشق (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

٤٢١- الموسوعة العربية الميسرة ـ إشراف/ محمد شفيق غربال ـ دار نهضة لبنان للطبع والنشر ـ ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م ـ بيروت (بدون رقم الطبعة).

٤٢٢- الموسوعة الفلسفية ـ د. عبد المنعم الحفني ـ دار ابن زيدون ــ مكتبة مدبولي ــ الطبعة الأولى ـ بيروت (بدون تاريخ الطبعة).

٤٢٣- الموطأ ـ مالك بن أنس ـ تصحيح/ محمد فؤاد عبد الباقي ــ دار إحياء الكتب العربية ـ ١٣٧٠هـ ـ ١٩٥١م ـ مصر (بدون رقم الطبعة).

٤٢٤- موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع ــ د. إبراهيم بن عامر الرحيلي ـ مكتبة الغرباء الأثرية ـ الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ـ المدينة النبوية .

٤٢٥- مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب ــ أعداد/ عبد العزيز الرومي وآخرين ــ طبعة جامعة الإمام محمد الإسلامية ــ الرياض (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

٤٢٦- ميزان الاعتدال في نقد الرجال - أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي - تحقيق/ علي محمد البجاوي - مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه - مصر (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

٤٢٧- النبأ العظيم - نظرات جديدة في القرآن - د. محمد عبد الله دراز - مطبعة السعادة - ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م - مصر (بدون رقم الطبعة).

٤٢٨- النبوات - تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية - مكتبة الرياض الحديثة - الرياض (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

٤٢٩- النجاة في الحكمة المنطقية والطبيعية والآلهية - أبو علي بن سينا - مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - الطبعة الثانية ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م - مصر.

٤٣٠- نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام - د. سامي علي النشار - دار المعارف - الطبعة الثالثة ١٩٦٥م - مصر.

٤٣١- النشر في القراءات العشر - أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري - خدمة علي محمد الضباع - مكتبة الرياض الحديثة (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

٤٣٢- نظم الفرائد وجمع الفوائد في بيان المسائل التي وقع فيها الخلاف بين الماتريدية والأشعرية في العقائد مع ذكر أدلة الفريقين - العلامة عبد الرحيم بن علي الشهير بشيخ زاده - المطبعة الأدبية بسوق الخضار القديم بمصر - الطبعة الأولى ١٣١٧هـ - مصر.

٤٣٣- نفح الطيب من غصن الأندلس - الشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني - تحقيق د. إحسان عباس - دار صادر - ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م - بيروت (بدون رقم الطبعة).

٤٣٤- نقض المنطق - شيخ الإسلام ابن تيمية - تحقيق/ الشيخ محمد بن عبد الرزاق حمزة - والشيخ سليمان بن عبد الرحمن الصنيع - تصحيح/ محمد حامد الفقي - مطبعة السنة المحمدية - الطبعة الأولى ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م - القاهرة .

٤٣٥- نهاية الإقدام في علم الكلام - عبد الكريم الشهرستاني - تصحيح/ الفرد جيوم (بدون معلومات أخرى).

٤٣٦- النهاية في غريب الحديث والأثر - أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري بن الأثير - تحقيق/ طاهر أحمد الزاوي ، ومحمود محمد الطناحي - المكتبة الإسلامية (بدون معلومات أخرى).

٤٣٧- نونية القحطاني - أبو محمد عبد الله بن محمد الأندلسي القحطاني - تصحيح/ محمد بن أحمد سيد أحمد - مكتبة السواري للتوزيع - الطبعة الثالثة ١٤٠١هـ - ١٩٨٩م - السعودية.

٤٣٨- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى - شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م - بيروت.

٤٣٩- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين - إسماعيل باشا البغدادي - وكالة المعارف - استانبول ١٩٥١م - أعادت طبعته مكتبة الإسلامية والجعفرية - الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ.

٤٤٠- الوافي بالوفيات - صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي - اعتناء/ س. ديدرينغ - دار النشر فرانز شتاينر - بفيسبادن ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م (بدون رقم الطبعة).

٤٤١- وفود الإسلام - لأبي تراب الظاهري - دار القبلة - الطبعة الأولى - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م - جدة .

٤٤٢- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان - أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان - تحقيق/ د. إحسان عباس - دار صادر - ١٣٩٨هـ - ١٩٨٧م - بيروت (بدون رقم الطبعة).

فهرس الموضوعات

مقدمة الطبعة الأولى	٥
المقـــدمـــة	٧
التمهيـــد	٢١
المبحث الأول: التعريف بالجدل والمناظرة في اللغة والاصطلاح	٢٣
معنى الجدل في اللغة	٢٣
معنى الجدل في الاصطلاح	٢٤
معنى المناظرة في اللغة	٢٨
معنى المناظرة في الاصطلاح	٣٠
علم الجدل والمناظرة	٣٣
المبحث الثاني: بيان الغرض من الجدل وفوائده ونتائجه	٣٨
أولا : الغرض من الجدل	٣٨
ثانيا : فوائد الجدل	٤٠
ثالثا : نتائج الجدل	٤٣
الباب الأول : نشأة الجدل	٤٧
الفصل الأول : نشأة الجدل قبل الإسلام	٤٩
المبحث الأول : النشأة الأولى للجدل وتطوره	٥١
تاريخ الجدل في القرآن الكريم	٥٥
المبحث الثاني : الجدل عند قدماء اليونان وعلاقته بالمنطق الأرسطي	٥٧
تعريف المنطق الأرسطي	٧١

موقف المسلمين من المنطق الأرسطي ٧٣
- حكم الاشتغال بالمنطق ٧٣
- أسباب رفض المسلمين المنطق الأرسطي ٨٥
أولا : الأسباب الشرعية ٨٦
ثانيا : الأسباب العقلية ٩٠
الفصل الثاني : نشأة الجدل عند المسلمين ٩٣
المبحث الأول : أسباب ظهور الجدل عند المسلمين ٩٥
المبحث الثاني : موقف الفرق الإسلامية من الجدل ١٠٧
تمهيـــد في نشأة الاختلاف والافتراق في هذه الأمة ١٠٧
- الفرق الإسلامية والجدل ١١٦
أولا : الجدل عند الخوارج ١١٦
ثانيا : الجدل عند الشيعة ١٢٢
ثالثا : الجدل عند المعتزلة ١٢٨
رابعا : الجدل عند الأشاعرة ونحوهم من متكلمة الإثبات ١٣٦
المبحث الثالث : قضايا الجدل عند أهل الكلام وخصائصه وموقف السلف منه ١٤٧
المطلب الأول : التعريف بعلم الكلام ١٤٩
المطلب الثاني : نشأة علم الكلام وسبب تسميته بذلك ١٥١
المطلب الثالث : المسائل التي وقع الجدل فيها بين المتكلمين ١٥٣
أولا : مسألة الإيمان ١٥٣
ثانيا : مسألة القدر ١٥٧
ثالثا : مسألة صفات الله تعالى ١٦٥

رابعا : مسألة خلق القرآن ١٦٩
المطلب الرابع : خصائص الجدل عند المتكلمين ١٧٦
المطلب الخامس : حكم الاشتغال بعلم الكلام ٢٠٣
المبحث الرابع : الجدل عند أهل السنة والجماعة ٢١٧
المطلب الأول : التعريف بأهل السنة والجماعة ٢١٩
المطلب الثاني : موقف أهل السنة والجماعة من الجدل والمناظرة ٢٢٤
المطلب الثالث : نماذج من مواقف أهل السنة في الجدل والمناظرة ٢٣٢
أولا : مناظرة أهل السنة للخوارج ٢٣٢
ثانيا : مناظرة أهل السنة للجهمية والمعتزلة ٢٣٥
ثالثا : مناظرة أهل السنة للشيعة ٢٥٧
ربعا : مناظرة أهل السنة لأهل الملل الكافرة ٢٦٣
ما يجب فعله مع من لم يرجع عن باطله بالمناظرة ٢٦٩
الباب الثاني:الجدل والمناظرة في الكتاب والسنة: مشروعيته وخصائصه وتطبيقاته ٢٧٥
الفصل الأول : مشروعية الجدل والمناظرة ٢٧٧
المبحث الأول : أنواع الجدل وأحكامه ٢٧٩
المطلب الأول : النصوص والآثار التي فيها الأمر بالجدل والحث عليه وبيان أنه طريقة للأنبياء وأتباعهم ٢٨٠
المطلب الثاني : النصوص والآثار التي فيها النهي عن الجدل والتحذير منه وبيان أنه طريقة للكفار والمعاندين ٢٩٤
المطلب الثالث : التحقيق في المسألة ٣٠٤

المبحث الثاني : حكم مناظرة الكفار والمشركين ٣١٥

المبحث الثالث : حكم مناظرة أهل الكتاب ٣٢٤

المبحث الرابع : حكم مناظرة أهل البدع ٣٣١

المبحث الخامس : حكم المراء ٣٥٧

حكم المراء في القرآن ٣٦٥

الفصل الثاني : الجدل والمناظرة في القرآن الكريم : خصائصه وأساليبه وتطبيقاته ٣٧٣

المبحث الأول : خصائص الجدل القرآني ٣٧٥

المبحث الثاني : أساليب الجدل القرآني ٤٠١

المبحث الثالث : الأصناف الذين وردت مجادلتهم في القرآن الكريم ٤١٣

المطلب الأول : جدل القرآن مع المشركين ٤١٤

القضية الأولى : تقرير توحيد الألوهية ٤١٤

القضية الثانية : دعوى المشركين نسبة الولد إلى الله تعالى ٤٢٦

القضية الثالثة : احتجاج المشركين على أفعالهم بالقدر ٤٣١

القضية الرابعة : الاعتراض على شخصية الرسول ﷺ ٤٣٤

القضية الخامسة : إنكار نسبة القرآن إلى الله تعالى ٤٤٤

القضية السادسة : إنكار المشركين البعث والمعاد ٤٥٣

المطلب الثاني : جدل القرآن مع المنافقين ٤٧٠

المطلب الثالث : جدل القرآن مع أهل الكتاب ٤٨٦

أولا : التوحيد ٤٨٦

ثانيا : النبوة ٤٩٦

أساليب القرآن الكريم في الجدل مع أهل الكتاب ٥٠٦

المبحث الرابع : الأصناف الذين ذكر القرآن جدلهم ٥١٣
المطلب الأول : جدل إبليس اللعين ٥١٥
حكاية مناظرة بين إبليس والملائكة ٥٢٣
المطلب الثاني : جدل الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم ٥٣٠
أولا : جدل نوح عليه السلام مع قومه ٥٣٠
ثانيا : جدل هود عليه السلام مع قومه ٥٣٧
ثالثا : جدل صالح عليه السلام مع قومه ٥٤٠
رابعا : جدل شعيب عليه السلام مع قومه ٥٤٢
خامسا : جدل إبراهيم عليه السلام مع قومه ٥٤٦
سادسا : جدل موسى عليه السلام مع فرعون ٥٦٤
سابعا : جدل موسى عليه السلام مع بني إسرائيل ٥٧٣
المطلب الثالث : جدل المؤمنين مع الكافرين ٥٧٩
المطلب الرابع : جدل أهل الجنة وأهل النار ٥٨٧
الفصل الثالث : الجدل والمناظرة في السنة: خصائصه وأساليبه وتطبيقاته ٥٩٧
المبحث الأول : خصائص الجدل في السنة وأساليبه ٦٠١
المطلب الأول : خصائص الجدل في السنة ٦٠٢
المطلب الثاني : أساليب الجدل في السنة ٦١٤
المبحث الثاني : الأصناف الذين وردت مجادلتهم في السنة ٦٢٣
المطلب الأول : الجدل مع المشركين ٦٢٤
المطلب الثاني : الجدل مع المنافقين ٦٤٣
المطلب الثالث : الجدل مع اليهود ٦٥٢

المطلب الرابع : الجدل مع النصارى ٦٦١
الباب الثالث : قواعد الجدل والمناظرة وآدابها وأحكامها ٦٧٧
مدخـــــــــــــل ٦٧٩
الفصل الأول : قواعد الجدل والمناظرة ٦٨٣
القاعدة الأولى : إن كنت ناقلاً فالصحة أو مدعياً فالدليل ٦٨٥
القاعدة الثانية : موافقــة النصـوص الشـرعية لفظـاً ومعنـى أولى مـن موافقتها في المعنى دون اللفظ ٦٨٨
القاعدة الثالثة : لا ينبغي بتر الدليل والاستدلال بجزئه ٦٨٩
القاعدة الرابعة : الحق يقبل من أي جهة جاء ٦٩١
القاعدة الخامسة : الحق لا يعرف بالرجال اعرف الحق تعرف رجاله ٦٩٢
القاعدة السادسة : الحق واحد لا يختلف ٦٩٤
القاعدة السابعة : التقديم حق الدليل القطعي ٦٩٦
القاعدة الثامنة : وجوب عرض أقوال الناس على الشرع ٦٩٩
القاعدة التاسعة : السكوت عما سكت الله عنه ورسوله ٧٠٠
القاعدة العاشرة : الامتناع عن مناظرة أهل السفسطة ٧٠١
القاعدة الحادية عشرة : الباطل لا يرد بالباطل بل بالحق ٧٠٢
القاعدة الثانية عشرة : الإنكار لا يعارض بالإنكار ٧٠٤
القاعدة الثالثة عشرة : عدم العلم بالدليل ليس علماً بالعدم ٧٠٥
القاعدة الرابعة عشرة : ليس من شرط الدليل الاستدلال به ٧٠٧
القاعدة الخامسة عشرة : في لازم المذهب ٧٠٨
القاعدة السادسة عشرة : الاستدلال على المسألة المتنـازع فيهـا إنمـا يكون بالدليل المتفق عليه ٧١١

القاعدة السابعة عشرة : الجمع بين المتماثلات والتفريق بين المختلفات ٧١٣
القاعدة الثامنة عشرة : المعارضة الصحيحة هي التي يمكن اطرادها ٧١٦
القاعدة التاسعة عشرة : في مخاطبة أهل الاصطلاح باصطلاحهم الخاص ٧١٧
القاعدة العشرون : التوقف عند الإيهام والاستفصال عند الإجمال ٧٢١
القاعدة الواحدة والعشرون : القطع والظن من الأمور النسبية الإضافية ٧٢٤
القاعدة الثانية والعشرون : هل على النافي دليل ؟ ٧٢٦
القاعدة الثالثة والعشرون : الحجة الصحيحة لا يقدح فيها عجز صاحبها عن تقريرها ٧٢٨
القاعدة الرابعة والعشرون : لا يقدح في البرهان العجز عن الإتيان بما لا يكون في المكنة البشرية ٧٢٩
القاعدة الخامسة والعشرون : هل الحلف على المسألة يعد حجة مستقلة ؟ ٧٣١
القاعدة السادسة والعشرون : الاصطلاحات الحادثة لا تغير من الحقائق شيئاً ٧٣٣
القاعدة السابعة والعشرون : في من يبدأ بالكلام ٧٣٤
القاعدة الثامنة والعشرون : في السؤال والجواب ٧٣٥
القاعدة التاسعة والعشرون : في أنواع الجواب من قبل المسئول ٧٣٨
الفصل الثاني : آداب الجدل والمناظرة ٧٤١
الأدب الأول : إخلاص النية لله تعالى ٧٤٣

الأدب الثاني : البدء بذكر الله تعالى ٧٤٥
الأدب الثالث : التأدب في الجلوس ٧٤٦
الأدب الرابع : اجتناب الهوى ٧٤٧
الأدب الخامس : الرجوع إلى الحق متى ما تبين ٧٥٠
الأدب السادس : التحلي بالحلم والصبر ٧٥٢
الأدب السابع : التريث ٧٥٣
الأدب الثامن : التزام الصدق ٧٥٥
الأدب التاسع : الترفق بالخصم ٧٥٦
الأدب العاشر : حسن الاستماع لكلام الخصم ٧٥٨
الأدب الحادي عشر : الإنصاف ٧٥٩
الأدب الثاني عشر : إصلاح المنطق وتهذيبه ٧٦٣
الأدب الثالث عشر : تجنب المماراة ٧٦٥
الأدب الرابع عشر : المناظرة المفيدة إنما تكون بين النظراء في العلم ٧٦٧
الأدب الخامس عشر : اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية ٧٦٨
الأدب السادس عشر : تجنب الإساءة إلى الخصم ٧٦٩
الأدب السابع عشر : تجنب ما يذهل العقل ويشوش الفكر ٧٧١
الأدب الثامن عشر : تجنب الحيل في المناظرة ٧٧٤
الأدب التاسع عشر : نصب الحاكم بين المتخاصمين ٧٧٥
الأدب العشرون : استعمال الأمثال والحكم في المناظرة ٧٧٥
الأدب الواحد والعشرون : أصناف ينبغي تجنب مناظرتهم ٧٧٨
الفصل الثالث : أحوال الجدل والمناظرة وأحكامها ٧٨٣
الحالة الأولى : الإفحـــام ٧٨٥

الحالة الثانية : الإلزام	٧٨٥
الحالة الثالثة : المصادرة	٧٨٦
الحالة الرابعة : الغصب	٧٨٦
الحالة الخامسة : المكابرة	٧٨٨
الحالة السادسة : السفسطة	٧٨٩
الحالة السابعة : الحيدة	٧٩٠
الحالة الثامنة : النقض والمناقضة	٧٩٣
الحالة التاسعة : المعارضة	٧٩٦
الحالة العاشرة : الانتقال	٧٩٨
الحالة الحادية عشرة : الانقطاع	٨٠١
الفصل الرابع : إقامة الحجة : مجالاتها وشروطها	٨٠٧
المبحث الأول : إقامة الحجة	٨٠٩
تكفير المعين أو تبديعه أو تفسيقه	٨٠٩
استتابة المرتد والزنديق ونحوهما	٨١٣
المبحث الثاني : شروط إقامة الحجة	٨٢٧
العلم بالحجة	٨٢٧
فهم الحجة	٨٣٤
التمكن من التزام الحجة والقيام بمقتضياتها	٨٤٢
الفصل الخامس : المباهلة : معناها، وصورتها، وحكمها، وشروطها، ومجالاتها، ونماذج منها	٨٤٥
المبحث الأول : معنى المباهلة وصورتها	٨٤٧
المبحث الثاني : حكم المباهلة	٨٤٩

المبحث الثالث : شروط المباهلة وآدابها ٨٥١
المبحث الرابع : مجالات المباهلة ٨٥٢
المبحث الخامس : نماذج من المباهلة ٨٥٥
الباب الرابع : تقرير مسائل الاعتقاد عن طريق الجدل والمناظرة عند أهل السنة ٨٧١
الفصل الأول : الجدل والمناظرة في باب الإلهيات ٨٧٥
المناظرة في حكم الاستدلال في حق المكلف ٨٧٧
مناظرة السوفسطائية ٨٨٤
مناظرة الإمام الباقلاني للسوفسطائية ٨٨٥
مناظرة منكري الأعراض ٨٨٧
المناظرة في حدوث العالم ٨٨٧
المناظرة في أن الله ليس قبله شيء ٨٨٨
المناظرة في تعطيل الصانع ٨٨٨
مناظرة الدهرية ٨٨٩
مناظرة أبي حنيفة للدهرية ٨٩٠
مناظرة ابن حزم للدهرية ٨٩١
مناظرة الثنوية والمجوس ٨٩٢
مناظرة أبي العباس السفاح للثنوية ٨٩٣
مناظرة المأمون للثنوية ٨٩٤
مناظرة هشام بن الحكم للثنوية ٨٩٤
مناظرة الشيوعيين ٨٩٥
مناظرة في الضر والنفع ٨٩٧

المناظرة في التنجيم ٨٩٧

كسر الفاروق لطاغوت التنجيم ٨٩٨

مناظرة الثوري للمنجمين ٨٩٨

مناظرة أخرى لأهل التنجيم ٨٩٩

مناظرة الباقلاني لأهل التنجيم ٨٩٩

مناظرة النصارى في الأقانيم ٩٠١

مناظرة النصارى في التثليث ٩٠٢

مناظرة أخرى ٩٠٣

مناظرة النصارى في كون عيسى جزءاً من الله تعالى ٩٠٤

مناظرة الباقلاني النصارى في نسبة الولد إلى الله تعالى ٩٠٥

مناظرة النصارى في كون عيسى عليه السلام كلمة الله الخالقة ٩٠٥

مناظرة النصارى في أسطورة التجسد ٩٠٧

مناظرة النصارى في عقيدة الفداء ٩٠٩

مناظرة الباطنية في عقيدة تأليه البشر ٩١١

مناظرة الحلولية ٩١٢

المناظرة في باب الأسماء والصفات ٩١٣

الكلام في الصفات بغير علم مزلة قدم وهلكة عقل ٩١٣

أسماء الله تعالى وصفاته توقيفية ٩١٥

مناظرة نفاة بعض الصفات ٩١٦

مناظرة نفاة الأسماء والصفات ٩١٩

طريقة أخرى في مناظرة نفاة بعض الصفات ٩٢٠

مناظرة الكرامية في باب الأسماء ٩٢٢

القول في الصفات فرع عن القول في الذات	٩٢٣
مناظرة المعتزلة في أسماء الله تعالى	٩٢٤
مناظرة الجهمية في صفة النزول	٩٢٤
المناظرة في التحيز	٩٢٧
المناظرة في صفة الاستواء	٩٣٠
مناظرة لابن الأعرابي في الاستواء	٩٣٠
مناظرة الإمام مالك في الاستواء	٩٣١
مناظرة الإمام أحمد الجهمية في الاستواء	٩٣١
المناظرة في العرش	٩٣٣
المناظرة في العلو	٩٣٤
مناظرة الإمام أحمد للجهمية في العلو	٩٣٤
مناظرة الجهمية في إبطال قولهم إن الله في كل مكان	٩٣٧
مناظرة أبي جعفر الهمذاني لأبي المعالي الجويني في العلو	٩٣٨
المناظرة في كلام الله تعالى	٩٣٩
مناظرة في معنى حدوث الكلام	٩٣٩
مناظرة في التفريق بين الخلق والأمر	٩٣٩
مناظرة الإمام أحمد للجهمية في صفات الله تعالى وكلامه	٩٤٠
مناظرة الإمام أحمد الجهمية في تكليم الله تعالى موسى	٩٥٠
مناظرة محمد بن سحنون المالكي للجهمية	٩٥٤
مناظرة عبد العزيز الكناني لبشر المريسي في مسألة القرآن	٩٥٥
مناظرة أخرى للمعتزلة في خلق القرآن	١٠١٣
مناظرة الأشعرية في كلام الله تعالى	١٠١٤

مناظرة أخرى في كلام الله تعالى	١٠١٦
مناظرة أبي محمد المقدسي للأشعرية	١٠١٧
المناظرة في رؤية الله تعالى	١٠٢٩
مناظرة الإمام مالك للجهمية في الرؤية	١٠٣١
مناظرة الإمام أحمد للجهمية في الرؤية	١٠٣٢
مناظرة أخرى	١٠٣٣
المناظرة في الإيمان	١٠٣٥
المناظرة في دخول الأعمال في مسمى الإيمان	١٠٣٧
المناظرة في زيادة الإيمان ونقصانه	١٠٤٣
المناظرة في الاستثناء في الإيمان	١٠٤٧
المناظرة في تكفير مرتكب الكبيرة	١٠٤٨
مناظرة الخوارج في التكفير	١٠٤٨
مناظرة عمرو بن عبيد	١٠٥١
مناظرة أبي حنيفة للخوارج	١٠٥١
إن الله تعالى قد يترك العقوبة تكرماً	١٠٥٢
المناظرة في لعن العصاة	١٠٥٤
مناظرة الخوارج في التحكيم	١٠٥٥
المناظرة في القدر	١٠٥٥
كلام القدرية بدعة محدثة	١٠٥٦
نفر من قدر الله إلى قدر الله	١٠٥٦
التحذير من الخوض في القدر بالباطل	١٠٥٨
المناظرة في معنى الظلم	١٠٦١

القدرية بين الكفر والانقطاع	١٠٦٤
مناظرة نفاة العلم السابق	١٠٦٥
الله هو الخالق لأفعال العباد	١٠٦٧
القدر الكوني ينازع بالقدر الشرعي	١٠٦٧
مناظرة أهل السنة لغيلان الدمشقي القدري	١٠٦٨
مناظرة إياس بن معاوية لغيلان	١٠٦٩
مناظرة عمر بن عبد العزيز لغيلان	١٠٦٩
مناظرة هشام بن عبد الملك لغيلان	١٠٧١
مناظرة الأوزاعي لغيلان	١٠٧٢
مناظرة ربيعة بن عبد الرحمن لغيلان	١٠٧٣
مناظرة داود بن أبي هند لغيلان	١٠٧٤
مناظرة الإسفرائيني مع القاضي عبد الجبار	١٠٧٤
المناظرة في التكليف بما لا يطاق	١٠٧٤
المناظرة في الاستطاعة	١٠٧٧
الفرق بين الأمر الكوني والأمر الشرعي	١٠٧٨
الفصل الثاني : الجدل والمناظرة في باب النبوات	١٠٧٩
مناظرة البراهمة في إنكارهم النبوات	١٠٨١
طريقة أخرى في مناظرة القوم	١٠٨٢
مناظرة اليهود في النسخ	١٠٨٣
طريقة أخرى في مناظرتهم	١٠٨٥
طريقة أخرى في مناظرتهم	١٠٨٦
طريقة أخرى في مناظرة اليهود في النسخ	١٠٨٨

مناظرة النصارى في النسخ	١٠٩٢
مناظرة اليهود في اختصاصهم با لله تعالى	١٠٩٢
مناظرة اليهود وإلزامهم الإيمان بمحمد صلى ا لله عليه وسلم	١٠٩٤
مناظرة اليهود في عموم الرسالة	١٠٩٥
مناظرة ابن القيم لبعض علماء اليهود	١٠٩٨
مناظرة أخرى	١١٠٠
مناظرة أخرى	١١٠١
مناظرة مشابهة في قطع النصارى	١١٠٢
مناظرة أخرى مشابهة	١١٠٢
مناظرة النصارى في بنوة عيسى عليه السلام	١١٠٣
مناظرة أخرى	١١٠٤
مناظرة النصارى في الصلب	١١٠٥
مناظرة أخرى في الصلب	١١٠٥
مناظرة القاضي الباقلاني الروم في ديارهم	١١٠٧
مناظرة الفخر الرازي للنصارى	١١٠٨
القرآن من عند ا لله تعالى	١١٤٧
المناظرة في عصمة الأئمة	١١٤٩
مناظرة أخرى في عصمة الإمام	١١٥٠
مناظرة أخرى في عصمة الإمام	١١٥١
مناظرة الرافضة في غيبة الإمام	١١٥٢
مناظرة الباطنية في تأويل نصوص الشرع	١١٥٣
مناظرة أخرى	١١٥٦

مناظرة الرافضة في الطعن على الخلفاء الراشدين ١١٥٨
مناظرة السفاح لأحد الرافضة ١١٥٨
مناظرة المأمون لعلي بن موسى الرضى ١١٥٩
مناظرة أبي حنيفة لشيطان الطاق ١١٥٩
مناظرة ابن الحداد لأبي العباس الرافضي ١١٦٠
مناظرة أبي علي بن شاذان لأبي عبد الله ابن المعلم الشيعي ١١٦٢
مناظرة أبي الحسن البخاري للشريف المرتضى ١١٦٤
مناظرة أخرى ١١٦٤
مناظرة في التفضيل ١١٦٥
مناظرة ابن الحداد المالكي لأبي عبد الله الشيعي ١١٦٥
مناظرة شعرية ١١٦٨
مناظرة في الاحتجاج بالسنة ١١٦٩
المناظرة في براءة القرآن من التناقض ١١٧٢
مناظرة لأبي الهذيل العلاف ١١٧٢
مناظرة الإمام أحمد للزنادقة ١١٧٣
مناظرة في الاستدلال بالمنامات ١١٧٤
المناظرة في المنهج ١١٧٥
المناظرة في الاختلاف ١١٧٩
الاختلاف في العقائد أعظم من الاختلاف في الأحكام ١١٧٩
مناظرة أخرى ١١٨٠
الفصل الثالث : المناظرة في باب السمعيات ١١٨٣
المناظرة في الملائكة ١١٨٥

هل الملائكة عاقلة	١١٨٥
مناظرة في الروح	١١٨٧
مناظرة في إنكار المعاد	١١٨٨
مناظرة الجهمية في بقاء الجنة والنار	١١٩٠
مناظرة في طعام الناس في الموقف	١١٩٢
مناظرة في عذاب النار	١١٩٢
مناظرة الزنادقة في تبديل جلود أهل النار يوم القيامة	١١٩٤
المناظرة في كلام الناس يوم القيامة	١١٩٥
مناظرة الزنادقة في كلام أهل النار	١١٩٥
المناظرة في الشفاعة في عصاة الموحدين	١١٩٦
المناظرة في الوعيد	١١٩٩
الخاتمة	١٢٠١
فهرس المراجع والمصادر	١٢٠٩
فهرس الموضوعات	١٢٥٩